



الأسيرة

با جين

الأسطورة

با جين

ترجمة : محمد نمر عبد الكريم

مراجعة : اديب تشنغ شيوه ون

فردرس دينغ بي ين

دار النشر باللغات الاجنبية

بكين

مكتبة بغداد

@BAGHDAD_LIBRARY

ج.ع.ع.ح

الطبعة الاولى عام ١٩٨٤

الرسوم
ليو دان تشاي

دار النشر باللغات الاجنبية
٢٤ شارع باي وان تشوانغ
بكين - الصين

طبع في جمهورية الصين الشعبية



با جين

كلمة من المؤلف

لقد كتبت رواية « الاسرة » قبل ست واربعين سنة . ومنذ ذلك الحين ، وعلى فترات متباينة ، كتبت عدة مقدمات وخواتيم ومقالات عارضا فيها وجهات نظرى فى هذه الرواية . وكان معظمها وصفا لكيفية اقدامى على كتابتها وعرضا لما كانت عليه افكارى وعواطفى حينذاك . ونادرا ما تعرضت فيما كتبت الى نقاط الضعف فى هذه القصة .

لقد بقيت كاتباً مدة عشرين عاما فى الصين شبه الاقطاعية وشبه المستعمرة . وكتبت ملايين المقاطع الصينية . غير ان خيرة كتبى كانت بمثابة تقارير طبية يكتبها طبيب غير متمكن - لقد استطعت رؤية مساوئ المجتمع القديم ولكننى عجزت عن وصف العلاج الشافى . وقد كتب الى القراء قبل ثلاثين او اربعين سنة يطلبون منى ان انير الطريق امامهم . ولكن رواياتى ، والتي كانت تعج بالتفجع والانين ، مع شخصياتى التى كانت تسير فى عجز وياس نحو مصارعها ، قد ألقت على قلوب قرائى حجابا كثيفا من ليل بارد طويل .

كثيرة هى المرات التى سمعت الناس فيها يقولون انهم احبوا كتبى فى البداية ، ولكنهم عندما ارادوا مواصلة تقدمهم

الى الامام لم يستطيعوا ان يعثروا فيها على ما يطلبون . وكان كل ما امكنهم عمله ان قذفوها جانبا وتقدموا من دونها :

لقد استأذنتني دار النشر للادب الشعبي طالبة اعادة نشر « الاسرة » فوافقت . ورأيت انها قد تقدم للقراء فهما افضل للمجتمع الاقطاعي . ان « الاسرة » قصة حقيقية من حيث ان شخصياتها تمثل الناس الذين احببتهم او كرهتهم . وبعض احداثها قد شاهدته بعيني او عشته بنفسى . وكما قلت سابقا :

” لم اكتب الروايات كى اصبح مؤلفا ، بل ماضى هو الذى يجبرنى على امسك قلمى . “ ان كتابة « الاسرة » كانت شبيها بفتح قبر الذاكرة . فحتى وانا طفل كثيرا ما شاهدت تحطيم حياة الشباب المحبين الذين انتهوا نهاية مأساوية . عند كتابتى هذه الرواية كنت كأنى عانيت معهم ، وناضلت مثلهم داخل قبضة مخالف شيطانية . ولذا فانها مفعمة بحبى العميق وكرهيتى الشديدة .

ورواية كهذه فيها بالطبع مواطن ضعف متعددة . فمعارضتى للاقطاعية لم تكن كاملة تماما . ولم امسك بجوهر المشكلة ، كما لم اكشف الاستغلال القاسى الذى مارسه طبقة ملاك الاراضى على الفلاحين . لقد تعاطفت اكثر مما يجب مع الشخصيات التى نقدتها . وكنت فى بعض الاحيان ادع مشاعرى الشخصية تحرف واقع الحياة . . . هذا كله اعترف به . ولكن لا حاجة بى الى ان اكون مطيلا . فقرائى اليوم سيتوصلون الى النتائج بأنفسهم حول رواية نشرت لأول مرة عام ١٩٣١ . وباستثناء

تصحيح بعض الاخطاء المطبعية هنا وهناك لم ادخل اى تغيير على هذه الطبعة الاخيرة .

خلال ايام ” عصابة الاربعة “ اعتبرت « الاسرة » ” عشبة سامة “ ، وحكم عليها بالاعدام . ومن حسن الحظ ان اللجنة المركزية للحزب اطاحت بـ ”عصابة الاربعة “ وانقذت الادب والفن فى الصين . ولو لا ذلك لما قدر لهذه الرواية ان ترى النور ثانية .

با جين

٩ آب ١٩٧٧

كانت الريح تعصف ، ورقاقات الثلج تحوم كقطن مندوف يتطاير من لحاف ممزق ، وتساقط على غير هدى . وكانت الطبقات البيضاء يعلو بعضها بعضا عند اسفل الجدران على كلا جانبي الشوارع مزودة قارعتها الموحلة القائمة بحواش واسعة .

وحاول المشاة وحاملو المحفات مقاومة الريح والثلج ، ولكن عبثا . فقد بدوا منهكين . وازداد تساقط الثلج ، وامتلات به السماء ، فراح يتساقط في كل مكان - على المظلات ، على المحفات ، على القبعات القصبية لحاملى المحفات ، على وجوه المشاة .

وتقاذفت الريح المظلات الى كل اتجاه ، ونزعت واحدة او اثنتين من ايدي اصحابها . وانضم عويل الريح المحزن الى وقع الخطوات على الثلج ليشكل موسيقا غريبة مؤلمة ، بدت كأنها تحذر الناس في الشوارع من ان هذه العاصفة الثلجية ستحكم العالم وقتا طويلا طويلا وان شمس الربيع الدافئة المشرقة لن تعود الى الظهور ابدا . . .

كان الوقت مساء ، الا ان مصابيح الشوارع لم تكن قد

اضيئت بعد . وكل شىء كان يختنفى تدريجيا وراء حجاب قاتم . وامتلأت الشوارع بالماء والوحل . واصبح الهواء ببرودة الجليد . وفكرة واحدة ، ليس غير ، هى التى شدت من ازر الناس فى مقاومتهم وسط تلك الاجواء الموحشة – انهم سيعودون حالا الى بيوتهم الدافئة المنيرة .

وقال شاب فى الثامنة عشرة من عمره :

– اسرع فى سيرك يا جيويه هوى ، والا فستأخر عن العشاء .

وحمل مظلة فى يد ورفع طرف جلبابه المحشو بالقطن بيده الاخرى . كان وجهه المستدير احمر من شدة البرد عندما استدار ليكلم اخاه ، وكانت تتركز على قصبه انفه نظارة ذهبية الاطار .

كان جيويه هوى الماشى فى الخلف اصغر من اخيه بقليل ، مع انه كان فى نفس قامته ويرتدى نفس النوع من الملابس . وكان وجهه انحف من وجه اخيه ، وكانت عيناه شديدتى اللمعان .

فأجاب جيويه هوى :

– لا ، لن نتأخر . اننا على وشك الوصول .

ومع ذلك عجل خطوته تاركا الوحل يرش ساقى بنطاله . وسرعان ما دخل الاخوان شارعا اكثر هدوءا . وفى هذا الشارع كانت مصابيح الزيت قد اضيئت ، وكان وميضها الباهت يلقى على الثلج الظلال الشاحبة لأعمدة المصابيح هذه ، فيبدو

متوحدا في هذا الجو العاصف القارس . وكان في الشارع بضعة اشخاص يبحثون الخطى تاركين آثار اقدمهم على الثلج ثم يختفون في صمت . وظلت هذه الآثار العميقة كليلة ساكنة ، ليس لديها مجرد فكرة في التحرك ، الى ان جاءت اقدام جديدة وداست فوقها . وعندها تنهدت تنهدات خفيفة وتحوت الى اشكال غريبة . وعلى هذا الشارع المغطى بالثلج ، الطويل الى ما لا نهاية ، تحولت الاشكال المنتظمة لآثار الاقدام هذه الى مجرد حفر كبيرة وصغيرة ، قاتمة ، لا شكل لها .

ووسط هذه العاصفة الجليدية انتصب بلا حراك صف من المربعات السكنية ببوابات كبيرة من الخشب الصلب مطلية بالاسود . وعلى جانبي كل مدخل من مداخل هذه المربعات السكنية جثم اسدان حجريان صامتان الى الابد . وقد اتخذت البوابات المفتوحة شكل افواه وحوش غريبة الاطوار . وفي الداخل لم يكن يبدو للناس شكل كهوف مظلمة . ماذا كان في داخلها ، لا احد يستطيع ان يرى .

لكل مسكن من هذه المساكن تاريخ طويل ، وبعضها تغير اصحابه عدة مرات . ولكل كذلك اسراره . وعندما كان الطلاب الاسود يسقط عن هذه البوابات الكبيرة ، كانت تظلي ثانية . ولكن على الرغم مما حدث من تغيرات ظلت الاسرار مكتومة ، لم يسمح ابدا لأي شخص من الخارج بالاطلاع عليها .

وفي وسط هذا الشارع ، وامام بوابة مربع سكني كبير جدا ،

توقف الاخوان . فمسحا نعل حذاءيهما الجلديين على حافة الدرج ، ونفضا الثلج عن ثيابهما ، واسدلا طرفي جلبابيهما . ثم ولجا الى الداخل ممسكين بمظلتيهما ، وسرعان ما اختفى وقع خطواتهما داخل الكهف المظلم . ونخيم السكون على الشارع مرة ثانية .

كان المظهر الخارجى لهذا المربع السكنى مماثلا لغيره من المربعات السكنية ، فلكل منها اسدان حجريان يجثمان على جانبى مدخله ومصباحان كبيران من الورق الاحمر يتدليان من افريز السطح على جانبى بوابته . والذى ميز هذا المكان عن غيره الراقودان الحجريان الكبيران المستطيلا الشكل اللذان وضعا امام البوابة .

وعلى كلا جانبى المدخل علقتم على نحو عامودى لوحة مطلية بالاحمر ومنقوشة بمقاطع صينية سوداء . ولدى قراءتك ، من الاعلى الى الاسفل ، اللوحة اليمنى اولا ومن ثم اليسرى ، تطالع الشعار التفاؤلى التالى : حكام خيرون ، اسرة سعيدة ، حياة مديدة ، غلال وفيرة .

٢

مع ان الريح سكنت تماما ، الا ان الهواء ظل باردا كالسابق : وحل الليل ، ولكنه لم يجلب معه ظلاما . وظلت السماء رمادية



بوابة مربع اسرة قاو السكنى .

اللون . ورصفت الارض بالثلج . وفي الفناء الكبير المكسو بالثلج صفت على جانبى ممر مرتفع قليلا ومبلط بالحجارة اوعية فيها ازهار برقوق . وكانت اغصانها ، وقد اکتست بالبياض الصقيعى ، كأنها الشب الجميل .

تقدم جيويه مين ، الكبير بين هذين الاخوين ، امام اخيه على طول هذا الممر حتى صعد سلم جناح مكون من طابق واحد على الجانب الايسر من الفناء . وكان على وشك ان يتخطى العتبة عندما سمع صوت فتاة تدعوها :

— ايها السيد الثانى ! ايها السيد الثالث ! لقد عدتما فى الوقت المناسب . العشاء قد بدأ . اسرعا . لدينا ضيوف .

كانت المتحدثة هى الجارية مينغ فنغ ، فتاة فى السادسة عشرة من العمر . وكانت تسدل شعرها الى اسفل ظهرها فى ضفيرة واحدة طويلة . وكان قوامها الاهيف مكسوا بستره من القماش الازرق محشوة بالقطن . وعندما ابتسمت ظهرت غمازاتها على جلده وجهها البيضى المعافى . ونظرت الى الاخوين بعينها اللامعتين المشرقتين نظرة ساذجة خالية من اى شعور بالخوف او الخجل .

فابتسم لها جيويه هوى من وراء جيويه مين ، وقال الاخير :
— اجل ، ستتخلص من هاتين المظلتين ونأتى مباشرة .
ثم دخل الباب دون ان يرمقها بنظرة اخرى . ومن عند السلم سأل جيويه هوى :

— يا مينغ فنغ ، من الضيوف ؟

فقلت مينغ فنغ :

— السيدة تشانغ والآنسة تشين ، اسرعا .

ثم استدارت متجهة الى داخل المبنى الرئيسى .

وظل جيويه هوى يبتسم ناظرا الى ظهرها وهى تبتعد الى

ان اغلقت الباب خلفها . وعندها دخل غرفته الخاصة فاصطدم

بأخيه الذى كان خارجا من الغرفة . فسأله جيويه مين :

— حول ماذا كنت تتحدث انت ومينغ فنغ حتى تأخرت

كل هذا التأخير ؟ تحرك بسرعة ! سينتهى العشاء اذا تأخرت

اكثر من ذلك .

فقال جيويه هوى قاذفا مظلته الى الارض :

— سأذهب معك الآن ، لا حاجة بى الى تغيير ملابسى .

انها ليست مبللة كثيرا .

فقال جيويه مين :

— يا لهذا التصرف الصبيانى ! لماذا لا ترتب امورك

على نحو جيد ؟ ان المثل القديم القائل : ان تحريك الجبل

من مكانه اسهل من تغيير شخصية الانسان صحيح تماما !

وظل على الرغم من هذه اللهجة الانتقادية فى كلامه منشرح

الاسارير . ثم تناول المظلة التى كان الماء يقطر منها ، وفتحها

ووضعها على الارض ثانية بكل حرص .

فقال جيويه هوى وهو يراقبه مبتسما :

— ماذا يمكنك ان افعل ؟ هذه هى طريقتى . ولكنى

ظننت انك مستعجل . انك انت الذى تؤخرنا .

فأجابه جيويه مين :

— ان لك لسانا لاذعا . لا احد يمكنه ان يقهرك في

الحديث !

ثم خرج كأنه في غاية الاستياء .

ان جيويه هوى يعرف اخاه تماما ، كما ان جيويه مين يعرفه ايضا . لذلك لم يتزعج جيويه هوى بل تبع اخاه مبتسما ، وعقله منشغل تماما بالجارية الظريفة . ولكن تفكيره فيها تلاشى ازاء المشهد الذى قابل عينيه عندما دخل المبنى الرئيسى .

كان هناك ستة اشخاص يجلسون حول طاولة مربعة . وعلى ابعد جانب من الباب — حيث مقاعد الشرف — جلست زوجة ابيه المدام تشو وعمته السيدة تشانغ . وعلى الجانب الايسر جلست تشين ، ابنة عمته تشانغ وروى جيويه ، زوجة اخيه الاكبر جيويه شين . وعلى الجانب القريب من الباب جلس جيويه شين واختهم الصغيرة شو هوا . وكان المقعدان على الجانب الايمن فارغين .

انحنى جيويه هوى واخوه الى السيدة تشانغ وحييا تشين ، ثم انسلا الى المقعدين الفارغين وجلسا . وسرعان ما قدمت لهما خادمة طاسى الارز .

وسألتهما المدام تشو برقة وهى ترفع طاسها :

— لماذا تأخرتما اليوم كثيرا ؟ لو لم تأت عمتمكم لزيارتنا

لكننا انتهينا من تناول الطعام منذ وقت طويل .

فقال جيويه مين :

– لم يكن عندنا دروس بعد ظهر اليوم ، الا ان المعلم
تشو طلب منا ان نتدرب على اداء مسرحيتنا . وهذا ما اخرنا .
وقالت السيدة تشانغ مدفوعة بشيء من الاهتمام مع شيء
من المجاملة :

– لا بد ان الجو بارد في الخارج بعد سقوط هذا الثلج
الكثيف ، هل عدتما الى البيت بالمحففة ؟
فأجاب جيويه هوى بسرعة :

– لا ، لقد مشينا . اننا لا نستخدم المحففة ابدا !
فقال جيويه شين موضحا ، وعلى وجهه ابتسامة ساخرة :
– جيويه هوى لا يسمح مطلقا بأن يقال انه ركب محففة .
انه من دعاة الانسانية .

فضحك الجميع . اما جيويه هوى فظل خافضا رأسه ،
مركزا نظره على طعامه ، وقد انتابه شيء من الغضب والارتباك .
واجاب جيويه مين في كياسة :

– في الواقع ليس هناك برد شديد في الخارج ، ثم ان
الريح توقفت . لقد تحدثنا خلال سيرنا ، وشعرنا حقا بالارتياح
التام .

وسألته تشين :

– متى ستعرض مدرستكم المسرحية التي ذكرتها ؟
كانت تشين اصغر من جيويه مين ببضعة اشهر . وكانت
تعتبر اجمل فتاة بين قريبات اسرة قاو واكثرهن مرحا . لقد
دخلت مدرسة للبنات في سن مبكرة ، وهي الآن طالبة في السنة

الثالثة في مدرسة المعلمات في المقاطعة :

— ربما عندما يبدأ الفصل الدراسي الربيعي التالي . وهذا الفصل لم يبق منه الا اسبوع واحد او يزيد . متى ستبدأ عطلتكن الشتوية ؟

— لقد بدأت في الاسبوع الماضي . يقولون ان المدرسة تنقصها النقود ، وهذا ما جعلنا نعطل مبكرا هذه السنة . ثم وضعت طاسها اذ فرغت من الطعام .

— جميع الاعتمادات المالية الدراسية في المقاطعة تستخدم الآن لأغراض عسكرية . وكل مدرسة تعاني نفس المشكلة . والفرق الوحيد لدينا هو ان مديرنا مقيد بعقود مع مدرسينا الاجانب . فهم يتقاضون رواتبهم سواء اوقفنا الدروس او تابعتها . ان من الممكن تقليل خسائر مدرستنا بمواصلة الدروس ، هكذا يقال . . . سمعت ان لمديرنا بعض صلات بالحاكم ، لذا فنقودنا ليست ضئيلة جدا .

ووضع جيويه مين هو الآخر طاسه . فناولته مينغ فنغ فوطة رطبة .

وقال جيويه شين :

— ما دمت تستطيع الذهاب الى المدرسة ، فما الفرق ؟

وسألت السيدة تشانغ ابنتها تشين :

— ما اسم مدرستهما ؟ لقد نسيت .

فقالت تشين في انشراح :

— ذاكرة ماما ضعيفة . انهما في مدرسة اللغات الاجنبية .

لقد سألت عن ذلك عدة مرات !

فابتسمت السيدة تشانغ قائلة :

– انك مصيبة تماما يا تشين . لقد كبرت واصبحت
ذاكرتي تخونني . لقد كنت على وشك ان افوز في الماجيانغ
الا ان الفرصة فاتتني من جراء نسياني .

لقد انهى الجميع الآن طعامهم ومسحوا وجوههم بالقوط
الرطبة . فقالت مدام تشو ، وقد نهضت مرجعة كرسيها الى
الخلف :

– هيا بنا الى الاستراحة في غرفتي :

ونهض البقية ايضا ، ثم خرج الجميع سويا .
وفي مؤخر المجموعة قال جيويه مين لتشين في صوت
خافت :

– بعد عطلة الصيف القادمة ستقبل مدرستنا دخول طالبات
اليها .

فتألق وجه تشين سرورا . وثبتت عليه عيناها الواسعتان
اللامعتان كأنما زف اليها اعظم بشرى . ثم سألته بشيء من
التشكك :

– حقا ؟

لقد خشيت ان يكون جيويه مين قاصدا مجرد اثارها .
فقال جيويه مين ناظرا الى اخيه الاصغر الواقف الى جانبه :
– حقا ، هل سبق لي ان كذبت عليك ؟ واذا كنت
لا تثقين بي ، فبوسعك ان تسأل جيويه هوى .

فأجابت تشين بضحكة انفعال :

— ليست المسألة اننى لا اصدقك ، بل كل ما فى الامر ان هذه البشرى جاءت مفاجئة كل المفاجأة .

وقال جيويه هوى :

— هذا صحيح على اية حال . ولكن ، أيمكن أن يكون ممكناً انجاز هذه الخطة او غير ممكن ، فهذه مسألة اخرى . ففى سيتشوان الكثير الكثير من المتزمتين والمتمسكين بالاخلاق الاقطاعية ، ونفوذهم قوى جدا . ومن المؤكد انهم سيعارضون هذا الامر . الاولاد والبنات فى نفس المدرسة ؟ هذا شئ لم يسبق لهم ان فكروا فيه حتى فى اشد احلامهم جموحا .

وعندها ازداد جيويه هوى انفعالا ، فرد جيويه مين قاصدا التخفيف عن تشين :

— لا اهمية لأرائهم . مادام مديرنا متمسكا برأيه ، فبوسعنا تنفيذ ذلك . انه يقول اذا لم تكن هناك بنات عندهن الجرأة على التسجيل ، فانه سيجعل زوجته تسجل اسمها !

وقالت تشين بحزم :

— سأكون اول من يتقدم بطلب !

ونادت السيدة تشانغ من الغرفة :

— يا تشين ، لماذا لا تدخلين الغرفة ؟ لماذا ما تزالين

واقفة هناك بجانب الباب ؟

فقال جيويه مين لتشين حاثا اياها فى صوت خافت :

— استأذنى امك فى المجيء الى غرفتنا اذا امكن ذلك .

سأروى لك القصة كلها بالتفصيل .
هزت تشين رأسها بالموافقة ، ثم مشت نحو امها وهمست
في اذنها بضع كلمات . فضحكت السيدة تشانغ وقالت :
- حسنا ، لا تتأخرى كثيرا .
وفيما كانت الفتاة والاخوان يغادرون المبنى الرئيسى استطاعت
تشين سماع طقطقة الاحجار العاجية على الطاولة الخشبية .
وادركت ان امها ستلعب على الاقل اربع جولات من الماجيانغ .

٣

قال جيويه مين لتشين مبتسما ابتسامة سارة فيما راحا
يهبطان السلم :
- فى هذا الفصل انهينا قراءة « جزيرة الكتر » . وفى الفصل
القادم سندرس « البعث » لتولستوى . وسيكون مدرسنا اللادب
الصينى وو يو لينغ ، ذلك الذى كتب مقالة « الاخلاقية
الكونفوشية الآكلة للحم الانسان » فى مجلة « الشباب الجديد » !
أليس هذا رائعا ؟

فصاحت تشين وقد تورد وجهها بالاعجاب :
- انكم حقا لمحفظون ، فمدرسو اللادب عندنا دائما
ما يكونون من المثقفين القدامى الذين يفضلون نصوصا ادبية مثل
« المقالات الصينية القديمة المختارة » . فبالنسبة للانكليزية

بقينا طوال السنوات الماضية ندرس القراءة الانكليزية لتشامبر .
والآن سمعت اننا سنتحول الى قصص من ادب شكسبير –
دائما نفس الآثار القديمة المملة . . . سأضحى بأى شيء
اذا رفعت مدرستكم الحظر عن البنات الآن وسمحت لى بالتحول
اليها .

وتساءل جيويه هوى فى تهكم :

– وما الخطأ فى دراسة القراءة الانكليزية لتشامبر . لقد
ترجمت الى الصينية تحت عنوان « ابتسامات من الشعراء » !
فرمقته تشين بنظرة حادة وقالت :

– انت دائما تمزح . اننا نتكلم بجدية .

فرد جيويه هوى مبتسما ابتسامة عريضة :

– حسنا ، سأكف عن الكلام . اما انتما فتابعا حديثكما .
وابطأ فى سيره حتى يدع جيويه مين وتشين يدخلا. الجناح
اولا ، بينما توقف هو عند المدخل وحدث فى انحاء الفناء .
كانت الاضواء تسطع متلاثلة فى القسمين الايسر والايمن
من المبنى الرئيسى وكذلك فى الجناح المقابل للجناح الذى
يسكنه الاخوان . وكانت احجار المايجانغ تطلق فى القسم
الايسر من المبنى الرئيسى . وجميع جوانب الفناء كانت تضج
بالاصوات . ما اجمل هذا الفناء وقد غطاه الثلج ، ما انصعه !
ورغب جيويه هوى ان يصيح مبتهجا وان يضحك بصوت عال .
وفتح ذراعيه على اتساعهما محيا المشاهد الخارجية امامه .
وشعر بأنه طليق ، لا قيود عليه .

وتذكر كيف ان "كلب البحر الكبير" ، والذي يمثل دوره في مسرحية « جزيرة الكنز » ، ضرب الطاولة في الفندق بعنف وصاح بأعلى صوته طالبا الخمر . فأفعم بحيوية هذا المشهد ، ورجع برأسه الى الخلف وصاح :

— يا مينغ فنج ، احضرى ثلاثة فناجين من الشاي !
وانبعث نداء يشير الى ان طلبه قد سمع . وما هي الا دقائق حتى ظهرت الفتاة من القسم الايسر للمبنى الرئيسى حاملة معها الشاي .

وصاح جيويه هوى :

— لماذا فنجنانان فقط ؟ لقد طلبت ثلاثة بكل وضوح .
وصعدت مينغ فنج نحوه مذعورة . وراحت يداها ترتجفان متسببتين فى اندلاق قليل من الشاي . ثم قالت مبتسمة :

— لدى يدان اثنتان فقط .

فقال جيويه هوى ضاحكا :

— انت ذكية ، أليس كذلك ؟ كان بوسعك ان تجلبى صينية . حسنا ، ادخلى هذين الى الآنسة تشين والسيد الثانى .
وتنحى الى الجانب الايسر من المدخل مسندا ظهره الى اطاره ، مفسحا لها مجالا للمرور .

وبعد لحظة سمع وقع خطواتها عائدة ، ففتح ساقيه على اتساعهما ووقف وسط المدخل مواجهها الفناء . فوصلت الى ما وراء ظهره فى صمت ، وبعد ان تريثت لحظة قالت بصوت غير مرتفع :

– ايها السيد الثالث ، دعنى امر .

اما انه لم يسمع واما انه تظاهر بعدم السماع ، وعلى اية حال فقد استمر واقفا حيث هو .

”مينغ فنج . . . مينغ فنج !“ كان ذلك صوت مدام تشو ، زوجة والد جيويه هوى ، ينبعث من المبنى الرئيسى .
فقال مينغ فنج متوسلة :

– دعنى اذهب ، مدام تشو تريدنى . ستوبخنى اذا تأخرت .

فالتفت جيويه هوى وقال مبتسما :

– لا عليك . أبلغها فقط اننى طلبت منك ان تقومى لى بعمل ما .

فقال بصوت منخفض لا يسمعه الا جيويه هوى :

– انها لن تصدقنى . واذا ما اغضبته فساتعرض لمصيبة كبيرة بعد مغادرة الضيوف .

وانطلق صوت فتاة اخرى ، شو هوا شقيقة جيويه هوى ،
يجلجل عبر الفناء :

– يا مينغ فنج ، المدام تطلب منك ان تضعى تبغا فى النارجيلة !

فخطا جيويه هوى جانبا ، وهرعت مينغ فنج مسرعة .

وخرجت شو هوا من المبنى الرئيسى وسألت مينغ فنج موبخة :

– اين كنت ؟ لماذا لم تجيى عندما نوديت ؟
فأجابته مينغ فنج خافضة رأسها ، وصوتها خال من اى تعبير :

– لقد جلبت بعض الشاي للسيد الثالث .

– جلب الشاي لا يستغرق كل هذا الوقت ! وانت لست

خرساء . لماذا لم تجيبي عندما ناديتك ؟

كانت شو هوا في الرابعة عشرة من عمرها فقط ، الا انها

كانت قد تعلمت كيف تعنف الجارية ، تماما كأفراد اسرتها

الكبار . وتفعل ذلك على نحو مألوف تماما .

ثم تابعت تقول :

– هيا اذهبي الى هناك الآن . اذا عرفت مدام تشو انك

تعمدت عدم الاجابة فستوبخك .

واستدارت شو هوا عائدة الى المنزل ، وتبعتها مينغ فنغ

في صمت .

سمع جيويه هوى كل مقطع من هذا الحديث المتبادل ،

وحزت في نفسه الكلمات كأنها ضربات سوط . واحمر وجهه

من شدة الخجل . انه هو الذى سبب لها كل هذا . ولقد بعث

تصرف اخته التقرز في نفسه . ورغب في ان يتقدم ويدافع عن

مينغ فنغ ، الا ان شيئا ما صده عن ذلك . فوقف في الظلمة

صامتا ، يراقب ، كأن شيئا لا يعنيه .

بقي في الفناء وحيدا ، وبدا انه ما يزال قادرا على رؤية

وجه مينغ فنغ الجميل . لقد كان وجهها تعلقه سيماء الخضوع

والاذعان من غير تذمر ، كالبحر يتقبل كل شيء ويتلع كل

شيء دونما صوت .

ومن غرفته سمع صوتا انثويا آخر ، فتخيل فتاة اخرى .

وجهها كان جميلا ايضا ، ولكنه اظهر انواعا من التعابير مختلفة عن الاولى تمام الاختلاف : المقاومة والحماسة والتصميم ورفض الخضوع لأقل ظلم . وكانت تعابير الوجهين مظهرا لطريقتين مختلفتين من طرائق الحياة ، ولقدرين مختلفين كذلك . وعلى الرغم من ان الفتاة الثانية كانت تنعم بفيض من السعادة والمرح ، الا ان الكثير من عطفه وعاطفته كان الى جانب الفتاة الاولى . ولاح له في ذهنه ثانية وجه الفتاة الاولى واضحا ، يجذبها بما فيه من تعابير الانقياد التام والتوسل . ورغب في ان يخفف عنها ، في ان يقدم لها بعض العزاء . ولكن ما الذي يستطيع تقديمه لها ؟ لقد حدد قدرها منذ جاءت الى هذا العالم . وكثير من الفتيات الاخريات في نفس ظروفها قد عانين نفس القدر . وبالطبع لا يمكنها هي ان تكون مستثناة . لقد اراد جيوبه هوى ان يحتج على هذا الجور في قدرها ، ان يقاومه ، ان يغيره . وفجأة راودته فكرة غريبة . وبعد لحظة ندت عنه ضحكة خافتة . وقال بصوت غير مرتفع :

— ذلك غير ممكن اطلاقا ، هذا لا يمكن ان يحدث . وتابع تأمله : آه ، لو ان ذلك ممكن . ولكن عندما فكر في العواقب التي يمكن ان تنشأ عن ذلك خانته شجاعته . وقال في نفسه بابتسامة ساخرة : انه مجرد حلم ، مجرد حلم . حلم او غير حلم ، الا ان الفكرة فتنته ورغب عن التخلي عنها وتساءل في نفسه : هب انها في منزلة تشين الاجتماعية ؟ وخطب نفسه مؤكدا : لن تكون هناك اية مشكلة . لقد

بدا له في هذه اللحظة انها حقا فتاة مثل تشين ، وان علاقته بها عادية تماما .

ثم ما لبث ان ضحك من نفسه كثيرا . فكرة سخيفة ! . . .
على اية حال . من يقول اني احبها . انها مجرد تسلية .
وبالتدريج اخذ وجه مينغ فنغ المدعن يتلاشى من ذهن
جيويه هوى ويحل محله وجه الفتاة الاخرى الجلد الغيور .
ولكن سرعان ما تلاشى هذا الوجه ايضا .

” أيمكن للمرء ان يظل في البيت والهنويون لم يهزموا بعد ؟ “
ومع انه لم يكن عادة يهتم بهذا المثل القديم ، الا انه رآه الآن
يشتمل على حل رائع لجميع مشكلاته ، فهتف به في صوت
قوى عال . هؤلاء الهنويون في نظره لم يكونوا غزاة اجانب ،
وهو كذلك لم يكن عازما على انتضاء السيف والرمح لقتلهم
في ساحة المعركة . فما عناه من هذه الصرخة هو ان الانسان
الحقيقي ملزم ببند الروابط الاسرية ، وانه يجب ان يخرج الى
العالم ويحقق منجزات عظيمة . اما ما نوع هذه المنجزات
التي يجب ان يحققها ، ففكرته عنها في غاية الغموض . وخطا
جيويه هوى الى داخل الغرفة ، وذلك المثل البطولي ما يزال
على شفثيه .

كان جيويه مين واقفا بجانب مكتبه مشغولا في الحديث
لدى سماعه صوت جيويه هوى ، فرفع نظره اليه ، وما لبث
ان ضحك وقال مخاطبا تشين التي كانت جالسة على كنبه
من الخيزران :

– لقد جن ثانية !

فنظرت تشين الى جيويه هوى وقالت فى ابتسامه لاهية :

– ولكن ألا تعرف انه بطل عظيم ؟

فقال جيويه مين ضاحكا :

– المرجح انه ” كلب البحر الكبير “ ، ” فكلب البحر

الكبير “ كان ايضا بطلا عظيما .

فضحكت تشين ايضا .

ورد عليهما جيويه هوى بانفعال وقد اغضبه ضحكهما

الى حد ما :

– ” كلب البحر الكبير “ على اية حال كان افضل من

الدكتور ليفرسى . فالدكتور ليفرسى لم يكن الا واحدا من

ابناء الطبقة النبيلة .

فسأله جيويه مين بشيء من الدهشة وشيء من السخرية :

– ماذا تقصد بذلك يا ترى ؟ ألن تصبح انت واحدا من

ابناء الطبقة النبيلة ؟

فصاح جيويه هوى بحدة :

– لا ، لن اكون ! هل من المحتوم ان نصبح من ابناء

الطبقة النبيلة لمجرد كون جدنا وايينا من ابناء هذه الطبقة ؟

ثم زم شفثيه وانتظر جواب اخيه .

لم يكن جيويه مين الا مازحا فى البداية ، اما الآن ، بعد

ان رأى جيويه هوى غاضبا حقا ، فقد حاول ايجاد كلمات

لتهدئته . ولكنه لم يستطع ذلك ، بل كل ما استطاعه انه ظل

يحدق الى جيويه هوى فى ذهول . وظلت تشين متكئة فى جلستها على جانب الكنبه ، تراقب الاخوين دون ان تتكلم .
ولم يعد جيويه هوى قادرا على تمالك نفسه ، فتابع يقول :
- لقد سئمت هذا النمط من الحياة . لماذا جيويه شين يتنهد طوال اليوم ؟ أليس لأنه لا يستطيع تحمل كونه واحدا من ابناء الطبقة النبيلة ؟ انت تعرف انه . . . لقد عشنا اربعة اجيال تحت سقف واحد ، بنقصنا جيل واحد فقط حتى نشكل اسرة " مثالية " ، ولكن لا يمر يوم ابدا دون مشاجرات علنية ومشاحنات سرية . انهم جميعا يحاولون انتزاع اكثر من نصيبهم فى ممتلكات الاسرة . . .

واوشك جيويه هوى ان يختنق من شدة الغضب . كان يريد ان يقول اكثر من ذلك ، ولكن الكلمات استعصت على الخروج . ما اغاظه حقا لم يكن قدر اخيه الاكبر ، بل قدر تلك الفتاة التى اوحى تعابير وجهها بالانقياد التام . لقد شعر انه فصل عنها بجدار عال غير مرئى ، وهذا الجدار هو اسرته النبيلة . لقد منعه من تحقيق رغبته ، لذلك كرهها .

ونظر جيويه مين الى وجه اخيه الاحمر وعينيه اللاهبتين . ثم اقترب منه وامسك بيده ، وقال بانفعال مربتا على كتفيه :
- ما كان ينبغي لى ان امزح معك . انك على حق ، فشقاؤك شقائى . . . نحن الاثنى سنظل دائما جنبا الى جنب . . .
ولكنه مازال يجهل امر الفتاة التى احتلت قلب جيويه هوى .

وسرعان ما هدأ روع جيويه هوى وهز رأسه فى صمت .
ونهدت تشين واقتربت منها ، ثم خاطبت جيويه هوى
بصوت مرتجف :

— وانا كذلك ما كان ينبغي لى ان اضحك منك . اننى
اريد ان اظل مخلصه لكما دائما انتما الاثنين . ويجب ان اناضل
ايضا . ان ظرفى اسوأ من ظرفيكما .

فنظرا اليها . كان فى عينها الجميلتين ، بريق حزين ،
وكان مرحها المألوف قد غادرها . وكشفت تعابير وجهها المضطرب
عن صراعها الداخلى . لم يسبق ان رآها الاخوان هكذا من قبل ،
ولكنهما عرفا حالا ما الذى كان يزعجها . لقد صدقت فيما
قالت — فظرفها كان اسوأ من ظرفيهما بكثير . ولقد تأثرا بهذه
الكآبة التى نادرا ما تعترىها . واصبحا على استعداد للتضحية
بنفسيهما تضحية كاملة اذا كان ذلك يؤمن تحقيق امنيات
هذه الفتاة تحقيقا مبكرا . وكان هذا مجرد امل لا قيمة له ،
لأنه لم تكن هناك وسيلة محددة يستطيعان اتباعها ، انما شعرا
بأن من واجبهما مساعدتها .

وفى الحال نسى الاخوان مشكلاتهما الخاصة واكتفيا بالتفكير
فى تشين .

وقال لها جيويه مين مؤكدا :

— لا تقلقى ، ستدبر لك حلا ما . اننى مؤمن ايمانا
قويا بالمثل القائل ” من جد وجد “ أتذكرين عندما اردنا فى
البداية دخول مدرسة عامة ؟ لقد كان الجد معارضا ذلك معارضة

شديدة . ولكن في النهاية انتصرنا .
اتكأت تشين بيدها على المكتب ، وحدقت اليهما كأنها
تستيقظ من حلم .

فقال لها جيويه هوى متوسلا :

– جيويه مين مصيب . لا تقلقى على شىء . ركزى
فقط على مراجعة دروسك . وانفقى وقتا كبيرا على الانكليزية .
فما دمت تستطيعين اجتياز امتحانات القبول في مدرسة اللغات
الاجنبية ، فان حل المشكلات الاخرى لن يكون صعبا جدا .
وبأنامل رشيقة عدلت تشين شعرها . ثم ابتسمت وقالت
بصوت لم يخجل من نبرة قلق :

– آمل ذلك . ليس هناك من مانع لدى امى ، فمن
المؤكد انها ستسمح لى بالتحول ، ولكننى اخشى الا توافق
جدتى ، ولا بد من ان يثير ذلك كثيرا من القيل والقال بين
اقربائنا . لنأخذ اسرتكم – فباستثنائكما انما الاثنين ، يحتمل
ان يكون كل شخص آخر معارضا .

فقال جيويه هوى في شىء من الدهشة لدى رؤيته تشين
تضطر الى ذكر اسرته :

– ما شأنهم بك . دخول المدرسة امر خاص بك . هذا
بالاضافة الى انك لست فردا في اسرتنا !

مع ان والدة تشين هي ابنة السيد المبجل قاو ، الا انها
عندما تزوجت دخلت في نطاق سلطة اسرة زوجها ، وفقا للعرف ،
ولم يعد لها الحق ان تتدخل في شؤون اسرتها الاصلية .

— انما لا تعرفان كم تحملت ماما عندما دخلت مدرسة
المعلمات في المقاطعة . لقد قال اقرباؤنا — فتاة كبيرة مثلها
تسير في الشارع كل يوم ، فماذا سيقول الناس ؟ ! اية آتسة
حسنة التربية سبق لها ان تصرفت هكذا ؟ . . . ماما من الطراز
القديم جدا ، ومع انها متنورة اكثر من معظم النساء ، غير
انها لها حدودها . انها راغبة في تحمل العبء الاكبر مهما
اشتدت سخرية اقربائنا بها ، وذلك لأنها تحبني . ليست المسألة
في انها ترى ان من حقى دخول المدرسة — لم يكن من السهل
عليها ان تسمح لى بمجرد ذلك . الآن سأطلب دخول مدرسة
للاولاد حيث اجلس مع الذكور في صف واحد ! هل يمكنكما
تخيل واحد من اقربائنا يتجرأ على الموافقة على امر كهذا !
كانت تشين تزداد انفعالا كلما استرسلت في الكلام .
وكانت تقف منتصبه وعيناها المشرقتان مثبتتان على وجه جيويه مين ،
كأنها تنشد منه الجواب .

وقال جيويه مين :

— اخونا الكبير لن يعارض ذلك .

فقالت تشين :

— اذا كان جيويه شين هو الوحيد ، فما الفائدة في ذلك ؟
المدام تشو زوجة خالى الاول ستكون معارضة . وعملى هذا
سيثير ، بلا شك ، مزيدا من القيل والقال بين زوجة الخال
الرابع وزوجة الخال الخامس .

فقال جيويه هوى مقحما نفسه :

– دعيهن يتكلمن ، فلا شأن لهن الا التدخل طوال
اليوم فيما لا يعنيهن . انهن بالطبع متخيمات بالليل والقال .
فأنت حتى لو لم ترتكبي اى خطأ سيخترعن شيئا لانتقادك .
وما دمن سيسخرن على جميع الاحوال ، فدعيهن وشأنهن .
وشجعها جيويه مين قائلا :

– يا تشين ، هناك صواب فيما يقوله ، فاتخذى قرارك .
فقال تشين وقد اشرق وجهها فجأة وعادت اليها حيويتها
وثباتها :

– لقد اتخذت قرارى الآن . اعرف ان اى اصلاح لا بد
ان يقابله ثمن باهظ حتى ينجز ، لا بد من تقديم تضحيات
كبيرة . وانا على استعداد لأن اكون الضحية .
فقال جيويه مين مهدئا :

– اذا انت صممت هكذا ، فمن المؤكد انك ستنجحين .
فابتسمت تشين وقالت بنبرة تنم عن تصميمها المأروف :
– سواء نجحت ام لم انجح هذا لا يهمنى كثيرا . الا
اننى سأقوم بالمحاولة .

فحدق اليها الاخوان باعجاب .
وفى الغرفة المجاورة دقت الساعة معلنة التاسعة .
فقال تشين وهى ترتب شعرها :

– يجب ان اغادر ، تلك الجولات الاربع من الماجيانغ
ربما تكون قد انتهت الآن .
ومشت نحو الباب ، ثم ما لبثت ان استدارت وقالت

مبتسمة :

– تعاليا لزيارتنا عندما يكون لديكما وقت . اننى فى البيت
طيلة اليوم لا اجد ما افعله .

فأجاب الاخوان فى صوت واحد :
– سنأتى .

ومشيا معها الى الباب ، وظلا يراقبانها الى ان اختفت داخل
المبنى الرئيسى . كان الجو باردا فى الفناء ، ولكن كان هناك
دفع هائل فى قلبى الاخوين وهما يعودان الى غرفتهما .

قال جيويه مين بلا وعى ، وهو مستغرق فى تفكير حالم :
– تشين فتاة شجاعة بالتأكيد .

ثم ما لبث ان صاح فجأة :

– حتى فتاة مرحة مثل تشين لديها مشكلات . هذا شىء
ما كنت لأصدقه .

فقال جيويه هوى :

– لكل شخص متاعبه . وانا لى متاعبى ايضا .

ثم توقف فجأة كأنه باح بشىء لم يكن يقصد البوح به .
وسأله جيويه مين فى دهشة :

– لديك متاعب ؟ ما بك ؟

فقال جيويه هوى وقد احمر وجهه خجلا :

– لا شىء . كنت امزح ليس غير .

فنظر اليه جيويه مين فى ارتياب .

وانبعث من الخارج صوت مينغ فنج الرنان الواضح ينادى :

– محفة السيدة تشانغ !

ورد صدى صوتها صوت يوان تشنغ الاجش . وهو خادم
متوسط العمر :

– محفة السيدة تشانغ !

وبعد بضع دقائق فتحت بوابات المربع السكنى الداخلى
على اتساعها ، ودخل الفناء رجلان يحملان محفة ، ووضعها
عند اسفل السلم المؤدى الى المبنى الرئيسى .
وفى الشارع كان صدى الصوت المنبعث من صنوج الخفير
عميقا وحزيننا . لقد دقت الصنوج مرتين . انها الساعة العاشرة .

٤

خيم مع الليل سكون الموت ، وتلاشى توهج المصابيح
الكهربائية ايضا . وسادت الظلمة المربع السكنى الكبير كله .
وكانت الصيحة الكثيرة التى اطلقتها المصابيح الكهربائية وهى
تلفظ انفاسها الاخيرة ما تزال ترتعش فى الهواء . ومع ان هذا
الصوت كان خافتا ، الا انه تغلغل الى كل مكان ، حتى زوايا
الغرف بدت انها تردد الصدى بيبكاء رقيق . لقد مضى وقت
السعادة . وحلت الآن ساعة الدموع المأساوية .

واخذ الناس يقيمون انفسهم ، وهم مضطجعون فى اسرتهم
وقد تجردوا من اقنعتهم التى لبسوها طوال اليوم . ففتحوا قلوبهم

وفحصوا ما فيها من اسرار مطوية ، محدقين النظر الى اعماق ذواتهم . وبدافع من الندم والغضب شرعوا يكون على ضياع وخسائر ومرارة اليوم الذى مضى . كان بينهم بالطبع بضعة افراد مسرورين ، ولكنهم كانوا غاطين فى نوم هنى . اما البقية فكانت مخلوقات يائسة بائسة تنام فى اسرة غير دافئة منتجة مصيرها .

سواء فى اشراق النهار او فى ظلمة الليل يظل للعالم هذان المظهران المختلفان لهذين النوعين المختلفين من الناس . وفى غرفة الخادومات كانت هناك ذبالة تعوم فى صحن خزفي مملوء بالزيت ، وتفرقع فى صوت ضعيف وتزداد شحوبا معمقة ظلام ذلك المأوى المتواضع . وكانت هناك امرأتان تشخران بقوة على سريرين خشبيين فى الجانب الايمن من الغرفة . وفى الجانب الايسر كان هناك سريران آخران ، احدهما تشغله ماما هوانغ ، خادمة كهلة جمل الشيب شعرها . اما الثانى فتشغله الجارية ابنة السادسة عشرة من العمر ، مينغ فنغ . وكانت جالسة على حافة سريرها تحديق الى ذبالة المصباح فى فتور . بعد عمل شاق طوال النهار ، وبعد ان اوت سيدات الاسرة وآنساتها الى فراشهن واستعادت هى حريتها على نحو موقت . بعد هذا كله كان من المحتمل والمعقول تماما ان تكون مينغ فنغ قد ذهبت الى النوم مبكرة . ولكن ساعات الحرية هذه اصبحت فى الآونة الاخيرة عزيزة لديها . حتى انها كانت تعز كل دقيقة من هذه الساعات . لقد شعرت باطمئنان عظيم

وهي ترى نفسها تفكر وتذكر بمنتهى الحرية . لا احد يزعجها .
الوامر الصاخبة والتهكمات التي تضحج بها اذناها من الصباح
حتى المساء قد سكنت اخيرا .

خلال النهار تندفع هنا وهناك في زحمة من عملها ، لابسـة
قناعها كأى امرئ آخر ، وعلى محياها ابتسامة حلوة . اما
الآن ، في ساعات الحرية الثمينة هذه ، فقد استطاعت ان
تخلع القناع ، كما استطاعت ان تفك القيود عن عقلها وتطلق
العنان لأسرارها ليراها قلبها .

بدأت عملي هنا منذ سبع سنوات . هذه كانت الفكرة
الاولى . وهذه الفكرة تعذبها دائما منذ عهد قريب . ان سبع سنوات
تعتبر وقتا طويلا ! وكثيرا ما تعجبت كيف ان هذه السنوات
انقضت بهدوء تام . لقد بكت في تلك الفترة دموعا كثيرة ،
وتعرضت كذلك لكثير من الشتم والصفع . ولكن هذا كله
اصبح شيئا مألوفا ، مجرد تجديد في حياتها الرتيبة . كانت
تلك الاشياء ، في نظرها ، لا سبيل الى تجنبها ، وكان لا بد
لها من تحملها . كل ما يجرى في هذا العالم قد قرره كائن
مطلق القدرة . انه قدرها ان تكون حيث هي وعلى ما هي عليه .
هذا كان اعتقادها البسيط ، وقد جاء مطابقا لما اخبرها به
الآخرون .

ولكن شيئا آخر قد بدأ الآن يتحرك في قلبها . وعلى الرغم
من انها لم تدركه بعد ، الا انه بدأ ينشط ويبعث الامل في
نفسها .

لقد مضى على وجودى هنا اكثر من سبع سنوات وسرعان ما سأكمل ثمانى سنوات ! واجتاحتها موجة اشمئزاز من هذا الفراغ فى حياتها . وكغيرها من الفتيات اللواتى فى نفس وضعها بدأت تندب قدرها . ”عندما كانت الآنسة الكبيرة على قيد الحياة حدثنى كثيرا عن مصير كل انسان . من يدري اين سيكون مصيرى ؟ “

لم تكن مينغ فنج ترى امامها الا قفرا مظلما موحشا ليس فيه ادنى اثر للضوء . وتراءى لها ثانية وجه الآنسة الكبيرة المألوف . . . ليتها ما تزال حية ، لكان بقى هناك انسان ما يهتم بى . لقد ساعدتنى على فهم اشياء كثيرة ، لقد علمتنى القراءة والكتابة . ولكنها الآن ميتة . فالطيون لا يعيشون طويلا ! . . . واخضلت عينها بالدموع .

وسألت نفسها على نحو مأساوى : الى متى يجب ان اظل هكذا ؟ وتذكرت يوما مثلجا قبل سبع سنوات ، جاءت فيه امرأة مخيفة واقتادتها من جانب والدها الذى فقد زوجته ايضا ، وجلبتها الى هذه الاسرة الغنية . ومنذ ذلك الحين والاوامر والكدمات المرهق والدموع والشتائم والصفعات هى المقومات الاساسية لوجودها . حياة من الملل والرتابة الكئيبة التى لا تتغير .

وكغيرها من بنات جيلها حلمت احلاما جميلة ، ولكنها تبددت بسرعة ، محاها الواقع القاسى . لقد حلمت بالدمى الحلوة ، بالثياب الجميلة ، بالطعام اللذيذ ، بالفراش الدافئ ، بجميع الاشياء التى تمتعت بها الآنسات اللواتى خدمتهن . حتى

انها دعت ربها ان تصبح هذه الاشياء الرائعة ملكا لها على الفور . ولكن الايام ظلت تمر بها سريعة حاملة معها آلامها . لاشيء جديد يظهر في طريقها ، لا حتى امل .
القدر ، كل شيء يحدده القدر . عندما كانت تضرب وتشتم كانت تقول هذه الكلمات لتعزى نفسها . ” افترض انه قدر لى ان اصبح ايضا شابة من بنات الطبقة النبيلة ! “ واسترسلت مينغ فنع في تصورها الخيالى هذا : لبست الثياب الجميلة ، واصبح لها والدان احباها ودلاها ، واعجب بها بعض السادة من الشباب . وجاء احدهم وانتقل بها الى بيته ، حيث عاشا معا بسعادة دائمة .

يا للسخف ! طبعا ما كان هذا ليحدث ابدا ! لن يكون مصيرى مثل ذلك ابدا ! وتلاشت ابتسامتها ، وخبا البريق في وجهها . لقد عرفت تماما ما سيحدث لها . عندما تصل الى السن المناسبة ستقول لها المدام : ” لقد عملت هنا وقتا طويلا كافيا “ ، وستوضع في محفة وتحمل الى بيت رجل تختاره المدام ، رجل لم يسبق لمينغ فنع ان رآته . ربما يكون في الثلاثين او الاربعين من عمره . وبعد ، ستكدح في بيته ، وتعمل من اجله ، وتلد له اطفالا . او ربما بعد بضعة اسابيع تعود لتخدم الاسرة الغنية نفسها ، والفرق الوحيد حينذاك هي انها لن تكون موضع توبيخ وضرب دائمين ، وانها ستتسلم اجرة ضئيلة تسلمها بدورها الى زوجها . أليس هذا هو ما حدث لشي ار خادمة مدام شن ؟

يا للهول ! هذا النوع من البيوت ليس بيتا على الاطلاق !
... وارتعشت مينغ فنج . وتذكرت عودة شى ار بعد زواجها
وضفيرتها الوحيدة الطويلة معقودة على شكل كعكة فى مؤخر
رأسها . كانت غالبا ما تراها فى الحديقة وحدها ، تبكى خلسة .
وكانت شى ار تشكو لها احيانا وحشية زوجها . وهذا كله
كان فى نظر مينغ فنج عبارة عن اذار مسبق بما سيؤول اليه
مصيرها .

وشرعت تفكر فى مرارة : الظلمة ، ليس الا الظلمة !
افضل لو اموت ، مثل الآنسة الكبيرة ! واطبقت عليها كآبة
الغرفة فيما راحت ذبالة المصباح تنضاءل . وامنكها سماع
شخير زميلاتها . ونهضت فى فتور ، ثم عدلت الذبالة . فأشرقت
الغرفة واحس قلبها بشيء من الضياء . ونظرت الى الاخت تشانغ
البدينة ، فألفتها نائمة متدثرة بأغطية السرير ، لا يظهر منها
للعيان الا كتلة شعر معقدة ونصف وجه ممثلى* . وكانت ترسل
شخرات قصيرة منتظمة غريبة اقرب الى النباح . فينبعث صوتها
هذا من تحت الالحفة السميكة نصف مكتوم ، فتبدو معه
مخيفة جدا . وكانت الخادمة السمينة ، وقد شغل جسمها
الممثلى* حيزا كبيرا من السرير ، نائمة نوما عميقا ، حتى انها
لم تتحرك مطلقا .

” انها تغط مثل خنزير “ ، قالت مينغ فنج ذلك مبتسمة
ابتسامة مرة ، الا ان قلبها ظل مثقلا بالاسى . وظلت محاطة
بالظلمة ، هذه الظلمة التى تعج بوجوه شريرة مكشرة . وازدادت

الوجه منها قربا . واخذ الغضب يعلو بعض هذه الوجوه ، ثم فتحت افواهها وصرخت فيها . فغطت عينيها بيديها في ذعر ، وغاصت في داخل السرير ثانية متخذة وضعية الجلوس .

في الخارج بدأت الريح تعول . واخذت تهز اطر النافذة بقوة ، جاعلة الورق الملصق على الشعيرة الخشبية يطلق اصواتا كثيفة . وخرق الهواء الجليدي الورق بسرعة ، فأصبحت الغرفة باردة . واخذ لهيب المصباح يترجح . وسرت القشعريرة في ذراعي مينغ فنغ منتقلة الى سائر جسمها . فرفعت يديها عن عينيها في ارتعاش وحدقت الى ما حولها .

وخاطبت نفسها في فتور ، وهي تفك ازرار سترتها المحشوة بالقطن : يحسن بي ان انام . ثم خلعت عنها سترتها ، فبرزت كومتان من اللحم الفتى المكتنز تدفعان عن صدرها قميصها الداخلي .

فتنهدت مينغ فنغ قائلة : اننى اكبر . ولكن من يدري اى نوع من المصير سيكون لى وعندها تراءى لها وجه شاب يتسم . لقد عرفته ، ووقتها انشرح قلبها ، وبدأ خيط من الامل يداعب نفسها ، فرجت ان يمد يده اليها . ربما يستطيع هو انقاذها من حياتها الحاضرة . ولكن ذلك الوجه تباعد نحو السماء تدريجيا ، وظل يرتفع ويرتفع الى ان اختفى . واخيرا وجدت عيناها الحالمتان نفسيهما تنظران الى مجرد سقف قدر .

وهبت عصفه ريح على صدرها المكشوف ، عائدة بها

الى الواقع . ففركت عينيها وتنهدت . مجرد حلم ! وبعد القاء نظرة نهائية متباطئة الى ما حولها في الغرفة استجمعت شجاعته وخلعت بنطالها الدافئ المحشو بالقطن . ثم كومتها مع سترتها عند اعلى الفراش ، وبحركة سريعة غاصت تحت الاغطية . لم يكن لديها شيء . فأخذت العبارة التي كانت الآنسة الكبيرة تستخدمها دائما في التحدث عن نصيب المرأة تدور في ذهن مينغ فنغ - " قدر بانس " .

وحزت هذه العبارة في قلبها كأنها السوط ، وشرعت تبكي تحت الفراش بصوت مخنوق لثلاثين آخرين . وخبا لهيب المصباح . وفي الخارج كانت الريح الشديدة تمعن في العويل .

٥

على الشارع المغطى بالثلج ، ووسط الليل الساجي انبعث من صنج الخفير صوت عميق مهيب . وتردد صداه في الفضاء الجليدي حزينا متماوجا مع وقع اقدام حاملي المحفتين على الثلج .

وراح حاملو المحفتين يمشون ببطء شديد كأنهم خافوا اذا هم اجتازوا صوت الصنج ان يفقدوا هذا الصديق المهيب . ولكن بعد ان اجتازوا شارعين انحرف الصنج في طريق آخر ، تاركا صوته الخافت المغمم بالندم يتردد ببطء في آذان حاملي

المحفتين وراكبيهما .

وكان الخادم المتوسط العمر تشانغ شنغ يشق الطريق امامهم بفانوس ورقي ، وقد حنى رأسه بين كتفيه لشدة البرد . وكان سعاله الحاد يقطع من حين لآخر ذلك السكون المخيف . واسند الحمالون المحفتين الثقيلتين الى اكتافهم في صمت . واخذوا يمشون بمزيد من الحرية وبخطوات واسعة . البرد قارس والثلج يلسع لحم اقدامهم العارية داخل احذيتهم القشبية . ولكنهم اعتادوا ذلك وعرفوا ان الطريق امامهم ليست طويلة . فسرعان ما يصلون الى مكانهم المقصود . وتابعوا سيرهم في صمت لم يسمع معه حتى وقع اقدامهم ، وراحوا بين الفينة والفينة ينقلون اعمدة المحفتين من كتف الى آخر ، او ينفخ كل منهم نفسا حارا في يده . واخذ الدم يسرى دافئا في عروقهم . فبدأوا يتعرقون ، وبلل العرق ظهورهم وبقع على سترهم القديمة البالية المحشوة بالقطن .

كانت السيدة تشانغ ، والدة تشين ، تجلس في المحفة الامامية . ومع انها كانت قد دخلت العقد الخامس من عمرها فقط ، الا ان علامات السن قد بدت عليها . ان بضع جولات في الماجيانغ قد ارهقتها . وعقلها قد تخدر . فكانت الريح تعصف احيانا بستار محفتها وتفتحه ، غير انها لم تكن شاعرة بذلك .

اما تشين فكانت منفعلة مهتاجة . لقد كانت تفكر فيما يوشك ان يحدث في الحادثة الهامة الاولى في حياتها . ولقد

امكنها تقريبا ان تراها امامها فاتنة باهرة . وازادت ان تمسك بها ، ولكنها عرفت انها في اللحظة التي تمد يدها سيحول الناس بينها وبين ذلك . ومع انها غير متأكدة من النجاح ، الا انها مصممة على المحاولة . ولكن على الرغم من انها اتخذت قرارها ، الا انها ما تزال تخشى ان تخفق ، فكانت خائفة الى حد ما . وجعلتها هذه الافكار المعقدة تبدو سعيدة طورا وطورا كثيفة . فبدت ، وهي غارقة في مشكلاتها ، غير متببهة الى العالم المحيط بها . ولم تصح من غفوتها هذه الا عندما دخل حاملو المحفتين بوابات مربع اسرتها السكنى وانزلوهما امام القاعة الرئيسية . وكالمعتاد قامت تشين اولا بمرافقة السيدة تشانغ الى غرفتها وراقبت الخادمة وهي تغير ملابس امها . وقامت هي نفسها بتعليق الثياب في الخزانة .

ولبست السيدة تشانغ سترة حريرية مبطنه بالفرو وجلست متعبة على كرسى من الخيزران بجانب السرير . ثم قالت منتهدة :
— لا ادرى لم انا تعب جدا هذا اليوم .

فقالت تشين مبتسمة ، وقد جلست على كرسى مقابل :
— لقد لعبت اليوم وقتا طويلا ، يا ماما ، ان لعبة الماجيانغ تستنزف الكثير من جهد الناس ، وانت لعبت اثنتى عشرة جولة .
فقالت السيدة تشانغ ضاحكة :

— انت دائما ما تؤنبيني على لعبى الماجيانغ ، ولكن ما الشئ الآخر الذى يمكن ان تفعله امرأة فى سنى ؟ اجلس طوال اليوم اتلو نصوصا بوذية ، مثل جدتك ؟ لا استطيع ذلك .

– انا لا اقول يجب ان لا تلعبى ، انما اقصد فقط انك
يجب ان لا تلعبى وقتنا طويلا .

فقالت السيدة تشانغ بسرور :

– اعرف .

ثم انتهت الى الخادمة التى ظلت واقفة بجانب خزانة
الثياب فى فتور ، فأصدرت اليها امرها قائلة :

– اذهبى الى النوم يا اخت لى ، لست بحاجة اليك .

وبعد ان انصرفت الخادمة التفتت السيدة تشانغ الى ابنتها

وقالت :

– ماذا كنت تقولين ؟ آه ، نعم ، انه يجب ان لا لعب

الماجيانغ كثيرا . اعرف ذلك . ولكن يبدو ، لسبب ما ،

اننى اتعب حتى عندما لا اقوم بما يتعب . الحياة خالية من

عمل يقوم به المرء تصبح مضجرة اذا هى استمرت طويلا .

والناس الذين يعيشون طويلا مزعجون على اية حال .

واغمضت السيدة تشانغ عينيها ، وطوت ذراعيها على صدرها .

لقد بدت انها ناعسة .

ولم يكن يقطع سكون الغرفة المطبق الا تكتكة الساعة

الكبيرة .

من الواضح ان تشين لن تجد الفرصة هذه الليلة لتناقش

امها فى تلك المسألة الهامة . فنهضت ورأت ان من الافضل

ان توقظ امها وتأخذها الى السرير لكيلا تصاب ببرد .

ولكن ما ان نهضت تشين حتى فتحت امها عينيها وقالت :

– تشين ، يا عزيزتى ، اعطينى قليلا من الشاى .
فتناولت البنت ابريق الشاى عن كانون كان الفحم فيه
ضئيل الاشتعال ، وصبت كوبا ثم وضعت على كرسى صغير
بجانب امها ، وقالت :
– هذا شايك يا ماما .

ثم وقفت مرتبكة . لقد شعرت ان فرصتها للتكلم قد حانت ،
ولكنها ما ان همت حتى امسكت عليها لسانها .
– انت متعبة ايضا يا تشين ، اذهبى للنوم .
فترددت تشين . واخيرا استجمعت شجاعتها وشرعت تقول
بصوت يرتجف قليلا مع شىء من الانفعال :

– ماما !

– ماذا لديك ؟

فقالَت ثانية ، فيما هى مطرقة تعبث بطرف سترتها :
– ماما ، جيويه مين يقول ان مدرستهم ستقبل فى السنة
القادمة بنات . وانا ارغب فى ان اتقدم الى امتحان القبول .
فسألته السيدة تشانغ فى دهشة وهى لا تكاد تصدق اذنيها :
– ماذا تقولين ؟ بنات فى مدرسة للأولاد ؟ تريدن ان تذهبنى
الى هناك ؟

فأجابت تشين بصوت خافت :

– نعم .

ثم اضافت موضحة :

– لا غضاضة فى ذلك اطلاقا . ففى جامعة بكين الآن

ثلاث طالبات . كما ان المدارس المختلطة قد بدأت في نانجينغ
وشانغهاي .

فقالَت السيدة تشانغ متنهدة :

– ما هذا العالم المقبل ؟ ألا يكفي وجود مدارس للبنات ،
فيريدون الآن مدارس مختلطة ايضا ؟ عندما كنت صغيرة
لم اكن احلم في ان تحدث اشياء كهذه !

كان وقع هذه الكلمات على تشين كدفقة ماء بارد . لذلك
وقفت صامته وقد اعترتها قشعريرة برد ودوار . ولكنها رفضت
ان تتخلى عن املها . وشيئا فشيئا عاودتها شجاعتها فقالت :

– ماما ، لقد تغير الزمن . لقد مضى اكثر من عشرين
عاما على المرحلة التي كنت خلالها في سني ، فالآن يجد على
العالم كل يوم شيء جديد . البنات مخلوقات بشرية كالأولاد
تماما . فلماذا لا يمكنهن ان يدرسن مع الأولاد سويا في مدرسة
واحدة ؟

فقاطعتها السيدة تشانغ ضاحكة :

– لن احاول مجادلتك في مزايا هذه المسألة ، ولن اكون
قادرة على محاجتك . انني متأكدة من انك تستطيعين ايجاد
الكثير من المسوغات في كتبك الجديدة لتستخدميها ضدي .
ربما تظنين انني امرأة مترتبة .

فضحكت تشين ايضا ، وتوسلت اليها قائلة :

– دعيني ادخل تلك المدرسة يا ماما . انك عادة تثقين
بي ، ولم يسبق ان رفضت لي طلبا .

فقلت السيدة تشانغ متنهدة ، وقد اخذها الاشفاق على
ابنتها :

– وانا قد تعرضت لقدر كبير من الاساءة بسبب ذلك
بالذات . ولكننى لست خائفة من القيل والقال ، وانا حقا اثق
بك . اننى دائما افعل ما تطلبين بغض النظر عما ينتج من
ذلك ولكن هذا الامر خطير جدا . جدتك ستكون اول
من يعارض . وانت طبعا لا تريدننى ان اتشاجر معها بسبب
ذلك . ومن المؤكد ان جميع اقربائنا سيثثرون كذلك .
فردت عليها تشين قائلة :

– ألم تقولى الآن انك لست خائفة من الثثرة . وجدتى
فى دير للراهبات ، وهى على الاكثر تزورنا مرة فى الشهر ،
فتمكث معنا يومين او ثلاثة ايام فقط . وفى الاشهر الاخيرة
لم تأت الى البيت مطلقا . وازضافة الى ذلك ، من يابه لما تقول ؟
ما دامت لا تقحم نفسها عادة فى شؤون الاسرة ، فبوسعك ان
تقررى – كالمرة التى سمحت لى فيها بدخول مدرسة المعلمات
فى المقاطعة . اما اقرباؤنا فلن يكون لديهم اى مسوغ للمعارضة .
واذا ارادوا الثثرة ، فليس امامنا الا ان نتجاهلهم .

وبعد فترة من الصمت قالت السيدة تشانغ بصوت منخفض :
– لقد كنت شجاعة ، ولكننى الآن كبيرة ، لم اعد
اتحمل ان اكون مجالا لثثرة الاقرباء التافهة . اريد فى سنواتى
الاخيرة حياة هادئة خالية من اية متاعب . تعرفين اننى كنت
وما ازال امك الحنون . ولذلك توفى عندما كنت صغيرة جدا ،

وتركنى مع هذا العبء الثقيل ، عبء تربيتك . لم اعيد قدميك ابدا كبقية البنات الصغيرات . وتركتك تدرسين مع ابناء اخوالك على يد مدرسههم الخاص في منزل جدك قاو . وفيما بعد ارسلتك الى مدرسة المعلمات على الرغم من كل شيء . ابنة خالك الخامس شو تشن لها قدمان مقيدتان ضيلتان ، ولا تكاد تعرف القراءة . وحتى ابنة خالك الكبير شو هوا لم تنل من التعليم الا التزر اليسير ! على العموم ، يجب ان تعترفى بأننى عاملتك خير معاملة .

كانت السيدة تشانغ من التعب بحيث لا تستطيع الاستمرار في حديثها . ولكنها عندما رأت تشين تغالب دموعها رق لها قلبها وقالت لها بكل لطف :

— اذهبى للنوم يا عزيزتى تشين . يمكننا ان نتحدث ثانية في وقت آخر حول ما سيحدث في الخريف القادم . سأبدل كل ما في وسعى من اجلك .

ومع تمتمة بالموافقة مشت تشين الخائبة عبر القاعة الصغيرة ، متجهة الى غرفتها الخاصة . وعلى الرغم من اكتابها لم تلم امها ، بل كانت في الواقع شاكرة لها عاطفتها نحوها .

كانت غرفة تشين كثيبة موحشة ، كأنها خلو من كل امل . حتى صورة ابيها المرحوم ، المعلقة على الجدار ، بدت كأنها تبكى . فشعرت هى الاخرى بعينيها تخضلان . ثم خلعت تنورتها ووضعتها على السرير . ومشت نحو طاولة المكتب حيث رفعت فتيل المصباح المعدنى وجلست . وتناولت نسخة

من مجلة « الشباب الجديد » وراحت تقلب بعض صفحاتها
في فتور ، فشدت انتباهها الكلمات التالية :

” . . . اننى اعتقد قبل اى شىء آخر بأنى مخلوق بشرى ،
مثلك انت تماما ، او اننى على الاقل يجب ان احاول التحول
الى مخلوق بشرى . . . لا يمكن ان اكون راضيا بما يقوله
معظم الناس . . . يجب ان افكر فى الامور بنفسى ، واحاول
التوصل الى الحل بجهدى . . . “

اسطر من مسرحية ابسن « بيت الدمى » . . .
لقد جاءت هذه الاسطر ملهما لها ، فأشرقت عيناها .
لقد تبينت انها لم تفقد الامل بعد ، وان الامر كله يعتمد على
جهودها . وبكلمة اخرى ، كان لا يزال هنالك امل ، وتحقيق
هذا الامل راجع اليها ، لا الى الآخرين .

ومع هذا الادراك تلاشى ياسها ، فتناولت قلمها فى ابتهاج
وكتبت هذه الرسالة الى تشيان رو احدى بنات صفها :

اليوم اخبرنى ابنا خالى ان مدرسة اللغات الاجنبية قد قررت قبول
طالبات فى مستهل الخريف القادم . وانا مصممة على التقدم الى امتحان
القبول . فماذا بالنسبة لك انت ؟ هل تحبين مشاركتى هذه الرغبة ؟ امل ان
تكونى راغبة فى القيام بهذا العمل الحاسم . علينا ان نناضل ، مهما كانت
التكاليف ، انفتح طريقا امام الاخوات اللاتى يأتين بعدنا .
ارجوك ان تأتى لزيارتى اذا كان لديك وقت . فمعدى كثير مما
سأحدثك به . وامى سسر لرؤيتك ايضا .

تشرين

وبعد ان قرأت تشين الحرف الاخير من رسالتها سجلت

تاريخها ، ثم اضافت بكل جهد علامات الترقيم التي درجت في الآونة الاخيرة فقط . ان امها تزدري الرسائل التي تكتب باللغة المتداولة ، وقد وصفتها بأنها ” . . . اطول بكثير من اللغة الكلاسيكية ، وانها لغة سوقية لا تطاق ! “ ولكن تشين تحب هذا النوع من الرسائل ، ولقد درست كيفية كتابتها في مجلة « الشباب الجديد » في زاوية بعنوان ” الى المحرر “ ، متخذة من ذلك وسيلة لتحسين اسلوبها .

٦

كان جيويه شين بالنسبة الى جيويه مين وجيويه هوى ” اخا كبيرا “ . وعلى الرغم من انه مولود من نفس الام ويعيش في نفس البيت ، الا ان وضعه مختلف عن وضعهما اختلافا كليا . فهو ، في اسرة قاو الكبيرة ، الابن الاكبر لأكبر ابنائها . ولهذا السبب حدد مصيره منذ اللحظة الاولى التي رأت فيها عيناه النور .

ولوسامته وذكائه كان المفضل عند والده . كما ان مدرسه الخاص اشاد به ايضا . وتنبأ له الناس بأنه سيحقق منجزات عظيمة ، كما ان والديه اعتبرا نفسيهما محظوظين اذ حلت بهما بركة ابن كهذا .

لقد نشأ جيويه شين نشأة دلال . وبعد ان درس على يد مدرس خاص عدة سنوات ، دخل المدرسة المتوسطة . وبوصفه

من خيرة طلاب المدرسة ، تخرج فيها بعد اربع سنوات متفوقا على صفه . وكان شغوفا بالفيزياء والكيمياء ، وامل ان يتابع دراسته في جامعة في شانغهاي او بكين ، او ربما يدرس في الخارج ، في المانيا . لقد كان ذهنه غاصا بالاحلام الجميلة . وكان في ذلك الوقت موضع حسد من زملائه .

وفي سنته الرابعة في المدرسة المتوسطة فقد امه . وفيما بعد تزوج ابوه ثانية ، وفي هذه المرة تزوج من امرأة اصغر ، هي ابنة عم امه . كان جيويه شين مدركا مدى هذه الخسارة ، لأنه عرف حق المعرفة ان لا شيء يمكن ان يعوض عن حب الام . ولكن موتها مع هذا لم يترك في قلبه جرحا لا يندمل ، فقد كان قادرا على تعزية نفسه بأحلامه الوردية حول مستقبله . وفوق ذلك تهيأت له انسانة فهمته واستطاعت مؤاساته ، انها ابنة خالته الجميلة ” مي “ اي ” زهرة البرقوق “ .

ولكن جاء يوم تبددت فيه احلامه ، تبددت بقسوة ومرارة . ففي المساء الذي عاد فيه الى بيته يحمل شهادة الدبلوم ، وتصفيق مدرسيه وزملائه ما زال يرن في اذنيه ، دعاه ابوه الى غرفته وقال له :

— ها انت ذا قد تخرجت ، فأود ان ارتب امور زواجك . ان جدك يصبو الى ان يكون لديه ابن لحفيده ، وانا كذلك احب ان اكون قادرا على احتضان حفيد بين ذراعي . لقد كبرت الى حد يؤهلك للزواج ، فلن اشعر بالراحة حتى انجز التزامي بايجاد زوجة لك . ومع اننى لم اجمع مالا كثيرا في

سنواتي التي قضيتها موظفا ، بعيدا عن البيت ، الا انني ادخرت ما يكفيني للمستقبل . وصحتي ليست كسابق عهدها ، لذلك افكر في قضاء وقتي في البيت مستعينا بك في ادارة شؤون الاسرة . فكل الظروف تؤكد حاجتك الى زوجة . وكنت قد رتبت امور الزواج مع اسرة لي واليوم الثالث عشر من الشهر القادم يوم مناسب تماما . سنعلن الخطوبة في ذلك اليوم . ويمكنك ان تتزوج في غضون هذه السنة . . .

كانت الصدمة مفاجئة جدا . ومع انه فهم كل ما قاله ابوه ، الا ان المعنى لم يتسق في ذهنه اتساقا تاما . فما كان منه الا ان هز رأسه بالموافقة . ولم يجرؤ على النظر في عيني والده ، مع ان هذا الرجل المسن كان ينظر اليه في رقة .

لم يتلفظ جيوبه شين بكلمة احتجاج واحدة ، ولم تخطر في ذهنه حتى مجرد هذه الفكرة . لقد اكتفى بهز رأسه ليشير الى اذعانه لرغبات والده . ولكن بعد ان عاد الى غرفته الخاصة واغلق الباب ألقى نفسه على السرير ، وغطى رأسه باللحاف ثم بكى . بكى احلامه المتبددة .

كان قد سمع شيئا ما حول زواج من ابنة اسرة لي . ولكن لم يكن مسموحا له ابدا بأن يعلم القصة بكاملها ، لذلك لم يثق بما سمع ثقة كبيرة . ان عددا من السادة الذين لديهم بنات غير متزوجات قد اصبحوا يهتمون به متأثرين بوسامته ونجاحه في دراسته ، كما اخذ يطرق باب اسرته فيض لا ينقطع من الوسطاء . وظل والده يغربل المتقدمين الى ان ظل

في ذهنه اثنان منهم فقط . كان من الصعب على السيد قاو ان يختار ، ذلك ان كلا الشخصين اللذين جاء بوصفهما وسيطين كانا في نفس المترلة ونفس الاهمية . واخيرا قرر ان يلجأ الى العرافة . فكتب اسم كل فتاة على قصاصة ورق احمر ، ثم لف كلا من القصاصتين على شكل كرة ، وبعد ان صلى امام لوحات الاسلاف طالبا الارشاد تناول واحدة .

هكذا قرر الزواج من اسرة لى ، ولكن الآن فقط اطلع جيويه شين على النتيجة .

اجل ، لقد حلم حلما رومانسيا . ان التى تعيش في قلبه هى الفتاة التى فهمته والتى استطاعت ان تخفف عنه - ابنة خالته مى . كان يوما ما متأكدا من انها ستكون رفيقة مستقبله ، ولقد هنا نفسه على ان الأمر سيكون كذلك ، حيث ان الزواج بين ابناء الخالة كان مألوفا تماما في اسرته .

لقد كان غارقا في حب مى ، ولكن والده اختار له الآن فتاة اخرى ، فتاة لم يرها من قبل ، وقال ان عليه ان يتزوج في غضون هذه السنة . واكثر من ذلك ان آماله في متابعة دراسته قد تلاشت كفقاعة صابون . لقد كانت صدمة مريعة لجيويه شين . فمستقبله انتهى . واحلامه تبددت .

وهكذا بكى ألمه وخيبة امله . ولكن الباب كان مغلقا ، ورأسه كان تحت اللحاف . لا احد عرف ذلك . لم يقاوم ، بل لم يفكر مطلقا بالمقاومة . انما اكتفى بالبكاء على قدره ، غير انه قبل به . لقد اذعن لارادة والده دون ادنى امتعاض .

ولكنه في قلبه بكى على نفسه ، بكى على الفتاة التي هام بها -
مي ، ”زهرة برقوقه“ .

ويوم خطبته تعرض للمضايقة الشديدة وجر هنا وهناك
كأنه دمية متحركة ، بينما جعل في الوقت نفسه يبدو مثل
كتر نفيس نادر . ولم يكن سعيدا ولا حزينا . وقد فعل كل
ما طلب منه الناس ان يفعل ، كما لو ان تلك التصرفات كانت
عبارة عن واجبات عليه ان يؤديها . وفي المساء ، عندما انتهت
المهزلة وغادر الضيوف ، كان جيويه شين مرهقا . لذلك ذهب
الى الفراش وغط في نوم عميق ناسيا كل شيء .

وبعد الخطبة اخذ يمضى ايامه بلا هدف ، فكسد كتبه
في خزانة الكتب على نحو مرتب ولم ينظر اليها ثانية . وشرع
يلعب الماجيانغ ويذهب الى الاوبرا ويشرب ويقوم بالاستعدادات
اللازمة لزواجه ، وفقا لتعاليم والده . ولم يعد يفكر الا قليلا .
وراح ينتظر بهدوء مقدم عروسه .

وبعد اقل من ستة اشهر وصلت العروس . ومن اجل الاحتفال
بالزواج بنى والد جيويه شين وجده مسرحا خاصا في المربع
السكنى لتؤدي عليه عروض الممثلين المسرحيين .

وجاءت مراسم الزواج على غير البساطة التي توقعها جيويه
شين . بل هو في الواقع اصبح ممثلا ايضا ، اذ اضطر الى
التمثيل لمدة ثلاثة ايام قبل ان تصبح عروسه في حوزته . ومرة
ثانية عومل كدمية متحركة ، ومرة ثانية عرض كأنه كتر نفيس
نادر . وكان غير سعيد وغير حزين ، بل كان تعباً فقط ،

هذا على الرغم من انه اثير قليلا بفعل الاثارة العامة .
ولكنه لم يستطع هذه المرة ان ينسى كل شيء وينام بعد
ان انتهى اداؤه وغادر الضيوف ، ذلك ان فتاة غريبة كانت
تستلقى بجانبه في السرير ، وهذا يعنى انه كان مضطرا الى
متابعة التمثيل .

وتزوج جيويه شين واصبح لدى جده زوجة حفيد ولدى
ايه كنة ، وتمتع الآخرون بوقت قصير من الفرح والمرح .
كما ان الزواج بالنسبة لجيويه شين لم يكن خسارة كاملة
على الاطلاق . واشترك في الحياة الزوجية مع فتاة ودودة رقيقة ،
جميلة كتلك التي هام بها . واصبح راضيا بذلك . وظل لفترة
يجد متعا لم يكن يتوقع ان يجدها ، وظل لفترة ناسيا احلامه
الجميلة ، ناسيا فتاته الاخرى ، ناسيا مستقبله الضائع . لقد
اشبعت رغبته وسكر ، سكر برقة وحب الفتاة التي هي عروسه .
واصبح يقضى اليوم كله في غرفتها والابتسامة لا تفارقه . وحسده
الناس على سعادته ، وهو كذلك اعتبر نفسه محظوظا .
وهكذا مر شهر .

وذات مساء دعاه والده الى غرفته وقال له :

— بما انك الآن متزوج فعليك ان تكسب معيشتك
بنفسك . والا فيشترثر الناس . لقد تعهدت لك الى ان اصبحت
رجلا ووجدت لك زوجة . واظن انه يمكننا القول بأننى قد
وفيت بالتزاماتى نحوك بوصفى ابا . فمن الآن عليك انت ان
تهتم بشأنك . عندنا من النقود ما يكفى لارسالك الى الجامعة

للدراة . ولكن فى الدرلة الولى اصبح لك الآن زولة ، وثانىا ان ممتلكات الاسرة لم توزع بعد بينى وبين اخوتى ، وانا مسؤل عن الحسابات . وسيدو الامر محابة اذا انا قدمت نقودا من ايرادات الاسرة لدراسلك الجامعية . هذا بالاضافة الى ان جدك قد لا يوافق . ولذلك وجدت لك وظيفة فى شركة غربى سيتشوان التجارية . المرتب ليس كبيرا جدا ، ولكنه سيؤمن لك ولزوجتك مصروفات قليلة . ثم اذا انت قمت بعملك على نحو متقن فمن المؤكد انك ستتقدم . ستبدأ غدا . وسأخذك بنفسى . اسرتنا تملك حصة لا بأس بها فى هذه الشركة ، وانا ايضا من اعضاء مجلس الادارة ، كما ان عددا من مديريها اصداقاء لى . فهم سيعتنون بك .

لقد تحدث والد جيويه شين فى صوت هادئ ، كأنه يناقش امرا عاديا تماما . وأصغى جيويه شين ، ومن ثم وافق . ولم يقل ان كان راغبا فى ذلك او غير راغب . كانت فى ذهنه فكرة واحدة فقط – ”كل شىء قد انتهى“ . ومع ان كثيرا من الكلمات كانت تعمل فى نفسه ، الا انه لم يتلفظ بواحدة منها .

وفى اليوم التالى قال له ابوه بعد الغداء شيئا عما يجب ان يكون عليه تصرف الرجل الذى يخرج الى معترك الحياة . وحفظ هو بدوره كل ذلك فى ذهنه بدقة . ثم حملتهما محفتان الى باب شركة غربى سيتشوان التجارية . ولدى دخوله قابل اولا المدير هوانغ ، رجل تجاوز الاربعين من عمره بشاربين وظهر محنى ،

ثم تشن المحاسب الذى كان له وجه كوجه امرأة عجوز ووانع
جامع الفواتير الطويل الهزيل ، واثنين او ثلاثة من موظفى
المكتب بملامح عادية . وسأله المدير بضعة اسئلة اجاب
عليها ببساطة ، كما لو انه قد استظهرها . ومع انهم جميعا
قد خاطبوه بمنتهى الادب ، الا انه استطاع ان يستشف من
تصرفاتهم وطريقتهم فى التكلم انهم ليسوا من طينته . وخطر
له فى شئ من الدهشة انه قلما قابل فى السابق اناسا من هذا
الصنف .

وغادر الوالد مخلفا وراءه جيويه شين ، فشرع الاخير بالخوف
والوحشة ، كأنه منبوذ فى جزيرة مهجورة . لم يسلم اى عمل ،
بل جلس فى مكتب المدير يصغى اليه وهو يناقش بعض الامور
مع عدد من الناس . وبعد ساعتين كاملتين من ذلك لحظه
المدير فجأة فقال له فى كياسة : ” ليس هناك ما تفعله اليوم ،
يا اخى ، فأرجو ان تعود غدا . “

ونفض جيويه شين مسرورا كسجين اطلق سراحه ، ثم
طلب محفة وقدم لحاملها عنوانه . واستمر يبحث حاملها على
الاسراع فى سيرهما . لقد بدا له ان ليس فى العالم كله مكان
اروع من منزل اسرة قاو .

ولدى وصوله الى البيت توجه اولا الى جده الذى قدم اليه
بعض التعليمات . ومن ثم ذهب ليرى والده الذى زوده هو الآخر
بمزيد من التعليمات . واخيرا عاد الى غرفته . وهنا فقط ، مع
زوجته التى راحت تسأله باستفاضة وتفصيل ، احس بالطمأنينة

والراحة :

وفي اليوم الثاني بعد الفطور ذهب الى الشركة ثانية ولم يعد الى البيت حتى الرابعة مساء . وفي ذلك اليوم أعطى مكتباً خاصاً . وتحت ارشاد المدير وزملائه بدأ عمله .

وهكذا خطا هذا الشاب ابن التاسعة عشرة من العمر خطوته الكبيرة الاولى في دنيا العمل . وشيئاً فشيئاً تعود محيطه الجديد وتعلم طريقة جديدة في الحياة . وشيئاً فشيئاً نسي كل معرفته التي اكتسبها خلال سنه الاربع في المدرسة المتوسطة . وبدأ يحس ، وهو في العمل ، كأنه في البيت . وفي المرة الاولى التي تسلم فيها راتبه المكون من ثلاثين يواناً غمره شعور بالفرحة والاسى . انها المرة الاولى في حياته التي كسب فيها نقوداً . كما ان تلك الدفعة كانت ايضاً ثمناً لمستقبله . ولكن مع مرور الاشهر لم تعد تلك الاقساط المنتظمة التي يتكون كل منها من ثلاثين يواناً تثير في نفسه اية مشاعر .

كانت حياته محتملة ، لا سعادة فيها ولا حزن . ومع انه كان يرى نفس الوجوه كل يوم ويسمع نفس الحديث المكرور ويقوم بنفس العمل الممل ، الا ان كل ما حوله ظل هادئاً ومستقراً . لا احد من افراد الاسرة يقدم على ازعاجه في البيت ؛ فقد سمح له ولزوجته بأن يعيشا حياة هادئة .

وبعد اقل من ستة اشهر طرأ على حياته تغير آخر كبير . فقد صرعت والده ضربة وباء ، ولم تستطع كل دموع جيويه شين ودموع اخوته واخوانه ان تنقذه . وبعد ان مات والده اضطلع

هو بكل اعباء الاسرة . فالى جانب اعتناؤه بزوجة ابيه اصبح كذلك مسؤولا عن شقيقته الصغيرتين وعن شقيقه الطالبين . ولم يكن حينذاك قد تجاوز العشرين من عمره .

لقد بكى لرحيل والده بكاء مرا . لم يخطر بباله ان القدر يمكن ان يكون فاجعا الى هذا الحد . ولكن حزنه تبدد شيئا فشيئا . وبعد ان دفن والده نسيه جيويه شين فعلا . ولم ينس والده فحسب ، بل نسي كل شيء مضى ، نسي حتى شبابه . وبكل هدوء وضع على كاهله الغض اعباء الاسرة كلها .

وفى الاشهر الاولى القليلة لم تبد هذه الاعباء ثقيلة جدا ، اذ لم يكن يشعر بأى اجهاد . ولكن بعد وقت قصير جدا بدأت كثير من السهام الملموسة وغير الملموسة تنطلق في اتجاهه . بعضها كان قادرا على تفاديه ، وعدد منها اصابه تماما . لقد اكتشف شيئا ما جديدا ، بدأ يرى جانبا آخر من الحياة داخل اسرة ارستوقراطية . فتحت سطح السلام والمودة كانت تكمن الكراهية والتزاع ، وقد اصبح هو الآخر هدفا للهجوم . ومع ان المحيط من حوله جعله ينسى شبابه ، الا ان نيران الشباب كانت ما تزال تتقد في قلبه . وشيئا فشيئا اشتد به الغضب ، فناضل لأنه اعتبر نفسه على صواب . غير ان نضاله لم يعد عليه الا بمزيد من المتاعب ومزيد من الخصوم .

وانقسمت اسرة قاو الكبيرة الى اربع اسر صغيرة . فلدى الجد اصلا خمسة ابناء ، ولكن الابن الثانى توفى منذ زمن بعيد . فالعم كه مينغ واسرته ، وهى الثالثة من حيث الترتيب ، كانوا

على علاقة جيدة نسبيا مع الاسرة الاولى التي يرئسها الآن جيويه شين . ولكن الاسرتين الرابعة والخامسة كانتا على خصومة شديدة مع جيويه شين ، وكانت الزوجتان في كلتا الاسرتين تثيران سرا معركة شرسة ضده وضد اسرته الاولى وتنشران حوله اشاعات لا يحصى عددها .

ولم يقدم النضال اى تحسن ، بل اصبح مرهقا . وتساءل : ما فائدة هذا النزاع الذى لا ينتهى . اولئك النساء لن يتغيرن ، وهو لن يستطيع حملهن على الاستسلام . لماذا افقد الطاقة في البحث عن المتاعب ؟ وسلك جيويه شين طريقة جديدة في تصريف الامور - او ربما يكون من الافضل ان نقول : في ادارة الاسرة . فأنهى معركته مع النساء . وتظاهر بأنه يستجيب لرغباتهن كلما امكنه ذلك . وبتغيير معاملته لهن اخذ يشاركهن في الماجانغ ويساعدهن في تحوجهن . . . وباختصار ، لقد ضحى بجزء من وقته ليستطيع التوصل الى صفحهن وكسب ودهن . وكل ما كان ينشده هو السلام والهدوء .

وبعد ذلك بوقت غير طويل توفيت كبرى شقيقتيه بمرض السل الرئوى . ومع انه تفجع لفقدائها ، الا ان قلبه احس بشيء من الارتياح ، ذلك ان موتها خفف عنه الكثير من عبئه .

وبعدها بفترة ولد طفله الاول - ذكر . وشعر جيويه شين بامتنان عظيم نحو زوجته . ان قدوم هذا الابن الى العالم قد جلب له سعادة عظيمة . هو نفسه كان امرا بلا امل ، لم تأتة فرصة تحقيق احلامه الجميلة . ان مهمته الوحيدة في الحياة

هى ان يحمل عبثا على كتفيه ، ان يحافظ على الاسرة التى خلفها والده . ولكن الآن اصبح لديه ولد من لحمه ودمه . سيتعهد هذا الطفل بالدلال ويرى فيه تحقيق طموحه الذى لم يستطع هو تحقيقه . ان هذا الولد جزء منه ، فسعادته ستكون سعادته . ووجد جيويه شين العزاء لنفسه فى هذه الفكرة . وشعر ان تضحياته لم تذهب عبثا .

وبعد سنتين ، اى فى عام ١٩١٩ ، بدأت حركة الرابع من ايار ، فأيقظت المقالات الصحفية الملتهبة ذكريات الشباب عند جيويه شين . ومثله مثل شقيقه الصغيرين اندفع يقرأ بكل تشوق تقارير بكين الصحفية المنشورة فى الصحافة المحلية واخبار الاضراب الكبير فى شانغهاى ونانجينغ ، الذى بدأ فى الثالث من يونيو (حزيران) . وعندما اعادت الصحيفة المحلية نشر المقالات التى وردت فى مجلة «الشباب الجديد» وفى مجلة «التعليق الاسبوعى» هرع الى المكتبة الوحيدة فى المدينة ، المتخصصة ببيع المطبوعات الجديدة واشترى آخر عدد من مجلة «الشباب الجديد» وعددين او ثلاثة اعداد من مجلة «التعليق الاسبوعى» . كانت كلمات تلك المقالات كالشرر الذى اشعل حريقا هائلا فى قلوب الاخوة . ولدى تأثر الاخوة بهذه الآراء وهذه العبارات المتقدمة وجدوا انفسهم متفقين تمام الاتفاق مع افكار اصحاب المقالات .

ولذلك بدأوا من يومها يشترى جميع المجلات التقدمية التى تقع عليها ايديهم ، بما فى ذلك الاعداد القديمة . واخذوا

يتناوبون كل ليلة على القراءة بصوت جهورى . ولم تفتهم حتى الرسائل الموجهة الى المحرر . وكانوا يثيرون فيما بينهم نقاشات حيوية . وكان الصغيران اكثر تطرفا من جيويه شين فى معالجهما للامور . فعندما هاجماه بأنه من دعاة فلسفة " انحناء الاذعان " التى يقول بها الاستاذ المحافظ ليو بان نونغ ، اعترف جيويه شين بأنه قد فضل " سياسة عدم المقاومة " التى يدعو اليها تولستوى . والحقيقة انه لم يقرأ ايا من مقالات تولستوى حول هذا الموضوع ، ولكنه رأى ذلك فقط مذكورا فى « قصة ايفان الاهمق » .

حقا لقد وجد جيويه شين ان فلسفة " انحناء الاذعان " و " سياسة عدم المقاومة " من اكثر السياسات نفعا . ففضلهما كان قادرا على التوفيق بين النظريات المطروحة فى مجلة « الشباب الجديد » وواقع اسرته الكبيرة ، دون ان تواجهه فى ذلك اية صعوبة . لقد كانتا عزاء بالنسبة له ، اذ سمحنا له بأن يعتقد بالنظريات الجديدة على حين يظل متكيفا مع المفاهيم الاقطاعية القديمة . انه لم ير فى ذلك تناقضا .

واصبح جيويه شين رجلا ذا شخصية مزدوجة . ففى المجتمع القديم ، فى وسط اسرته القديمة الطراز ، كان سيدا ضعيف الشخصية فاتر الهمة ؛ اما فى صحبة شقيقه فكان شابا من طراز جديد .

وبالطبع كان اسلوب الحياة هذا شيئا لم يستطع الشقيقان الصغيران فهمه . ولقد عنفاه على ذلك مرارا ، وقبل نقدهما برباطة

جأش . ولكنه تابع قراءة الكتب والمجلات الدورية التي تنشر افكارا جديدة ، كما واصل حياته في نفس الاسلوب القديم الطراز .

لقد راقب ابنه الاول وهو يتعلم الزحف ، ومن ثم المشى ، فالنطق ببضع كلمات بسيطة . كان الطفل فاتنا متوقد الذهن . وقد أسخ عليه جيويه شين كل حبه تقريبا . وقال في نفسه : ” سيحقق ما لم استطع تحقيقه . “ ورفض ان يستأجر له مرضعا ، مصرا على ان تقوم زوجته بارضاع الطفل . ومن حسن الحظ ان حليها كان كافيا . وتصرف كهذا كان في الواقع مستهجنا في اسرة ثرية مثل اسرته ، لذلك تعرض لقدر كبير من الثرثرة ، ولكنه تحمل هذا كله مقتنعا بأنه يتصرف هكذا لمصلحة الطفل .

وكل ليلة ، بعد ان تأوى زوجته والطفل الى الفراش ، كان يجلس بجانبهما ، مثبتا عينيه على الطفل النائم بين ذراعي امه . ولدى تمعنه في وجه الطفل يتمكن من نسيان نفسه كليا . ثم يعجز عن مقاومة نفسه في طبع قبلة على وجنته الملساء . وبكل رقة يهمس بكلمات الشكر والامل والحب ، كلمات على الرغم من عدم وضوحها الى جد ما ، الا انها كانت تتدفق من بين شفثيه طبيعية كالماء المنبجس من النبع .

ولم يدر جيويه شين ان والديه قد احباه بنفس التوهج عندما كان طفلا . فهما ايضا قد همسا بكلمات الشكر والامل والحب .

ويوم الاحد ذهب جيويه شين الى مكتب الشركة كعادته ،
اذ لم يكن مكتبه يتعطل في الآحاد .

ولم يكده يجلس ويأخذ بعض رشقات من الشاي حتى
وصل ايضا جيويه مين وجيويه هوى . كانا يزورانه في مكتبه
كل احد تقريبا . ولما اصبحت تلك عادتتهما فقد جلبا معهما
عدة نشرات دورية جديدة .

كانت الشركة التي يعمل جيويه شين لحسابها تدير ، الى
جانب تأجيرها مبنى ذا رواق مقنطر ، مصنعا صغيرا للطاقة
يمد الكهرباء الى الذين يدفعون ثمنها من المستأجرين لديها
وغيرهم من اصحاب المخازن المجاورة . كان المبنى كبيرا
جدا ، وقد اشتمل على جميع انواع المحال التجارية وكان
مكتب ادارة الشركة في هذا المبنى ايضا . وبالقرب من بابه
الخلفي ، في الزاوية اليسرى ، كانت هناك المكتبة المتخصصة
بيع المطبوعات الجديدة . ولقد اصبحت هذه المكتبة بسبب
قربها مألوفة جدا لدى الاشقاء الثلاثة .

قال جيويه هوى ، وهو يجلس مسندا ظهره الى كرسي من
الخيزران بجانب النافذة في مكتب جيويه شين ويمسك بكل
جلال مجلة طبعت على غلافها الابيض احرف حمراء، والابتسامة
تكمل وجهه :

— لم تأت هذه المرة الا نسخ قليلة من هذا العدد الاخير

من مجلة « الشباب الجديد » . وهذه هي النسخة الوحيدة التي تركت ، فالتقطتها . لو تأخرت دقائق لاختفت ايضا . ربما كان علينا ان ننتظر فترة طويلة قبل ان نتمكن من رؤية نسخة ! فقال جيويه شين رافعا نظره عن دفتر الحسابات :

– لقد تحدثت مع صاحب المكتبة بهذا الشأن – فمهما يكن من امر ، عليه ان يحتفظ لنا بنسخة من كل ما يرده من نشرات جديدة .

فقال جيويه هوى بانفعال :

– التحدث معه ليس مجديا . هناك كثيرون جدا يريدون هذه النشرات ، وكثير من المشتركين ايضا . والمكتبة لم تحصل الا على ثلاث رزم هذه المرة . ففى اقل من يومين تنفذ جميعها . ثم انكفأ الى الافتتاحية وشرع يقرأها باهتمام .

– سيأتى المزيد من النشرات . ألم يقل صاحب المكتبة انها فى الطريق ؟ اما هذه الرزم الثلاث فقد جاءت بالبريد العاجل .

قال ذلك جيويه مين ونهض ثانية ، ثم مشى الى طاولة المكتب وتناول نسخة من مجلة « الصين الشابة » وجلس بجانب الجدار الى اليمين . كان كرسيه واحدا من ثلاثة كراسى تفصل بينها طاولتان صغيرتان للشاى . وقد اختار جيويه مين الكرسي الاقرب الى النافذة ، وكان يفصل بينه وبينها كرسي جيويه شين الدوار .

وصمت الاخوة فلم يتكلم اى منهم . واصبح كل شىء

ساكنا ما عدا الطقطقة الحادة التي كانت تنبعث من معداد جيويه شين بلا انقطاع . وكانت اشعة شمس الشتاء الدافئة تسقط على الغرفة متخللة الستائر الزرقاء للشاحبة كأنها ظلال ضباية . وكان وقع الحذاء الجلدى وهو يطأ السطح الاسمنى للشارع يعلو فوق الضجة الاخرى المنبعثة من المبنى . واخذ وقع الخطى يقترب . وبعد ان ارتقى القادم السلم الحجرى اجتاز باب الشركة . وبعد لحظة تحرك ستار الباب فى مكتب جيويه شين ودخل شاب نحيف طويل . رفع الاخوة الثلاثة نظرهم اليه ، وقال جيويه شين مرحبا به بابتسامة :

– آه ، جيان يون .

وبعد ان حيا تشن جيان يون كلا من الاخوة تناول نسخة من الصحيفة المحلية وجلس بجانب جيويه مين . وبعد ان تصفح اخبار المقاطعة وضع الصحيفة على طاولة الشاى وادار رأسه الى جيويه مين وسأل :

– متى ستبدأ مدرستك عطلتها الشتوية ؟

– الدروس قد توقفت ، والامتحانات ستبدأ فى الاسبوع

القادم .

اجابه جيويه مين باختصار ، وفى صوت فاتر نسيبا ، ثم استأنف قراءته فى مجلة « الصين الشابة » .

فتابع جيان يون حديثه قائلا :

– سمعت ان اتحاد الطلاب سيقوم اليوم بعرض بعض

المسرحيات على مسرح وانتشون ليجمع نقودا من اجل انشاء

مدرسة مجانية للفقراء .

فرجع جيويه مين رأسه قليلا ورد بنفس الطريقة الفاترة :
— ربما يكون ذلك . لم اهتم بهذا كثيرا . ليس بالضرورة
ان يكون اتحاد الطلاب ، فالمرجح ان مدرستين او ثلاث
مدارس ستقوم بالعرض سويا .

في الواقع قلما يسهم جيويه مين في النشاطات الطلابية .
فكان يحضر الدروس كل يوم وبعد ان تنتهى هذه الدروس
يعود الى البيت . والسبب الوحيد في انه سيؤدى دور الدكتور
ليفرسى في مسرحية « جزيرة الكنتز » التي ستعرضها مدرسته خلال
عيد الربيع القادم هو ان مدرس الانكليزية في فصله قد اختاره
هو بالذات لهذا الدور .

— أأستم ذاهبين ايها الزملاء ؟ سيعرضون مسرحية هوشى
« عندما تتزوج الفتاة » ومسرحية ابسن « بيت الدمى » . فلا بد
من انهما ستكونان جيدتين .

فأجاب جيويه مين دون ان يرفع رأسه هذه المرة :
— المكان بعيد جدا . ونحن على اية حال نستعد للامتحانات.
لا وقت لدينا للتفكير في مشاهدة المسرحيات .

فقال جيويه شين مقحما نفسه ، وهو ما يزال يعمل بمعداده :
— انا احب ان اذهب ، فهاتان مسرحيتان جيدتان .
ولكن ، لسوء الحظ ، لا وقت لدى .

وقال جيويه هوى ضاحكا :
— لقد فات الوقت حتى لو ذهبت . فقد بدأ العرض .

ثم اطبق المجلة التي كان يقرأها ووضعها على ركبتيه .
ودفن جيان يون رأسه بهدوء في صحيفة اخذها عن احدى
طاولتى الشاي ، وراح يتصفحها بفتور .

وانهى جيويه شين حساباته ، ولاحظ الارتباك على جيان
يون فسأله بصوت ودى :

— أ مازلت تقوم بتدريس ابناء اسرة وانغ ؟ لماذا لم نرك
منذ وقت طويل . هل صحتك فى وضع افضل ؟

— لقد اصبت بزكام شديد استمر عدة ايام . ولهذا لم
اخرج . وانا الآن بصحة جيدة . اجل ، ما زلت ادرس ابناء
اسرة وانغ . وما زلت اصادف الانسة تشين كثيرا .

سواء أكان جيان يون يخاطب تشين مباشرة ام يتكلم عنها
مع الآخرين فانه دائما ما يشير اليها بعبارة ” الانسة تشين “ .
وكان ينادى جيويه شين بلقب ” الاخ الكبير “ تماما كما يفعل
الأولاد الصغار ، وذلك لأنه كان من اقرباء اسرة قاو البعيدين
واصغر من جيويه شين ببضعة اشهر . لقد مات والداه عندما
كان طفلا ، فنشأ عند شقيق والده . وبعد تخرجه فى المدرسة
المتوسطة لم يكن قادرا على تحمل نفقات الجامعة . وكان
العمل الوحيد الذى استطاع ايجاده هو عمل تدريسى ضئيل ،
تعليم ابناء اسرة وانغ اللغة الانكليزية والرياضيات . وكانت
اسرة وانغ من اقرباء ام تشين ، السيدة تشانغ ، وكانت كلتا
الاسرتين تسكنان فى نفس المربع السكنى . لذلك كان جيان
يون يقابل تشين على نحو متكرر .

وقال جيويه شين بلهجة عطوفة :
- انك شاحب واكثر هزالا . ودائما ما تبدو ضعيفا .
عليك ان تعتنى بنفسك اكثر من ذلك .
فأجاب جيان يون ماثارا بما عنده من هم :
- انك مصيب تماما يا اخي الكبير . اعرف ذلك حق
المعرفة .

ثم لماذا تبدو دائما مكتئبا ؟
فابتسم جيان يون ابتسامة بدا واضحا انه أكره نفسه عليها ،
ثم قال :
- كثير من الناس سألوني هذا السؤال . انا نفسى لا اعرف .
ربما لأننى ضعيف جدا ، او لأننى فقدت والدى فى سن مبكرة .
ثم اخذ صوته يرتجف كأنه يوشك على البكاء ، ولكن
لم تظهر دموع فى عينيه .

ورفع جيويه مين رأسه وقال فى جفاء :
- اذا كنت ضعيفا فعليك ان تمارس الرياضة . ان
مجرد الكتابة لن تعود عليك بأى نفع .
وقبل ان ينهى جيويه مين كلماته هذه سمع وقع اقدام
فى الخارج ، تبعه صوت انثوى ينادى :
- ابن خالى جيويه شين !

فقال جيان يون بصوت منخفض وقد علت وجهه فجأة
مسحة من التألّق والسرور :
- انها الآنسة تشين .

ودعاها جيويه شين بسرور ، وهو ينهض على قدميه :
- تفضلي بالدخول .

وازيح ستار الباب جانبا ثم دخلت تشين متبوعة بأماها
وخادمهما تشانغ شنغ . وبعد ان اوصلهما تشانغ شنغ هذا الى
مكانهما المنشود خرج على الفور .

كانت تشين تلبس سترة حريرية محشوة بالقطن ، لونها
ازرق فاتح ، وتنورة كحلية . وكان على وجنتيها مسحة من
المسحوق . كما كان هناك سالفان من الشعر يتدلى كل منهما
الى جانب كل اذن من اذنيها ، يزيدان وجهها البيضوى جمالا .
وتحت شعر ناصيتها المدلى على جبينها بكل اناقة تقوس حاجباها
الطويلان فوق عينين واسعتين على جانبي انفها الذى ابداع
شكله . وكانت عيناها هاتان متألفتين نفاذتين على نحو رائع ،
فقد أشرقتا بدفء لم يكنف بأن اضااف التوهج الى وجهها
المرح المتدفق حيوية ، بل بدا انه أنار الغرفة لحظة دخولها .
لقد جذبت انتباه كل شخص فى مكتب جيويه شين فيما راحت
هى وامها تحييان الجميع مبتسمتين .

وسرعان ما قدم كل من جيويه مين وجيان يون كرسيه الى
السيدتين ، ثم جلسا على مقعدين آخرين بعيدا عن النافذة .
وطلب جيويه شين الشاى .

وبعد بضع دقائق من الحديث العام قالت السيدة تشانغ :
- سمعنا ان لدى مخزن شينفاشيانغ التنويعى بعض الاقمشة
الجديدة ، فلا ادري ان كنا سنجد شيئا يعجبنا فنشتره .

فأجاب جيويه شين على الفور :
— لديهم تشكيلة كبيرة الآن ، ومعظمها حرير . فلقد رأيتها .

— هل لديك مانع في ان تذهب معي ذات وقت ؟
— لا ، ابدأ ، سأكون مسرورا بذلك .

ثم سألها بابتهاج :

— ما رأيك ان نذهب الآن ؟

فسرت السيدة تشانغ كثيرا :

— اذا لم تكن مشغولا ، فذلك جيد .

ثم نهضت ونظرت الى تشين في تساؤل .

فقالت تشين بابتسامة :

— سأنتظرك هنا يا ماما .

ثم نهضت هي ايضا ومشت نحو طاولة المكتب . وكان جيويه شين قد نهض لتوه هو الآخر .

وازاح جيويه شين للسيدة تشانغ ستار الباب جانبا ، فقالت وهي تجتاز العتبة :

— سأعود حالا .

ثم تبعها جيويه شين :

وقالت تشين ، وقد لاحظت المجلة في يد جيويه هوى :

— ماذا تقرأ ؟

فنظر اليها جيويه هوى واجاب بنبرة مرضية ، وهو متشبه

بالمجلة بكلتا يديه خشية ان تختطفها تشين :

— « الشباب الجديد » — العدد الجديد .

فقلت تشين ضاحكة :

— لا تمسكها هكذا ، لن آخذها منك :

فضحك جيويه مين ايضا وقال :

— لدى ها هنا عدد جديد من مجلة « الصين الشابة »

ايتها الأخت تشين ، فهل ترغبين في رؤيتها ؟

فنهض جيويه هوى على الفور وقدم لها المجلة قائلا :

— خذها ، خذها . لا اريدك ان تقولى انى اخترن المجلات

الجديدة !

فهزت تشين رأسها وقالت :

— بعد ان تنتهيا من قراءتها ، سأخذها الى البيت واقرأها

بدقة في وقت راحتي .

فأسند ظهره الى الخلف في كرسيه الخيزراني ، ثم استأنف

قراءته . وبعد لحظة سأل في مرح :

— هل نجحت ، ايتها الأخت تشين ؟ انك سعيدة جدا

هذا اليوم . هل وافقت امك ؟

— لم توافق بعد . لا ادرى لم انا سعيدة جدا . ولكن

ليس مهما سواء وافقت ماما ام لم توافق . فأنا استطيع ان اتخذ

القرارات الخاصة بى . اننى انسانة مثلكم تماما .

قالت ذلك ثم جلست على كرسي جيويه شين الدوار .

وراحت تتصفح بفتور دفتر الحسابات على مكتبه .

فصاح جيويه مين :

— حسنا قلت . مرحى لك . لقد تكلمتُ كامرأة جديدة
الطراز حقا !

فقلت تشين مبتسمة :

— لا تسخر منى .

ثم تغير لون وجهها ونبرة صوتها :

— عندى لكما خبر خاص . خالتكما السيدة تشيان قد
عادت .

كان ذلك خبرا خاصا فعلا . فقد تغير مزاج كل منهم في
الحال .

واستوى جيويه هوى في جلسته وسألها في قلق :

— ماذا عن ابنة خالتي مى ؟ هل عادت هي الاخرى ؟

— نعم . لقد مات زوج مى بعد سنة من زواجهما . وهي

الآن ارملة . حماتها لم تعاملها جيدا ، لذلك عادت الى امها .

وقد جاءتا الآن سويا الى تشنغدو .

فسألها جيويه مين بدهشة وهو يحرق اليها من خلال

نظارته الذهبية الاطار :

— كيف عرفت كل هذه التفاصيل ؟

فأجابت تشين ببطء :

— لقد جاءت لزيارتي امس .

فسألها جيويه مين :

— جاءت الى بيتكم ؟ أما تزال كما هي ؟

— تبدو مهزولة بعض الشيء ، ولكن ليست نحيفة جدا ،

ربما أنحف من السابق بقليل . ولا يمكنك ان ترى انها كانت في محنة الا من خلال عينيها الصافيتين . ولكنني لم اجرؤ على ان اسألها الكثير . لقد خشيت ان اثير شجونها القديمة . فالاشياء الوحيدة التي تكلمت فيها كانت عن حاضرة المحافظة التي كانت تعيش فيها – عن الناس هناك ، وعن شكل تلك الحاضرة – وقليل من ذلك كان عن نفسها . ولكنها لم تذكر مطلقا جيويه شين او اسرة قاو .

وخالط الحزن صوت تشين ، ثم ما لبثت ان سألت جيويه مين بنبرة مختلفة :

– ما شعور الاخ الكبير تجاهها ؟

فأجاب جيويه مين بصراحة :

– يبدو انه قد نسيها منذ وقت طويل . فأنا لم اسمعه قط يذكر اسمها . وهو راض تماما بزوجته .

فهزت تشين رأسها هزا خفيفا ، وقالت بصوت يشوبه الاسى :

– ولكن مى ربما لم تنسه بهذه السهولة . استطيع ان استشف من عينيها انها ما تزال تفكر فيه . . . ولقد قالت لى ماما يجب الا اخبر الاخ الكبير بأن مى هنا .

فقال جيويه هوى :

– ذلك لا يهم . فمى وامها لن تأتيا الى بيتنا على اية حال ، لذلك ليس من المحتمل ان يتقابلا . ان اخي الكبير قد نسى الموضوع بكامله . كل شيء يتغير بعد بضع سنوات .

فما الذى يستدعى القلق ؟

فقال جيويه مين :

– اوافق على ان من الافضل الا نخبره . اذا كان قد نسى ،
فلا ضرورة لتذكيره ثانية . ومن يستطيع ان يضمن انه نسيها
حقا ؟

فهزت تشين رأسها موافقة وقالت :

– هذا صحيح . من الافضل الا ندعه يعلم .

كان جيان يون جالسا في زاوية ، منكمسا على نفسه ، ووجهه
يعكس ملامح المعاناة والاكتئاب . لقد تحركت شفاته مرارا ،
كأنه اراد ان يتكلم ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة . وكانت عيناه
مسمرتين على تشين وهو يصغى اليها . ولكنها لم تنظر الى ناحيته .
وكان في بعض الاحيان يحدق الى جيويه مين وجيويه هوى
باعجاب ، غير انهما لم يلقيا اليه بالا . واخيرا قال في تنهد ،
متأثرا متأثرا عميقا بما قالته تشين او ربما بسبب آخر :

– لو ان الاخ الكبير كان قادرا على الزواج من الأنسة
مى ، لكان ذلك زواجا سعيدا .

فرشقت تشين بنظرة ودية ثم حولت عينها بعيدا . فاعتبر
جيان يون نظرتها الخاطفة هذه بركة . واحس بنكهة رائعة في
جوابها عندما قالت :

– هذا ما شعرنا به جميعنا .

وقال جيويه هوى في غضب :

– لا اعرف من الذى أثار الشحناء بين والدتنا والسيدة
تشان ، ولكن من المؤكد انهم حطموا سعادة مى واخ الكبير

مرة والى الابد !

فقال تشين بصوت حزين :

– انت لا تعرف ؟ حسنا ، انا اعرف . لقد اخبرتنى ماما بالقصة كلها . وحتى الاخ الكبير نفسه لا يعرفها . كان والدك قد ارسل وسيطا الى السيدة تشيان ، وقد وافقت . ولكنها بعد ذلك اخذت خريطتى برجيهما الى عراف قال انهما ، حسب تقدير طالعهما ، لن يكونا متآلفين ، فالزواج حرام ، وانهما اذا تزوجا فان مى ستموت شابة . وهكذا رفضت السيدة تشيان هذا الزواج . ولكن كان هناك سبب آخر ، فهى وزوجة ابيك قد تشاحتا فى لعب المايجانغ ذات يوم . وقد شعرت السيدة تشيان بأنه اسىء اليها اساءة كبيرة جدا ، فاستخدمت منع هذا الزواج وسيلة انتقام . لقد كانت زوجة ابيك شغوفة بـمى – وكذلك كانت اسرتكم بكاملها – وقد انزعجت عندما اوقف هذا الزواج . وعندما اعلنت فيما بعد خطبة الاخ الكبير على ابنة اسرة لى ، استاءت السيدة تشيان ايضا . وازدادت العلاقات بين الوالدين سوءا . واخيرا توقفنا سويا عن زيارة بعضهما بعضا .

فقال جيويه مين فى دهشة :

– اذن هكذا تم الامر ! لم تكن نعرف ذلك . لم نعرف ان زواجهما قد اقترح . لقد لمتنا فى الحقيقة والدنا وزوجته على عدم معرفتهما ما فى قلب الاخ الكبير وعلى عدم حرصهما على سعادته . لم تكن تلك غلطتهما اذن .

فصاح جيويه هوى بتحمس :

— هذا صحيح . جميعنا اردنا ان يتزوج الاخ الكبير ابنة الخالة مى . وعندما سمعنا بخطبته على ابنة اسرة لى شعرنا بأن خطأ فادحا قد ارتكب بحق مى . وظننا ان الاخ الكبير لا بد ان يقاوم . غير انه استسلم كالأحمق . وبعد ذلك توقفت ابنة الخالة مى عن المجيء الى بيتنا . ثم بعدها بفترة غير طويلة غادرت تشغللو . وعندما تزوج الاخ الكبير زوجته هذه تأسفنا لابنة الخالة مى ولمناه فى سرنا . انه لأمر مضحك عندما يفكر المرء فيه . لقد بدونا اكثر اضطرابا حول هذا الامر من الاخ الكبير نفسه . . . فى ذلك الوقت كان فى اعتقادنا انهما موافقان لبعضهما كل التوافق .

ثم ابتسم على الرغم منه .

وقال جيويه مين متأملا :

— اخشى اننا لا نستطيع الجزم بأنهما كانا حقا على علاقة حب . فكل ما فى الامر انهما كانا فى نفس السن تقريبا ومتلائمين تماما من حيث المزاج . ولهذا لم يعان الاخ الكبير من حزن شديد عندما افترقا .

فقال جيويه هوى :

. — عجيب ! ألا يكفى ان يكونا ” فى نفس السن تقريبا

ومتلائمين تماما من حيث المزاج “ ؟ وماذا تريد ايضا ؟

وتنهذ جيان يون فى زاوية الغرفة .

فقال جيويه مين مجفلا :

— ماذا اصابك يا جيان يون ؟

ولكن لم يصدر جواب عن جيان يون ، فكأنه لم يسمع :
فقال جيويه هوى ضاحكا :
— انه دائما هكذا .

وفجأة ادرك جيان يون ان العيون كلها مثبتة عليه ، فخفض رأسه . ولكنه سرعان ما رفعه ثانية ونظر الى تشين نظرة جاءت مزيجا من الهلع والحزن . وعندما لم تحاول تشين تجنب حملته خفض عينيه في الحال . ثم قال برقة هازا رأسه :

— لا احد منكم يفهم الاخ الكبير . انكم فعلا لا تفهمونه .
الاخ الكبير لم ينس مى حتى الآن . واننى لأرى ذلك منذ وقت طويل . انه يفكر بها دائما .

فقال جيويه مين ظانا انه يقدم ردا مفحما :

— اذن لماذا لم نر اية علامة لذلك ؟ انه لا يكاد يذكر اسمها مطلقا . والانسان — على حد قولك — كلما ازداد قلبه حبا يجب ان يزداد مظهره برودة !

فقال جيان يون موضحا :

— اجل ، ولكن المسألة ليست مسألة وجوب او عدم وجوب . فى حالات كهذه لا يعرف المرء احيانا ما يشعر به .

فقال جيويه هوى فى حزم :

— لا اصدق ذلك !

وقالت تشين فى تحمس :

— ولا انا . لا اظن انه يمكن ان يكون هناك وضع بهذا الشكل . الحب مشرق وساطع ، لا شىء يخفيه . اذا كان القلب

متقددا حقا ، فكيف يمكن لصاحبه ان يظهر بمظهر اللامبالي ؟
فشحب لون جيان يون كأنما تعرض لصفعة عنيفة . وارتجفت
شفتاه واختفى البريق من عينيه . وراح يحملق الى الجدار بذهول .
ثم خفض رأسه وظل صامتا .

ولم تلاحظ تشين التي كانت تتصفح كتابا جديدا على
الطاولة تغير ملامحه . والشقيقان اللذان كانت اعينهما كلها
مبتهة على تشين لم ينتبها له كذلك . ولكن اخيرا لاحظته تشين ،
فصاحت ناهضة في دهشة :

— يا سيد تشن . ماذا اصابك ؟

ارتعش جسم جيان يون ، ثم استدار ونظر الى تشين نظرة
ارتباب . ومن ثم ابتسم واشرقت عيناه ثانية ، ولكن بصوتها
الكئيب المعتاد . وسرعان ما تلاشت الابتسامة وعلت الكتابة
ملامحه فكأنه لم يتسم على الاطلاق .

. وانطلقت حاملة الاخوين مع تحديق تشين الى وجه جيان
يون . ولاحظوا تغيرات في ملامحه ، ولكن لم يستطيعوا تخيل
السبب في ذلك .

واجاب جيان يون في نبرة يشوبها الاسى ، وقد علت وجهه
ابتسامة موقته :

— لا شيء ، لا شيء . انما كنت افكر في شيء ما ،
شيء لم استطع حله .

فسألته تشين بلطف :

— هل يمكن ان نخبرنا ما هذا الشيء الذى لم تستطع حله ؟

بدا جيان يون في غاية الارتباك . ولم يستطع ، وعيناه مثبتتان على وجه تشين الجميل ، ان ينطق ولو بكلمة . واخيرا قال متلعثما وقد اصطبغ وجهه خجلا :

– انا نفسى من الصعب ان اعرف . ذهنى ضعيف جدا .
احيانا لا اعرف ما الذى افكر فيه .

ثم ابتسم ابتسامة كثيفة .
فقال تشين مبتسمة :

– لم انت متواضع الى هذا الحد يا سيد تشن ؟ نحن
لسنا غرباء .

فقال جيان يون وقد احمر وجهه ، لا من الارتباك بل من الجدية والانفعال في كلامه ، وهو يبذل في كلامه هذا جهدا خاصا خشية الا تكون كلماته مقنعة :

– ليس هذا تواضعا . اننى حقا عديم الجدوى . فأنا بالقياس اليكم انتم ، اوه ، متخلف عنكم كثيرا . اننى حتى لا استحق ان اكون في رفقتكم .

فقال تشين :

– لا تتكلم هكذا . لا نحب ان نسمع ذلك . دعنا نتكلم في موضوع آخر .

كانت نبرتها ما تزال ودية ، لأنها كانت تعرف ان جيان يون غريب بعض الشيء وان قدرا كبيرا من الشرح لن يجدى معه فتيلا .

ولم يقل جيويه مين شيئا . بل كانت عيناه تراقبان تشين ،

واحيانا تتحولان الى جيان يون . وكان احيانا يتسم في رضى
وهو يصغى الى حديثهما باهتمام .

ولم يلق جيويه هوى انتباها الى ما كان يقوله الآخرون ، بل
انهمك في قراءة مجلة « الشباب الجديد » .

وظلت ملامح جيان يون تتغير على نحو مطرد . وكان من
الصعب تخمين ما كان يدور في ذهنه . ان كلمة " نحن "
التي قالتها تشين قد آذته . ولقد كررها عدة مرات ، ولكن
بصوت منخفض جدا لم تستطع حتى تشين ان تسمعه .

ثم نهض فجأة ، وقال وهو يمشى نحو الباب :
- حسنا ، لن ازيد شيئا . يجب ان اذهب ، فلدى
مشاغل .

كانت تشين تراقبه في دهشة ، ولكنها لم تقل شيئا . غير
ان جيويه مين حثه على البقاء قائلا :

- لم لا تمكث فترة اخرى ؟ شيء ظريف ان نتحدث
سويا هكذا . والاخ الكبير سيعود حالا .

فقال جيان يون مصمما بعد لحظة تردد :

- شكرا جزيلًا ، يجب ان اذهب .

ثم اوما لهم برأسه مودعا وانصرف .

وتساءلت تشين في تشكك :

- ماذا لديه من مشاغل ؟

فجاء جواب جيويه مين مختصرا :

- السماء وحدها تعرف !

– من المؤكد ان شيئاً ما يضايقه ، والا فلماذا اصبح
غريب الاطوار الى هذا الحد ؟ لقد كان افضل من ذلك .
فأجابها جيويه مين :

– اجل . لقد اصبح في الايام الاخيرة اكثر غرابة مما
كان عليه سابقا . لا اعرف ما الذى يزعجه . ربما لأنه فقير
يضطرب بسهولة ؛ وهذا ما يجعله غريب الاطوار كثيرا .
فقالت تشين بحرارة كأنما تجادل شخصا :

– اريد ان اكون اكثر لطفا معه ، ولكن كلما قابلته
يصمت فلا ينس بينت شفة – كأنما يخفى سرا يخشى ان
يكشفه الناس .

ولما لم يجب الاخوان تابعت تقول :

– كيف يمكنك ان تصبح قريبا من شخص كهذا ؟
احيانا ، عندما نلتقى ، يبدو انه يعتمد حصر حديثنا في اطار
ثرثرة تافهة . ففي اللحظة التي احاول فيها مناقشته في امر هام ،
يبدل كل ما في وسعه لتغيير الموضوع ، كأنما يخشى شيئاً .
فقال جيويه مين ساخرا :

– لعله يخفى في القلب حسرة ما . من سوء حظّه انه يعيش
في غير زمانه .

ثم اضاف متعجبا :

– ومع ذلك يقرأ احيانا كتباً جديدة !

واطبق جيويه هوى مجلته وقال ضاربا ركبته بيده :

– اوه ، انسياه ! العالم يغص بأناس من هذا النوع ،

فهل يمكنكما ان تفلقا عليهم جميعا ؟

وخيم الصمت على الغرفة بعض الوقت . ودفع شخص برأسه الى داخل الباب ونظر في انحاء الغرفة ، ثم ما لبث ان انسحب متمتما : ” اوه ، لقد خرج السيد قاو “ .

وفجأة تذكرت تشين شيئا ما فقالت لجيويه مين :

— لقد قررت التقدم الى امتحان مدرستكم ، فيجب ان اراجع الآن دروسى بجد واجتهاد . فهل لك ان تساعدنى فى مراجعة دروس الانكليزية ؟

فصاح جيويه مين بسرور :

— طبعا . يا له من طلب رائع ! ولكن ماذا عن الوقت ؟
— هذا عائد اليك . مساء بالطبع . كلانا عنده دروس فى النهار . . . ولا اظن ان علينا ان ننتظر بدء السنة الدراسية الجديدة . يمكننا ان نبدأ من الآن .

— جيد ، سأمر ببيتكم فيما بعد ونكمل حديثنا بهذا الشأن .

وسمع جيويه مين صوت جيويه شين والسيدة تشانغ فى الخارج فقال :

— لقد عادا .

وفعلا كان جيويه شين هو الذى أزاح ستار الباب جانبا وترك السيدة تشانغ تدخل . ومن ثم دخل هو نفسه متبوعا بالخدام تشانغ شىغ الذى دخل حاملا الرزم .

وما كادت السيدة تشانغ تجلس وتأخذ بضع رشقات من

الشاى حتى خاطبت ابنتها قائلة :

– هيا بنا يا تشين . الوقت متأخر :

ثم التفتت الى تشانغ شنغ الذى كان لا يزال فى الغرفة
وقالت :

– اطلب لنا محفتين وجهاز كل شىء .

فخرج تشانغ شنغ طائعا . وبعد دقائق غادرت تشين وامها .
ورافقهما جيويه شين الى باب المكتب . ومن ثم مشى معهما
الشقيقان الاصفران الى الباب الخلفى للمبنى وراقبا السيدتين
تجلسان فى محفتيهما بأمان .

٨

وبعد مغادرة شركة غربى سيتشوان التجارية انفصل كل من
الشقيقين الاصفرين عن الآخر . فذهب جيويه مين لزيارة
تشين ، واتجه جيويه هوى لزيارة صديق .

وما ان اجتاز جيويه هوى بضعة شوارع حتى صادف
زميل صفه تشانغ هوى رو عند مفترق طرق . كان هوى
رو يلهث بشدة ويسير بسرعة مطرق الرأس . فأمسكه جيويه
هوى من ذراعه وقال :

– ماذا وراءك يا هوى رو ؟ انك فى سرعة كبيرة لم

تميز معها اصدقاءك !

فحدق الشاب ذو الوجه المثلث الشكل الى جيويه هوى ،
والعرق يقطر من جبينه . كان يلهث لهاثا شديدا لا يستطيع
معه التكلم لحظة . واخيرا قال :

— اشياء . . . مروعة . . . وقعت !

فسأله جيويه هوى مذعورا :

— ماذا حدث ؟

وهدا لهاث هوى رو قليلا ، ولكن ظل صوته يرتجف
من الغضب والانفعال :

— خضنا قتالا مع الجنود هذا اليوم . . . فى مسرح وانتشون .

فقال جيويه هوى وقد تجمد الدم فى عروقه ، وراح يهز

ذراع هوى رو بيد مرتجفة :

— ماذا ؟ اخبرنى حول ذلك — بسرعة ! تقصد ان الجنود

هاجموا الطلاب ؟ قل لى التفاصيل !

فقال هوى رو وعيناه تلتهبان غضبا :

— اننى عائد الى المدرسة لأخبر بقية الطلاب . تعال معى

وسأخبرك ونحن فى الطريق . . .

فاستدار جيويه هوى على نحو آلى ، ومشى مع هوى رو :

كان قلبه يخفق بعنف . وقد بدأ جسمه يلتهب . وراح يعض

شفتيه فى صمت .

وقال هوى رو بصوت مهيج ، فيما كانا يسيران بسرعة :

— اليوم كنا نقوم بعرض مسرحياتنا على مسرح وانتشون .

وكنت انا واحدا من المتفرجين . وعندما بدأت المسرحية الاولى

حاول ثلاثة جنود ان يدخلوا دون شراء تذاكر . فأخبرهم الرجل الواقف عند الباب بأن هذا العرض ليس من عروض مسرح وانتشون المعتادة ، فلا يمكنهم ان يدخلوا ما لم يدفعوا . ولكن لم يكن هناك سبيل لاقتناعهم . ولما ظلوا مصرين على الدخول طردهم رجالنا الى الخارج . وبعد ذلك بوقت غير طويل عادوا متبوعين ببضعة عشر جنديا ، وطلبوا جميعا بالدخول مجانا . وخشى رجالنا ان يترزعج المتفرجون بهذه الجلبة التي يحدثها الجنود ، فسمحوا لهم بالدخول حفاظا على الهدوء ليس الا . وبعد ان جلس الجنود في مقاعدهم بدأوا يهتفون ويصرخون ويتصرفون على نحو اسوأ مما يفعلوا عادة في المسارح .

واخيرا لم يعد رجالنا قادرين على التحمل اكثر من ذلك فطلبوا منهم السكوت . ولكنهم ظلوا مستمرين في صخبهم . وحذرناهم : اما ان يتصرفوا جيدا واما ان يخرجوا . فجن جنونهم لهذا وبدأوا يقاتلون . واعتلى بعضهم خشبة المسرح ، وحطم ما عليها من اثاث مسرحي . واستمر هذا الشغب الى ان جاءت سرية جنود من قيادة الحامية . ولكن المسرح كان قد اصبح خرابا . كما اودى عدد من الطلاب . وافلت جميع المشاغبين ، فلم يستطيعوا امساك اى منهم . سرية كاملة من الجنود المسلحين لا تستطيع ان تبقض على جنديين اعزلين ! اى احمق يصدق ذلك ؟ من الواضح ان هذا كله قد خطط مسبقا . . .

فقال جيويه هوى ضاغطا صدره بيديه وقد بدا مستعدا للانفجار ، اذ كان الغضب يتأجج في داخله ايضا :

— طبعا . هم خططوا هذا كله سويا . لقد راجت مؤخرا كثير من الاشاعات التي تقول ان السلطات تدبر شيئا ما ضد الطلبة . فقد سببنا لهم قدرا كبيرا من المتاعب في السنوات القليلة الماضية — اذ طلبنا اجراء تفتيش للمخازن لنرى ان كانت تباع بضائع يابانية ، وقمنا باستعراضات ومظاهرات ، واخذت حركتنا تتسع وتقوى مع مرور الوقت . . . فاضطرت السلطات بعد هذا الى ان تلزمننا حدودنا . ولذلك حرصت الجنود علينا . وهذه هي الخطوة الاولى فقط . انتظر وسترى . سيتبع ذلك الكثير !

فقال هوى رو وهو يحث الخطي :

— وفي الحال عقدنا اجتماعا طارئا في حديقة شاولشنغ ضم كل من كان هناك من الطلاب . وقررنا ان نطلب من جميع الطلاب الذين ما يزالون في دورة دراسية ان نذهب في حشد كبير الى الحاكم ونتقدم له بعريضة . وقد تمت الموافقة على المطالب . فهل انت معنا ؟

فأجاب جيويه هوى :

— بالطبع .

ووصلا الى المدرسة ، وراحا يخطوان نحو الباحة في حالة من الاهتياج الشديد .

كثير من الطلاب كانوا قد تجمعوا في الميدان الرياضي ، وراحوا يتحدثون بصخب ضمن مجموعات . وبدأت المدرسة بكاملها نائرة . من الواضح انهم سمعوا عن القتال مع الجنود .

وانتبه هوى رو الى هوانغ تسون رن الذى مثل دور الاب فى مسرحية « عندما تتزوج الفتاة » ، اولى المسرحيتين اللتين عرضتا فى ذلك اليوم . كانت هذه المسرحية قد انتهت عندما بدأ الشغب ، ولا بد ان يكون تسون رن قد عاد الى المدرسة مباشرة حاملا معه الاخبار .

وانضم جيويه هوى وهوى رو الى احدى المجموعات ، وراحا يصغيان الى ما كان يقوله الطلاب . واخبرهم هوى رو بكل ما يعرفه عن الوضع ، وكان ما يزال يتكلم بحرارة عندما حان موعد انطلاق الطلبة .

كانت حديقة شاولشنغ مكانا للتجمع . فعندما وصل طلاب مدرسة جيويه هوى وجدوا طلاب المدارس الاخرى قد سبقوهم اليها . ولكن نظرا الى ان ذلك اليوم كان يوم احد ، فقد تعذر ابلاغ كل طالب ، واكثر من ذلك ، ان عددا من المدارس كانت فى عطلتها الشتوية . لذلك كان الحاضرون اقل بكثير من مجموع عدد الطلبة ، كما كانوا من المدارس الرئيسية فقط . لذا ، كان هذا التجمع اصغر حجما بكثير من المظاهرات السابقة . وعلى العموم كان مجموع الحاضرين لا يزيد عن مائتى طالب تقريبا .

وحل الغسق . واخذت المصابيح تضاء فى وجه الظلام المخيم . وبدأ الطلبة زحفهم الى مقر الحاكم . وفيما كان جيويه هوى يمشى نظر حوله فى توتر ، فوجد مجموعات من الناس متقاطرة فى الشوارع ، تحدى الى الطلبة

في استغراب . قليل منهم ابدوا ملاحظات حذرة ، وبعضهم انصرف مسرعا في خوف وجبن .

” لا بد انهم خارجون من اجل تفتيش لعين آخر على البضائع اليابانية . فأى مخزن سيوافيه سرء الحظ ؟ “

لقد سمع جيويه هوى هذا الصوت بلهجة ليست كلهجة اهل المدينة . واستدار لينظر الى المتكلم ، فوجد نفسه يجابه بعينين ضئيلتين مراوغتين في وجه شاحب صغير . فعرض شفثيه في عبوس . غير انه لم يستطع التأكد من انه سمع كلامه بدقة ، لذلك تابع زحفه .

كان الوقت ليلا عندما وصلوا الى مقر الحاكم . وزاد الظلام التوتر في نفس كل طالب ، وبعث في نفوسهم خوفا لا يوصف . وخالطهم شعور غريب بأن هذا الظلام لم يكن مجرد ظلام الليل ، بل ظلام المجتمع وظلام الوضع السياسي . فبرزوا وحدهم بين جماهير غير مكترثة ليكافحوا هذه الامور بقلوبهم الفتية .

وفي الميدان امام مقر الحاكم وقفت فصيلة من الجنود تنتظرهم ، وحرابهم الالامعة مسددة نحو صدورهم . واخذ الجنود يراقبون في صمت متجههم ، فيما راح الطلبة يطلبون الدخول بانفعال . لا احد من الطرفين كان يرغب في التراجع . وتشاور الطلاب فيما بينهم وقرروا ارسال ثمانية نيابة عنهم ، ولكن الجنود اوقفوا هؤلاء الثمانية ايضا . واخيرا اندفع من بين الجنود ضابط صغير وخاطب الطلاب باقتضاب :

– ارجوكم ان تغادروا ايها السادة . الحاكم قد ذهب الى البيت .

فأجاب مندوبو الطلبة بلطف ، ولكن بحزم ، ان سكرتير الحاكم يغنى عنه اذا كان الحاكم غير موجود . ولكن لم تكن في ذلك اية جدوى . بل هز الضابط الصغير رأسه في برود وغرور كأنما يقول – السلطة في يدي الآن ؛ يمكنني انا نفسي ان اتدبر امركم ايها الطلبة !

وعندما ابلغ المندوبون زملاءهم بنتائج هذه المداولة غضب الطلاب غضبا شديدا وصاحوا :

– لا شيء يفنى بالعرض . الحاكم يجب ان يخرج !

– اننا داخلون ! اننا داخلون !

– اذا لم يكن الحاكم هنا ، فليخرج سكرتيره !

– ايها المسؤول ! دعنا ندخل اولا ، وبعد ذلك نتحدث !

كانت الرؤوس تهتر في كل انحاء الميدان . وبدأ قليل

من الطلاب يندفعون الى الامام ولكن زملاءهم أوقفوهم .

وصاح احد المندوبين :

– اهدؤوا قليلا ايها الزملاء . النظام . يجب ان نحافظ

على النظام !

وهتف آخرون يؤيدون صيخته :

– النظام ! النظام !

وصاح آخر :

– تبا للنظام ! المهم اولا ان ندخل !

— هذا لا يمكن . معهم بنادق !

وارتفعت صيحة الاكثرية تقول :

— النظام ! النظام ! استمعوا الى مندوبينا !

وشيئا فشيئا خمد الهرج والمرج واعد النظام . ومع الليل
المظلم بدأ رذاذ لطيف يتساقط .

وصاح احد مندوبى الطلبة بأقصى ما يستطيع حتى يتمكن
كل طالب من سماع صوته الذى خرج مبحوحا من كثرة
الجهد :

— ايها الزملاء ، انهم لن يسمحوا لنا بالدخول ، والحاكم
يرفض ان يرسل الينا اى شخص لمقابلتنا . فماذا نفعل ؟ هل
نرجع ؟ او ننتظر هنا ؟

فصاح الطلبة بأعلى اصواتهم :

— لن نرجع !

وصاح عدة طلاب :

— اننا مصرون على رؤية شخص ما من السلطة . مطالبنا
يجب ان تلبى . لن نخدع بأية حيلة !

واقترب الضابط الصغير من المندوبين وقال بنبرة اكثر
استرضاء :

— المطر يتساقط . احثكم على الذهاب الى البيت .
واعدكم بايصال مطالبكم الى الحاكم . لا فائدة من انتظاركم
هنا طوال الليل .

ونقل المندوبون كلماته الى الطلبة ، فجاء ردهم صاحبا .:

— لا ، لسنا ذاهبين !

واضطرم الميدان كله بالهياج . واخيرا عاد الهدوء ببطء :
وصاح احد المندوبين واضعا يديه على فمه على شكل بوق :
— حسنا ! ننتظر هنا جميعا . نحن المندوبين سنقوم

بمحاولة اخرى لاقتناعهم . لن نغادر حتى يلبوا مطالبنا !
فصفق بضعة طلاب ، وعلى الفور انفجر الحشد كله
بالتصفيق . وانطلق المندوبون . وهذه المرة سمح لهم الثمانية
بدخول مقر الحاكم .

لقد صفق جيويه هوى بأقصى ما يستطيع فيما كان المطر
يبيل رأسه العارى من القبة . ومع انه كان في بعض الاحيان
يظلل عينيه بيده او يضع معصمه على جبينه ، الا ان عينيه
ظلتا مضطربتي الرؤية بسبب المطر . ونظر الى حراب الجنود ،
الى القانونيين الكبار المعلقين في المدخل ، الى بحر الرؤوس
المحيط به من كل جانب . واشتعل في صدره غضب يتعذر
كبحه . اراد ان يصرخ ؛ ولكنه احس بالاختناق . كان هجوم
الجنود في المسرح مفاجئا جدا . ومع انه كانت هناك اشاعات
بأن السلطات تخطط لعمل ما ضد الطلبة ، غير ان احدا لم
يتوقع ان يكون العمل بهذا الشكل .

يا للحقارة ! وسأل نفسه : ” لماذا يعاملوننا هكذا ؟ هل
حب الوطن جريمة ؟ هل الشباب النقيون المخلصون ضارون
بالامة حقا ؟ “ انه لا يصدق ذلك .

ومن بعيد قرع صنج الخفير الليلي مرتين . انها العاشرة مساء !

واخذ الطلبة الساخظون يتساءلون : لماذا لم يعد مندوبونا بعد ؟ لماذا لم ترد اية اخبار حتى الآن ؟ وبدأوا يتحركون في قلق . المطر يسقط الآن بغزارة ، ويبللهم من اعلى رؤوسهم الى اسفل اقدامهم . واحس جيويه هوى بالبرد يتسرب الى عظامه . فارتعش . ومن ثم فكر - هل ازعاج بسيط كهذا سيضايقني ؟ . . . ثم رفع صدره واضعا راحتيه على ذراعيه .

وحوله من كل جانب وقف الطلبة محنبي الاكتاف وشعرهم المبلل لاصق بجباههم . ولكنهم لم يكونوا فزعين . وكان واحد منهم يقول لزميل صفة :

- اذا لم نحصل على اية نتيجة ، فلن نعود . يمكننا ان نكون شجعانا كطلبة بكين تماما . عندما يخرجون لالقاء خطابات فانهم يحضرون معهم حقائب ثيابهم - استعدادا للذهاب الى السجن . فلم لا نستطيع تحمل ليلة واحدة للحصول على مطالبنا ؟

لقد سمع جيويه هوى هذه الكلمات بوضوح ، فأثير الى حد البكاء تقريبا . ورغب في ان يلقي نظرة جيدة على المتحدث ، ولكن الدمع في عينيه منعه من الرؤية بوضوح . واحس نحوه باعجاب شديد ، مع انه لم يقل شيئا خلافا للمألوف ، شيئا مختلفا عما كان هو نفسه يمكن ان يقوله . لقد نسي جيويه هوى كل شيء - بيته المضاء جيدا ، فراشه الدافئ . كانت لديه الرغبة في ان يقوم بأية خدمة لهذا الطالب الذي تكلم ، حتى لو استدعى ذلك اجتياز النار والماء !

ومع حلول الهزيع الثالث من الليل لم يكن المندوبون قد عادوا بعد ، كما لم ترد اية اخبار . واخذ البرد يشتد . ومع البرد والجوع ومع ضجر الحيرة خاصة ، بدأ الطلاب يسألون :
” الى متى سنظل ننتظر ؟ “

كانت حراب الجنود المصطفين امام المدخل تومض على نحو باهت في الظلام ، كأنما تحذر . واقترح قليل من الطلاب الضعفاء قائلين :

– هيا بنا نرجع . يمكننا ان نقرر خطواتنا التالية غدا .
التسكع هنا لن يجدى نفعا .

ولكن لم يرد عليهم من الطلبة احد . فقد بدا كأن الاكثرية
ترغب في الانتظار طوال الليل .

وبعد فترة طويلة من القلق قال احدهم :

– المندوبون خارجون .

وخيم الصمت على الميدان بكامله . فقال احد المندوبين :

– ايها الزملاء ، رئيس القسم تشاو سيقول لنا بعض الكلمات .

وانطلق صوت جهورى غير مألوف يقول :

– ايها السادة ، لقد غادر الحاكم الى البيت منذ ساعات .

واننى آسف لابقائكم تنتظرون كل هذا الوقت . لقد تشاورت

مع مندوبيكم نيابة عنه ، ولقد تسلمت مطالبكم . وغدا سأقدمها

الى الحاكم . وهو بالطبع سيهتم بها ، فيمكنكم ان تكونوا

مطمئنين الى ذلك . وسيرسل ايضا ممثلا عنه لزيارة الطلاب

الجرحي . والآن الوقت متأخر ، فالرجاء ان تذهبوا الى البيت .

لا نريد لأى منكم ان يصاب بزكام . تعرفون ان الحاكم يوليكم جميعا اعظم الاهتمام ايها السادة ، لذلك ارجو ان تعودوا الى البيت . لا نريد ان يحدث لكم اى مكروه .
توقف الصوت ، وفى الحال بدأ الطلاب يتحدثون فيما بينهم .

وسأل احد زملاء جيويه هوى :

— ماذا يقول ؟ ماذا يعنى بكلمة ” مكروه “ ؟

فرد جيويه هوى فى سخط :

— يقول ان الحاكم سيهتهم بمطالبنا ، لذلك يجب ان نعود الى البيت . هو نفسه لا يتحمل اية مسؤولية . يا له من ماكر بارع !

— ربما يكون من الافضل ان نعود الى البيت . فالوقوف هنا لن يعود علينا بنفع . . . والشىء الاخير الذى قاله — انه يستحق التفكير .

وتقدم مندوب آخر وخاطب الطلبة :

— هل سمعتم ما قاله رئيس القسم تشاو ، ايها الزملاء ؟ لقد تسلم مطالبنا ، والحاكم سيهتهم بها . الآن وقد حصلنا على النتائج يمكننا ان نعود الى البيت .

فسأل عدد من الطلبة بانفعال :

— نتائج ؟ اية نتائج ؟

ولكن معظم الطلاب صاحوا :

— لنعد الى البيت اذن .

ولم يكن ذلك بسبب تصديقهم كلمات رئيس القسم ، بل لادراكهم ان الوقوف في الخارج طوال الليل سيكون تضحية غير مجدية . كانت درجة الحرارة ما تزال آخذة في الانخفاض والمطر يتزايد تساقطه . كل واحد منهم كان شاعرا بالبرد والجوع . لقد عانوا بما فيه الكفاية .

— حسنا ، سنعود الى البيت . يمكننا ان نؤجل الامر الى غد .

ذلك كان شعور معظمهم . وقلة فقط هي التي ارادت التثبث بمكانها ، ولكن لم يكن عددها كافيا لجعل هذا الرأي هو المنتصر .

وبدأ الطلبة المائتان يغادرون الميدان .

وراحت قطرات المطر الكبيرة تفرعهم بلا رحمة ، ضاربة رؤوسهم واجسامهم بعنف ، كأنما تتعمد ترك انطباع في ذاكرتهم يتعذر محوه .

٩

نظرا الى ان الوعد بارسال ممثل عن الحاكم لزيارة الطلاب الجرحى لم ينجز ، فقد توقف الطلاب في جميع المدارس عن الدراسة بعد يومين من ذلك التاريخ . ولكن هذا كان بالفعل مجرد ايماءة حيث ان معظم المدارس كانت قد اغلقت ابوابها

بسبب العطلة الشتوية :

وفي اليوم الثاني من الاضراب ، وتحت الحاح مدرسة اللغات الاجنبية ومدرسة المعلمين العليا اصدر اتحاد الطلبة بلاغا رسميا بالاضراب ، تضمن بضع ملاحظات فيها اساءة الى الحاكم . وتبع ذلك عدة ايام من الارهاب . وتكررت الصدامات بين الجنود والطلبة ؛ تخوف معها المواطنون كثيرا من ان يتحول الجنود ثانية الى عصابات غير منضبطة . ولم يعد الطلاب يجروون على الظهور في الشوارع وحيدين ، بل كانوا يمشون في مجموعات منظمة تتألف من خمسة او ستة طلاب . فقد تعرض احد الطلاب لضرب مبرح من ثلاثة جنود عند الغسق بالقرب من البوابة الجنوبية للمدينة ، بينما وقف شرطي ينظر من الناحية الاخرى ، وهو لا يجرؤ على التدخل .

وسادت الفوضى كل مكان ، الا ان السلطات تجاهلت ذلك وبدا الحاكم انه نسي الطلاب تماما ، ربما لأنه كان منهمكا في الاستعدادات للاحتفال بعيد ميلاد امه . واخذت تزايد عجرفة الجنود ، ولاسيما الجرحى المسرحين منهم . ولما كان هؤلاء ” الجنود القداماء الجرحى ” قد تركوا شأنهم دونما ضبط البتة ، فقد راحوا يعيشون في الشوارع فسادا كما يحلو لهم . ولم يجرؤ احد على التدخل .

ولكن الطلاب لم يكن من السهل التمر عليهم الى هذا الحد . فقد شنوا ” حملة دفاعية للحفاظ على كرامة الطلاب ” ، كما اخذوا يوزعون المنشورات ويلقون الخطابات . واطهر

اتحاد الطلبة نشاطه في النضال فأرسل برقيات الى قيادات المنظمات الاجتماعية في كافة انحاء البلاد طلبا للدعم والتأييد ، كما ارسل ممثلين الى المدن الاخرى لشرح وضع الطلاب ؛ واهم شيء في ذلك انه استفاد من التنسيق مع اتحادات الطلاب الاخرى. فأخذت هذه الحملة تتسع يوما بعد يوم . ولكن مع ذلك لم يظهر ما يشير الى اى تصرف يقوم به الحاكم .

وكان جيويه هوى في هذا كله اكثر نشاطا من جيويه مين الذي كان منهمكا في مساعدة تشين على مراجعة دروس الانكليزية فلم يكن شديد الاهتمام بأى شيء آخر . وبعد ظهر احد الايام استدعى جيويه هوى الى غرفة جده ، لدى عودته من اجتماع لاتحاد الطلبة .

كان العجوز الذي تجاوز الستين من عمره يضطجع في كرسي خيزراني ، وقد بدا جسمه لعيني جيويه هوى طويلا جدا . وكانت تعلق وجهه الطويل صفرة قائمة ويتدلى على فمه شاربان قد غزاها الشيب ، كما كان يحيط برأسه الاصلع اللامع هدايب شعر رمادي . وفيما كان هذا السيد المبجل قاو يستلقى على كرسيه مغمض العينين اخذه نوم خفيف فراح يشخر شخيرا خفيفا .

وقف جيويه هوى امام جده مخلوع الفؤاد ، خائفا من ايقاظه وغير متجرئ على المغادرة . كان جيويه هوى في البداية مضطربا ، وقد شعر بأن جو الغرفة بكامله يكاد يخنقه . ووقف صامتا ، آملا ان يستيقظ جده في الحال حتى يستطيع

المغادرة بسرعة . ولكن شيئا فشيئا تلاشى خوفه ، وراح يحدق باهتمام الى وجه العجوز القاتم ورأسه الاصلع .

ومنذ بدأ جيويه هوى يتذكر اخذت ترسم في ذهنه صورة جد صارم . رجل عنيف بغيض ، يخافه الجميع ويهابونه . نادرا ما كان جيويه هوى يتبادل بضع كلمات مع جده . وباستثناء مرتين في اليوم ، الاولى في الصباح والثانية في المساء ، حيث يقوم بالزيارة الرسمية القصيرة لاداء التحية ، كانت فرصة احتكاك جيويه هوى بجده ضئيلة جدا . فقد كان يحرص على تجنبه قدر الامكان لأنه دائما ما يشعر بالارتباك والرهبة في حضرته . لقد بدا له هذا العجوز شخصا خلوا من اية عاطفة .

في تلك اللحظة بدا جده المستلقى على الكرسي الخيزراني في ضعف مرهقا . وفكر جيويه هوى : من المحتمل الا يكون جده دائما عجوزا عنيدا سريع الغضب الى حد كبير . وتذكر ان الكثير من قصائد جده قد اهديت الى بنات الليل . وتخيل جيويه هوى كيف يحتمل ان يكون شكل جده في شبابه ، فابتسم . لا بد انه كان من نوع انيق حينذاك ؛ وفيما بعد فقط اتخذ مظهره الديني . . . طبعا كان ذلك قبل ثلاثين سنة . ومع تقدمه في السن تحول الى شخص عنيد متمسك بما يسمى الفضيلة والبر والاستقامة . . .

وحتى الآن ما يزال جده يلهو مع الذين يمثلون دور النساء الشابات في الاوبرا . وقد دعا هذا العجوز ذات مرة واحدا منهم الى بيته والتقط معه صورة . وقد لبس الممثل بذلته المسرحية

لتلك المناسبة . وتذكر جيويه هوى يوم رأى هذا الممثل وهو يضع المسحوق على وجهه في غرفة الضيوف ويضع على رأسه كذلك شعر امرأة مستعارا .

وطبعا لم ينظر احد في تشغدهو نظرة استنكار الى هذا التصرف . ومنذ وقت غير طويل قام بضعة محافظين كانوا موظفين تحت سلطة اسرة تشينغ المخلوعة - وكانوا من اعمدة جمعية المذاهب الكونفوشية ، بإبراز نأ في الصحافة المحلية يلفت الانظار ، اذ نشروا قائمة بأسماء الذين اعتبروهم من " افضل " ممثلي دور الاناث في الاوبرا . ورعاية هؤلاء الممثلين قد اعتبرت علامة من علامات " التهذيب " المزعوم . وجد جيويه هوى لم يستطع بوصفه سيدا معروفا من خلال نشر المجموعات المتعددة من قصائده وبوصفه خبيرا في الكتب القديمة والرسوم ، ان يخالف هذا السلوك السائد .

ولكن كيف يمكنك بعد ذلك ان توفق بين هذا " التهذيب " والدفاع عن " المذاهب الكونفوشية " ؟ لم يستطع جيويه هوى ان يفهم ذلك .

كان لجدته حظية - السيدة تشن ، وهي امرأة شديدة التزين ، تفوح منها دائما رائحة العطر ، وتتكلف التبسم عندما تتكلم . ولم يكن عندها ادنى حد من الجاذبية ، ولكن العجوز الذى اشتراها بعد موت زوجته يبدو انه يحبها . لقد مضى على عيشهما سويا ما يقارب عشر سنوات . ولقد ولدت له طفلا ، ولكنه مرض ومات وهو في الخامسة من عمره . . .

ولدى مقارنة جيويه هوى ذوق جده الرُفيع فى الكتب
والرسوم بولعه بهذه المرأة الخشنة لا يملك نفسه عن الضحك .
وقال فى نفسه متأملا : من المؤكد ان الناس متناقضون
مع انفسهم . وكلما امعن التفكير فى ذلك ، قلت قدرته على
فهم هذا العجوز . لقد بدا له جده سرا لا يسبر غوره .
وفجأة فتح العجوز عينيه . فحدق الى جيويه هوى فى
دهشة ، كأنما لم يعرفه ، واثار له بمغادرة الغرفة . يا للغرابة !
هل استدعاه جده وتركه يقف كل هذا الوقت ليصرفه بعد ذلك
دون اية كلمة ؟ واوشك جيويه هوى على سؤاله ، ولكنه غير
رأيه عندما رأى علائم الغضب على وجهه . ومشى نحو الباب ،
فاذا بجده يناديه :

— تعال الى هنا . عندى شىء سأقوله لك :

فاستدار جيويه هوى وعاد اليه .

وسأله العجوز بصوت جاف عنيف ، وقد استوى فى جلسته :

— اين كنت ؟ لقد بحثنا عنك فى كل مكان .

جاءه السؤال مفاجئا . لقد ادرك انه لا يستطيع القول انه
كان فى اجتماع لاتحاد الطلبة ، ولكن سرعة بديهته خانته هذه
اللحظة فعجز عن ايجاد جواب . كانت عينا جده الضاريتان
تفحصانه بدقة ، واحس بوجهه يحمر . واخيرا احتال للامر
بعد شىء من التردد ، فقال :

— ذهبت لزيارة احد زملاء صفى :

فضحك العجوز فى برود . ومسحت عيناه وجه جيويه

هوى ، وقال بحدة :

– لا تكذب ، اعرف كل شيء عنك . لقد اخبرني الناس .
الطلاب والجنود قد تعاركوا في الايام القليلة الماضية ، وانت
كنت في ذلك العراك . . . المدرسة مغلقة ، ولكنك تخرج
كل يوم الى اتحاد الطلبة او غيره . . . والسيدة تشن اخبرتنى
منذ لحظة بأنها سمعت من احد حاملي محفتى انه رآك توزع
منشورات في الشارع . . .

كنتم وما تزالون معشر الطلاب في غاية الطيش والتهور –
تفتشون المخازن بحثا عن البضائع اليابانية ، وتقبضون على
التجار وتعرضونهم في الشوارع – دون ادنى تقيد بالقوانين !
فالجنود مصيبون تماما عندما يضربونكم . لماذا تغيظونهم
بسخافات كهذه ؟ . . . سمعت ان السلطات ستتخذ اجراءات
مشددة ضد الطلبة . فاذا بقيت تعيث فسادا هكذا فستعرض
حياتك السخيفة اليافعة للضياع !

كان العجوز يتوقف بعد كل بضع جمل ويسعل . ولكن
كلما حاول جيويه هوى ان يجيب ، كان العجوز يستمر في
محاضرتة . وها هو ذا الآن ينهى ملاحظاته بنوبة حادة من
السعال . فأسرعت السيدة تشن داخلة من الغرفة التالية لتدق
على ظهره بقبضتها دقات خفيفة .

وهذا سعال الجدد ببطء ، ولكن غضبه اثير مرة ثانية عندما
رأى جيويه هوى لا يزال واقفا امامه .

– انكم معشر الطلاب لا تدرسون ، لاهم لكم الا اثاره

المتاعب . المدارس في حالة مريضة . انها لا تنتج الا المشاغبين :
لم تكن عندي رغبة في ذهابكم الى المدرسة السابقة . المدارس
تجعلكم جميعا تفسدون . انظر الى عمك كه دينغ . انه لم
يدخل المدرسة ابدا ، فقد اكتفى بالدراسة في البيت مع مدرس
خاص . ولكنه يستوعب الادب القديم جيدا ، كما ان خطه
اجمل من خط اي منكم .

فأجاب جيوبه هوى بهدوء كاظما غيظه :

– لسنا نحن الذين نثير المتاعب . كان كل تركيزنا
منصبا على دراستنا على نحو دائم . ولم نبدأ حملتنا هذه الا
دفاعا عن النفس . فالجنود هاجمونا دونما سبب اطلاقا . وطبعا
لم نستطع تركهم يفعلون ذلك من غير عقاب .

– كيف تجرؤ على المجادلة . عندما اتكلم ، عليك ان
تصفي ! . . . من الآن فصاعدا امنعك من الخروج للعراك ! . . .
يا سيدة تشن استدعى اخاه الكبير .

تكلم العجوز بصوت مرتجف ، وقد عاوده السعال مرة
اخرى . وراح يلهث متنفسا انفاسا طويلة مرتجفة .

فقالت السيدة تشن بصوت خشن مهيج ، وقد قتم وجهها
وزاد العبوس من طولها :

– ايها السيد الثالث ، انظر الى الحالة التي سببتها لجدك !
ارجوك توقف عن مجادلته ودعه يستريح قليلا .

ومع انه قد لسع بمضمون كلامها الجائر هذا ، الا انه
لم يجد بدا في حضرة جده الذي ما يزال يسعل من ان يكبح

رده ويخفض رأسه في صمت ، عاضا شفثيه :
وقال العجوز بصوت اهدأ ، وقد توقف عن السعال . :

— استدعى اخاه وعمه كه مينغ يا سيدة تشن .
فخرجت السيدة تشن ، تاركة جيويه هوى يقف وحيدا
امام جده . ولم يتكلم العجوز ، بل اخذت عيناه الضعيفتان
تحديقان في انحاء الغرفة الى غير ما هدف . ثم ما لبث ان اغمضهما
ثانية .

حدق جيويه هوى الى جده في عناد . وتملى جسمه النحيف
الطويل . فخطرت له فكرة غريبة . لقد بدا له ان هذا الشخص
المستلقى في الكرسي الخيزراني ليس جده بل ممثلا لجيل
بأكمله . وادرك ان هذا العجوز وهو نفسه — ممثل جيل الاحفاد —
لم يلتقيا في وجهة نظر واحدة اطلاقا . وتساءل ما الذى يمكن
ان يكون مستقرا في هذا الجسم الطويل النحيف مما جعل كل
محادثة بينهما تبدو اقرب الى مقايضة بين عدوين منها الى حديث
بين جد وحفيده . وبكل كآبة وغم انتفض جيويه هوى
متحديا .

واخيرا عادت السيدة تشن وعلى وجهها المغمور بالمساحيق
ابتسامة ماكرة . ورأى جيويه هوى وجنتيها البارزتين وشفثيها
الهزيلتين وحاجبيها المخطوطين بقلم فاحم . ثم زكم انفه برائحة
عطرها المزعجة . وبعد ذلك دخل جيويه شين ، وتبادل الشقيقان
نظرات كثية . وادرك جيويه شين في الحال ان شقيقه في شبه
ورطة ، ولكنه اقترب من الجد بهدوء .

وعلى صوت وقع الخطوات فتح العجوز عينيه ، فسأل
السيدة تشن :

— اين السيد الثالث كه مينغ ؟

فأجابت :

— لقد ذهب الى مكتبه القانونى :

فقال العجوز مغتاظا :

— يهتم بمعالجة دعاوى الناس اكثر من اهتمامه بشؤون
اسرته !

ثم التفت الى جيويه شين وقال :

— اننى اعهد اليك بشقيقك الاصغر جيويه هوى : اعتن
به جيدا ، ولا تسمح له بمغادرة المربع السكنى . واننى اعتبرك
مسؤولا .

وعلى الرغم من ان صوته كان ما يزال صارما ، الا انه
كان اكثر اعتدالا منه قبل بضع دقائق .

فدمدم جيويه شين بالموافقة بكل احترام بينما القى نظرة
الى شقيقه مشيرا اليه بوجوب عدم المجادلة . وكان وجه الولد
الاصغر خلوا من اى تعبير .

وبعد لحظة صمت قال العجوز بفتور :

— حسنا ، خذه معك . لقد سبب لى ما يكفى من الصداع .
ثم اغمض عينيه .

ومرة ثانية تمتم جيويه شين بالاذعان . وبشارة الى جيويه
هوى خرج الشقيقان من الغرفة فى هدوء .

وبعد ان اجتازا القاعة الكبيرة دخلا الفناء . فأخذ جيويه
هوى نفسا عميقا ثم قال بسخرية :

– الآن اشعر اننى سيد نفسى .

فنظر اليه جيويه شين نظرة تأنيب ، ولكنه لم يتبته لها .
وفجأة سأل جيويه هوى فى جدية :

– حسنا ايها الاخ الكبير ، ما رأيك فى ذلك ؟

فقال جيويه شين ناشرا يديه فى عجز :

– ماذا يمكننا ان نفعل غير ذلك ؟ سنضطر الى تنفيذ

أوامر الجد .

فصاح جيويه هوى مذعورا ، وقد بدأ يدرك ان الامر

جدى :

– ولكن حملة طلابنا فى اوجها . كيف يمكننى ان اقبع

فى البيت ساكنا فى وقت كهذا ؟

فقال جيويه شين وهو فى غاية الهدوء ، اذ كان يرفض

فى الآونة الاخيرة ان يثار بأى شىء كبيرا كان ام صغيرا :

– هذا ما يريدك السيد العجوز . ماذا بوسعنا ان نفعل ؟

فقال جيويه هوى بحدة تاركا كل ما عنده من انفعال

اثارته فى نفسه اساءة جده له يخرج دفعة واحدة فى وجه جيويه

شين :

– تعود ثانية الى سياستك ” سياسة عدم المقاومة “ .

لماذا لا تصبح مسيحيا طيعا وادعا؟ عندما يضربك احد على

خدك الايسر تعرض له الايمن .



” حسنا ، خذہ معك . لقد سبب لی
ما یکفی من الصداع . “

فأجاب جيويه شين بابتسامة هادئة :

— انك سريع الالتهياج . لماذا تغضب منى ؟ وما فائدة هذا الغضب ؟

فقال جيويه هوى ضاربا الارض بقدمه فى غضب شديد :

— اننى اصبر على الخروج ! وسأغادر هذا المكان الآن !

ولتر ماذا بوسعه ان يفعل ازاء ذلك !

فقال جيويه شين فى نبرة كئيبة ، وبدا وكأنه يتكلم مع

نفسه اكثر مما هو يتكلم لىسمع الآخرين :

— كل ما سيحدث هو اننى سيهزأ بى وأعرض لمزيد من

التوبيخ العنيف .

فحدق اليه جيويه هوى فى صمت .

واندفع جيويه شين يقول ، انما بصوت هادئ :

— دعنا نتكلم بصراحة . آمل ان تبقى فى البيت بضعة

ايام ولا تغضب الجد . . . ما تزال صغيرا وطائشا . عندما يتحدث

الجد معك عليك ان تصغى . فقط دعه يتكلم . وبعد ان ينتهى

ويهدأ قليلا قل ” نعم ” مرتين متتابعتين واخرج . ومن ثم

انس الموضوع بكامله ، فهذه الطريقة اسهل بكثير . ان الجدل

معه لن يجديك نفعا .

ولم يجب جيويه هوى ، بل رفع رأسه ونظر الى السماء

الرمادية . انه لم يوافق على رأى اخيه اطلاقا ، الا انه لم يرغب

فى مناقشته . ثم هناك شىء معقول فى ما قاله جيويه شين .

ما الفائدة من هدر الطاقة على امر لا جدوى منه ؟ ولكن

انى لعقله الصغير ان يظل الى الابد يوازن بين الامور التى تتحمل
الربح او الخسارة ؟ من الواضح ان الاخ الكبير لم يفهمه .
وتألم جيويه هوى لرؤية الغيوم وهى تمر به . وتنازعت
الرغبات المتضاربة . ولكنه فى النهاية اتخذ قراره ، فقال لأخيه :
- لن اخرج من البيت خلال بضعة ايام ، لا لأننى اريد
اطاعة الجد ، بل لأنقذك من المتاعب .

فقال جيويه شين وعلى وجهه ابتسامة اطمئنان :

- شكرا جزيلا . طبعاً اذا اردت ان تخرج ، فليس
بوسعى ان امنعك . اننى فى المكتب طوال اليوم عادة . وانها
لمجرد مصادفة اننى جئت الى البيت باكراً هذا اليوم فاصطدمت
بمشكلتك هذه . واذا تكلمنا بتجرد ، فان الجد يريدك ان تبقى
فى البيت حرصاً على مصلحتك .

فأجاب جيويه هوى على نحو آلى :

- اعرف ذلك .

ثم وقف فى الفناء ينظر الى جيويه شين وهو ينصرف ، ثم
اخذ يحرق بفتور الى اصص الازهار المصفوفة على طول الممر .
كان ما يزال هناك قليل من الازهار على اشجار البرقوق ،
ولقد وصل شذاها الى انفه . فقطع غصنا صغيراً وكسره الى عدة
اجزاء ، ثم قطف ما كان عليه من ازهار وفركها بين راحتيه
جاعلاً منها عجينة ندية . فأصبحت يدها المبقعتان باللون الاصفر
مبللتين بالعطر .

واراحه الى حد ما هذا التصرف التخريبي . فما اروع

ان تصبح يداه يوما ما اكبر مما هما عليه الآن ليستطيع تحطيم
النظام القديم بينهما بنفس الطريقة !
ثم ما لبث ان تغير مزاجه واصبح حزينا . انه لم يعد يستطيع
الاسهام فى الحركة الطلابية .
وراح يتمتم : ” تناقضات ، تناقضات “ وادرك ان التناقضات
ليست فقط لدى جده ، او لدى اخيه ، بل هناك تناقضات
ايضا داخل نفسه .

١٠

يمكنك ان تسجن المرء جسميا ، ولكنك لا تستطيع ان
تسجن قلبه . فمع ان جيويه هوى لم يغادر البيت بضعة ايام
تلت ، الا ان افكاره ظلت سارحة مع زملاء مدرسته ونضالهم .
وهذا كان شيئا لم يستطع جده التنبأ به .
وحاول جيويه هوى ان يتخيل الى اى مرحلة وصلت الحركة
الطلابية ، وراح يقرأ الصحف المحلية بنهم ليطلع على اخبارها .
ومن سوء الحظ ان الاخبار فيها كانت ضئيلة جدا . واستطاع
ان يظفر بنشرة تنسخ اسبوعيا ، ويصدرها اتحاد الطلبة ، وقد
تضمنت قدرا كبيرا من الاخبار الجيدة وعددا من المقالات
المثيرة . وبالتدريج اخذ التوتر يهدأ ، وبالتدريج اخذ الحاكم
يلين . واخيرا ارسل الحاكم رئيس القسم لزيارة الطلاب الجرحى

في الاضطرابات ، كما اصدر بلاغين استرضائيين . واكثر من هذا انه جعل سكرتيره يكتب رسالة باسمه يعتذر فيها من اتحاد الطلبة ويتعهد بضمان امن الطلاب في المستقبل .

وبعد ذلك نشرت الصحيفة المحلية امرا صادرا عن قائد حامية المدينة يحظر على الجنود ضرب الطلاب . وقيل ان الجنديين اللذين اعترفا باشتراكهما في القتال الذي نشب في المسرح قد عوقبا معاقبة شديدة . ولقد رأى جيويه مين البلاغ الذي علق في الشوارع واخبر جيويه هوى به .

ومع تحسن الاخبار يوما بعد يوم اخذ جيويه هوى ، السجين في بيته ، يزداد ضجرا . فكان يذرع غرفته وحيدا جيئة وذهابا ، مضطربا في بعض الاحيان حتى لا يقوى على القراءة ، او انه يتمدد على سريره ويحدق الى الظلة فوقه .

ثم يزفر في استياء شديد : ” بيت . بيت . بيت جميل ! “
ويسمعه جيويه مين ، فيبتسم ولا يقول شيئا .

وفي احدى تلك المناسبات قال جيويه هوى مغتاظا :

— يا لها من مهزلة ! انك تخرج كل يوم ، طلبقا كطائر !
ولكن ترقب ، فذات يوم تنتهي انت نفسك الى مثل نهايتي !
فرد عليه جيويه مين مبتسما :

— ولكن ما يزعجك في تبسمي ؟ ألا يمكنني حتى ان

ابتسم ؟

— لا ، لا يمكنك . لن ادعك تبتم ! لن ادع احدا

يبتم !

فأطبق جيويه مين الكتاب الذى كان يقرأه ثم خرج من
الغرفة بهدوء ، غير راغب فى المجادلة .

وصاح جيويه هوى وهو يذرع ارض الغرفة :

— بيت ، بيت رائع ! قفص ضيق ، هذا هو البيت !

سأخرج . يجب ان اخرج . ولأر ماذا سيفعلون !
ثم اندفع خارجا من الغرفة .

ولدى هبوطه السلم الى الفناء لمح السيدة تشن وزوجة
عمه الخامس كه دينغ تجلسان على الشرفة خارج غرفة جده ،
فقام بالتفاف حول مسكن اخيه جيويه شين ثم دخل الحديقة
الكبيرة .

وبعد اجتيازه ”بوابة القمر“ وصل الى تلة اصطناعية .
وكان الممر المرصوف بالحصى يتشعب عند هذه النقطة الى
اتجاهين . فاختار الاتجاه الايسر الذى يصعد به الى اعلى
المنحدر . وكان هذا الممر الضيق المتعرج يقود الى نفق .
وعندما ظهر جيويه هوى ثانية على الجانب الآخر من النفق
بدأ الممر فى الانحدار . وعقب فى انفه عبير ذكى ، فاندفع
فى الاتجاه الذى بدا ان هذا الشذا ينبعث منه . ولدى نزوله
بين الشجيرات ببطء اكتشف ممرا آخر صغيرا الى اليسار .
وفيما كان يتجه الى هذا الممر ، اتسع المنظر امامه فجأة ورأى
امتدادا واسعا من الازهار القرنفلية . والى الاسفل كانت هناك
ايكة برقوق اغصانها محملة بالازهار . فدخل الايكة يخطو
فوق الارض المغطاة بالبتلات ، منحيا من طريقه الاغصان

وعلى البعد لمح شيئا ازرق يومض وسط سديم ازهار البرقوق .
فلما دنا رأى ان هذا شخص يلبس ثيابا زرقاء قادم في اتجاهه
فوق الجسر الحجري المتعرج . انها فتاة تتدلى ضفيرتها الطويلة
الى اسفل ظهرها . وعرف جيويه هوى انها الجارية مينغ فنغ .
وقبل ان يتمكن من مناداتها دخلت المقصورة القائمة في
الجزيرة الصغيرة في منتصف البحيرة . فانتظرها حتى تظهر على
الجانب القريب . ولكن مضت عدة دقائق دون ان يظهر لها
اثر . واحترار جيويه هوى في امره . واخيرا ظهرت ، ولكنها
لم تكن وحيدة ، بل كانت معها فتاة اخرى ترتدى سترة ارجوانية
قصيرة . وكانت هذه الفتاة الطويلة تتحدث مع مينغ فنغ مولية
اياها ظهرها ، لذلك لم يستطع رؤية وجهها ، ولم ير غير
ضفيرتها . ولكن عندما اقتربتا مرتين فوق الجسر المتعرج من
جانب الجزيرة القريب تمكن من النظر اليها . انها تشيان ار ،
جارية لدى اسرة عمه الرابع كه آن .

وعندما دنت الفتاتان من شاطئ البحيرة اختفى جيويه
هوى بين اشجار البرقوق . وسمع مينغ فنغ تقول بصوت رنان :
- انت عودى اولا . لا تنتظريني . فأنا يجب ان اجمع
بعض الازهار لمدام تشو .

- حسنا . ان سيدتى مدام وانغ ثرثرة كبيرة . اذا بقيت
في الخارج وقتا طويلا ، فانها ستندم على متذمرة عدة ساعات .
ثم غادرت مجتازة ايكة البرقوق ، وراحت تمشى على

طول الممر الذى جاء فيه جيويه هوى قبل لحظة :
وحالما اختفت تشيان ار حول منعطف خطا جيويه هوى
خارجا ومشى نحو مينغ فنغ التى كانت تقوم بقطع غصن
متدل . ثم هتف مبتسما :

— ماذا تفعلين يا مينغ فنغ ؟

كانت مينغ فنغ منهمكة فى مهمتها فلم تره وهو يقترب ،
لذلك استدارت مجفلة لدى سماعها صوته . وعندما عرفته ضحكت
ضحكة اطمئنان وقالت :

— لم استطع تخيل صاحب الصوت . هذا انت اذن ،
السيد جيويه هوى !

ثم استأنفت تقطع الغصن .

— من طلب منك ان تجمعي الازهار فى هذه الساعة من
النهار ؟ ألا تعرفين ان الفجر هو افضل وقت لقطع الازهار ؟
— مدام تشو قالت ان السيدة تشانغ تريد بعض الازهار .
والسيد جيويه مين هو الذى سيوصل هذه الازهار .

قالت مينغ فنغ ذلك ، وهى تتناول نحو غصن محمل
بالازهار ، الا انها لم تستطع وصوله على الرغم من وقوفها على
رؤوس اصابع قدميها .

فقال لها مبتسما ابتسامة عريضة :

— انا سأقطع لك الازهار . انك ما تزالين قصيرة جدا :
بعد سنة اخرى او نحو ذلك ستمكين من القيام بذلك .

فقال مفسحة له المجال :

— حسنا ، اجمعها انت لى اذا سمحت . ولكن لا تدع المدام تعرف ذلك .

وامسك بالغصن ولواه مرتين يمنا ويسرة ، فانقطع ، ثم سلمه اليها قائلا :

— لماذا انت خائفة جدا من مدام تشو ؟ انها ليست شديدة الى هذا الحد . هل وبختك مؤخرا ؟

فأجابته بصوت منخفض وهى تتناول الغصن :

— لا ، انها نادرا ما توبخنى . ولكننى دائما خائفة من ان ارتكب خطأ .

فقال ضاحكا ، ولكن غير قاصد سخرية منها :

— هذا يسمى — ” من صار عبدا مرة ظل عبدا دائما ! “

فدفنت البنت وجهها فى الازهار التى كانت تحملها .

وقال جيويه هوى فى ابتهاج :

— انظرى ، هنالك غصن جيد .

فرفعت رأسها وابتسمت قائلة :

— اين ؟

فقال مشيرا الى غصن مجاور ، بينما حدثت هى فى

اتجاه اصبعه :

— ألا تريه ؟ هناك .

— آه ، بلى ، ان ازهاره جميلة ، ولكنه عال جدا .

فقال وهو يقيس الشجرة بعينه :

— عال ؟ انا سأندبر ذلك . سأتسلق الشجرة واقطع الغصن .

وبدأ يفك ازرار جلبابه المحشو بالقطن . فقالت :

— لا ، لا تفعل . اذا وقعت فستؤذى نفسك .

فقال :

— لا بأس :

ثم علق ثوبه على غصن شجرة اخرى . وكان يلبس تحت الثوب صدرية خضراء محشوة بالقطن وملائمة لجسمه تماما . وعندما بدأ تسلق الشجرة قال لها :

— انت قفى هنا وامسكى جذع الشجرة بقوة :

ووضع قدميه على غصنين قويين ، ثم مد يده نحو الغصن المحمل بالازهار . ولكنه لم يصله ، واهترت الشجرة بكاملها تحت تأثير جهده ممطرة وابلا من البتلات .

فصاحت مينغ فنج :

— كن حذرا ، ايها السيد الثالث ، كن حذرا !

فأجابها قائلا :

— لا تقلقى !

وبكل حذر تدبر لنفسه وضعية اخرى ، تمكن معها من امسك ذلك الغصن المتملص . ويضع ليات قطعه . ثم نظر الى الاسفل ورأى وجه الفتاة المضطرب ، فقال :

— امسكى يا مينغ فنج !

ورمى لها الغصن . وعندما وصل يدها بأمان نزل عن الشجرة ببطء .

وقالت مينغ فنج بسرور :

– يكفى ، لقد اصبح لدى ثلاثة الآن ؛ هذا كثير .
– فعلا . اية زيادة تجعل السيد جيويه مين غير قادر
على حملها جميعا .

ثم ضحك ، وقال وهو يتناول ثوبه :

– هل رأيته هنا او هناك ؟

فأجابت وهي ترتب الازهار فى يدها :

– انه يقرأ عند بركة السمك بصوت مرتفع . لقد سمعت
صوته .

ولما لاحظت انه قد اكتفى بالقاء الثوب على كتفيه حثه
قائلة :

– البسه . هكذا ستصاب ببرد .

وفيما كان جيويه هوى يدخل ذراعيه فى الكمين استدارت

البنث وراحت تمشى على طول الممر ، فنادها :

– مينغ فنج !

فوقفت واستدارت نحوه ، ثم سأله مبتسمة :

– ماذا ؟

وعندما لم يجب واكتفى بالوقوف مبتسما لها ، استدارت

ثانية ومشت .

فتبعها بسرعة وهو يهتف باسمها . فتوقفت ثانية واستدارت

قائلة :

– نعم ؟

فقال لها متوسلا :

– تعالى الى هنا !

فمشت نحوه .

وسألها في شيء من الدعابة وهو يعبث بغصن متدل :

– يبدو انك قد اصبحت تخشينني في الآونة الاخيرة .

انك لا تريدني حتى ان تتكلمى معى . فما السبب ؟

فأجابت وصوتها يجلجل بالضحك :

– من الخائف منك ؟ اننى مشغولة من الصباح حتى

المساء . فليس عندى وقت للتحدث .

ثم استدارت لتغادر . فمد يده محتجزا اياها عن المغادرة

وقال :

– حقا . انك خائفة منى . اذا كنت مشغولة الى هذا

الحد ، فكيف لديك وقت للعب مع تشان ار ؟ لقد رأيتكما

في مقصورة الجزيرة قبل لحظة .

فأجابت في فتور :

– اى حق يخولنى التحدث معك . انت سيد ، وانا مجرد

جارية .

فأجابها بحرارة :

– ولكننا اعتدنا في السابق ان نلعب سويا طيلة الوقت .

فلماذا ينبغي ان يكون هناك اختلاف الآن ؟

مسحت الفتاة وجهه بعينيها البراقتين وابتسمت مكرهة .

ثم اطرقت برأسها واجابت بصوت منخفض :

– ليس الوضع الآن هو نفسه سابقا . فكلانا قد كبر .

— وای اختلاف فی ذلك ؟ ان قلبنا لم یصبحا سیثین .
— الناس سیثرثرون اذا بقینا مع بعضنا دائما . وحولنا کثیر
من الثرثرین . ولس ذلك مهما بالنسبة لی ، فقد قدر علی
ان اکون مجرد جاریة تافهة عدیمة الشأن ! اما انت فیجب
ان تكون حذرا . ولا بد من ان تحفظ هیتک بوصفک واحدا
من السادة .

كانت مینغ فنع ما تزال تتکلم بهدوء ، ولكن صوتها كان
مشوبا بشيء من المرارة .

— لا تغادری . لنذهب هنالك ، سنجد مكانا نجلس
فیه وتحدث حدیثا طویلا . انا سأخذ الازهار .

واخذ الازهار من بین یدیها دون ان ینتظر جوابا . ثم نظر
الی الاغصان نظرة فاحصة واقتطع منها املودین او ثلاثة امالید ،
ثم رمى بها بعیدا .

وانطلق علی طول ممر صغیر بین ایكة البرقوق وحافة البحیرة .
وتبعته هی فی صمت . ومن حین لآخر راح یلتفت الیها لیسألها
سؤالا ، فتجیب بایجاز ، او ترد بمجرد ابتسامة .

وبعد خروجهما من الایكة عبرا حوض ازهار مستطیل ،
ومن ثم ولجا بوابة صغیرة . ووراءها بعشر خطوات كان هناك
نفق مظلم ، الا انه مستقیم و غیر طویل . وفی داخله یمکنک
ان تسمع خریر مياة الجداول . وعند الطرف الآخر من النفق
یتجه الممر صعودا . فرقیبا اکثر من عشرين درجة ، وانعطفنا
بضع عطفات اخرى ، واخیرا وصلا القمة .



قال جيويه هوى : " حقا ، انك خاتمة منى . "

١٠٠

١٠٠

كان في وسط هذه القمة الصغيرة المفروشة بالحصى مائدة حجرية صغيرة ، وعند كل جانب من جوانبها الاربعة مقعد حجرى مستدير . وانتصبت بجانب جلمود صخرى كبير شجرة صنوبر تنشر اغصانها على شكل ظلة واقية فوق المائدة . ولم يخترق سكون ذلك المكان الا خرير مياه تنساب من مكان ما تحت الصخور .

قال جيويه هوى :

— يا له من مكان هادئ !

ثم وضع الازهار على المائدة الحجرية ، ومسح الغبار عن احد المقاعد الحجرية وجلس . وجلست مينغ فنج مقابله . ولم يستطيعا رؤية بعضهما بعضا بوضوح بسبب الازهار المكومة بينهما على المائدة الصغيرة .

فنقل جيويه هوى هذه الاغصان الى المقعد القائم الى اليمين وهو يضحك . ثم قال لها مشيرا الى المقعد الذى على يساره :

— اجلسى هنا . لماذا انت خائفة من ان تكونى قريبة

منى .

فانتقلت بصمت الى المكان الذى اشار اليه .

وراح كل منهما ينظر فى وجه الآخر ، تاركين عيونهما تتكلم ، تقول الاشياء الكثيرة التى تعجز الكلمات عن التعبير عنها .

وما لبثت مينغ فنج ان نهضت قائلة :

– يجب ان اذهب . لا استطيع ان امكث في الحديقة
طويلا . ستوبخني المدام اذا اكتشفت انني هنا .
فسحبها من ذراعها الى المقعد ثانية وهو يقول :
– ليس مهما . لن نقول شيئا . لا تذهبي ، فنحن جئنا
منذ لحظة . ولم نتكلم بعد مطلقا . لن ادعك تذهبين !
وانكمشت على نفسها قليلا ازاء لمسته ، ولكنها لم تبد
تمنعا اكثر من ذلك . فقال متظاهرا بأنه شديد الاكتئاب :
– لماذا لم نقولي شيئا ؟ لا احد يستطيع ان يسمعنا . ألم
تعودي تحبينني ؟

وظلت الفتاة صامتا ، كأنها لم تسمعه .
فقال بفتور كأنه غير مهتم بمصيرها مطلقا ، بينما كان
في الواقع يراقب رد فعلها بدقة :
– من المحتمل ان تكوني متعبة من العمل لدى اسرتنا .
سأخبر المدام بأنك قد اصبحت كبيرة ، وسأطلب منها ان
تصرفك .

فشحب وجهها ، وزايل البريق عينيها . وارتجفت شفتاها
قليلا . ولكنها لم تنفوها بكلمة . كانت عيناها تتلألآن كالزجاج ،
واهدابها ترتعش . واخيرا سألته والدموع تتحدر على وجنتيها :
– أتعنى ما قلت ؟

وادرك جيويه هوى انه ضايقها اكثر مما ينبغي ، فهو لم
يقصد ابداءها . بل اراد فقط ان يختبرها ويرد على فتورها . لم
يخطر في ذهنه ان كلماته ستسبب لها كل هذا الالم . ولذلك

كان راضيا وآسفا في آن واحد ازاء نتائج تجربته . ثم قال ضاحكا :

— اننى امزح فقط . ينبغي لك الا تظنى بأننى سأصرفك حقا ، أليس كذلك ؟

ولكن ضحكه كبت لشدة تأثره بعاطفتها .
فقالت منتحبة :

— من يدري ان كنت ستفعل ذلك ام لا ؟ فأنتم معشر السادة والسيدات كثير والتقلب كالرياح . عندما تكونون غاضبين ، لا يمكن التنبؤ بما ستفعلونه . لقد ادركت منذ زمن بعيد اننى سأضطر عاجلا او آجلا الى السير فى الطريق الذى سارت فيه شى ار ، ولكن لماذا يجب ان يتم ذلك بهذه السرعة ؟
فسألها برقة :

— ماذا تقصدين ؟

فقالت وهى ما تزال تبكى :

— ما قلت . . .

فقال بجديّة ، وقد اخذ يدها ووضعها على ركبته وراح يمسح عليها ملاطفا :

— كنت اقصد مضايقتك فقط . لن ادع ذلك يحدث لك اطلاقا .

فسألته رافعة نحوه وجهها المبلى بالدموع :

— ولكن افترض ان مدام تشو تريد ذلك .

فحدق الى عينيها لحظة دون ان يجيب ، ثم قال بحزم :

— يمكنكى ان اتدبر ذلك ، يمكنكى ان اجعلها تصغى
لى . سأخبرها اننى اريد ان اتزوج . . .

فامتدت يد مينغ فنج تستوقف فمه عن الكلام . لقد كان
صادقا تماما فيما قاله على الرغم من انه لم يفكر فى هذا الموضوع
تفكيراً عميقاً .

وكان من الفتاة ان صاحت :

— لا ، لا ، يجب الا تفعل ذلك ! المدام لن توافق
ابدا . هذا سينهى كل شىء . يجب الا تحدثها بذلك . كل
ما هنالك انه لم يكن مقدرًا على ان . . .

فقال وهو يزيع يدها عن فمه :

— لا تكونى خائفة الى هذا الحد . ان وجهك مبلل
بالدموع . دعينى . . .

ثم مسح لها وجهها بمنديله بكل عناية . وفى هذه المرة لم
تراجع عنه . وقال لها مبتسما وهو يمسح بقع الدمع :

— النساء يبكين بمتهى السهولة .
ثم ضحك ضحكة حزينة .

وابتسمت مينغ فنج ، ولكنها كانت ابتسامة كئيبة ، ثم
قالت ببطء :

— لن ابكى بعد اليوم . لقد سفحت الكثير من الدموع
منذ بدأت العمل لدى اسرتكم . اما هنا معك فمن المؤكد
اننى يجب الا ابكى . . .

فقال لها مواسيا ، وهو ما يزال ممسكا بيدها :

— كل شيء سيكون على ما يرام . كلانا ما نزال صغيرين .
عندما يحين الوقت ، سأتكلم مع المدام . سأعمل على تحقيق
ذلك بكل تأكيد ، واننى اعنى ما اقول .

فأجابته متأثرة :

— انا اعرف قلبك :

ثم تابعت تقول ، وهى شبه حالمة بعد ان عاودها الاطمئنان
الى حد ما :

— اننى احلم بك كثيرا فى هذه الايام الاخيرة . فمرة
حلمت اننى اركض وسط الجبال ، يطاردنى قطع من الذئاب
المتوحشة . وعندما وصلتنى هذه الذئاب تقريبا ، اندفع شخص
ما هابطا المنحدر وفرقها عنى . ومن تظن ذلك الشخص ؟
انه انت . ودائما ما افكر فيك انك متقذى !

فقال بصوت مرتعش ، وقد تأثر غاية التأثير :

— لم اكن اعرف . ولم اكن ادرك انك تثقين بى كل
هذه الثقة . اننى لم اعتن بك العناية الكافية . لقد خذلتك .
أغاضبة انت منى ؟

فهزت رأسها بالنفى وقالت :

— كيف يمكننى ذلك ؟ فى حياتى كلها احببت ثلاثة
اشخاص . احدهم كان امى . والثانى كان الآنسة الكبيرة —
لقد علمتنى ان اقرأ وافهم اشياء كثيرة . كانت دائما ما تساعدنى .
وكلاهما الآن ميتتان . ولم يبق الا واحد . . .

— مينغ فنج ، اننى اشعر بالخجل من نفسى عندما افكر

فيك . اننى اعيش فى رفاهية ؛ بينما انت تعيشين ظرفا عصيبا .
حتى اختى الصغيرة توبخك !
- لقد اعتدت ذلك ، فالوضع الآن افضل بكثير على اية
حال . اننى لا اهتم بذلك كثيرا . . . وبوسعى ان اتحمل كل
شئ ما دمت قادرة على رؤيتك والتفكير فيك . اننى اردد
اسمك مرارا بينى وبين نفسى ، مع اننى لا اجرؤ ابدأ على
النطق به بصوت مسموع امام اى شخص آخر .
فقال متأسفا :

- انك تعانين الكثير يا مينغ فنج ! فى سنك هذه يجب
ان تكونى فى المدرسة . اننى اراهن ان فتاة ذكية مثلك ستفوق
حتى على الأنسة تشين . . . كم كان رائعا لو انك ولدت فى
اسرة غنية ، او حتى فى اسرة كأسرة تشين !
- لم آمل اطلاقا ان اصبح آنسة غنية ، فأنا لست هذه
المحظوظة . كل ما اريده هو ان لا تصرفنى ، وان اظل هنا
جارتك طيلة حياتى . . . انك لا تعرف مدى سعادتى عندما
اراك فقط . ما دمت بقربى فقلبى مطمئن . . . انك لا تعرف
مدى احترامى لك . ولكنك احيانا كالقمر فى السماء . اعرف
اننى لا استطيع وصولك .

فقال بصوت متهدج ، وعيناه تترقرقان بالدموع :

- لا تتكلمى هكذا . اننى مجرد شخص عادى ، تماما
كأى شخص آخر .

وفجأة حذرته قائلة ، وهى تمسك ذراعه :

— انصت . هناك شخص ما .

واصغى كلاهما . كان الصوت ضعيفا جدا عندما وصل اليهما . وكان من الصعب تمييزه بوضوح لاختلاطه بخريف المياه . واخيرا ميزا فيه صوت جيويه مين يغنى .

فنهض جيويه هوى ومشى الى حافة التلة وهو يقول :

— السيد الثانى عائد الى البيت .

واستطاع ان يرى شكلا بشريا صغيرا متشحا بلون رمادى يمشى بسرعة وسط السديم الوردى لأزهار البرقوق . فاستدار الى مينغ فنغ وقال :

— انه السيد الثانى ، حسنا .

ونهدت مينغ فنغ بسرعة ، وقالت :

— يجب ان اعود . لقد امضيت هنا وقتا طويلا . . . ربما اقترب موعد الغداء .

فناولها جيويه هوى ازهار البرقوق قائلا :

— اذا سألتك مدام تشو لماذا تأخرت كثيرا ، فاخترع لها عذرا — اى عذر يمكن . . . قولى اننى طلبت منك ان تقومى لى بعمل ما .

— حسنا ، سأعود اولا حتى لا نرى سوية .

ثم ابتسمت له وبدأت تهبط المنحدر .

ومشى معها بضع خطوات ، ثم وقف يراقبها وهى تهبط السلم الحجرى ببطء وتختفى خلف صفحة جرف عال . وراح يلدع التلة وحده ، وكل تفكيره محصور بمينغ

فنع ، ثم تمتم قائلا : ” انها نقيه جدا ، طيبة جدا : . . “
ونخطا نحو المائدة الصغيرة وجلس مقابل المكان الذي اخلته
قبل قليل . ثم اتكأ بمرفقيه على سطح المائدة الحجرى مسندا
رأسه بكلتا يديه ، واخذ يحرق الى البعيد . ثم همس : ” انك
نقيه ، نقيه حقا . . . “

وبعد فترة نهض على نحو مفاجئ ، كأنه متنبه من حلم .
واجال بصره فيما حوله ، ثم اسرع نازلا في الممر .



كان ضوء القمر رائعا في تلك الليلة . ولم يستطع جيويه
هوى ان ينام . ففي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كان ما
يزال يذرع الفناء .

وخرج جيويه مين ووقف على السلم يقول :

— لماذا لست في فراشك يا اخي ؟ ان الجو بارد في الخارج .

فأجابه جيويه هوى في عدم اكتراث :

— مع وجود قمر جميل كهذا يكون النوم مضبعة للوقت .

ونزل جيويه مين السلم الى الفناء ، فقال وقد احس برعشة :

” الجو بارد ! “ ثم رفع رأسه ينظر الى القمر .

لم تكن في السماء اية غيمة . وكان القمر يبهر بدره في

قبة زرقاء لا حدود لها ، وحيدا ، هادئا ، يهدد بأشعته الناعسين ،

ويكسو الارض والاسطح القرميدية بضوء فضي . وكان الليل

ساجيا :

وتنهذ جيويه مين قائلا :

– يا لهذا الجمال ! انه مثال حى من ” ضوء قمر كالصقيع “ .

ثم انضم الى جيويه هوى يذرع معه الفناء . ولكن الاخ الاصغر ظل صامتا .

ولم يستطع جيويه مين كبح نفسه ، فقال وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة سارة :

– تشين ذكية حقا . . . وشجاعة . انها فتاة رائعة .

وظل جيويه هوى صامتا ، اذ كان ذهنه منشغلا بفتاة اخرى . واكتفى بالمشى خلف اخيه ببطء .

وفجأة امسكه جيويه مين من ذراعه وقال :

– هل ترغب فيها ؟ أ انت مفتون بها ؟

فأجابه على نحو آلى :

– طبعا .

ولكنه تنبه فى الحال فقال :

– عنم تتحدث ؟ عن الاخت تشين ؟ اننى لا اعرف

حقا . ولكننى اظن انك انت تحبها .

فقال جيويه مين وهو لا يزال ممسكا بذراعه. :

– هذا صحيح . اننى احبها ، واظن انها تحبنى ايضا .

لم اقل لها شيئا بعد . لا ادرى ماذا افعل . . . وماذا بخصوصك

انت ؟ لقد قلت انك تحبها .

ومن صوت جيويه مين وارتجاف أصابعه على ذراعه ادرك الشقيق الاصغر ، حتى دون ان يرى وجهه ، ان اخاه على درجة كبيرة من الهيجان العاطفى . فربت على يده برقة وقال له مبتسما :

– استمر فى حبك . اننى لست منافسا لك . ارجو لك النجاح . اننى احب تشين بوصفها اختا لى ليس الا .
لم يجب جيويه مين ، بل ظل ينظر الى القمر طويلا .
واخيرا قال وقد هدأ بعض الشيء :

– انك حقا اخ طيب . لقد كنت مخطئ* الظن بك مما جعلنى شديد الاضطراب . لا ادرى ما الذى يجعلنى غيورا فى هذه الايام الاخيرة . اننى اشعر بالانزعاج حتى عندما ارى جيان يون وتشين يتحدثان سوية . هل تعتقد اننى سخيف ؟
هل تضحك منى ؟

فأجابه جيويه هوى بصدق :

– لا ، انا لا اضحك منك . اننى متعاطف معك .
لا تقلق . لا اظن ان جيان يون سينافسك ايضا .

ثم بنبرة اخرى مغايرة قال :

– اسمع ، ماذا هناك ؟

وتناهى الى مسمعهما صوت كأنه بكاء خافت مكبوت ، اخذ يتغلغل الى اعماق هذه الليلة المقمرة . لم يكن صوت انسان ، كما لم يكن صياح طائر او صوت حشرة . كان اخفت واوضح من هذه الاصوات بكثير . وبدا فى بعض

الاحيان انه يرتفع ارتفاعا شديدا كأنه شكوى مقنعة صادرة عن القلب مباشرة ، ثم لا يلبث ان يضعف ثانية شيئا فشيئا حتى يصبح غير مسموع تقريبا ، كأنه مجرد هبة من هبات النسيم . ولكن المرء ما يزال يحس باهتزازه في الجو شاحنا الهواء بالحزن .

ثم كرر جيويه هوى تساؤله قائلا :

— ما هذا ؟

— الاخ الكبير يعزف على فلوت من الخيزران . انه منذ بضع ليال يعزف في وقت متأخر جدا . اننى اسمعه كل ليلة . — ما الذى يزعجه ؟ انه لم يكن هكذا من قبل . ان لهذا الفلوت الخيزراني صوتا حاديا !

— لا اعرف بالضبط . اعتقد انه ربما بسبب سماعه بعودة ابنة الخالة مى الى تشنغدو . يجب ان يكون الامر كذلك . انه مستمر في عزف هذه الالحان الحزينة نفسها ، ودائما في وقت متأخر جدا من الليل . . . ربما لا يزال يحبها . . . لم انم جيدا خلال الليالى القليلة الماضية ، فكنت اسمع عزفه دائما . لقد بدا هذا العزف انه يحمل تحذيرا ، تهديدا . . . ذلك اننى فعلا في نفس الوضع مع تشين الآن كما كان الاخ الكبير مع ابنة الخالة مى . عندما اسمع عزفه لا اتمالك نفسى عن الخوف من ان اسير في نفس الطريق الذى سار فيه . اننى لا اجرؤ حتى على التفكير في ذلك . اخشى ان لا استطيع العيش اذا انتهى الامر بى هذه النهاية . اننى لست مثله .

كان صوت جيويه مين اذذاك يختلج من شدة التأثر ،
لقد اوشك على البكاء .

فقال له جيويه هوى مؤاسيا :

— لا تقلق . لن تسير ابدا في طريق الاخ الكبير . فالزمن
قد تغير .

ونظر ثانية الى البدر الذي كان يغمر الليل بضياهه اللامحدود .
وبدا ان قوة لا تقاوم قد انبجست في داخله عندما فكر في
مينغ فنغ ، فتمتم قائلا :

— انك نفية جدا . انت وحدك ، غير ملطخة ، كما
القمر !

١١

وسكنت تدريجيا عاصفة الصدام بين الجنود والطلبة ، وعاد
الطلاب القادمون من خارج المدينة الى بيوتهم لقضاء عطلة
رأس السنة القمرية . ومن بين الطلاب الذين يعيشون في تشنغدو
بدأ عدد يراجع الدروس استعدادا للامتحانات . وقد استمر
اضراب الطلبة الى ان اتصل بالعطلة الشتوية . ثم انتهت ادارات
المدارس اعمالها الفصلية واستعدت للاحتفال بعيد رأس السنة .
وبدا ظاهريا على الاقل ان الطلاب قد انتصروا .

خلال تلك الفترة ظل جيويه مين مواظبا على زيارة بيت

عمته كل مساء لتعليم تشين الانكليزية . وظل جيويه هوى يطوف في البيت يقرأ الصحف . ولكن هذه الصحف كانت مملأى بأبناء لم تشد اهتمامه . اما تغطيتها لاضراب الطلبة فأخذت تتضاءل على نحو مطرد الى ان اختفت نهائيا . وعندها توقف جيويه هوى حتى عن قراءة الصحف .

وكان يصيح في غضب : ” تسمون هذه حياة ! سجين في قفص ضيق ! “ وكثيرا ما كان يبلغ به الغيظ حدا يعزف معه عن رؤية اى من افراد الاسرة . وازضافة الى متاعبه هذه بدا له ان مينغ فنج تعتمد تجنبه ، فنادرا ما كان يجد فرصة ليكلمها على انفراد .

وكعادته ظل يذهب كل صباح وكل مساء لتقديم التحية الرسمية الى جده . فلم يستطع تجنب رؤية وجه جده القاتم المنهك ووجه السيدة تشن الماكر المغطى بالمسحوق . وكان الى جانب ذلك كثيرا ما يقابل بعدد من الوجوه الخالية من اى شعور . واحس بأنه على وشك الانفجار ، ولكنه لم يلبث ان تتمم قائلا : ” انتظر ، سيأتى اليوم . . . “

ماذا سيحدث بالضبط عندما يأتى اخيرا ذلك اليوم ، انه لا يعرف تمام المعرفة . كل ما يعرفه هو ان كل شىء سيسقط ، كل شىء يكرهه سيدمر . وعاد يقرأ فى مجلة « الشباب الجديد » ومجلة « المد الجديد » . ولما قرأ مقالة بعنوان « انطباعات عن اسرة قديمة الطراز » سره هجومها اللاذع سرورا كبيرا ، اذ كانت تقريبا بمثابة انتقام له .

ولكن فرحته هذه كانت مؤقتة ، لأنه عندما ألقى بالمجلة جانبا وخرج من غرفته جوبه بكل الاشياء التي يكرهها اشد الكراهية . فعاد الى غرفته وحيدا ضجرا كل الضجر . وعلى هذا النحو كان غالبا يقتل ايامه .

كان جيويه مين وجيويه هوى يقتسمان غرفة واحدة ، الا ان الشقيق الاكبر كان منشغلا دائما بأموره الخاصة . فحتى عندما يكون في البيت يمضى معظم وقته يقرأ في الحديقة . كما كان منهمكا ايضا في مساعدة تشين على دروسها . فلم يرغب جيويه هوى في ازعاجه .

وتنهذ قائلا ، وهو في غرفته وحيدا : ” انه لمكان موحش جدا “ انه لم يقرأ منذ عدة ايام ايا من النشرات الدورية ، فبعد ان فقد الاهتمام بها اصبحت قراءتها تبعث في نفسه مزيدا من الوحشة . وراح يقلب دفتر يومياته ببطء . انه لم يدون شيئا منذ وقت طويل . ثم ما لبث ان تناول قلمه وشرع يكتب :

هذا الصباح ذهبت لاقدم تحياتي لجدى . فألفيته في غرفة مكتبه يطلب من العم كه أن ان يكتب مجموعة من لفيقات التهئة بعيد الميلاد ، كان العم كه دينغ قد ألفها ، وان يرسلها الى العجوز فنج له شان الذي سيحتفل بعيد ميلاده الستين . وبعد ان غادر العم كه أن سلمنى جدى كتابا ، وعلى وجهه القاتم المتعب طيف ابتسامة ، وقال :

- عليك ان تقرأ هذا باهتمام .

فقلت :

- نعم .

ولدى خروجى رأيت السيدة تشن في الغرفة التالية تشرح شعرها ، ففادرت

بأسرع ما استطعت . اننى دائما ما اشعر بالارتياح الشديد عندما اخرج من غرفة جدى . لا اعرف لماذا ، ولكنها تذكرنى الى حد ما بمقر الحاكم . وبمجرد النظر الى عنوان الكتاب الذى اعطاني اياه اصبت بصداع : « فى الولاة البنوى للسرة وتجنب الفسق » فألقيت هذا الكتاب السخيف على الطاولة وخرجت انزعجة فى الحديقة .

وهناك رأيت زوجة اخى الكبير داخل ايكه البرقوق تقطف الازهار مع ابنها الصغير هاى ار الذى لم يبلغ الرابعة بعد . فشممت بالارتياح لمجرد رؤية وجهها المتدفق حيوية ورقة وعينيها الواسعتين الجميلتين اللتين يشع منهما الحنان . فقلت لها :

- انك قد خرجت باكرا هذا الصباح يا زوجة اخى . اذا كنت تريدن ازهارا فلماذا لم تطلبى من مينغ فنغ ان تجمعهما لك ؟
فقطعت غصنا آخر وابتسمت الى قائلة :

- اخوك الكبير يحب ازهار البرقوق . ألم تلاحظ غرفته ؟ لقد وضع فيها زهريات ملأى بهذه الازهار . . . فأفضل ان اقطعها له بنفسى عن ان اطلب ذلك من مينغ فنغ ، اذ اننى اخشى ان لا تحسن اختيارها . ثم طلبت زوجة اخى من هاى ار ان يحيينى ويرجو لى صباحا طيبا . وهاى ار هذا ذكى جدا ، كما انه مطيع ايضا . ونحن جميعا نحبه . ولكن خطرت فى ذهنى عند ذلك فكرة اخرى فقلت :

- الاخ الكبير يحب ازهار البرقوق منذ وقت طويل .
فقاطعتنى وقد خالط وجهها شىء من حمرة الخجل :
- لقد رسمت تصميميا لأزهار البرقوق ليطرز على افريز ظللة سريرنا .
يجب ان تأتى وتراه .

ثم ابتسمت مزهوة وقد علت وجنتيها غمازتان . ان صوتها يذوب رقة كلما ذكرت الاخ الكبير . اعرف انها تحبه كثيرا ، ولكننى بدأت اقلق عليهما . اذا عرفت لماذا هو مولع بأزهار البرقوق ، وماذا تعنى هذه الازهار بالنسبة له ، فان ذلك سيؤذيها اذى مخيفا .

- ايها الاخ الثالث ، انك لا تبدو سعيدا جدا . اعرف ان تلك .

الايام القليلة الماضية كانت شاقة عليك . لقد جعلوك حبيس البيت ، ولم يتركوك تخرج . ولكن الجد لا بد ان يكون قد زايله الغضب الآن . وستكون طليقا بعد يوم او يومين . لا تستصعب الامر الى هذا الحد ، فالأكتئاب المفرط يسبب لك المرض .

كانت بذلك تحاول التخفيف عني ، بينما كنت طيلة الوقت افكر - اننى مكتئب بسببك . انك لا تعرفين ان الاخ انكبير الذى تحيينه حبا شديدا يحب امرأة اخرى ! امرأة اسمها يعنى "زهرة البرقوق" ! . . . ولكننى لدى رؤيتي وجهها الهادئ الحنون لم اتجرأ على اخبارها بذلك . وعندها قالت :

- يجب ان اعود وأسلق بيضة لأخيك الكبير .

ثم اخذت بيد هاى ار وابتسمت لى قائلة :

- تعال بعد فترة كى نلعب الشطرنج . اعرف انك ضجر من مكوثك فى البيت طوال اليوم .

فهرزت رأسى موافقا ، ورحت اراقبها وهى تبعد . وشمرت اننى اهمم بحبها . ولكن هذا لن يؤدى الاخ الكبير ، لأننى احببتها كأخت كبيرة . وطبعاً سأكون من الارتباك بحيث لا استطيع اخبار احد بذلك ، حتى جيويه مين - جيويه مين الذى اثق به ثقة كبيرة .

ان جيويه مين متيم بتشين ؛ هو اخبرنى بذلك . ولكن مما يقوله يبدو واضحا انه لم يكشفها بمشاعره بعد . لقد تحول فى الآونة الاخيرة الى انسان غريب . فهو لا يول البيت ادنى اهتمام . ينطلق الى بيت تشين فى الصباح الباكر ، ولا يعود الى البيت حتى لتناول العشاء . اخشى ان يلاحظ ذلك اولئك المولعون بالثرثرة ، وعندها . . .

كلما تحدث الى فى هذه الفترة ، يكون حديثه دائما عن تشين . انه يعطيك انطباعاً بأن تشين له وحده . حسناً ، لا شأن لى فى ذلك اطلاقاً . ولم يكن مهتماً باضراب الطلبة مطلقاً ، فيبدو ان تشين هى كل عالمه . انه سعيد الى حد الافراط . اخشى ان يؤدى به ذلك الى التهور ، ولكننى آمل من صميم قلبى ان لا يحدث ذلك .

وبقيت اذرع ايكة البرقوق وقتنا طويلا ، ثم جاء جيويه مين وتحدث
معى بعض الوقت . وبعد ان غادر بقيت هناك الى ان جاءت مينغ فنغ تدعونى
لتناول الغداء .

يبدو انها تتجنبنى فى هذه الايام الاخيرة . ولا اعرف سبب ذلك .
فاليوم ، مثلا ، عندما رأتنى قادمًا ، غيرت طريقها . فهرعت خلفها وسألتها :
- لماذا تتجنبينى ؟

فتوقفت ونظرت الى فى هلع ، ولكن عينها اشرفتنا بالحنان . ومن ثم
اطرقت وقالت بصوت خفيض :

- اننى خائفة . . . خائفة من ان تكتشف امرنا المدام والآخرون .

فرفمت وجهها متأثرا ، وقلت وانا اهز رأسى مبتسما :

- لا تخافى . لا شىء معيب . الحب نقى جدا .

وتركتها تتأدر . لقد فهمت اخيرا .

وبعد الغداء عدت الى غرفتى وشرعت اقرأ الترجمة الانكليزية لرواية
« البعث » التى اشتراها جيويه مين . وفجأة اخذت اشعر بالخوف ، ولم
اعد استطيع مواصلة القراءة . لقد خشيت ان يصبح الكتاب صورة لى ، علما
ان ظروف بطله مختلفة عن ظروفى إختلافا شديدا . . . اننى مستغرق منذ
ايام فى احلام اليقظة ، اتساءل دائما كيف ستتهى اسر كأسرتنا . . .
اننى فى اشد حالات التوحد ! بيتنا شبيه بصحراء ، بقفص ضيق .
اريد النشاط ، اريد الحياة . غير اننى لا استطيع ان اجد فى اسرتنا شخصا ،
لى شخص ، اتحدث اليه .

ذلك الكتاب الذى اعطانيه الجد - « فى الولاة البنوى للاسرة وتجنب
الفسق » ما يزال على الطاولة . فتناولته وقلبت بعض صفحاته ، فلم اجد فيه
شيئا سوى دروس تعلمك كيف تتصرف كعبد . انه مملوءه بعبارات مثل
" الوزير الذى لا يرغب فى ان يموت نزولا عند امر ملكه ليس وزيراً
مخلصاً ؛ والابن الذى لا يرغب فى ان يموت نزولا عند امر والده ليس
ابنا باراً " و " من بين جميع الجرائم تأتي جريمة الفسق فى المقدمة من
حيث السوء ، ومن بين جميع الفضائل تحتل فضيلة الولاة البنوى للاسرة

المرتبة الاولى . “ وكلما ازدادت قراءة ازدادت غضبا ، الى ان بلغت حد الجنون ومزقت الكتاب اربا اربا . فمع نقصان نسخة واحدة من هذا الكتاب في العالم سيقل عدد المتضررين به .

وشمرت باكتئاب ، واثقلت نفسى بكل مشاعر التنزز . كل شيء داخل الغرفة ممل وتافه ، وكذلك خارجها ، فالجو من حول دائما في غاية الكآبة . وتمنيت لو يكون لي جناحان فأطير ، ولكن البيت المظلم كان يبتلعني كأنه ضريح . فألقيت نفسي على السرير وبدأت أنن .

وتناهي الى صوت زوجة اخي تقول :

- ايها الاخ الثالث ، أقادم انت للعبة شطرنج ؟

فأجبت :

- حسنا ، سأوافيك حالا .

لم يكن عندي أدنى رغبة في لعب الشطرنج ، ولكنني عرفت انها كانت تحاول ان تبعث السرور في نفسي ، فلم استطع ان ارفضها . وبعد بضع دقائق ذهبت . واصبحت شديد الاهتمام بالعبة ، فنسيت كل شيء . انها تلعب على نحو افضل مما يلعب الاخ الكبير ، ولكنها ليست ماهرة مثل . وغلبتها ثلاثة اشواط ، فلم تنزعج ابدا بل ظلت مسرورة مبتسمة كالسابق . وجلبت المريية هاي ار ، فأخذت زوجة اخي تلاعبه وهي مستمرة في التحدث معي . وبينما كنت اطوف بالغرفة لفتت نظري ظلة السرير التي طرز على افريزها تصميم زهر البرقوق ، فقلت :

- انها لرسة جميلة يا زوجة اخي .

لقد اعجبت بها حقا ، مع انني لا اعرف في الواقع الكثير عن هذا الفن . لقد اعتقدت انها افضل رسة رسمتها في حياتها .

فقالت ، وقد علت وجهها ابتسامة سارة :

- انني لا اجيد الرسم ، ولكنني بذلت في هذه الرسة جهودا مضنية . لقد رجاني اخوك الكبير عدة مرات ان ارم له رسة لازهار البرقوق . وانا الاخرى مولعة بأزهار البرقوق .
فقلت امازحها :

- تقصدين انك تحبين هذه الازهار لأن الاخ الكبير يحبها ؟
فقلت مبتسمة ، وقد طفر الى وجتيها شيء من حمرة الخجل :
- لن اخبرك الآن . عندما تتزوج ستفهم ذلك بنفسك .
فقلت متظاهرا بالحيرة :

- ماذا سأفهم ؟

- لا تلح على هكذا . في المستقبل يمكنك ان تسأل زوجتك .
كان على المائدة زهرية كبيرة فيها عسليج محملة بأزهار البرقوق ،
وكانت هناك زهرية اخرى صغيرة على طاولة المكتب . واقد آذت عيني
الحمرة القرنفلية لهذه الازهار . وتخيلت وجه ابنة الخالة مى الحزين
الجميل - " مى " تعنى " زهرة البرقوق " ! وارتدت ان اقول لزوجة
اخى : " اخذى من ان تسرق هذه الازهار جزءا من حب الاخ الكبير " ،
غير اننى لم اوت الشجاعة الكافية .
وتابعت زوجة اخى تقول باحثة عن الكلمات ، وقد اشرفت عيناها
بذكريات الاحلام الماضية :

. - لقد مضى وقت طويل على توقفي عن الرسم . فمئذ الستين او
السنوات الثلاث الماضية وانا مشغولة بهائى ار . لذلك نسيت كل شيء درسه
من قبل .

وتساءلت ان كانت قد تذكرت ايامها قبل الزواج ، تلك الايام
الجميلة جمال قوس قزح . وبدا لى انها لم تتغير فى مظهرها كثيرا ، انما
اصبحت اكثر صراحة ، كما زايلها الحياء المذرى .
وسألتها :

- هل تفكرين فى الايام التى كنت خلالها تعيشين مع ابويك ؟
فهزت رأسها قائلة :

- احيانا . . . كل ذلك يبدو كحلم الآن . الاشياء كانت مختلفة
جدا حينذاك . فالى جانب اخى الكبير كانت لى اخت تكبرنى بثلاث
سنوات وكان من عادتنا انا وهى ان نتدرب على الرسم وننظم الشعر سويا .
وكان ابى يومها حاكم محافظة قوانيوان ، فسكننا فى المقر الرسمى . وكانت

لى ولأختى غرفة فى الطابق العلوى ، تطل على حديقة واسعة فيها الكثير من اشجار التوت . وكان من عادة المعاق ان تحط على الاغصان وتوقظنا بصياحها فى وقت مبكر .

وفى الليل كان ضوء القمر يسطع على نافذتنا . وكانت امى تذهب الى النوم باكرا ، اما اختى وانا فكنا نحب ضوء القمر ، لذلك كثيرا ما كنا نسهر حتى وقت متأخر جدا . وقد اعتدنا ان نفتح النافذة ونحدق الى القمر ، فيما نحن نتحدث او ننظم القصائد . واحيانا ، فى منتصف الليل ، كنا نسمع صوت الصفارة الحاد من بعيد . وهذا يعنى ان الساعى قادم . انك تعرف ان جميع الوثائق الرسمية الهامة كانت ترسل فى تلك الايام مع رسول خاص يبدل الاحصنة عند محطات المراحل . فكان هذا الرسول ينفخ صفارته وهو لايزال بعيدا ، بحيث يتنبه الناس فى المحطة ويمدون له حصانا نشيطا . وكان صوت الصفارة حزينا جدا ، يوقظنا فى منتصف الليل ، ولا نتسكن بعدها من النوم ثانية . . .

وكانت امى تربي ديدان القز ، وكنا نحن البنتان نساعدنا ، فناخذ مصباحا فى وقت متأخر من الليل ثم نهبط السلم الى السقيفة التى تربي فيها الديدان لنرى ان كانت قد اكلت جميع اوراق التوت التى وضعت لها ، واصبحت بحاجة الى المزيد . كنت فى ذلك الوقت ما ازال صغيرة ، غير اننى فى سن البلوغ تقريبا . لقد كانت اياما رائعة .

وبعدا جاءت ثورة ١٩١١ ، واستقال والدى من منصبه ورجع بنا جميعا الى تشنغو . وكنا عندها شابتين صغيرتين . فقال والدى ان رسمنا ليس رديئا ، ورتب لنا عملا نقوم فيه بالرسم على المراوح لحساب متجر لبيع المراوح . ولقد استخدمنا النقود التى كسبناها فى شراء المزيد من الالوان والدواوين الشعرية .

وفىما بعد تزوجت اختى . لقد كنا قريبتين جدا من بعضنا بعضا ونكره الافتراق . فقبل مغادرتها بليلة بكينا سويا طوال الليل . وبعد اقل من سنة اصيبت باجهاض وماتت . . . لقد سمعنا ان حماتها كانت تعاملها معاملة سيئة ، وهذا ما اغضبها اشد الغضب . فقد كانت عصبية المزاج

دائما . كان من عادة امي في البيت ان تدلها الى حد الافراط ، لذلك لم تستطع ان تتحمل سوء معاملة حماتها . وهذا ما الهبها من الداخل ، فقتلها اخيرا هذا الغضب المتفاقم .

ثم انتهت زوجة اخي حديثها بصوت حزين ، وقد اخضلت عينها :
- أتذكر هذه الاشياء الآن ، فيبدو لي كأنها جميعاً قد عبرت في

حلم .

وخشيت ان تشرع في البكاء ، ولكن ذهني المتبدل لم يستطع التفكير في شيء يؤاسيها . وسألتها :

- هل وصلتك مؤخرا اية اخبار من امك او اخيك ؟

فقالته والكآبة تظل من وجهها :

- كتب اخي يقول ان كليهما بصحة جيدة ، ولكنهما لن يتمكننا من العودة الى تشنغدو قبل سنة اخرى او ستين .

وتحدثنا فترة اطول ، وبعدها قلت انني مضطر الى مراجعة دروسي ، ثم عدت الى غرفتي . وبقيت مدة افكر فيما قالته لي ، ولكنني هدأت اخيرا واخذت اراجع مسرحية « جزيرة الكنتز » . وبعد قراءة اكثر من عشرين صفحة شعرت بالانزعاج والوحدة فتركت الكتاب جانبا . واستلقيت على سريري ونمت .

وعندما استيقظت كان الظلام قد حل . ولقد احسست بالبرد ، فهذا الاشتمال الخافت في مصباح غرفتي الكهربائي ذي الستة عشر واطا لم يقدم نقعا في تدفئة قلبي . ومرة ثانية انتابتنى الكآبة من ذلك الملل المعيش في حياة اسرتي . وفيما انا اذرع الفرفة رحمت افكر في كثير من الاشياء المشيرة التي تجرى في الخارج . لا استطيع ان اتحمل هذا النمط من الحياة اكثر من ذلك . فلا شيء لي هنا في هذا البيت الا الغم . يجب ان اقاتل حتى النهاية .

وعلى الغداء سمعت زوجة ابي واخي الكبير يتناقشان في تكتيكات المعركة التي تتبعها زوجة العم الرابع وانغ وزوجة العم الخامس شن والسيدة تشن . ومع انهما كانا يتحدثان بجدية ، الا انني لم اتمالك نفسي عن الضحك .

وفيما بعد تحدثت مع الاخ الكبير في غرفته عن الولاة البنوي للاسرة . انه في غاية الضعف ومثقل بالهموم . وانا مستاء منه استياء شديدا بسبب تقهقره يوما بعد يوم . وفيما كان الجدال بيننا يشتد جاءت وان ار خادمة زوجة العم الثالث تشانغ تدعوه للعب المايجانغ مع السيدات ، فوافق دون ادنى تردد .

فألت في شيء من الانزعاج :

- تعنى انك ذاهب ؟

فأجاب ببساطة ، وهو يخرج مع وان ار :

- وماذا بوسى ان افعل غير ذلك ؟

هذه هي تكتيكاته .

لي شقيقان . احدهما يلعب المايجانغ ليكسب رضا اناس معينين ، والآخر يقضى النهار بطوله في بيت عمى يعلم تشين الانكليزية ولا يعود الى البيت حتى لتناول العشاء . يجب ان لا اصبح مثلهما ابدا .

يا لها من حياة تعة ! هكذا امضيت هذا اليوم . واذا ما استمر

الوضع كذلك ، فلسوف اضيع شبابى .

لن اصبر على ذلك . يجب ان اقاوم ، يجب ان اتمرد على اوامر

جدى . ولا بد ان اخرج من هنا .

كان ما سبق ذكره تسجيلا لاحدى اليوميات في مذكرة

جيويه هوى . وفي الصباح التالى غادر المربع السكنى فعلا .

كانت العطلة التقليدية لعيد رأس السنة القمرية ، الحدث الكبير الاول في السنة ، تقترب حائلة الخطى ، وكان كل واحد

ما عدا اولئك المثقلين بالديون - تلك الديون التي يتحتم سدادها قبل نهاية السنة وفقا للعادة - يتشوق اليها بحماسة . ولكن اقترابها هذا لم يكن مفاجئا ، بل كانت تتقدم يوما بعد يوم ، وكان كل يوم يحمل معه بشيرا جديدا بقدموها . المدينة كلها تضج بالحياة ، فالناس على غير عادتهم قد كثروا في الشوارع ، كما ظهرت الكثير من الفوانيس واللعب والمفرقات النارية . وفي كل مكان امكن سماع صوت ابواق العيد .

ومع ان المربع السكنى لاسرة قاو كان في شارع ساكن نسيا ، الا ان هذه الاسرة النبيلة ، الهادئة المتحفظة ظاهريا ، قد بدأت هي الاخرى تتحرك . فالاستعدادات لاحتفالات رأس السنة تجرى على قدم وساق ، ان اشياء كثيرة جدا لا بد ان تهيأ . والخدم كانوا بالطبع مشغولين كسادتهم ، انهم ينتظرون بفارغ الصبر مهرجانات العطلة ، ينتظرون العطايا النقدية التقليدية التي تشق طريقها اليهم كل رأس سنة .

وكل مساء ينهمك الطباخ داخل المطبخ في صنع الحلويات وزلاية الارز اللزجة . وخلال النهار تتجمع كل اناث الاسرة - شابات ومسنات - في غرفة السيد المبجل ويعكفن على طي الورق الذهبى والفضى على شكل قوالب - وهذه ستحرق احياء لذكرى الاسلاف ، اى انها ترسل اليهم ليستخدموها في العالم الآخر ؛ وربات البيوت كذلك يقمن بقص الصور والتصاميم المعقدة من الورق الاحمر والاخضر - وهذه ستلصق على النوافذ الورقية او على اكواب المصباح الزيتى .

والسيد المبجل قاو نادرا ما يتواجد في البيت خلال النهار .
فاذا لم يذهب الى المسرح ، فانه يزور الاصدقاء حيث يلعب
الماجيانغ . لقد ألف مع خالصائه ما اسمه ” نادى الشيوخ
التسعة “ ، وكل واحد منهم يقوم بالتناوب بدور مضيف للآخرين ،
حيث يعرض لهم كتبه ورسومه النفيسة ، وكذلك تحفه القديمة .
وجيويه شين وعمه الثالث كه مينغ ينشغلان في الاشراف
على جهاز الخدم الكبير لدى الاسرة ، وفي الاعداد لرأس السنة .
فالفوانيس الكبيرة الحمراء علفت في القاعة الرئيسية ، وعلى كل
جدار من الجدران الجانبية وضعت قطعة حرير حمراء مطرزة .
وصور الاسلاف الزيتية اخرجت من الصناديق التي كانت
مستريحة فيها ، وعلفت بكل عناية على الجدار الوسطى في
القاعة ، حيث ستمتع بتحيات الاحترام التي ستقدم اليها خلال
عيد رأس السنة .

وكان تقليدا من تقاليد اسرة قاو ان تقيم مأدبة عشاء كبيرة
قبل عيد رأس السنة بيومين . وبعد ظهر اليوم الذي ستقام فيه
المأدبة ذهب جيويه مين وجيويه هوى لزيارة الاخ الكبير في
مكتبه ، حاملين معهما بضعة مجلات جديدة التقطها من
المكتبة ، كما اشترى ترجمة لرواية تورجينيف « في العشية » .
ولدى اقترابهما من باب مكتب جيويه شين امكنهما
سماع فرقة احجار معداده . ثم ازاها ستار الباب ودخلا .

رفع جيويه شين نظره ، فدهش لرؤية جيويه هوى وسأله :

— خرجت ؟

فأجاب جيويه هوى مبتسما ، وهو فى غاية الاطمئنان :
— منذ عدة ايام . ألم تعلم ؟
فسأله جيويه شين فى قلق :
— ماذا لو اكتشف الجد ذلك ؟
ثم انحنى على معداده ثانية . فقال جيويه هوى فى برود :
— ليس بوسعى ان ازعج نفسى بمثل هذه التفاصيل .
فأنا لا يهمنى ان عرف ذلك !
فنظر اليه جيويه شين فى صمت ، ومن ثم قطب جبينه
وتابع حساباته .

وقال جيويه مين ملطفا الجو :
— لا بأس فى ذلك . فمن المؤكد ان الجد قد نسى الآن .
ثم جلس فى الكرسى الخيزرانى القريب من النافذة .
وجلس جيويه هوى قريبا من الجدار ، وبدأ يقرأ من
رواية « فى العشية » بصوت مرتفع :

الحب كلمة كبيرة ، شعور عظيم . . . ولكن عن اى نوع
من الحب تتكلم ؟
اى نوع من الحب ؟ مهما يكن نوع الحب الذى تريده ،
فانه مقبول ما دام هو حب . انا من جهتى اعترف بأن ليس هناك
انواع مختلفة من الحب . اذا احببت — فأحب من كل قلبك .
كان شقيقاه ينظران اليه فى دهشة ، ولكنه لم يكن متنبها
لهما . فاستمر يتلو :

انه التعطش للحب ، للسعادة ، لاشيء آخر .
اننا شباب ، لسنا مشوهين ، ولا مغفلين . لا بد ان نتزع السعادة
لأنفسنا .

وسرت في جسم جيويه هوى موجة من الحرارة ، فارتجفت
يداه من الانفعال . ثم ما لبث ان اطبق الكتاب بعد ان عجز
عن المتابعة . واخذ عدة رشقات كبيرة من كوب الشاي امامه .
وفي تلك اللحظة دخل جيان يون ببطء ، وسأل جيويه
هوى بصوته الجاف :

— ماذا قلت قبل لحظة بهذا الانفعال الشديد ، يا جيويه
هوى ؟

فأجاب جيويه هوى بضحكة مرة :
— كانت مجرد قراءة .

ثم فتح الكتاب ثانية ، واستأنف يقرأ بصوت مرتفع :

الطبيعة توقظ الحاجة الى الحب ، ولكنها غير قادرة على ارضائها :

كانت الغرفة ساكنة تماما . حتى صوت احجار المعداد
سكن هو الآخر .

في الطبيعة حياة وموت . . .

في الحب حياة وموت .

فسأل جيان يون في صوت منخفض :

— ماذا يعني ذلك ؟

فلم يجبه احد . وظهر على وجهه الشك ، ومن ثم الخوف ،
واخيرا زابله التعابير .

وبدا يلوح في جو الغرفة الصغيرة رعب يتعذر وصفه ،
وراحت تزايد وطأته عليهم تدريجيا ، وانتابت كلا من الشبان
الاربعة حالة من الانزعاج المشترك .

وانفجر جيويه هوى يصيح في غضب :

— في هذا النوع من المجتمع اى نمط آخر من الحياة
يمكنك ان تعيش ؟ ! هذا النمط من الحياة ليس الا هدر
للشباب ، هدر للحياة !

ان هذا الشعور يعذبه على نحو متزايد منذ عهد قريب .
فمنذ طفولته تستبد به الرغبة في ان يكون مختلفا تمام الاختلاف
عن رجال الجيل القديم . لقد قام وهو طفل بأسفار كثيرة مع
والده الذى كان حاكم محافظة ورأى كثيرا من الاشياء العجيبة .
وكثيرا ما حلم بالهروب الى بلاد غربية نائية وبممارسة نشاطات
غير عادية . كانت حياته في مقر والده الرسمى مملأى بالتخيلات
والاحلام . وفيما بعد اصبح اكثر احتكاكا بالواقع عندما عادوا
الى تشنغدو ، وبدأ يشكل عن العالم معرفة جديدة .

في اسرة قاو وصل عدد الخدم وحاملى المحفات وحدهم
الى بضع عشرات . وهؤلاء ” التابعون ” قد ارتبطوا جميعا
بمصير مشترك مع انهم جاؤوا من اماكن كثيرة مختلفة . اولئك
الناس الذين كانوا فى الاصل غرباء عن بعضهم بعضا ، يخدمون
الآن من اجل اجر زهيد نفس السادة ، ويعيشون معا كقبيلة

كبيرة - بسلام ومودة - لأنهم يتمون الى نفس النوع من الناس ؛ انهم ان اغضبوا سيدهم اليوم ، لا يعرفون غدا من اين تأتيهم وجبتهم .

وتعاطفا معهم امضى جيوه هوى شطرا كبيرا من طفولته بينهم ، فكسب بذلك حب الخدم واحترامهم . كان يستلقى في سرير احد حاملي المحفات ، يراقب على ضوء مصباح افيون حامل محفة هزيلا يدخن غليونه المحشو بالافيون ، ويستمتع اليه وهو يقص عليه احلى قصصه . وكان يطيب له كذلك ان يجلس حول كانون في حجرة الخدم ، يسمع حكايا الابطال القدامى الجريئين البارعين بلعب السيف ، ويحلم باليوم الذي يصبح فيه كبيرا فيحمل السيف كأبطاله ويسلب الغنى ليعطى الفقير ، يوم يصبح متطوفا شهما ليس متقيدا بروابط اسرية .

وعندما دخل المدرسة المتوسطة بعد ذلك ، بدأ عالمه يتغير ثانية . فمن خلال كتبه وكلام معلميه افعم تدريجيا بالحماسة الوطنية ونما ايمانه بالاصلاحية . وتفرغ لقراءة المقالات التحريضية التي يكتبها ليانغ تشى تشاو مطالباً بالاصلاحات الدستورية . وقرأ كتبا مثل « روح الصين » وأيد الاقتراح الذي قدمه ليانغ تشى تشاو في مقاله « دليل المواطنين الى السياسات الاولية » ، وهو ان يحل التجنيد الوطنى الالزامى محل نظام استئجار الجنود المنتشر بين مختلف امراء الحرب . حتى انه فكر في ترك المدرسة ليصبح جنديا .

ولكن عندما انفجرت حركة ٤ مايو (ايار) ١٩١٩ بدا انه ادخل عالما جديدا . فقد فقد اعجابه بليانغ تشى تشاو واعتنق نظريات اكثر جدة واكثر تقدمية . وحينذاك كسب اللقب الذى خلعه عليه اخوه الكبير فى سخرية من "دعاة الانسانية" والسبب الرئيسى فى ذلك اللقب ، كما كان يرى الاخ الكبير ، هو ان جيويه هوى رفض ان يحمل فى محفة . لقد تأثر بعدد من المقالات فى مجلة «المد الجديد» حول هدف ومعنى الحياة بالنسبة للانسان بوصفه فردا فى المجتمع ، وكان قد بدأ يفكر فى هذه الاشياء للمرة الاولى فى حياته . وفى البداية لم تكن لديه حول ذلك الا افكار غامضة . ولكن من خلال اكتسابه مزيدا من الخبرة - لا سيما فى احتجازه الاخير - وبعد الصراع الداخلى الشديد وقراءته الكثير من الكتب ، اتسعت بصيرته شيئا فشيئا ، وبدأ يفهم مغزى الحياة ويفهم كيف ينبغى للانسان الحقيقى ان يتصرف .

ولذلك اصبح جيويه هوى يتألم لهذا الاهدار لشبابه وحياته . ولكن كلما اشتدت كراهيته للحياة التى يعيشها كثرت العوائق غير المرئية التى تطوقه وتمنعه من التخلص منها .

وقال فى غضب :

— يا لها من حياة لعينة !

وعلى نحو عرضى وقعت عينه على تحديقة جيويه شين الذاهلة ، فنأى ببصره بسرعة . ولاحظ جيان يون مكتئبا ومستسلما ، فحول نظره الى جيويه مين . لقد بدا الاخ الثانى مستغرقا فى

مجلته . وكانت الغرفة ساكنة سكون الموت . فأحس جيويه هوى كأن شيئاً يلسعه في قلبه . ولم يعد يقوى على الاحتمال ، فصاح :

— لماذا لا تتكلمون ؟ انكم جميعا تستحقون ان تلعنوا ايضاً . . . كل واحد منكم !

فحدق اليه الآخرون في ذهول . وسأله جيويه مين بلطف مغلقا كتابه :

— لماذا ؟ اننا جميعا نحاول الانسجام مع اسرة قديمة الطراز ، مثلك تماما .

فرد عليه جيويه هوى بحدة :

— هذا هو السبب بالضبط ! انكم جميعا طيعون : لا تبدون ادنى مقاومة . كم من التعسف يمكنكم ان تتحملوا ؟ تتكلمون الكثير عن معارضة نظام الاسرة الابوى ، ولكنكم في الواقع تدعمونه . افكاركم جديدة ولكن سلوككم ما يزال السلوك القديم . انكم جميعا جناء ! انكم تعجبون بالتناقضات ! ونسى جيويه هوى في تلك اللحظة انه الآخر يعجب بالتناقضات . وقال جيويه مين بلهجة جازمة :

— اهدأ قليلا ايها الاخ الثالث . ما الفائدة من اثاره شجار كهذا ؟ انك لن تحل شيئاً في ضربة واحدة . ماذا تستطيع ان تنجز وحدك . عليك ان تعرف ان نظام الاسرة الابوى قائم لأن له اساسه الاقتصادي والاجتماعي — كان جيويه مين قد قرأ لتوه هذه الجملة الاخيرة في مجلته ، فانطلق بها لسانه على

نحو طبيعي جدا - انك لست اسوأنا حالا :
ومرة ثانية صادف ان رأى جيويه هوى تحديقة جيويه
شين . كان الاخير ينظر اليه باكتئاب وبطريقة فيها شيء من
التأنيب . فهدأ غضبه شيئا فشيئا ، وعاد ليقراً في كتابه . وبعد
لحظة صمت انبرى ثانية يقرأ قراءة جهرية بصوت منخفض :

دعهم وشأنهم ! كان والدى مصيبا عندما قال : لسنا مترفين ،
يا ولدى ، لسنا ارستوقراطيين ، ولا اطفال القدر المدللين ، لسنا حتى
شهداء - لا ، انا مجرد عمال ، عمال ، عمال . البس مترك
الجلدى ايها العامل ، واعمل في معملك المظلم ! اترك اشعة الشمس
لأناس آخرين . فهناك كبرياء وسعادة حتى في حياتنا المظلمة .

قال جيان يون في نفسه : هذا يمكن ان يكون وصفا لى .
ولكن اين كبريائى وسعادتى ؟ كل ذلك وهم !
وتنهذ جيويه شين قائلا :

- سعادة ؟ اين يمكن ايجادها ؟ أهناك فعلا شيء كهذا ؟
نظر اليه جيويه هوى ، ثم قلب الى الوراء بضع صفحات ،
وتوقف في مكان كان قد طوى عنده زاوية الصفحة . وقرأ بصوت
مسموع كأنه يجيب عن سؤال اخيه :

انا شباب ، لسنا مشوهين ، ولا مغفلين : لا بد ان نترع السعادة
لأنفسنا !

فرجاه جيويه شين قائلا :
- ايها الاخ الثالث ، ارجوك لا تقرأ اكثر من ذلك :

فقال جيويه هوى مصرا :

— لم لا ؟

— انك لا تعرف الى اى حد أتأذى . انا لست شابا — لم يكن لى شباب قط . لم امتلك ابدا اية سعادة ، ولن امتلكها ابدا .

شخص آخر غير جيويه شين ربما كان سيقول هذه الكلمات بغضب ، اما هو فكانت نبرته حزينة ليس الا .

فسأله جيويه هوى فى غلظة ، وهو غير راض ابدا عن الموقف المتردد الذى يتخذه اخوه الكبير ازاء الحياة :

— ألمجرد انك لم تمتلك اية سعادة تخاف ان تسمع شخصا آخر يتحدث عن النضال من اجلها ؟

فقال جيويه شين وهو ينحى معاده جانبا وينظر الى جيويه هوى متنهدا :

— آه ، انك لا تفهمنى . وضعك مختلف عن وضعى . انك مصيب تماما . فأنا اخاف ان اسمع الآخرين يتحدثون عن السعادة ، ذلك لأنه لم يعد عندى اى امل فى بلوغها . ان حياتى قد انتهت ، فأنا لا اقاوم لأنى لا اريد ان اقاوم . اننى ارغب فى ان اكون ضحية . كان لى مثلكم ، ذات يوم ، احلامي الجميلة ، ولكنها تبددت جميعا . لم يتحقق اى امل من آمالى . ولا ألوم فى ذلك الا نفسى ، فقد كنت راغبا من صميم قلبى فى الاضطلاع بالاعباء التى خلفها والدى لى . . . اذكر اليوم الذى سبق وفاته . كان مرضه قد اشتد كثيرا .

وفي ذلك اليوم ماتت اختنا الصغيرة ، وهي لم تبلغ الا السادسة من عمرها ، فألمه الخبر ايلاما شديدا . وبكى وقال لي وهو يمسك بيدي : ” عندما توفيت امك عهدت بكم ، انتم الاطفال الستة ، الى . ولكنني خذلتها ، ففقدت اليوم واحدة منكم . “ وتحدرت الدموع من عينيه وقال : ” ليس امامي فرصة كبيرة للتحسن . فاذا حدث لي اى شيء فاننى اعهد اليك بزوجة ابيك واخوتك واخواتك . اعتن بهم جيدا من اجلى . اننى اعرف شخصيتك معرفة جيدة ، فأنت لن تخيب املى . “ ولم اتمالك نفسى عن الانتحاب بصوت مرتفع ، مما جعل جدى الذى كان يمر بنافذة الغرفة يهرع الينا ظانا ان ابنى قد مات . ولقد وبخنى على ازعاج رجل مريض ، ثم خفف عن ابنى ببعض الكلمات . وفيما بعد دعانى جدى الى غرفته وسألنى عما حدث بالتفصيل . وعندما اخبرته بكى هو الآخر . وبدا عليه انه يريد ان يقول شيئا ، ولكنه لم يستطع ان يتلفظ بالكلمات . واخيرا لوح لي بالخروج طالبا منى ان اعتنى بالمريض عناية جيدة .

فى تلك الليلة استدعانى ابنى الى جانبه لأكتب له وصيته . وامسكت زوجة ابنى بالشمعة وامسكت الاخت الكبيرة بالمحبرة . وكتبت انا ما املى على ، وكنت خلال الكتابة ابكى . وفى اليوم التالى توفى ، وسقطت اعباؤه كلها على عاتقى . وما زلت ابكى كلما فكرت كيف مات . وتعين على ان اضحى بنفسى من اجله . وماذا بوسعى ان افعل غير ذلك ؟ اننى ارغب فى ان اكون

الضحية . ومع ذلك فقد خذلته لأننى فقدت الاخـت الكبيرة . . .
كانت الدموع تنهمر على وجهه جيوبه شين وهو يروى
قصته هذه ، وكان النحيب قد أتعبه ونال منه الكثير . واخيرا
لم يعد قادرا على المضى فى حديثه . فألقى برأسه على الطاولة
وانفجر يبكى دون توقف .

وكاد جيوبه هوى يبكى هو الآخر تقريبا ، فقد حبس
دموعه بصعوبة . ورأى جيان يون يمسح عينيه بمنديل وجيوبه
مين يخفى وجهه خلف مجلته .

وفى الممر المقنطر ، خارج النافذة ، ظلت الخطوات
تقترب ، ثم ما لبثت ان اجتازت المكتب وتلاشى صوتها .

واخرج جيوبه شين مندبلا من جيبه ومسح دموعه :

ومن خلف المجلة انبعث صوت جيوبه مين يقول :

— لا تبتس ايها الاخ الكبير . اننا نفهمك .

ولم يعد جيوبه هوى قادرا على كبح دموعه ، ولكنه ما
لبث ان توقف عن البكاء بعد لحظة . فقد قال فى نفسه :
ما فات قد مات ودفن ، فلماذا ننبشه الآن ؟ غير انه لم يتمالك
نفسه بعد ذلك عن الحزن على والده الراحل .

وقال جيوبه شين بابتسامة حزينة ، وقد استرد هدوءه بعض

الشيء :

— تلك الاسطر التى قرأتها قبل قليل رائعة جدا ايها الاخ

الثالث . انا لست مترفا ولا طفلا مدبلا للقدر . اننى مجرد عامل .

ألبس مئزرى الجلدى واعمل فى معمل المظلم . . . اننى

عامل بلا كبرياء او سعادة . اننى . . .
وفجأة توقف جيويه شين ، وقد ارتسمت على وجهه علامة
ذعر . لقد سمع سعلة مألوفة خارج النافذة ، فقال لجيويه هوى
بصوت منخفض :

— الجد قادم . ماذا ستفعل ؟

احس جيويه هوى هو الآخر بشيء من الذعر ، ولكنه
كبت ذلك فى الحال ، وقال ببرود :

— ولم اثرت هكذا ؟ انه لن يأكلنى .

وازيح ستار الباب ودخل العجوز متبوعا بخادم ظل ينتظره
عند المدخل . ونهض الشبان الاربعة تحية له ، وقدم له جيويه
مين الكرسى الخيزرانى الذى كان يجلس عليه .

وقال السيد المبجل قاو ، وعلى محياه القاتم ابتسامة سارة .
وكان يبدو اكثر مودة عندما يكون مبتهجا :

— اذن ، انتم جميعا هنا . بوسعكم ان تعودوا الى البيت
جميعا مبكرين . سنقيم الليلة مأدبة احتفالا بعيد رأس السنة .
وجلس على الكرسى الخيزرانى بجانب النافذة ، ولكنه
سرعان ما نهض ثانية وقال :

— يا جيويه شين ، اريد ان اقوم ببعض التحوج . تعال
معى .

ثم مشى بكل رزانة بحذائه القماشى الاسود المحشو
بالقطن ، واجتاز العتبة حيث ازاح له جيويه شين ستار الباب
وتبعه مع الخادم .

وفي اللحظة التي خرجوا فيها تنفس جيوبه مین نفس الراحة ،
وقال لجيوبه هوى مبتسما :

– لقد نسي كل شيء بخصوصك .

فقال جيوبه هوى :

– لو كنت مطوعا مثل الاخ الكبير ، لبقيت محبوسا
في البيت الى الابد . انه لشيء جيد اني امتلك بعض الشجاعة .
والحقيقة اني كنت سخيفا لعدم خروجي قبل هذا الموعد .
فالجد ينفجر غيظا حتى يصل الى حالة من الجنون ، غير ان
هذه الحال لا تطول ، وبعدها ينتهي كل شيء ويطويه النسيان .
فكيف سيتذكر معاناتي لدى حبسي في البيت ؟ هيا بنا ، لا
داعي الى انتظار الاخ الكبير . نحن سنمشي ، وهو سيأخذ
محفة . وفوق ذلك ، اذا غادرنا مبكرين فسيكون بوسعنا اجتناب
التصادم مع الجد ثانية .

فقال جيوبه مین موافقا :

– صحيح .

ثم سأل جيان يون :

– وماذا بالنسبة لك ؟

– يجب ان اعود انا ايضا . سأتمشي معكما .

وفي الطريق الى البيت كان جيوبه هوى سعيدا جدا .
لقد اغلق ضريح الماضي واحكم اغلاق بابه جيدا . وقال
مخاطبا نفسه :

– انني شاب . لست مشوها ، ولا مغفلا . سأنتزع السعادة

لنفسى .

ومرة ثانية حمد الله انه ليس كأخيه الكبير :

١٣

خيم الغسق على مربع اسرة قاو السكنى ، وتدل من العارضة الوسطية فى القاعة الرئيسية ، اضافة الى المصباح الكهربائى ذى المثة واط الذى كان قد ركب لتوه ، فانوس ” دائم الاشتعال “ يوقد بالزيت النباتى وفانوس كبير يوقد بالكيروسين واربعة فوانيس بواجهات زجاجية عليها صور اشخاص . ولقد اثار الضوء المشترك المنبعث من هذه الفوانيس الرسوم المعلقة على الجدار وصور اسلاف الاسرة باللباس الرسمى لأسرة تشينغ الملكية والمعلقة على المذبح ، كما امكن رؤية الشقوق فى ارض القاعة المغطاة بالقرميد الملون .

وعلى نحو مرتب صفت اوانى الطعام على مائدتين مستديرتين كبيرتين وضعتا فى وسط القاعة . وكانت عيدان الاكل من العاج ، والطاسات والملاعق والاطباق من الفضة . وتحت كل طبق وضعت قصاصة ورق حمراء كتب عليها لقب احد افراد الاسرة . وقام ثلاثة من الخدم على خدمة كل مائدة ، اثنان بصب الخمرة ، وواحد لتقديم الطعام . وكانت اطباق الطعام تجلب من المطبخ الى طاولة كبيرة خارج القاعة ، ومن هناك

تنقلها خادمة عجوز الى خدم آخرين من الذكور ، حيث ينقلون بدورهم هذه الاطباق الى المائدتين المستديرتين . وقد حضرت جميع جاريات هذه الاسرة الكبيرة لتقديم المساعدة ايضا .

وبعد ان وضعت على المائدتين ثمانية اطباق باردة وطبقان من بزر البطيخ واللوز دعى الاكلة الى الدخول . فتقدمهم السيد المبجل قاو حيث تجمعوا كلهم في القاعة كبارا وصغارا ، ثم باشارة من العجوز جلس كل منهم في مكانه وعلى مقعده . وجلس افراد الجيل القديم جميعا على المائدة الرئيسية ، كل حسب مرتبته . فأولا السيد المبجل قاو ثم السيدة تشن فالمدام تشو فالسيد الكبير الثالث كه مينغ وزوجته المدام تشانغ والسيد الكبير الرابع كه آن وزوجته المدام وانغ والسيد الكبير الخامس كه دينغ وزوجته المدام شن ، ثم ابنة العجوز السيدة تشانغ ، والدة تشين . وعلى المائدة الثانية كان جيويه شين وزوجته روى جيويه والآنسة تشين وجيويه مين وجيويه هوى ، وكذلك ابناء العمومة الذكور - جيويه ينغ وجيويه رن من الاسرة الثالثة ؛ وجيويه تشيون وجيويه شى وجيويه شيان من الاسرة الرابعة . وكان حاضرا ايضا جميع البنات اللاتي من جيل " شو " شقيقة جيويه شين الصغيرة شو هوا ، وابنة عمهم الثالث شو ينغ البالغة من العمر خمس عشرة سنة ، ثم ابنة عمهم الرابع شو فن البالغة من العمر سبع سنوات ، وابنة عمهم الخامس شو تشن البالغة من العمر اثنتي عشرة سنة . ونظرا الى

ان العجوز اراد ان تمثل الاجيال الاربعة على المأدبة ، فقد وضعت روى جيويه زوجة جيويه شين طفلهما الصغير هاى تشن على ركبتيها لحظة وتركته يأكل مع الراشدين .

واخذ العجوز يحدق ، وكأس الخمرة فى يده ، الى الوجوه الباسمة للمحتفلين المحتشدين على المائدتين - ابنائه واحفاده وابن حفيده . ان امنيته ان يرى " اربعة اجيال تحت سقف واحد " قد تحققت . فراح يعب خمرة وعلى وجهه ابتسامة رضى . ونظر الى افراد الجيل الجديد على المائدة الثانية ، وهم يضحكون ويشربون خمرتهم ويطلبون المزيد من الخمرة بأصواتهم الواضحة المتدفقة بالحيوية ، فيهرع اليهم الخادمان يعيدان ملء الكؤوس من غلايات خمر صغيرة .

فقال مبتسما :

— لا تكثروا من الخمرة ، لا تسكروا . كلوا المزيد من

الطعام .

وسمع العجوز صوت جيويه شين يرد بالموافقة ، وعلى نحو غير شعورى حمل كأسه ثانية ورشف رشفة اخرى سعيدة . وعندها ارتفعت جميع الكؤوس الموجودة على طاولة السيد المبجل قاو تمشيا مع كأسه ، وعندما اعاد كأسه الى الطاولة اعاد الآخرون كؤوسهم كذلك . كان الصمت والكبت يخيمان على مائدة العجوز . فقد جلست السيدات والسادة الكبار منضبطين كل الانضباط ، يرفعون اعواد الاكل عندما يرفع العجوز عوديه ، ويعيدونها حالما يعيدهما . ونادرا ما حدث بعضهم بعضا

الا بكلمة او كلمتين . واخيرا ابدى العجوز الملاحظة التالية ،
وهو على شيء من السكر :

— لا تكونوا منضبطين الى هذا الحد . خذوا راحتكم
جميعا . تكلموا واضحكوا . انظروا ما اكثر مرحهم على المائدة
التالية . انا مغالون في صمتنا . لا حاجة بنا الى الجلوس جلسة
مراسم . انا جميعا اسرة واحدة .

ثم رفع كأسه وتجرعه ، وقال :
— اننى سعيد جدا هذه الليلة .

وبعث جذل العجوز غير المألوف نفسا من الحياة في
مائدته ، فأخذت الخمرة تندفق والطعام يقتحم بجذ .

واثلج صدر العجوز لرؤية الوجوه من حوله نضرة متوردة
ولسماع ضجة ضحك ترافق التنافس في شرب الخمرة . فرشفت رشفة
من كأسه الذى اعيد ملؤه . وعاد بذكريته الى الماضى — الى
نضالاته المبكرة من اجل تحصيل الثقافة ، الى نجاحه في ان
اصبح عالما ، الى خدمته موظفا سنوات طويلة . لقد بدأ من
الصفير ، واستطاع شراء الكثير من الاراضى الزراعية ، وبنى
البيوت ، وكون هذه الاسرة الكبيرة . كل شيء تم على ما يرام .
واذا ما استمرت الاسرة في هذا الازدهار ، فمن يدري مدى
الثراء الذى سيصبح عليه ابناء هذه الاسرة بعد جيل او
جيلين . ثم تناول مبتسما جرعة اخرى كبيرة من الخمر ،
ووضع كأسه على المائدة وقال :

— لقد شربت ما فيه الكفاية . فكأسان فقط تجعلاننى

في حالة سكر . اما انتم فتابعوا شربكم .

ثم اصدر امره الى الخدم قائلا :

— اعيدوا ملء كؤوس السادة والسيدات .

كانت المائدة الاخرى فعلا ، كما قال العجوز ، اكثر
مرحا . وقلما تركت ايدي الاكلة عيدان الاكل . فطبق جديد
يظهر ، وما هي الا دقائق حتى يغدو نظيفا . فالصبيان الصغيران
جيويه تشيون وجيويه شى اللذان كانا غير قادرين على استخدام
عيدان الاكل بنجاح ، قد جلس كل منهما على ركبته وراح
يأكل من الاطباق بالملعقة . والشبان والشابات ظلوا يأكلون
ويشربون ويضحكون بحرية تامة الى ان انتهت المأدبة تماما .
ومعظمهم كان قد خالطه شيء من السكر عندما انتهت المأدبة .
وغادرت تشين وامها اولا . وكان جيويه مين وجيويه هوى
واختهما شو هوا وابنة عمهما شو بينغ قد توسلوا اصلا الى المدام
تشو ان تدع تشين تمكث معهم ضيفة خلال ايام العطلة .
ولكن السيدة تشانغ قالت ان لديهم اعمالا في البيت ، ثم
اخذت تشين معها . وعادت روى جيويه الى غرفتها لتعنى
بهاى تشن . اما جيويه شين وجيويه مين وشو هوا فقد افرطوا
جميعا في الشرب ، وذهبوا الى غرفهم للنوم .
وعندها لم يبق في الحفلة متعة ، ولم يبق امام الشباب
الآخرين من اختيار الا العودة الى غرفهم . وخيم السكون على
المربع السكنى الكبير . ولم يبق في القاعة الرئيسية الا قليل من
الخدم ، ينظفون المائدتين ويكنسون الارض .

وكان جيوية هوى ايضا شاعرا بتأثير الخمرة التي شربها .
فقد التهب وجهه واحس بشدة الحرارة في داخله . وكان انفجار
المفرقات النارية في الشارع يتراعى الى مسمعه كأنه اصوات
متقطعة لحوافر خيل تفر مذعورة . ولم يستطع الجلوس ساكنا ،
لذلك خرج يستنشق الهواء البارد في الحجرة المؤدية الى القاعة .
كانت بضع محفات في الانتظار ، بينما كان ثلاثة او اربعة
من حاملي المحفات جالسين يتهايمون على العتبة المرتفعة لغرفة
البوابة . ودوى صوت مفرقات نارية في المربع السكنى المجاور .
وبعد الوقوف عدة دقائق انطلق جيوية هوى في اتجاه
الشارع . وبوصوله الى البوابة الرئيسية انقطع صوت المفرقات
الا من انفجار عرضى . كانت رائحة البارود تملأ الجو ، وبقايا
المفرقات النارية المتفجرة تملأ الشارع . وكان هناك فانوسان
كبيران من الورق الاحمر معلقان في المدخل ، لا يلقىان
على الارض الا ظللا حمراء باهتة على الرغم من الشموع الكبيرة
المشتعلة في داخلهما .

وكانت الشوارع ساكنة . وبقايا المفرقات النارية المبعثرة
ملقاة على الارض على نحو مهمل ، تبعث آخر ما عندها من
دفع وتلفظ آخر انفاسها الحارة . ومن مكان ما انبعث صوت
بكاء رقيق .

فتساءل جيوية هوى دهشا : لماذا يبكى شخص ما في
وقت يكون فيه كل شخص آخر سعيدا ؟ وكان قد صحا من
سكره ، واخذ يحدق الى ما حوله في الظلمة ، فلاحظ شبعا

اسود قريبا من الراقود الحجري الكبير القائم على الجانب الايمن
من بوابة المربع السكنى ، فاقترب منه مدفوعا بالفضول .
كان هناك طفل متسول رث الملابس يبكي مسندا رأسه
الى حافة الراقود ، شعره الاشعث يتدلى الى الماء الذى فى داخله .
ولقد تنبه الى وقع خطوات جيويه هوى . وعلى الرغم من انها
لم يستطيعا رؤية بعضهما بعضا بوضوح ، الا انها وفقا يحدقان
الى بعضهما بعضا ، وجها لوجه ، دون ان يتفوها بكلمة . واستطاع
جيويه هوى سماع نشيجه المضىنى .

احس جيويه هوى كأن ماء باردا قد صب عليه ، فتملمس
على نحو غريزى القطع النقدية الفضية التى تخشخش فى جييه .
وسيطرت عليه عاطفة عجيبة ، فسحب قطعتين يساوى كل
منهما نصف يوان ووضعهما فى يد الطفل المتسول المبتلة بالدمع ،
وقال فى ذهول :

— خذ هاتين ، وابحث لنفسك عن مكان ما دافئ .
الجو بارد هنا فى الخارج ، بارد جدا . انظر لنفسك كيف
ترتجف . ستشعر بالتحسن بعد ان تأكل قليلا من الطعام الساخن .
واستدار جيويه هوى بسرعة ، ثم مشى عائدا الى المربع
السكنى كأنه يفر من شىء معيب . ولدى مروره عبر البوابة
الرئيسية متجها الى الفناء استطاع ان يتخيل ابتسامة اخيه الكبير
الساخرة ويسمع سخريته منه — انك من ”دعاة الانسانية“
وعندما اقترب من القاعة الرئيسية بعد اجتيازه البوابة الداخلية
بدا له ان صوتا يصيح فى وجهه وسط هذا السكون :

— هل تظن ان اعمالا كهذه ستغير العالم ؟ هل تظن انك أنقذت ذلك الطفل المتسول من البرد والجوع طيلة حياته ؟
انك — انك من ” دعاة الانسانية “ المنافقين ؛ فيا لك من مغفل !

وجرى الى غرفته مروعا . ثم غاص في سريره بضعف وهو يقول لنفسه : ” اننى سكران ، سكران . “

١٤

كان اليوم التالى آخر يوم فى السنة القمرية الحالية . وقد استيقظ جيويه هوى فى وقت متأخر تماما . فالشمس قد غطت النافذة فغمرت الغرفة بأشعتها . وقال جيويه مين الواقف الى جانبه وهو يبتسم ابتسامة ممزوجة بشيء من السخرية :
— انظر كيف نمت فى الليلة الماضية .

ازاح جيويه هوى عن نفسه الاغطية فوجد انه لم يخلع ملابس ، فابتسم لأخيه ونهض . كانت أشعة الشمس مزعجة . ثم فرك عينيه . ودخلت خادمة الأولاد ماما هوانغ تحمل طشتا مملورا بالماء الساخن كى يغسل جيويه هوى وجهه ، وقالت تعنفه :

— لقد كنت ثملا جدا فى الليلة الماضية حتى انك لم تخلع ملابسك . من السهل ان تصاب ببرد فى جو بارد

كهذا . عندما غطيتك كنت تغط في النوم العميق . ولقد بقيت
مستغرقا في نومك الى الآن !

وعلت الابتسامة وجهها المتجدد . انها كثيرا ما تعنف
الأولاد ، فيقبلون منها ذلك عن طيب خاطر لصدوره دائما
عن عاطفة امومية .

وابتسم جيويه مين ، وقال جيويه هوى الذى لم يستطع
كبح ابتسامته هو الآخر :

— انك تحبين الثرثرة ، يا ماما هوانغ . كل واحد كان في
غاية السعادة في الليلة الماضية . فما الخطأ في شرب قليل من
الخمير ؟ لقد رأيتك تحديقين الى كلما رفعت كأسى . وهذا
ذهب بكل متعة الشرب . عليك ان تتساهلى قليلا خلال ايام
العطلة . انك اكثر تشددا معنا من المدام تشو !

فردت العجوز وهي ترتب السرير :

— اننى متشدة معكم الى هذا الحد لأنها ليست متشدة
معكم بما فيه الكفاية . لقد تجاوزت الخمسين هذه السنة .
ولقد مضى على عملى لدى هذه الاسرة اكثر من عشر سنوات ،
اعتنى بكما الاثنين . لقد عايشتموكمما . وكنتما طيبين معى
كذلك . لم اسمع منكما كلمة قاسية . اننى افكر في الذهاب
الى بيتى منذ وقت طويل ، ولكننى لا استطيع تحمل فراقكما .
لقد شهدت كل التغيرات في هذا المربع السكنى . ليس الوضع
الآن جيدا كما كان في الايام السابقة . وما ازال افكر في المغادرة .
اذا اعتدت العيش في الماء الصافى لا تجد ما يشجعك على

البقاء بعد ان يصبح موحلا . . . ولكن يعز على ان انفصل
عنكما الاثنين . من سيعتنى بكما بعد مغادرتي ؟ كلا كما ،
ايها السيدان ، في غاية الطيبة - تماما كأمكما المرحومة .
ستكون سعيدة لو استطاعت ان ترى كيف ترعرعتما على نحو
جيد . اعرف انها ما تزال تصونكما في السماء . بعد بضع سنوات
ستنهان دراستكما ، وستصبحان موظفين كبيرين . وذلك
سيكون شرفا عظيما لي ايضا !

فقال جيويه هوى مبتسما :

- اذا اصبحنا حقا موظفين كبيرين فمن المحتمل ان
ننساك حينذاك نهائيا . كيف يمكننا ان نفكر فيك في وقت
مثل ذلك ؟

فقالت العجوز محدقة الى الولدين بحنان :

- اعرف انكما لن تنسياني ابدا . ولا اقصد انني سأكون
بحاجة الى شيء منكما . سأكون طاعنة في السن حينذاك وغير
نافعة . كل ما اريده هو ان اسمع بنجاحكما في دراستكما
وبروزكما في المجتمع ، وعندها تقر عيني .

فقال جيويه مين مؤكدا وهو يربت على كتفها :

- بالطبع لن ننساك يا ماما هوانغ .

وابتسمت له العجوز واخذت الطشت الذي انتهى منه

جيويه هوى . وعند المدخل تريثت لتنبههما قائلة :

- لا تشربا هذه الليلة .

فرد جيويه هوى ضاحكا :

— مقدار ضئيل لن يؤدي .

غير ان العجوز غادرت قبل ان تصل سمعها هذه الكلمات :
وقال جيويه مين :

— يا لها من امرأة لطيفة ! من الصعب ان تجد خادمة
طيبة مثلها .

فقال جيويه هوى ساخرا منه :

— لقد اكتشفت اذن اكتشافا عظيما عندما وجدت ان
للخدم شعورا وضميرا مثل سادتهم تماما .

واحس جيويه مين بهذه السخرية غير اللاذعة ، ولكنه
لم يجب بل اتجه الى الباب .

فسأله جيويه هوى قائلا :

— أذهب الى بيت تشين ثانية ؟

فاستدار جيويه مين عند العتبة ، ونظر الى اخيه نظرة تأنيب ؛
ولكنه اجاب جوابا معتدلا :

— لا ، اننى ذاهب انتزه في الحديقة . هل لك ان ترافقنى ؟
هز جيويه هوى رأسه موافقا وانضم اليه . وعند مرورهما
بباب شقة جيويه شين سمعا تشيان ار ، جارية الاسرة الرابعة ،
تنادى اخاهما الكبير : ” ايها السيد الاول ! ” ثم تابعا
طريقهما الى الحديقة .

وقال جيويه مين عندما اجتازا بوابة ” القمر ” :

— دعنا نطلق يمينا ، فالجد في ايكة البرقوق يراقب
الخدم وهم يقطعون الاغصان .

وسلك الشقيقان ممرا متعرجا مغطى ، يحده من احد جانبيه سور مطلى بالكلس ومزخرف بلوحات رسم رخامية ، كما فتحت في هذا السور عدة نوافذ - خلفها اقيمت قاعة الاستقبال . وعلى طول الجانب الخارجى لهذا الممر المغطى يمتد درابزين حجري ، تجثم خلفه تلة كبيرة من صنع الانسان ، ويرى من هناك امتداد واسع من الحديقة . وكانت هناك ايضا مصطبة منخفضة انتصبت فيها بضع شجيرات فاوانيا عارية متحدية البرد . وقد لف رأس كل غصن بطبقة من القطن .

قال جيويه هوى هازا رأسه ، مستحسنا ثبات تلك الشجيرات :
- تلك هى الطريقة المثلى ، الانتصاب وسط الريح المتجمدة دون ادنى ارتعاش . علينا ان نكون مثل هذه الشجيرات ، لا مثل العشب الصغير الذى يسقط زاويا لدى اول صقيع !
فقال جيويه مين ضاحكا :

- لقد عدت لتلقى الخطابات ثانية ! ان شجيرات الفاوانيا هذه لا تستطيع فى النهاية ، على الرغم من تحملها الشتاء واخراجها الاوراق والازهار ، ان تتجنب مجز الجد .
- وما الغضاضة فى ذلك ؟ فى العام القادم سوف تنتج ازهارا جديدة مرة ثانية !

وبعد خروجهما من الممر المغطى هبطا مجموعة من الدرجات الحجرية تقود الى حديقة ملأى بجلاميد من الصخر مشوهة الشكل . فبعضها يبدو كرجل مسن محنى الظهر ، وبعضها كأسد رابض ، وبعضها الآخر كفرنوق طويل العنق . وعند

الطرف الآخر من الحديقة صعد الشقيقان سلما حجريا اوصلهما الى سياج من الخيزران ، ثم ولجا بوابة ضيقة جدا لا يستطيع اجتيازها الا شخص واحد ، فاذا هما امام اجمة كثيفة من الخيزران يبدو من المتعذر اجتيازها . ومن ثم دخلها عبر ممر صغير متعرج . وباقترابهما من نهاية الاجمة سمعا خرير المياه اولاً ، ثم شاهدا جدولاً صغيراً يتدفق من التلة الاصطناعية . كانت مياهه صافية جدا - اذ امكن ان ترى بكل وضوح الحصى والاوراق الساقطة في قاعه .

ونقل الشقيقين الى الجانب الآخر جسر خشبي ، حيث دخلنا حديقة اخرى . وهنا في الوسط مقصورة ذات سقف من القش ، قد نما امامها قليل من اشجار القرفة وشجيرات الكاميلية . وخلف المقصورة ترى سورا آخر مطلباً بالكلس ، مع بوابة صغيرة عند زاويته اليسرى . وما ان عبر الشقيقان البوابة حتى دوى في اذنيهما صوت الامواج . ثم بعثت الريح الباردة الرعشة في جسديهما ، غير انهما تابعا السير .

ودخلا متاهة من الاسيجة ، ظلاً ينعطفان فيها ويدوران فترة طويلة قبل ان يجدا ثانية طريقهما الى الخروج . وامامهما انتصبت ايكة من اشجار الصنوبر الباسقة . وقد استطاعا سماع الريح تعول داخل الايكة ، وفي منتصف الطريق داخل الايكة ، والى اليمين حيث لم تكن الاشجار كثيفة جدا ، امكنهما رؤية النوافذ تومض في مقصورة حمراء غائمة . واخيراً وصلا فسحة من الارض في الجانب الآخر من الايكة ، لا شجر فيها . والى

الامام ظهرت المياه المتألقة لبحيرة على شكل هلال تعانق الضفة الاخرى في منحناها . وكان هناك جسر متعرج يقود الى جزيرة صغيرة فيها مقصورة في وسط البحيرة .

توقف الشقيقان عند حافة البحيرة ، واخذوا يحدقان الى المويجات وهي تترقرق . وتناولوا بعض الحجارة وحاولوا قذفها الى الجانب الآخر ، غير ان الحجارة كانت تقصر عن الوصول اليه فتسقط قريبا منهما في الماء ، على الرغم من انهما كانا يقفان عند قسم من البحيرة ضيق نسيبا .

وقال جيويه مين مقترحا على اخيه :

— هيا بنا نذهب الى الجانب الآخر ، فنجد مكانا للجلوس .
وعبر الشقيقان الى الشاطئ الآخر جسرا صغيرا محلبا .
وبعد ان اجتازا مرجة ضيقة صعدا سلما حجريا قادهما الى حديقة كبيرة حيث ينمو عدد من اشجار المغنولية . وقد شقها الى الوسط ممر مرصوف بالحصى اصطف على كل جانب من جانبيه اربعة مقاعد خزفية مصقولة . وبعد ان صعد الشقيقان بضع درجات اخرى وصلا الى المقصورة الحديثة الاصلاح التي شاهدها من خلال اشجار الصنوبر . لقد طليت هذه المقصورة كلها من الخارج باللون الاحمر القاني باستثناء سطحها القرميدي ، فبدت شديدة الجاذبية . وقد ثبتت فوق بابها لوحة افقية تحمل اسم المقصورة — ” اربيع المساء ” . ولقد كتب هذه العبارة جدهما .

جلس جيويه مين على احد المقاعد الخزفية المصقولة ،

واخذ يحدق الى اللوحة فى اعجاب وتقدير :
ووقف جيويه هوى على سلم المبنى ، ثم اقترح على
اخيه مبتسما :

— دعنا نتسلق الجانب الآخر من التلة .

فرد عليه جيويه مين رافضا ان ينهض :

— ارى ان نستريح بعض الوقت اولاً .

فقال جيويه هوى ، وهو يفتح باب المبنى ويدخل :

— حسنا . اننى داخل لأتفرج .

واكتفى بالقاء نظرة سريعة على اثاث الغرفة ، وعلى الرسوم
المعلقة على الجدار . ثم مشى الى مؤخر المبنى ، حيث صعد
السلم المؤدى الى الطابق العلوى . وهناك وجد الاخ الكبير
مستلقيا على السرير . كانت عينا جيويه شين نصف مغمضتين ،
وقد بدا عليه الارهاق .

فسأله جيويه هوى فى دهشة :

— ماذا تفعل هنا وحدك ؟

ففتح جيويه شين عينيه وحدق اليه فى تعب ، واجابه بضحكة
مكروه :

— لقد جئت انشد الراحة . ففى الايام القليلة الماضية
تعبت تعباً شديداً . وفى البيت لا استطيع ان اتمتع بأى هدوء .
فالناس دائماً يأتوننى لأمر او لآخر . وهذه الليلة سنظل ساهرين
طوال الليل ايضا . واذا لم آخذ قسطاً من الراحة ، فلن اكون
قادراً على السهر .

– كانت تشيان ار تبحث عنك قبل قليل . لا اعرف
ماذا تريد .

فسأله جيويه شين في ذعر :

– لم تخبرها بأني هنا ، أليس كذلك ؟

– بلى . انا لم ارها ، بل سمعتها فقط تناديك في غرفتك .

فقال جيويه شين مستريحا :

– جيد . اعرف ان العم كه آن يريدني لأمر ما . انني

مسرور لكوني استطعت الفرار .

من الواضح ان تكتيكات الاخ الكبير قد تغيرت . وقد

تساءل جيويه هوى ان كانت اساليبه الجديدة في استرضاء

كل واحد ستظل ناجحة ام لا . ثم قال لأخيه وهو لا يقصد

ان يحوم حول الموضوع :

– لقد شربت كثيرا على العشاء في الليلة الماضية . ولكن

لم يسبق لك ان اعتدت حب الشراب ، وصحتك ليست جيدة

تماما . فلماذا تكثر من الشرب الى هذا الحد ؟

فانتصب جيويه شين جالسا ، واجاب بابتسامة مرة :

– انك دائما تسخر من تكتيكاتي في العراك . حسنا ،

هذا واحد منها . عندما تكثر على الهموم اشرب بعض الخمرة ،

فيصبح العالم امامي مبهما ومريحا ، وتصبح الحياة اكثر

سهولة .

وبعد لحظة توقف تابع يقول :

– اعرف انني جبان ، لا املك الشجاعة لمواجهة الحياة .

ان افضل ما استطيع فعله هو ان اخبل نفسى بالخمرة ، فهى
الحالة الوحيدة التى استطيع معها الاستمرار .

وفكر جيويه هوى بمرارة : ماذا يمكنك ان تفعل مع رجل
يعترف بأنه جبان ؟ وبدأ بالثناء لحال اخيه الكبير وانتهى بالتعاطف
معه . واستدار ليغادر مخافة ان يضيف بأى شىء يقوله المزيد
الى بؤس اخيه . غير ان جيويه شين اوقفه قائلاً :

– انظر دقيقة ايها الاخ الثالث . هناك شىء اود ان
اسألك عنه .

فرجع جيويه هوى ووقف مواجهها لأخيه . ونظر اليه جيويه
شين بعينين تومضان ، ثم قال :

– هل رأيت ابنة الخالة مى ؟

فأجابه جيويه هوى دهشا :

– أ تعرف انها فى تشغدو ؟ انا لم ارها ، ولكن تشين
رأتها .

فهز جيويه شين رأسه وقال :

– وانا رأيتها ايضاً – قبل بضعة ايام ، عند مدخل مخزن

شينفاشيانغ التنويعى .

وهز جيويه هوى رأسه هو الآخر بصمت ، محاولاً ان
يقرأ تعابير وجه اخيه .

– كانت خارجة مع امها . وقد توقفت امها تتحدث

مع شخص ما فى الداخل ، فوقفت مى فى المدخل تنظر الى
بعض الاقمشة . لقد عرفتها لأول نظرة وكدت اصيح من الدهشة ،

فاستدارت مى ونظرت الى . ثم هزت رأسها فى نصف تحية وادارت وجهها الى داخل المخزن . وتابعت نظرها ، فرأيت امها فى الداخل ، فلم اجرؤ على الاقتراب منها ، بل اكتفيت بالوقوف انظر اليها عن بعد . وظلت عيناها الصافيتان مثبتتين على فترة طويلة ، وشفتاها ترتجفان . وظننت انها ستقول لى شيئا ، الا انها استدارت وعادت الى داخل المخزن دون ان تنظر الى ولو نظرة خاطفة .

ودوت جلجلة انبعثت من ضحك اطفال خارج المقصورة ، ثم ما لبثت ان خمدت . وتابع جيويه شين يقول :

– مقابلتها على هذا النحو اعادت كل ما مضى . كنت قد نسيت ذلك كليا . ان روى جيويه رائعة معى ، وانا احبها . ولكن عودة مى الآن تثير الذكريات القديمة . فكيف لا افكر فيها ، وانا اعيش فى هذا المحيط ؟ كم اتمنى ان اعرف شعورها نحوى . ربما تكرهنى لأننى ، خيبت ام لها . اعرف انها تزوجت ، غير انها ارملة الآن ، وقد عادت لتعيش مع امها . . .

واحبتبت الغصة صوته ، وغضن الالم والاسى وجهه ، ثم تنهد .

– اننى متأكد من انها لا تكرهك بعد كل هذا الوقت وبعد كل ما حدث . فلماذا تواصل تعذيب نفسك بالماضى ؟ الماضى يجب ان يكون قد ولى ودفن . والحاضر هو الذى يجب ان نفكر فيه ، وكذلك المستقبل . ان ابنة الخالة مى ربما نسيت كل ما يتعلق بك .

قال جيويه هوى هذه الجملة الاخيرة ، وهو يعرف في
قرارة نفسه انه يكذب .

وهز جيويه شين رأسه قائلا :

— انت لا تعرف حقيقة الامر . كيف يمكنها ان تكون
قد نسيت ما حدث بيننا ؟ النساء يتذكرن كل شيء . لو كانت
حياتها افضل مما هي عليه ، لو ان لها زوجا يحبها ، لربما
امكنها ان تنسى ، ولما وجدت نفسى اقلق عليها . ولكن القدر
حكم عليها بطريقة اخرى ! انها الآن ارملة شابة ، ترافق اما
عجوزا متعنتة ، وتعيش كراهبة في دير . فكيف يمكننى ان
لا اقلق عليها .

ولكن عندما افكر فيها اشعر اننى لست عادلا مع روى
جيويه . فروى جيويه تحببى . فلماذا يتعين على ان احب
انسانة اخرى ؟ اذا استرسلت في هذا الامر ، فسألحق الاذى
بكليتهما . ولن اغفر لنفسى ذلك ابدا . . . الحياة قاسية جدا ؛
وهذا ما يضطرني الى ان ابلد ذهني ، هذا ما يضطرني الى الانسياق
وراء الشرب . ولكن تأثير الشرب ينقضى بسرعة ، لذلك اتوارى
عن روى جيويه بعيدا عقب الشرب ، ثم ابكى بصمت لأن
خطاياى الماضية تكون حينذاك اشد ايلاما لى . وألعن نفسى
على هذا الجبن الذى انا فيه !

واحس جيويه هوى بالرغبة في ان يقول : ” انت جلبت
ذلك على نفسك . لماذا لم تقاوم ؟ عندما ارادوا اختيار عروس
لك ، خلافا لرغبتك ، لماذا لم تبد رأيك دون خوف ؟ انك لم

تتل الا ما تستحق ! “ ولكن عندما رأى تعابير وجه اخيه المأساوية
اكتفى بأن قال برقة :

— ربما يحل الامر حلا جيدا . فاذا احبت ابنة الخالة
مى وتزوجت ثانية ، فان كل شيء سيحل .
فهز جيويه شين رأسه وقال مبتسما بمرارة :

— هذا لا يحدث الا في كتبك الجديدة . يجب ان تفتح
عينيك وتلقى نظرة الى الواقع . كيف يمكن لشيء كهذا ان
يحدث في اسرة كأسرتها ؟ فليست امها وحدها هي التي تعارض
ذلك ، بل انها نفسها لن تفكر في هذا الامر ابدا .

وبدا ان ليس هناك ما يمكن ان يضيفه جيويه هوى .
فهو لم يرغب في مناقشة جيويه شين ، اذ ان البعد بين طريقتيهما
في التفكير قد ازداد عن السابق . انه لم يفهم جيويه شين حقا .
اذا كان امر من الامور صحيحا ، فلماذا لا يتم فعله ؟ انها
لتضحية غير مجدية ان يتخلى الانسان عن سعادته بسبب الظروف
التي يمكن تغييرها . وهذا لم يقدم لاحد اى نفع غير انه اطال
حياة اسرة قديمة الطراز بضع ساعات . لماذا من غير الممكن
ان تتزوج ابنة الخالة مى ثانية ؟ مادام الاخ الكبير يحبها ،
فلماذا تزوج روى جيويه ؟ وبعد زواجه من روى جيويه لماذا
ما يزال يفكر بابنة الخالة مى ؟

وبدا ان جيويه هوى قد فهم كل ذلك ، ثم عاد فالتبس
عليه الامر . كل ما يتعلق بأسرته الابوية عبارة عن عقدة معقدة
بالنسبة له ، وقد عجز تحمسه وذهنه المتحفز ان يجدا سيلا

الى حل هذه العقدة . وفيما وقف يحدق الى تعابير العذاب الشديد على وجه اخيه ، داهمته فكرة مخيفة : انها لحقيقة مأساوية ان لا يكون امام اناس مثل جيويه شين اى بصيص للامل ؛ فهم خارج دائرة الانقاذ . واعطاؤهم افكارا جديدة وفتح اعينهم على الملامح الحقيقية للعالم لا يفعلان اكثر من زيادة بؤسهم . وما ذلك الا كنبش جثة وتركها ترى تعفنها بنفسها .

لقد عذبت هذه الحقيقة المرة قلبه الفنى . كل شىء بدا واضحا امامه الآن ؛ لقد اصبح لديه هاجس بمستقبل اكثر بؤسا . لقد استطاع رؤية هوة سحيقة تفغر فاها امام اناس كأخيه الكبير . وكانوا يخطون اليها دون ادنى تردد ، كأنهم لا يعرفون انها امامهم . وجيد انهم لا يعرفون ، لأنهم كانوا خارج دائرة الخلاص .

ومع انه استطاع رؤيتهم وهم يمشون نحو الهوة ، الا ان قواه لم تسعفه على انقاذهم . يا لها من مأساة ! وضعفت معنويات جيويه هوى . واحس انه محصور فى ممر ضيق ، غير قادر على ايجاد مخرج منه . وبدا له ان ضحك الاطفال الذين يلعبون فى الخارج ما هو الا سخرية منه .

وقال لنفسه : كفى ، كم من المشكلات يمكن ان احشو بها دماغى الصغير الوحيد بعد ذلك كله ؟ دع كل شىء يأخذ مجراه الطبيعى . وما دمت اتصرف تصرف رجل ، فهذا يكفى . وبدا له هذا من افضل الحلول ، فرفض ان يفكر اكثر من

ذلك .

واخرج رأسه من النافذة ونظر فيما حوله ، فرأى ابني عمه جيويه ينغ وجيويه تشيون واخته شو هوا وبنات عمه شو ينغ وشو تشن وشو فن . وكان معهم ايضا شقيقه جيويه مين . وكان الاطفال ، كل بدوره ، يركلون الى الاعلى بالجوانب الداخلية لأقدامهم الشطكوك* . وكانت الغاية من هذه اللعبة معرفة من يستطيع ان يركل الشطكوك اكثر من غيره دون ان يدعها تقع على الارض .

وحياهم جيويه هوى بصيحة ابتهاج . فأدارت شقيقته شو هوا التي كانت مشغولة بالركل والعد في آن واحد رأسها في اتجاه صيحته على نحو غريزي . ونتيجة لذلك سقطت الشطكوك على الارض على الرغم مما بذلته من جهد يائس لردها وابقائها في الاعلى . وكانت قد وصلت في عدها الى الرقم : مائة وخمس واربعين !

وكان جيويه مين وبقية الاطفال يعدون ايضا ، ويزدادون قلقا مع ارتفاع رقمها . ولكنهم ما لبثوا ان اطلقوا صيحات الابتهاج وهم يرونها تخطئ . فغضبت شو هوا كثيرا ، ثم ضربت الارض بقدمها وقالت انها غلطة جيويه هوى . فقال لها جيويه هوى معايبا :

— لماذا غلطتي ؟ لم اكن اتكلم معك !

وعندما استدار ليهبط السلم اكتشف ان جيويه شين قد

* كرة شبيهة بكرة الريشة يلعب بها الاطفال في الصين بأقدامهم .

غادر . فنزل الى الطابق الارضى ببطء :

واستطاع سماع صوت اخيه الكبير : وعندما وصل الى جانبه كان جيوبه شين قد ركل الشطكوك . وكان من المضحك تماما مشاهدة ملامح الانزعاج على وجهه ، لذلك ضج الاطفال بالضحك . ومع انه ظل محجما عن الضحك ، الا انه كان مستمتعا الى حد كبير .

وراح جيوبه هوى ينظر اليه ، ويتعجب كيف ينسى المرء بهذه السهولة . فخلال وقت قصير يمكن ان يطرأ على الانسان تغير تام في مزاجه . هل يمكن ان تكون هذه القدرة على النسيان هي التي تمكنتنا من تحمل الشدائد ؟ وبدأ جيوبه هوى يفهم بعض الشيء شخصية اخيه الكبير هذه . لقد استطاع جيوبه شين ان يفتح ضريح الماضى ، ومن ثم يغلقه ثانية وينسى كل ما يتعلق به في الحال .

١٥

وعندما حل الظلام في ذلك اليوم بدأت المفرقات النارية تدوى ، في البداية على نحو متقطع ، ثم ما لبثت ان عمت الجوار كله . وقد ردد الشارع الساكن دوى الانفجارات ، حيث هز انفجار المفرقات الكبيرة الارض . كان الصوت

حادا وقويا ، وقد تعذر معرفة الاتجاه الذي صدر عنه . وكانت الضجة كذلك التي تثيرها عشرة آلاف من الخيل المدعورة المشتة ، او التي تثيرها موجة مد عارمة .

وبعد وجبة العشاء تجمع كل افراد الاسرة في قاعة الاسرة . كل واحد لبس ثيابا جديدة . ووقف الرجال على الجانب الايسر من القاعة ، والنساء على الجانب الايمن . وكانت الاضواء في القاعة ساطعة كالنهار ، ولكن مصراعى الباب الكبير كانا مفتوحين على اتساعهما . وامام مذبح الاسلاف انتصبت طاولة مذبح مستطيلة مغطاة بقماش مخملي احمر . وفي حوض كبير امام المذبح كومت عشرات الاكداس من الفحم النباتي على شكل تلة كبيرة ، راحت تتوهج بالحرارة وينبعث منها لهب احمر ساطع . وكان بينها غصنان او ثلاثة اغصان من شجر السرو اخذت تطشطش وسط النار ، مصدرة دخانا لاذعا يلسع الاعين والخياشيم . وقد نشر المزيد من هذه الاغصان على السجادة الكبيرة الصفراء التي تغطي ارض القاعة . ووضعت كذلك وسادة كبيرة للركوع امام حوض اللهب ، وقد غطيت هذه الوسادة بقماش مخملي احمر .

وانتصب بالقرب من الحافة الخارجية لطاولة المذبح شمعانان طويلان ومبخرة كبيرة . وعلى طول الحافة الداخلية للطاولة وعند طرفيها وضع عدد كبير من اكواب الخمر ، لم يعرف مقداره الا عدد ضئيل من افراد الاسرة . ونظرا الى ان السيد المبجل قاو كان طاعنا لا يستطيع ان يدير هذه المراسم المتعبة ،

فقد تولى ابنه كه مينغ مسؤولية ذلك :

وتقدم كه مينغ وشقيقه كه آن بجلباييهما وسترتيهما الواسعتى الاكمام ، وملاّ الاكواب بخمر شاوشينغ الرائع ، واشعلا اعواد البخور ووضعها فى المبخرة . ثم ذهب كه مينغ الى الغرفة الداخلىة ، ودعا السيد المبجل قاو الى الخروج والبدء فى المراسم .

وخيم السكون على الجمع لدى ظهور العجوز . واصدر كه مينغ الامر ببدا اطلاق المفرقات النارية . فهرع خادم الى بوابة المربع السكنى الداخلىة ، المفتوحة هى الاخرى على اتساعها ، وصاح : ” اطلقوها “ ، فدوى فى الفضاء كالرعد انفجار المفرقات النارية .

وعند ذلك غادرت النساء القاعة من باب جانبى ، بينما اصطف الرجال وظهورهم نحو طاولة المذبح . وركع السيد المبجل قاو مواجهها الباب الرئيسى وسجد لالهى السماء والارض . وتبعه ابناؤه الثلاثة الذين ركعوا فى صف واحد وسجدوا ايضا . وقد ذهب جيويه شين الى الخارج ليحمل عود بخور مشتعل الى المطبخ ، رامزا بذلك الى استعادة اله المطبخ بعد رفع تقريره السنوى الى السماء عند رأس كل سنة على الطريق الذى ما زالت الاسرة نفسها تسلكه . ويدخل جيويه شين الآن قاعة الاسرة فى الوقت المحدد تماما لينضم الى شقيقه وثلاثة من لبناء اعمامه المصطفين استعدادا للسجود لالهى السماء والارض . وبعد ان تم ذلك استدار الرجال جميعا ووقفوا مواجهين لطاولة المذبح .

كما عادت النساء اللواتي كن يختلسن النظر من الباب الجانبي الى الاصطفاف داخل القاعة بسرعة .

ووفقا للعادة كان السيد المبجل قاو هو الذي يسجد اولاً امام مذبج الاسلاف وينسحب بعدها من القاعة . ثم يتبعه الآخرون وفقاً للترتيب التالي : المدام تشو فأعمام جيويه شين وزوجاتهم ثم السيدة تشن . وقد سجدوا جميعهم ببطء ، مستغرقين نصف ساعة بالضبط . ثم تبعهم الابناء الذكور من جيل جيويه شين - ومجموعهم ستة . وتتم هذه المراسم مرة كل سنة ، والشباب ينزعجون منها غاية الانزعاج . فقد كان من المفروض ان يركعوا ، ويسجدوا ثلاث مرات ، ثم ينهضوا ويكرروا هذه العملية مرتين اخريين . لذلك لم يستطع الستة ان ينسقوا حركاتهم . فالصبيان الصغيران جيويه تشيون وجيويه شي كانا بطيئين جدا ، اذ قبل ان ينهيا سجدياتهما الثلاث الاولى كان الآخرون قد نهضوا . وعندما كانا يهمان بالنهوض كان الآخرون قد ركعوا للمرة الثانية . وهذا ما جعل بعض المشاهدين يضحك في خفت ، بينما راحت المدام وانغ ، ام الصبيين ، تحثهما على الاسراع . ووسط موجة من الضحك العام انتهى الاولاد الستة من سجودهم بسرعة . لقد كانوا أكثر سرعة من ذويهم الكبار .

وقادت روى جيويه اربع فتيات الى وسادة الركوع المخملية - شو ينغ وشو هوا وشو تشن وشو فن . فجاءت حركاتهن اكثر انتظاما من حركات الأولاد ، مع انها كانت بالطبع

ابطأ منها بقليل . فحتى شو فن التي لم تتجاوز السابعة من عمرها بعد كانت حركتها في غاية الرشاقة . وبعدها تقدمت روى جيويه بطفلها هاى تشن ليخدم تحياته ايضا .

ورفع الخدم الغطاء المخملى عن وسادة الركوع وبسطوه على الارض ، وذهب كه مينغ الى الغرفة الاخرى ليدعو السيد المبجل قاو الى الظهور ثانية . وبعد ان خرج العجوز ركع قبالة جميع الرجال والنساء الذين من جيل كه مينغ وسجدوا ، مشكلين صفا واحدا . وتبعهم في ذلك الاحفاد والحفيدات . وتلقى العجوز احتراماتهم هذه بوجه مبتسم ، وانسحب بعدها الى غرفته الخاصة .

وبعد مغادرة العجوز ساد القاعة جو من المرح . فالرجال والنساء من الجيل القديم شكلوا نصف دائرة على السجادة المخملية وسجدوا لبعضهم بعضا .. وسجد الأولاد لوالديهم ، ثم حنوا ركبهم لأعمامهم وزوجات اعمامهم . وفي النهاية تجمعوا كلهم في دائرة كبيرة ، وفقا لاقتراح المدام تشو ، وراحوا يسجدون ويمزحون ويهنتون بعضهم بعضا . وانطلق الاطفال والشباب للعب ، غير ان جيويه شين وزوجته بقيا مع الجيل القديم لتلقى تحيات الخدم .

وهرع جيويه مين وجيويه هوى من القاعة الى غرفتهما ، خارجين من الباب الجانبي ، ليتجنبا بذلك انحناءات الخدم . ولكنهما شوهدا وهما يجتازان شقة المدام تشو . فانحت لهما العجوز ماما هوانغ اولا انحناءة تبجيل ، وتمنت لهما الخير

من صميم قلبها . وشبك الشقيقان ايديهما امام وجهيهما في تأثر ، ثم اسبلاها وهما ينحنيان . وتبع ماما هوانغ ثلاث خادמות اخريات .

واخيرا جاءت مينغ فنج . كان على وجهها مسحة خفيفة من المسحوق . وكانت ضفيرة شعرها السوداء تتألق ملتزمة . وقد لبست فوق سترتها المحشوة بالقطن سترة اخرى جديدة من القماش الجيد ، مزودة بحواش . وبعد انحنائها لجيوبه مين استدارت نحو جيويه هوى مبتسمة ، ثم حيته قائلة : ” السيد الثالث “ ، وانحنت بجسمها لحظة . فرد عليها جيويه هوى تحيتها بسرور .

وخلال تلك اللحظة التي ابتسم فيها كل للآخر بحرية نسي الماضي ، وبدا له العالم جميلا . وكان امرا معقولا تماما ان يشعر هذا الشعور ، لأن اصوات الفرح والمرح كانت تتجاوب في كل انحاء المربع السكنى . اما العالم الخارجى خلف جدران المربع السكنى ، فان جيويه هوى لم يفكر فيه . بل انه نسي حتى الطفل المتسول الذى رآه في الليلة السابقة . وهبط خادم السلم خارجا من قاعة الاسرة ، وصاح : ” اطلقوا الالعاب النارية ! “ وارتفع صوت آخر من مكان بعيد يردد هذا الامر . ومن الفناء الخارجى ما بين البوابة الامامية والبوابة الداخلية انطلقت الى السماء العاب نارية تبهر الابصار . واخذ كل انفجار يتبع الآخر ، ثماني او تسع مرات متلاحقة . وهذه الالعاب النارية قدمتها السيدة تشانغ ، والدة تشين .

وجلس السيد المبجل قاو على كرسى وضع له فى مدخل قاعة الاسرة . واخذ يشاهد العرض ، وقد احاط به اولاده وكنائنه ، ويبدى ملاحظاته الانتقادية .

وذهب جيويه هوى وابناء اعمامه الى القاعة الرئيسية فى الفناء الامامى ، حيث يمكنهم ان يشاهدوا على نحو افضل . واشترى الصبية بعض الالعاب النارية الخاصة بهم - " قطرات الذهب " و " الفئران المنطلقة بسرعة " و " الكتاب المعجز والسهام " - وراحوا ينتظرون البدء فى اطلاقها .

وعندما انتهى العرض انصرف الكبار من قاعة الاسرة . وطلب جيويه شين واعمامه الثلاثة محفات ، وذهبوا لزيارة اصدقائهم البارزين اجتماعيا زيارة نهاية السنة . ووقف جيويه هوى خارج القاعة الرئيسية يراقب ابناء اعمامه وهم يطلقون العابهم النارية .

وفى غرفة العجوز وضعت طاولة للعب ، وبدأ السيد المبجل قاو والمدام تشو والمدام تشانغ والمدام وانغ يلعبون الماجيانغ . وجلست السيدة تشن المكثرة من زينتها ، والتي خلعت عنها تنورتها الخارجية الوردية اللون ، بجانب العجوز تساعده فى اللعب . ووقفت الخادومات والجاريات حولهم يملأن التراجيل ويقدمن الشاى .

وجلست روى جيويه وشو يينغ وشو هوا والمدام شن يلعبن الماجيانغ فى غرفة جيويه شين . وحاولت روى جيويه ، بوصفها مضيقة ، التخلى عن مكانها لجيويه مين . ولكنه رفض ، اذ

كان يرغب فقط في الوقوف خلفها ومراقبتها في شوط من اللعب .
وبعد ذلك انصرف .

وبدلا من العودة الى غرفته انضم الى جيويه هوى وابناء
اعمامه خارج القاعة الرئيسية . وكان جيويه هوى يقوم باطلاق
” الكتاب المعجز والسهام “ لأبناء اعمامه . فانطلقت كرة
نارية فوق الاسطح ، حيث اختفت في الفضاء – كأنها قبلت
لم تنفجر . وتقدم جيويه مين من جيويه هوى وهمس في اذنه :
– هيا بنا نزر تشين .

فهز جيويه هوى رأسه موافقا ، ثم انطلق الشقيقان متجاهلين
توسلات ابناء اعمامهما ان يظلا لاكمال الالعاب النارية .

كان ضوء الفانوسين الكبيرين ما يزال ينبعث من افريز
المدخل الامامي خافتا مع شيء من التوهج الاحمر الذي راح
يومض في الهواء البارد . وقد جلس البواب العجوز على كنية
خشبية قديمة منتصبه الظهر يتحدث مع حامل محفة يجلس
على مقعد طويل مقابل له ، فما ان رأى الشقيقين يمران به
حتى نهض واقفا احتراما لهما .

وباجتيازهما العتبة المرتفعة المطوقة بالحديد لمحا وجها
نحيفا ذا كنا بجانب الاسد الحجري على يمين البوابة . ولكنهما
لم يميزا في ضوء المصباح الخافت ملامح وجه خادمهم السابق
قاو شنغ ، فتقدما الى الشارع دون ان يعيراه اهتماما .

لقد امضى قاو شنغ في خدمة اسرة قاو اكثر من عشر
سنوات . وبعدها اصبح مدمن افيون وسرق بعض اللوحات

الخاصة بالسيد المبجل قاو وباعها . وعندما اكتشفت السرقة امضى مدة في السجن . وبعد اطلاق سراحه اخذ يتنقل من مكان لآخر متسولا . ولكنه في كل عطلة هامة يعود الى بيت سيده السابق ينشد شيئا من النغود التي تمنح عادة للخدم في اوقات كهذه . ولخجله الشديد بسبب ثيابه البالية فانه لا يدخل المربع السكنى بل ينتظر خارج البوابة الرئيسية الى ان يخرج خادم كان يعمل معه سويا ، فيتوسل اليه ان ينقل طلبه الى الداخل . ونظرا الى ان طلباته دائما معتدلة ، وتأتى في وقت يكون فيه سيده السابق منشرح الاسارير ، فقد تعود ان يؤتى سؤله . وبمرور الوقت اصبحت هذه الصدقات عادة ثابتة .

ولقد تسلم اليوم اعطيته كالمعتاد ، ولكنه لم يغادر فورا هذه المرة ، بل ظل مختفيا خلف اسد حجرى يتحسس بيده جسمه البارد الذى لم ينكمش بفعل ملاطفته هذه ، متصورا ان الاحتفالات التي يعرفها لا بد من ان تكون قد بدأت داخل المربع السكنى .

وعندما ظهر الشقيقان عرفهما . كما تذكر جيويه هوى جيدا ، لأن السيد الثالث هذا تعود ان يستلقى على سريره ويستمع اليه وهو يقص عليه القصص على ضوء مصباح الافيون . ورغب في ان يتقدم منهما ويتكلم معهما بود ، ولكنه تذكر ثيابه الرثة وفعلته المخزية ، فتراجع ، وقرص خلف الاسد الحجرى ليختفى عن نظريهما .

وبعد ان ابتعد الشقيقان في الشارع ، عندها فقط نهض

من مكانه وراح يحدق اليهما ، وظل يتبعهما بعينيه الغائمتين الى ان غابا عن نظره . ووقف في منتصف الشارع مذهولا ، غير متبته الى الريح العاتية التي كانت تلسعه متخللة ثيابه الرقيقة التي تغطي هيكله العظمى . واحس بوحشة قاتلة لم يشعر بمثلها قبل ذلك قط . فمضى فاتر الهمة ، يد على النقود التي منحه اياها سيده والاخرى متشبثة بصدرة .

وفي هذه اللحظة بالذات كان جيويه مين وجيويه هوى يسيران مسرورين مبتهجين فوق بقايا المفترقات النارية . لقد مشيا في شوارع ساكنة واخرى صاحبة ، واجتازا متاجر قد اشعل امام كل منها شمعتان كبيرتان ، الى ان وصلا اخيرا بيت تشين والسيدة تشانغ . كان كل تفكيرهما محصورا بالاشياء السارة ، لذلك لم يفكرا ابدا بالرجل الذي يدعى قاو شنغ . . . وهناك ألفيا بيت تشانغ هادئ المظهر ، اذ تلى من دعامة عند المدخل مصباح كيروسين واحد يبدى للعيان خلوه وسكونه .

ومع ان هذا المربع السكنى لم يكن واسعا جدا ، الا انه كان مقسما بين ثلاث اسر . وكانت ربنا اسرتين من هذه الاسر ارملتين ، ولم يكن في هذا المربع السكنى كله الا اثنان او ثلاثة من الرجال البالغين سن الرشد ، لذلك كانت الحياة فيه هادئة جدا . فحتى في عشية رأس السنة لم يطرأ على المكان الا شىء من الحيوية غير المعتادة .

وكانت اسرة تشانغ اكثر الاسر الثلاث هدوءا ، لأنها لم

تكن تتكون الا من ام وابنتها . وكان لتشين ايضا جدة تعيش في دير ، ولكن نادرا ما تأتي الى البيت . وكان يقوم على خدمة هذه الاسرة رجل وامرأة امضيا في خدمتها اكثر من عشر سنوات . وحالما دخل الشقيقان الفناء الشرقي الذي تسكنه اسرة تشانغ ، اقبل الخادم يحييهما . ومن خارج نافذة السيدة تشانغ صاح الشقيقان ” ايتها العمّة ! “ فسمعا ردها . ومن ثم دخلا وركعا امامها قائلين : ” تحياتنا لك ايتها العمّة بمناسبة نهاية السنة . “ ومع انها اعترضت على هذه الانحناءة ” غير الضرورية “ ، الا ان هذا الاعتراض جاء متأخرا . ودخلت تشين ايضا ، فشبك الشقيقان ايديهما امام صدريهما وانحنيا لها على نحو رسمي . ودعتهما السيدة تشانغ الى الجلوس في قاعة استقبال الاسرة ، بينما ذهبت الخادمة لى لتصنع بعض الشاي .

وعلم الشقيقان من السيدة تشانغ ان شقيقهما جيويه شين وعمهما كه مينغ قد حضرا في زيارة رسمية ، ولكنهما غادرا مبكرين . وتحدثا بعض الوقت مع السيدة تشانغ ، وطلبا منها ان تقضى عطلة رأس السنة في مربع قاو السكنى ، موقع طفولتها . فقالت ان عليها اولا ان تأخذ تشين لزيارة جدتها في الدير ، ولكنهما ستأتيان الى بيت اسرة قاو في اليوم الثاني من السنة الجديدة . وهي شخصا ستمضى يوما او بضعة ايام فقط لأنها تؤثر الهدوء ، الا انها ستدع تشين هناك مدة اطول ، فسر الشقيقان لهذا سرورا عظيما . ودعتهما تشين الى الجلوس في

غرفتها بعض الوقت ، فتبعها الى هناك .

ودهش الشقيقان عندما وجدا في غرفتها فتاة اخرى . كانت هذه الفتاة نحيفة ، ترتدى صدره من الساتان الاسود فوق سترة حريرية خضراء باهتة محشوة بالقطن ، وتجلس على حافة السرير تقرأ بجانب المصباح . وقد رفعت رأسها على صوت خطواتهما ، ثم وضعت الكتاب من يدها ووقفت .

حدق الشقيقان اليها في صمت . فسألتهما تشين في دهشة :

— ألا تعرفانها ؟

ابتسمت الفتاة لهما ابتسامة حزينة فاترة عمقت الغضن في جبهتها ، هذا الغضن الذى زاد من جمالها وعمق ملامح الكآبة في محياها .

واجاب جيويه هوى مبتسما :

— بلى ، بالطبع .

لقد تركت هذه الفتاة على الشقيقين انطبعا دائما . الزمن مضى سريعا . وها هي ذى الآن امامهما ، جميلة حزينة كسابق عهدها ، ما تزال نحيفة ، وبنفس شعرها الجميل وعينيها الصافيتين . لم يتغير شىء فيها ، الا الغضن الذى في جبينها ازداد عمقا ، وجديلة شعرها الطويلة قد عقصت الى مؤخر رأسها على النحو الخاص بالمرأة المتروجة ، وعلى وجهها شىء من المسحوق . انهما لم يتوقعا رؤيتها هنا .

وقالت مى باذلة اقصى جهدها فى النطق مع ان كلماتها

كانت عادية تماما :

— هل انتم جميعا بخير ؟ . . . لقد مضى وقت طويل !

فأجاب جيويه مين بحرارة ، مكرها نفسه على التبسم :

— اننا جميعا بخير يا ابنة الخالة مى . وانت ، كيف

حالك ؟

فعدت حاجيها وقالت :

— ما زلت كما انا ، غير اننى اصبحت فى السنوات

الاخيرة اكثر حزنا . اننى اتأذى بمنتهى السهولة . لا اعرف

لماذا ؟

كانت مى ما تزال تتميز بنفس شخصيتها القديمة . وقد

اضافت قائلة :

— اننى دائما اعيش جوا من الكآبة :

فقال جيويه هوى :

— البيئة تجعل الظروف مختلفة . ولكن لا يبدو عليك

اى اختلاف .

وقاطعتهما تشين قائلة :

— لماذا لا تجلسون ؟ ان عدم رؤية كل منكم الآخر

ليس سببا كافيا لأن تكونوا على هذه المجاملة .

فجلس كل منهم . واتخذت تشين لنفسها مجلسا على

السرير بجانب مى .

وقالت مى :

— كثيرا ما كنت افكر فيكم بعد افتراقنا . لقد مرت

السنوات الاخيرة كحلم مزعج . حسنا ، لقد انتهت الآن ،

وتركت لا املك شيئا الا قلبا خاويا .

ولكنها سرعان ما تداركت نفسها قائلة :

— لا ، ما زلت في حلم . من يدري متى استيقظ حقا ؟
انتي لا آسف على نفسى ، بل آسف فقط على امى .

فقال لها تشين مربنة على كتفها :

— يجب ألا تكونى متشائمة الى هذا الحد يا ابنة الخالة
مى . انك ما زلت شابة . من يستطيع ان يتنبأ بما سيأتى به
المستقبل . ان السعادة ستأتيك ايضا . لا داعى الى حديث
كثيب كهذا ! اننا داخلون فى عهد جديد ، ومن الممكن
ان يجلب لك هذا العهد السعادة .

ثم همست بيبضع كلمات فى اذنها مبتسمة ؛ فنفر شىء
من الدم الى وجه مى ، وزالت العقدة من بين حاجبيها ، والتمعت
على محياها اشراقة خفيفة . ثم نظرت الى تشين مرجعة سالفها
الايمن الى الخلف . ولكن وجهها اربد ثانية وقالت بابتسامة
كثيبة :

— اظن ان هناك الكثير فيما قاله الاخ الثالث — البيثة
تجعل الظروف مختلفة . فظروفنا مختلفة جدا . انتى لا تستطيع
ان اكون مثلك . لا تستطيع الصمود مع تغير الاوقات . كل
حياتى امضيتها لعبة بيد القدر . لم يسمح لى اطلاقا ان ابدى
رأبى فى شىء . فأى امل عندى للسعادة ؟

ثم ضغطت يد تشين ومالت برأسها الى احد الجانبين ،
وحددت الى صديققتها فى نظرة استحسان وقالت :

– اننى اغبطك بالتأكيد . لديك الشجاعة والقدرة . فلا
تسمحين لنفسك ابدا ان تكونى مهملة مثلى .
سرت تشين لاجباب مى بها ، ولكن شعورها بالرضى
مر كالنسيم ، ولم يبق منه الا ابتسامة حزينة كنتك التى تستخدمها
الفتيات عندما تواجههن مشكلة مستعصية ؛ فعلى الرغم من
انها اطرتها على ” شجاعتها وقدرتها “ الا انه لم يكن امامها
الآن مفر من اللجوء الى هذا النوع من الابتسامة .
وتدخل جيويه هوى قائلا بانفعال :

– الظروف هامة بالتأكيد ، ولكن لماذا لا نستطيع
تغييرها . فهى اولا من صنع الانسان ، وعلى الانسان ان يناضل
ضدها باستمرار . واننا لا نستطيع تحقيق السعادة لأنفسنا الا
بالتغلب على بيئتنا .

. وكان بوده ان يقول الكثير ، ولكنه لم يفعل .

اما جيويه مين فقد اثارت مى فى نفسه مشاعر مختلفة –
حزنا وسرورا وذعرا واسى وخوفا . ولم تكن هذه المشاعر ازاء
مى فقط بل ازاء تشين وازاء نفسه ايضا . وبعد ان رأى ملامح
الحزم على وجه تشين استرد هدوءه ، واستطاع حتى ان يجد
كلمات يؤاسى بها مى :

– لقد واجهت قدرا كبيرا من المتاعب فى هذه السنوات
الاخيرة ، ولذلك كنت على الغالب محزونة . ولكن فى السنوات
القادمة ستتغير الامور بالتأكيد ، وانت ستتغيرين ايضا . حقا
ان وضع تشين ليس بأفضل من وضعك ، سوى انك تزوجت –

فلنقل انك تزيد عنك بحلم سيئ . العالم هو نفسه ، والفرق انك تنظرين الى الجانب المظلم بينما تنظر هي الى الجانب المشرق . وهذا هو السبب في انك تتأذين بسهولة ، بينما لا يعوق تشين شيء .

وقال جيويه هوى ، ظانا ان الكتب الجديدة بوسعها ان تحل جميع المشكلات :

— يا ابنة الخالة مي ، لم لا تقرئين المزيد من الكتب الجديدة ؟ فتشين عندها بعض الكتب .

ابتسمت مي ابتسامة حزينة ولم تجب في الحال ، بل نظرت اليهم بعينها الصافيتين . ولم يستطيعوا تخمين ما يجول في ذهنها . وفجأة سحبت نظرتها وحدقت الى لهيب المصباح وتنهدت . . . ثم همت بالكلام ، ولكنها ترددت وعضت شفرتها في صمت . واخيرا قالت :

— انتم جميعا تقولون الصواب ، ولكن ذلك لا يجدي نفعا بالنسبة لي . ما الفائدة من قراءة كتب جديدة ؟
وتريثت قليلا ، ثم تابعت تقول :

— كل شيء خارج دائرة الخلاص ، ووضعى ، بغض النظر عن كيفية تغير الظروف ، لن يتغير ابدا .

ولم يكن عند جيويه مين ما يقوله . لقد ادرك انها على صواب . كل شيء خارج دائرة الخلاص ؛ فهي قد تزوجت وللاخ الكبير الآن زوجة . فلا تغير في الاوقات يمكن ان يجمعهما ثانية . هذا الى جانب ان اميها قد اصبحتنا عدوتين .

وحتى جيويه هوى بدأ يدرك انه لا يمكن العثور على
حلول لجميع المشكلات فى الكتب .

واخذ كل منهم يفكر فى ملاحظة مناسبة . وكانت مى
هى التى قطعت الصمت اخيرا عندما قالت :

– كنت قبل قليل اقرأ فى بعض الاعداد من مجلة « الشباب
الجديد » لتشين . وفيها بالطبع بعض الاشياء التى لا افهمها ،
كما ان فيها الكثير مما افهمه . ان فيها بعض المقالات الجيدة .
واعرف ذلك لأننى عانيت . ولكن قراءتها لا تزيدنى الا حزنا .
انها تتحدث عن عالم آخر ، عالم لا يمت لى بصلة . فعلى
الرغم من اعجابى به اعرف اننى لا استطيع ان ادركه . اشعر
كأننى متسولة اقف خارج سور الحديقة التابعة لأحد بيوت
الاغنياء ، اسمع الضحك يجلجل فى الداخل او اسم رائحة
طبخ اللحم وانا امر بباب المطعم . انه لأمر مفجع .

وتعمق الغضن فى جبين مى . واخرجت من صدرها منديلا
وسعلت فيه بضع مرات ، ثم ابتسمت فى حزن وقالت :

– اننى اسعل كثيرا منذ فترة قريبة . فى الليل لا استطيع
النوم . قلبى يؤلمنى .

فرجتها تشين قائلة ، وهى تكاد تبكى :

– انسى ما يتعلق بالماضى يا ابنة الخالة مى . لم تعذبين
نفسك ؟ يجب ان تكونى اكثر اعتناء بصحتك . ان قلوبنا
تتألم ايضا لرؤيتك بهذه الحالة .

فابتسمت مى لتشين وهزت رأسها شاكرة ، ولكنها قالت

بصوت ظل مشوبا بالحزن :

– انك تعرفين طبعى . اننى لا استطيع ابدا نسيان الماضى .
يبدو انه حفر فى قلبى . انت لا تعرفين كيف امضى ايامى .
ببى مثل بيتك تماما ، لا يختلف عنه فى شىء سوى ان لى
شقيقا اصغر منى بالاضافة الى امى . وهو مشغول بالاستعداد
لامتحانات القبول ، بينما امى منهمكة فى لعب الماجيانغ او
زيارة الاصدقاء . اننى وحيدة فى البيت . اجلس لقراءة الشعر
وحدى ، دون ان اجد ولو شخصا واحدا افضى اليه بمتاعبى . . .
ارى الازهار الذابلة فأبكى ، والقمر السقيم فأتألم . كل
شىء يثير فى نفسى ذكريات تعسة . لقد مضى على سنة فى
يبينغ منذ تركت اسرة زوجى وعدت الى امى . هناك شجرة
خارج نافذتى ، زرعتها عندما غادرت البيت للزواج . كانت
مبرعمة حينذاك ، ولكن عندما عدت كانت اغصانها عارية .
وكثيرا ما افكر – ان هذه الشجرة ترمز الى . . . لقد هبت
عاصفة قبل بضع ليال ، فاستلقيت على سريرى غير قادرة على
النوم . وظل المطر يقرع الاسطح القرميدية والنوافذ على نحو
متواصل . وعلى ضوء المصباح الخافت فكرت فى هذين البيتين
من احدى القصائد :

الريح والمطر يعيدان الى قلبى

الماضى كحلم ضبابى . . .

بوسعك ان تتخيلى كيف احسست . غدا ، غدا – انتم جميعا

لكم غد ، ولكن اى غد سيكون لى ؟ ليس عندى الا الامس :
واحداث الامس اشيء مؤلمة ، انما هى كل ما املكه لعزاء
نفسى .

وفجأة غيرت نبرة صوتها ، وسألت الشقيقتين :

– كيف الاخ الكبير ؟ هل هو فى صحة جيدة ؟
كان الشقيقتان قد اثيرا تماما وهما يصغيان الى حديثها ،
ثم ادهشهما هذا التغير المفاجئ فى مزاجها . واخيرا احتال
جيويه هوى ، وكان اكثر من شقيقه فطنة لجواب قصير ،
فقال :

– لا بأس عليه . لقد قال انه رآك اول امس .

ولم يفهم معنى كلامه الا مى . اما تشين وجيويه مين
فقد حدقا الى جيويه هوى فى ذهول .

– حقا ، لقد تقابلنا . لقد عرفته لحظة رأيت . انه يبدو
اكبر مما عهدته بقليل . وربما يكون غاضبا منى لتجاهلى اياه .
كانت عندى رغبة ملحة فى التحدث معه ، ولكننى خشيت
اثارة الذكريات القديمة . سيؤذيه ذلك ، كما سيؤذينى ، اضافة
الى ان والدتى هناك . لقد جاء الى هنا قبل فترة قصيرة . ولقد
سمعت صوته ، ولكننى خشيت ان انظر اليه من شق الباب .
واكتفيت بأن اختلست نظرة اليه وهو يغادر .

وقال جيويه هوى :

– انا متأكد من انه ليس غاضبا .

فقال تشين :

— لا تتكلمى عن هذه الامور اكثر من ذلك . لقد خشيت ان تشعرى بالوحدة فى عيد رأس السنة ، وهذا ما جعلنى ادعوك الى هنا . لم اكن اعرف ان هذا سيجعلك تزدادين تفكيرا فى الماضى . انها غلظتى فى ان جلبت الشقيقتين لرؤيتك .

وشيئا فشيئا زالت الكآبة عن وجهه مى . وعلى الرغم من ان حاجبيها ظلا معقودين بعض الشيء الا ان الابتسامة اشرفت فى وجهها ، وقالت :

— لا بأس ، ان تفرغ ذهنى من هذا كله يجعلنى اشعر بالارتياح . فى البيت لا احد اتحدث اليه ، هذا الى جانب اننى استمتع بالحديث عن الايام الماضية .

ثم سألت الشقيقتين كثيرا من الاسئلة التفصيلية عن اخيهما الكبير وزوجته .

١٦

كان الوقت قد جاوز الحادية عشرة عندما غادر جيويه مين وجيويه هوى منزل اسرة تشانغ ، ولكن الشوارع كانت ما تزال تضحج بالنشاط . وخلال سيرهما على طول الطريق العام المرصوف بالبلاط ومشاهدتهما المصابيح المشرقة فى المخازن والحانات الممتدة على جانبي الطريق نفضا عنهما الكآبة التى ولدها لقاؤهما مع مى .

وراحا يغذان السير في صمت ، يريدان وصول البيت بسرعة . كان شارع بيتهما عندما وصلاه ساكنا ، وقد تبعثرت فيه بقايا الالعب النارية . ولكن لدى اقترابهما من الاسدين الحجريين الرابضين على جانبي مدخل منزل اسرة قاو امكنهما ان يشعرا بالمرح والنشاط اللذين يسودان المنزل .

كانت جميع ابواب المسكن البقمام عند البوابة مشرعة . وكان الخدم وحاملو المحفات محتشدين حول طاولة عليها مصباح ذو ضوء باهت ، يلعبون النرد في صخب . وكانت ابواب قاعة استقبال الاسرة مفتوحة ايضا ، واستطاع الشقيقان رؤية اعمامهما وزوجاتهم او رؤية معظمهم يتحلقون حول طاولة جيدة الانارة ، مستغرقين في لعبة نرد خاصة بهم . وكان العم كه دينغ وزوجة العم الرابع ، المدام وانغ ، اكثر المجموعة صخبا .

وعندما سمع جيويه هوى قرعة احجار الماجيانغ في غرفة جيويه شين ، دخلها وراقب اللعبة بعض الوقت ، ثم انصرف . وتبعته طقطقة النرد وخشخشة العملة وجلجلة الضحك ، تدوى في اذنه . فوقف على السلم كمتفرج في مسرحية ، واخذ يراقب الآخرين وهم يمرحون ويضحكون ويصيحون .

وفجأة احس بالوحدة ، ونأى به تفكيره عن هذا العيد : وانتابته قشعريرة برد ، واحبطه شعور باليأس لا يوصف . ولم يتعاطف معه احد ولم يهتم به احد ، فقد بدا معزولا تماما . ووجد هذه البيئة الغريبة تزداد استعصاء على الفهم . في

عشيات الاعياد السابقة كان قادرا على الاشتراك في الاحتفالات بكل مرح وابتهاج ، ناسيا كل شيء خلال ضحكك ولعبه مع الشباب الآخرين . ولكنه اليوم يقف وحيدا في الظلمة ، يستمع الى ضحك الآخرين . لقد بدا كأنه يعيش في عالم آخر .

وسأل نفسه : أ تغير هذا المكان ، ام انا الذي تغيرت ؟ وعلى الرغم من انه لا يملك جوابا محددا عن هذا السؤال ، الا انه ادرك انه واسرته الكبيرة يسيران في اتجاهين متعاكسين . واستعاد الى ذهنه ملاحظة ماما هوانغ عن ” الماء الصافي والموحد “ . ولكي يخفف من هذا الاضطراب في ذهنه هبط السلم ليمشى على طول الممرات غير المسدودة .

ولدى اجتيازه احد الدهاليز انعطف الى فناء داخلي . كان صوت الضحك يخفت خلفه تدريجيا . وتوقف واكتشف انه امام غرفة شقيقته شو هوا . وعلى الجانب الآخر من الفناء انتصبت شقة العم الرابع كه آن مشرقة في اضاءتها . وكانت هناك كرمة تتسلق تعريشة في الحديقة ، فاصلة بذلك المسكنين . وجلس جيوبه هوى على كرسى منتصب الظهر خارج نافذة شقيقته ، واخذ يحدق الى المطبخ في الزاوية المقابلة . ومن خلال باب المطبخ المفتوح امكنه رؤية الخادومات يرحن ويجئن منهمكات . وسمع من غرفة شو هوا صوتا منخفضا مألوا لديه يقول :

” سمعت انهم سيختارون واحدة منا نحن الاثنتين . . . “

كانت المتحدثة هي وان ار جارية الاسرة الثالثة ، اسرة عمه كه مينغ ، وهي فتاة طويلة الوجه اكبر من مينغ فنع بسنة تقريبا ،

وقد تكلمت في شيء من السرعة .

لقد وصلت هذه الملاحظة الى مسمع جيويه هوى على نحو مفاجئ ، فشدت انتباهه . ولما احسن ان وراء هذه الملاحظة شيئا غير عادى ، اخذ ينصت حابسا انفاسه .

وقال صوت مينغ فنغ في قهقهة :

— لا حاجة الى ان تقولى انك ستكونين المحظوظة .

فردت عليها وان ار بانفعال :

— اننى جادة . كيف يطاوعك قلبك على الضحك منى .

فقالت مينغ فنغ ضاحكة :

— اننى اهنتك على حظك الجيد — هل هذا يعنى اننى

بلا قلب ؟

قالت وان ار ، وقد اشتد غضبها وظهر البؤس في صوتها :

— من تريد ان تكون حظية ! ؟

— حياة الحظية ليست سيئة للغاية . انظرى الى السيدة

تشن حظية السيد المبجل قاو .

فأجابت وان ار في اهتياج ، ضاحكة على الرغم منها :

— عندك جواب عن كل شيء ، أليس كذلك ؟ انتظرى

وسنرى من يختارون . دورك آت عاجلا او آجلا .

فخفق قلب جيويه هوى . وتابع الاصغاء عن عمد ،

كابحا في نفسه رغبة ملحة في الصباح ، منتظرا أن يسمع ما

ستقوله مينغ فنغ .

لقد ادركت مينغ فنغ بكل وضوح انها ليست مسألة هزل ،

فلاذت بالصمت فترة طويلة . ولم يكن هناك من صوت
الا التكتكة الرتيبة المنبعثة من ساعة الجدار . وضاق جيويه
هوى بذلك ذرعا ، ولكنه لم يستطع ان يكف نفسه عن المضى
فى الانتظار .

وسألت مينغ فنج فى 'ياس :

— اذا اختارونى ، فماذا سأفعل ؟

فأجابتها وان ار بمرارة :

— كل ما تستطيعين فعله هو ان تذهبى لاعة قدرك :

فصاحت مينغ فنج فى 'ياس ، كأنها قد واجهت لتوها

المنتظر . وقد ارتجف صوتها على نحو مأساوى :

— لا ، لا ، لا استطيع ان اذهب ، لا يمكن ان اذهب .

اننى افضل الموت عن ان اصبح حظية لذلك العجوز !

قالت وان ار ، وقد هدأتها كلمات مينغ فنج بعض الشيء ،

فبدت كأنها تحاول تعزية نفسها اكثر مما هى تحاول تهدئة

الفتاة الصغرى :

— من المحتمل الا يكون هذا صحيحا . ربما يكون

شخص ما قد اخترع ذلك لمجرد افزاعنا . اذا كان الامر

كذلك حقا ، فما زال بوسعنا التفكير فى مخرج . يمكننا ان

نطلب من السيدة تشو ان تساعدنا .

استرخى جيويه هوى فى الكرسى المنتصب الظهر دون حراك ،

غير مدرك للزمان والمكان ، غير سامع ضحك الخادماوات وثرثرتهن

فى المطبخ . وكان الخدم يمرون بنافذة العم كه آن من حين

لآخر حاملين اطباق الطعام ، دون ان ينظروا الى جيويه هوى
ولو نظرة واحدة . وصكت جلبة الضحك فى المطبخ اذنيه ،
اذ ارتفعت على نحو خشن .

ثم سألت وان ار زميلتها مينغ فنع برقة وعلى نحو ابطأ من
المعتاد :

– اظن انك تحبين شخصا ما ، فهل انا مصيبة ؟

لم تجب مينغ فنع ، فألحت عليها وان ار قائلة :

– انك تحبين ، أليس كذلك ؟ انك منذ فترة تتصرفين
تصرفات غريبة . لماذا لا تخبريننى بالحقيقة ؟ لن اخبر احدا .
اننى كأختك الكبيرة . يجب ان لا تكتمى عنى شيئا .

فهمست مينغ فنع فى اذنها ببعض الكلمات . وعلى الرغم
من ان جيويه هوى اصغى بكل ما يستطيع ، الا انه عجز عن
سماع ما قالت .

ثم سألتها وان ار ضاحكة ، مما اجتذب انتباه جيويه هوى
فشحد سمعه :

– من هو ؟ اخبرينى .

فقالت مينغ فنع بصوت مرتجف بعض الشيء :

– لن اخبرك .

فألحت وان ار فى سؤالها :

– أياكون قاو تشونغ ؟

وقاو تشونغ هذا هو الخادم الشاب الذى يعمل عند العم
الخامس كه دينغ . ونفت جيويه هوى نفسه المحبوس ،

وكان ثقلا ازيح عن قلبه .

وقالت مينغ فنغ ضاحكة :

— هو ؟ ها ! وما الذى يدعو اى امرئ الى حبه ! انك

انت التى تحلين فى عينه ، ولكن لا تعترفين بذلك .

فردت عليها وان ار قائلة :

— لقد سألتك بجدية . فكيف تقولين اشياء كهذه ؟

أمتأكدة انت من ان قاو تشونغ ليس على علاقة حب بك .

فقال مينغ فنغ فى توسل :

— ابنتها الاخت الطيبة ، كفى هراء ! دعينا نتكلم على

نحو معقول .

وتابعت بعد ذلك بصوت منخفض :

— لا يمكنك ان تحزرى ، وانا لن اخبرك . اننى الوحيدة

التي اعرف اسمه .

واحست بالامن والطمأنينة عندما فكرت به ، وخرج صوتها

ممزوجا بالفرح .

وانخفض صوت الفتاتين اكثر فأكثر حتى لم يعد بوسع

جيويه هوى ان يسمع منه الا نثقا ممزوجة بضحك مكبوت .

واستنتج ان وان ار تروى قصتها الغرامية . ثم نادتها احدى

الخادومات الكبيرات من احد المباني الامامية ، ولكن وان ار

لم تهتم بالنداء بل تابعت قصتها . ولم تجب الا عندما اصبحت

الصيحات قريبة منها كثيرا وعندما اوشكت الخادمة الكبيرة

ان تدخل الغرفة التى تختبئ فيها الفتاتان . فخرجت تقول

متدمرة :

— اننا رهن اشارتهم ، والنداء لا ينقطع طوال النهار . فحتى
عشية رأس السنة لا نستطيع ان نستريح .
وظلت مينغ فنج في الغرفة وحيدة . فجلست ساكنة بلا
حرك .

وركع جيويه هوى على كرسيه ثم ثقب ثقبا صغيرا في
النافذة الورقية ، وحدق منه الى الداخل . كانت مينغ فنج جالسة
على كرسى خيزراني واطعة مرفقيها على طاولة المكتب ، سائدة
وجهها بيديها ، وخنصر يدها اليمنى يعبث في زاوية فمها .
وكانت تحدق في ذهول الى مصباح الزيت المعدني الذي كان
عنقه مزينا بأغصان السرو وبعناقيد الفول السوداني .

وفجأة تنهدت قائلة : ” بم سيأتي المستقبل ؟ ” ثم انحنت
الى الامام ، ودفنت رأسها في الطاولة .

ونقر جيويه هوى نقرا خفيفا على لوح الزجاج الصغير في
وسط النافذة ، ولكنه لم يسمع جوابا . فنقر نقرا اشد ، ونادى
بصوت منخفض : ” مينغ فنج ، مينغ فنج ” .

رفعت الفتاة رأسها ونظرت فيما حولها مندهشة . ولما لم
تر شيئا تنهدت ثانية وقالت : ” لا بد انني كنت احلم . ظننت
انني سمعت شخصا ما يناديني . ” ثم اتكأت على طاولة المكتب
ونهدت في فتور . كان ضوء المصباح يعكس ظل قوامها
الفتى الناضج قبل اوانه على ظلة السرير .

وزاد جيويه هوى من شدة الطرق ، ونادها باسمها عدة مرات .

وعندما عرفت اخيرا جهة الصوت اسرعت الى الكرسي
المجاور للنافذة وركعت عليه . ثم انحنت الى الامام وقالت :
- من هذا ؟

فأجاب جيويه هوى على الفور بصوت منخفض :
- هذا انا . ازيحي الستار . اريد ان اسألك عن شيء
ما .

فصاحت مينغ فنغ في دهشة :

- هذا انت ايها السيد الثالث ؟

ثم ازاحت الستار الورقي المزين برسوم الاعشاب والازهار ،
فأرت وجه جيويه هوى المتوتر يضغط لوح الزجاج . فسألته
مدعورة :

- ماذا حدث ؟

- لقد سمعت ما كتما تتحدثان به انت ووان ار منذ
لحظة ...

فقاطعته قائلة وقد احمر وجهها خجلا :

- لقد سمعتنا ؟ كنا نمزح فقط .

فأجاب جيويه هوى بانفعال :

- لا تحاولي ان تخدعيني . افترضى انه سيأتى فعلا يوم
يزوجونك فيه . ماذا ستفعلين حينذاك ؟

ظلت مينغ فنغ صامئة عدة دقائق . وفجأة بدأت الدموع
تنهمر من عينيها . ولم تمسح دموعها ، بل تماسكت وقالت
بمنتهى التصميم :

— لن اذهب . لن اذهب الى رجل آخر ابدا . اننى اعاهدك !

وعلى الفور ضغط جيويه هوى بيده على الزجاج كأنه يريد ان يمنعها من اكمال كلامها ، وقال لها مؤكدا :

— اننى مصدقك . لا حاجة الى ان تقسمى .

وكمن يتنبه من حلم تذكرت مينغ فنع ابن هما . فدفقت على الزجاج فى عجلة ورجته قائلة :

— انصرف ايها السيد الثالث . من المحتمل ان يراك احد ما .

— لن انصرف قبل ان تخبرينى بما يجرى .

— حسنا ، سوف اخبرك . ولكن بعدها يجب ان تنصرف ، ارجوك ، يا سيدى العزيز . . .

فهز جيويه هوى رأسه بالموافقة .

— يقولون ان العجوز فنع صديق جدك يبحث عن حظية —

وقد جاءت السيدة فنع الى هنا لمساعدته فى اختيار واحدة من

بيننا نحن الجوارى فى الاسرة الاولى والثالثة . وقد سمعت وان

ار من سيدتها ان السيد المبجل قد وافق ، وهى بدورها اخبرتنى .

اما بخصوص مشاعرنا ازاء ذلك ، فقد سمعنا لتوك . . . والآن

ارجوك ان تغادر . سيكون الامر سيئا اذا رآك احد ما هنا .

واعادت مينغ فنع الستار الى وضعه السابق ، ورفضت

ان تزيحه ثانية ، على الرغم من كثرة ما دق جيويه هوى ونادى .

فنزل عن الكرسي مهزوما ، ووقف على السلم مكتئبا .

ان ذهنه منشغل بأمر كثيرة . وعلى الرغم من ان عينيه كانتا
مواجهتين للمطبخ ، الا انه لم ير شيئا .
وفي الداخل ظلت مينغ فنج راکعة على الكرسي . ثم ازاحت
الستار في حذر ظانة ان جيويه هوى قد غادر ، وحدقت الى
الخارج . وعندما رآته ما يزال واقفا هناك ثارت مشاعرها . ودونما
وعى ضغطت الزجاج بوجهها وراحت تحديق الى ظهره في ذهول .

١٧

عندما عاد جيويه هوى الى غرفته كان صوت النرد الذي
يدحرج في الزبدية قد توقف ، الا ان اناسا كثيرين ظلوا جالسين
حول طاولة اللعب يتحدثون . ومع ان احجار الماچيانغ كانت
ما تزال تفرقع في غرفة جيويه شين ، الا ان قرعتها اخف من
سابقتها . وبدأ الصبح ينبج معلنا انتهاء السنة . فالسنة القديمة
تختفي مع الظلام ، والجديدة تطل مع الضياء .
وفي ساعة الصلاة للآلهة ذهب جيويه هوى الى قاعة الاسرة .
ولأن الشاب جيويه تشيون قد نددت عنه ملاحظة تشاؤمية هناك ،
فقد كتب السيد المبجل قاو العبارة التالية ” كلمات طفل لا
يمكنها ان تمنع الحظ الجيد والرخاء “ على قطعة من الورق
الاحمر والصقها على دعامة الباب . فلم يتمالك جيويه هوى
نفسه عن التبسم .

وبدأت المفرقات النارية تتفجر خارج القاعة الرئيسية .
كما اطلقت ثلاثة خيوط مفرقات طويلة على نحو متتابع ،
وكانت ما تزال تفرقع عندما دخل آخر المتعبدين الى القاعة .
وعندها اكتمل ضوء النهار .

وانطلق جيويه شين مع اعمامه الثلاثة في المحفات لتأدية
زيارات رأس السنة . وخرجت نساء الاسرة من البوابة الرئيسية الى
الشارع مبتسمات ، يدسن فوق بقايا المفرقات النارية المتفجرة ،
وهذه كانت ملهاة " خروج " النساء السنوية . فليس الا خلال
هذه البرهة القصيرة من كل سنة يسمح لهن بالتنقل بين الناس
بحرية من دون محفات مغلقة . وهكذا تمتعت النسوة اعينهن
النهمة برؤية الشارع الصغير الغافى . وبعدها اسرعن عائدات
الى المربع السكنى مخافة ان يقابلن اى رجل غريب . وانتهى
تفجير المفرقات النارية ، كما هدا الضحك . ولوقت قصير
عاد السكون الى الشارع ثانية .

مع انتهاء احداث اليوم الهامة اوى معظم افراد اسرة قاو
الذين سهروا طوال الليل الى فراشهم مبكرين ، باستثناء اناس
كجيويه شين وعمه كه مينغ اللذين كان عليهما ان يؤديا كثيرا
من الواجبات الاجتماعية . وقلة من الناس مثل جيويه مين
وجيويه هوى لم ينهضوا حتى للغداء ، بل ناموا الى ان حان
موعد صلاة العشاء .

وهكذا مرت ايام عطلة رأس السنة بهدوء . كل يوم قد
اعد برنامجه مقدما ، تماما كما فى السنوات السابقة . واستولى

القمار على هذا المربع السكنى ، فصوت الترد والماجيانغ لم يتوقف مطلقا. وحتى جيان يون الذى اعتبر القمار شيئا تافها قد اشترك هو الآخر ، مخالفا بذلك رغباته دون تردد من اجل ارضاء الآخرين . وفى تلك اللحظات كان قادرا على التخلص من بعض كآبته والتمتع بقدر ضئيل من التسلية .

وفى اليوم الثانى من عيد رأس السنة القمرية وصلت تشين وامها . ومكثت السيدة تشانغ ثلاثة ايام ، ثم عادت الى البيت سامحة لتشين بالبقاء حتى اليوم السادس عشر .

وبقاء تشين مع الشباب اضاف اليهم المزيد من المتعة ، فطوال اليوم كانوا يلعبون فى الحديقة ويروون القصص . وكان كل منهم يسهم بجانب ، ثم يرسلون احد الخدم لشراء اطعمة شهية مالحة كثيرة التوابل ، يأخذونها معهم الى التلة الجائمة خلف مقصورة ” اريج المساء “ ، ثم يسخنون طعام نزهتهم على موقد صغير . وكانت روى جيويه وشو ينغ وتشين يسهمن بوصفهن طبابخات ماهرات ، فى اعداد الوجبات مع بقية الشباب . وعندما ينتهى اعداد الطعام يحملونه اما الى مقصورة ” اريج المساء “ واما الى بقعة اخرى نظيفة هادئة ، حيث يضعونه على طاولة ما . وبعدها يجلس كل منهم لياكل بشهية وسط ضجيج الشرب واللهو .

وذات يوم وفدت عليهم زائرة - شيوى تشيان رو ، احدى زميلات تشين . وتشيان رو هذه تعيش فى مربع سكنى مقابل لمربع اسرة قاو . وهى فتاة ممثلة الجسم ، فى الثامنة عشرة

من عمرها او نحو من ذلك ، صريحة وذات مزاج طلق وسهل
وطالبة عصرية تماما . وكانت مثل تشين متهالكة على دخول
مدرسة الاولاد . وكانت توافقه لمقابلة جيويه هوى وجيويه مين
وسؤالهما عن الموعد الذى سترفع فيه مدرستهما الحظر عن دخول
البنات .

وكان والد تشيان رو عضوا نشيطا فى جمعية الحلف (اسم
سابق للكومينتانغ) . وفى شبابه درس فى جامعة فى اليابان . وبعدها
ادار صحيفة ثورية تدعو الى طرد المانشويين ، وذهب الى
المانيا حيث درس الكيمياء . ويشغل الآن منصبا فى مكتب
الشؤون الاجنبية لدى حكومة مقاطعة سيتشوان . وهو متقدم
كثيرا فى تفكيره عن مستوى رجال عصره .

اما والدة تشيان رو ، والتي درست هى الاخرى فى اليابان ،
فقد توفيت قبل خمس سنوات تقريبا ، الا ان والدها لم يجدد
زواجه . وكانت تشيان رو ، ابنته الوحيدة ، ما تزال فى عهدة
مربية عجوز عكفت على الاعتناء بها منذ ولادتها .

وبنشأة تشيان رو فى هذه البيئة المستنيرة ثقافيا ، فقد بات
من المحتوم ان تكون شخصيتها مختلفة عن شخصية تشين
تمام الاختلاف . غير ان الفتاتين كانتا صديقتين حميمتين .
قضى جيان يون فى اسرة قاو عدة ايام ، بدا فيها اكثر
ابتهاجا مما كان عليه . مع ان جيويه مين لم يستطع اخفاء
تدمره ، الا ان الآخرين عاملوه معاملة جيدة .

وفى مساء اليوم الثامن ، وبعد ان استعد الشباب يومين كاملين ،

دعوا آباءهم واعمامهم الى الحديقة لمشاهدة بعض الالعاب النارية . وبعد ان عجز الكبار عن مقاومة توسلات الشباب الحماسية خرجوا الى الحديقة في الوقت المحدد ، باستثناء الجد الذي لا يستطيع التعرض كثيرا لبرد المساء .

كانت جميع المصابيح الكهربائية في الحديقة مضاءة ، الى جانب فوانيس صغيرة حمراء وخضراء وصفراء قد اشعلت على اغصان اشجار الصنوبر وقصبات الخيزران . وكانت المصابيح المركبة على درابزون الجسر الحجري المقنطر ، تنعكس على صفحة الماء كأنها بدور . كما ان عدة فوانيس حمراء كبيرة ذات شراريف خضراء مدلاة قد علقّت في افريز مقصورة " اريج المساء " ملقبة ظلّالا وردية رقيقة خلقت جوا حالما . اخذ المتفرجون مقاعدهم داخل المبنى بجانب النوافذ التي فتحت على اتساعها . وبدا كل شيء في الخارج مظلما ماعدا قليلا من الظلال الملونة الخافتة التي تراءت هنا وهناك .

وقالت مدام تشو ضاحكة :

— اين الالعاب النارية ؟ لقد خدعتمونا .

فأجابت تشين مبتسمة :

— سترونها بعد دقيقة .

ثم نظرت حولها فرأت الاولاد قد اختفوا .

ووسط السكون المظلم انبعث فجأة صوت حاد من بقعة في الظلام مضيئة بعض الشيء ، وارتفعت في اثره كرة من اللهب الاحمر الى السماء السوداء ، وانفجرت على شكل رشاش من

المطر الذهبى ما لبث ان تلاشى فى الظلام . وعلى الفور اطلق فى اتجاه السماء شىء ابيض كالثلج كأنه بيضة اوزة . وتبع ذلك انفجار مدو تطايرت منه شرارات فضية فى كل اتجاه . وبعدها اندفع الى السماء ضوء ازرق فى سرعة البرق ، حيث تغير لونه ونزل على شكل قطرات حمراء ما لبثت ان تغيرت الى خضراء . وكانت القطرات الاخيرة لمعة جدا بحيث ظل المشاهدون يرون بعد اختفائها ظلالا خضراء امام اعينهم .

وقالت مدام تشو :

— ما اجمل هذه الالعب النارية ! من اين اشتريتموها ؟ فضحكت تشين دون ان تجيب ، وعلى ضوء الالعب النارية الباهرة التى تلت ، ظهر قارب صغير بالقرب من شاطئ البحيرة المقابل .

فقال مدام وانغ لزوجها كه آن :

— من القارب اذن كانوا يطلقون الالعب النارية ، فلا عجب فى انها كانت تظهر من مكان مختلف فى كل مرة . فهز رأسه موافقا وابتسم .

وظلت البحيرة فترة من الوقت ساكنة تماما . ومد المشاهدون اعناقهم ، ولكن اعينهم لم تستطع ان تستجلى شيئا فى الظلام . وسأل كه دينغ فى لهجة آسفة :

— هل انتهت الالعب النارية ؟

وما ان هم بالنهوض حتى اضيئت البحيرة ثانية . فقد اندفع فى كل انحاء السماء عدد لا يحصى من الالعب النارية .

وبعد فترة خيم الظلام ثانية . ثم اهتز الهواء فجأة ، وارتفعت من البحيرة نغمات مزمار خيزراني ، رافقها صوت خافت انبعث من آلة موسيقية صينية ذات وترين تسمى ” هوشين “ ، وقد هددهت هذه النغمات مستمعها بلحن ساحر كأنه حكاية جن قديمة ، وجعلتهم ينسون همومهم ويحلمون احلاما قديمة جميلة .

فقال مدام تشو عندما اوشكت النغمة على الانتهاء :
— من هذا الذى يعزف على المزمار هذا العزف الجيد ؟
فوجئت تشين بهذا السؤال ، اذ كانت تصفى بانسجام تام ، وهمست على الفور :
— ابنة الخال شو ينغ . والاخ الكبير كذلك يعزف على الـ ” هوشين “ .

ثم عادت تستمع الى العزف الختامى .
توقف المزمار ودوى على البعد تصفيق وضحك . وسرعان ما اختفت الاصوات مخترقة سطح البحيرة الساكن ، ولم تعد ترتفع الى السطح ثانية . ولم ينج من الماء الا بضعة اصوات وصلت الى المستمعين على اجنحة النسيم ، وكانت تلك اصوات خافتة جدا ، تلاشت مع صدى نغمات اللحن الاخيرة .

ثم ما لبثت ان ارتفعت مع النسيم المنعش العليل نغمات المزمار الرقيقة مرة ثانية ، ورافقها صوت ذكرى قوى يغنى ، متخللا الليل المظلم ، طاردا امامه صدى اللحن الاول . فتنبه المستمعون داخل المبنى من احلامهم الضبابية ، وعرفوا ان هذا

هو صوت جيويه مين .

لم يستمر الغناء طويلا ، اذ سرعان ما تلاشى في الظلمة مع صوت المزمار ، ثم ما لبث صوت جيويه مين ان ارتفع ثانية ، يردد هذه المرة اهزوجة . وما ان بدأ بالسطر الثانى منها حتى انضمت اليه اصوات كورس . ولكن حتى مع امتزاج هذه الاصوات ظل من الممكن تمييز المغنين الانفراديين . فصوت شو ينغ العالى الرنان لم يغمره صوت جيويه مين الجهير . وقد كان وقع هذه الموسيقى القوية على المستمعين كصفعة فى الوجه . لقد دخلت آذانهم فغمرتها ، ثم تدفقت منها وتصيبت حولهم فى كل مكان ، وبدت كأنها تهز المبنى الذى يجلسون فيه .

وفى ما كان توتر المستمعين على اشده توقف الغناء فجأة . ولكن تبع ذلك فى الحال دوى ضحك هائل ، وبذلك لم يعط المستمعون لحظة استراحة . واصطدمت الاصوات الضاحكة ببعضها بعضا فى الهواء . بعضها تنائر الى شظايا خيضية ، وتمزق شر تمزق ، وعلت بعد ذلك ضحكة جديدة ، تطارد تلك التى ما تزال سليمة . ثم تحطمتها الى قطع صغيرة . وبدا الضحك للمستمعين كأنه يهاجم ويقفز ويطارد وسط الظلام .

وبدأت تظهر فوانيس صغيرة حمراء وخضراء ، تطفو على سطح البحيرة واحدا بعد الآخر . ولم يمض وقت حتى اصبحت رقعة الماء التى يراقبها المشاهدون مغمورة بالفوانيس . وتحركت هذه الفوانيس ببطء ، عاكسة على سطح الماء الوانا غريبة ،

تتغير وتهتز دونما صوت . وفجأة هبت فورة من النشاط ، فانفصلت
الفوانيس لتفسح ممرا في الوسط . ثم ارتفع الضحك ثانية – هذه
المرّة اخفض من السابق . واقترب شيئا فشيئا قارب صغير يضح
بالضحك ، وتوقف بجانب الجسر . واصبحت الاصوات
الضحكة الآن اكثر وضوحا للجالسين في المبنى ، فقد استطاعوا
رؤية جيويه شين وشقيقه يصعدون الى الشاطي . ومر القارب
بعد ذلك تحت الجسر المهدب واقترب من الضفة . وقد دهش
المشاهدون عندما رأوا قاربا آخر خلفه . وهذا الاخير ظل عند
الجسر ، وخرجت منه عدة فتيات – شوينغ وشو هوا وشو
تشن ، وجميعهن يحملن فوانيس .

ومع دخول الشباب الى المبنى اصبح الجو اكثر حيوية .
ثم صاح جيويه شين ضاحكا :

– حسنا ، هل اعجبتكم تلك الالعب ؟

فقال العم كه دينغ مادحا :

– رائعة . غدا مساء ادعوكم جميعا لمشاهدة رقصة التنين .

ساعد ” الانايب النارية ” بنفسى .

فصفق جيويه ينغ بحماسة ، وشاركه الشباب الآخرون

بصيحات القبول والاستحسان .

حقا لقد ابهج استعراض هذه الليلة نفوس اولئك الكبار

ابهاجا شديدا . ولكن بعد وقت قصير عاد كل شيء الى وضعه

السابق ، ونخيم الصمت والظلام البارد على الحديقة مرة اخرى .

وفي اليوم التاسع من رأس السنة كان الأولاد، جيويه ينغ وجيويه تشيون وجيويه شي ، مشغولين جدا . فمن الصباح الباكر بدأوا عملهم ، واستمروا طوال النهار يساعدون حاملي المحفات في صنع الالعب النارية ويناقشون حول رقصة التنين القادمة . وفي ذلك الصباح قطع حاملو المحفات لدى العم كه دينغ قصبتين من الخيزران سميكتين وقطعهما بالمنشار الى انايب قصيرة . وبمساعدة الحمالين الآخرين تم حشو هذه الانايب بالبارود والفتائل وقطع العملة النحاسية الصغيرة — وهذه الاخيرة كي تلصق بجلد اهدافها البشرية وتحترق دون ان تسقط . واشترك كل واحد في هذا الاعداد بحماسة ، فجهزت على الفور بضعة عشر انبوا من الالعب النارية . ثم وضعت هذه الانايب في معرض داخل مسكن البوابة لكي يتمتع برؤيتها الجميع . فقد صفت بكل زهو على مقعد طويل ، وربضت تنتظر ضحاياها في تأهب .

وبدا الوقت طويلا لا يكاد ينتهي ، ولكن حل الغسق اخيرا . وبعد ان انتهت طقوس الصلاة ، تولى العم كه دينغ الاشراف على الخدم في القيام بالترتيبات النهائية . وفي فناء المربع السكنى الداخلى صف عدد من الطاومات ووضعت فوقها الكراسى لتقوم مقام منصة مشاهدة موقته . وقام العم كه دينغ شخصيا بختم رزم النقود التي سيكافئ بها المشتركين في

العرض . وقد ذهب هو نفسه الى البوابة الرئيسية مرارا ليرى ان كانوا قد اقبلوا ، بينما ارسل خادما الى الشارع ليستعلم اخبار فرقة رقصة التنين . .

وبعد ربع ساعة كان المربع السكنى بكامله فى حالة هياج . وحينذاك اخذ جميع افراد الاسرة ، باستثناء السيد المبجل قاو ، مقاعدهم على المنصة . ودخلت فرقة رقصة التنين المربع السكنى حتى البوابة الداخلىة وهى تقررع الطبول والصنوج . وفى الحال اغلقت البوابة الرئيسية خلفهم لتمنع من فى الخارج من التسلل الى الداخلى تحت ستار الجلبلة العامة .

وعلى قرع الطبول والصنوج بدأ التنين بالرقص . كان التنين من رأسه حتى ذيله يتألف من تسعة اجزاء صنعت من ورق الصق فوق اطر من الخيزران ، ولونت لتأخذ شكل حراشف . وكان فى وسط كل جزء شمعة مضاعة ، وتولى شأنه راقص رفعه الى الاعلى بواسطة مقبض من الخيزران . وفى مقدمة التنين انبرى شاب يرقص متبخترا ويفتل بيده عصا مثبتا فى طرفها الاعلى كرة كبيرة تتدلى منها قصاصات ورق طويلة ملونة . واخذ التنين يشب خلف الكرة ، وهو يتدحرج على الارض او يلوح ذيله او يهز رأسه كأنه راض كل الرضى ، ثم يقفز ويشب مرحا كأنه تنين حقيقى ، بينما بدا قرع الطبول والصنوج قد اضاف الى التنين المزيد من القوة والجبروت .

وشق الفضاء صوت حاد كأنه ازيز رصاصة انطلقت من بندقية . فبدأت المفترقات النارية تنفجر ، واخذ التنين يرقص

مسعورا كأنه قد غضب . وفيما كانت المفرقات النارية تنفجر وتسقط على جسمه ، اخذ يروغ ويهتز من اليسار الى اليمين ، واثبا عدة وثبات مجفلة . وعلا دوى الطبول والصنوج ، فبدا كأنه صيحات تنين جريح .

ومد قاو تشونغ ، وهو خادم شاب كان يقف على سلم مسند على سور المربع السكنى ، قصبة طويلة خيزرانية تدلى من نهايتها خيط من المفرقات النارية المشتعلة فوق جسم التنين . واشعل عدد من حاملى المحفات الذين كانوا ينتظرون هناك ” الاناييب النارية ” المحشوة بالبارود التى كانت فى ايديهم ، ثم اخذوا ، كل بدوره ، ينشرون الشرر المتطاير على جذوع الراقصين العارية . فجن جنون التنين ، واخذ يتدحرج على الارض ، مرتجفا من رأسه حتى ذيله ، محاولا ان يدفع عن نفسه رشاش الشرر الحار . وصاح الناس ، بينما تعالى صوت الطبول والصنوج . وضحك حاملو المحفات وضحك افراد الاسرة النبيلة ايضا الجالسون على المنصة ، غير ان ضحكهم جاء على نحو مهذب طبعاً .

والآن هاجم حاملو المحفات التنين من جانبيه بأربعة او خمسة من ” الاناييب النارية ” . وكان من المتعذر على التنين ان ينجو . وعلى الرغم من كثرة ما تلوى التنين وتدحرج ، الا ان الشرر ظل يتطاير على لحم الراقصين العارى . وبعض اللهب التصق بأجسامهم ، مما اوقفهم عن الرقص وجعلهم يصرخون بأعلى اصواتهم . واخيرا وقف الراقصون ساكنين تماما ،

واتخذوا وضعيات جريئة ممسكين القصبات الخيزرانية التي كانوا يسندون بها اجزاء التنين ، ثم تركوا حاملي المحفات ينشرون عليهم الشرر . وكان دفاعهم الوحيد هو هز اجسامهم بعنف لنفض الشرر عنها . فضحك المتفرجون معجبين ، واقترب منهم حاملو المحفات اكثر من السابق بأنايبيهم القاذفة لها ، مصممين على جعل الراقصين يتوسلون طلبا للرحمة .

ومع ان الراقصين كانوا اقوياء اشداء ، الا انهم لم يبذلوا اية محاولة للدفاع عن انفسهم . وعلى الرغم من شدة الالم راحوا يصيحون صيحات تحد عنيفة :

— اذا كان لديكم المزيد من الاناييب النارية فاجلبوها !
ولكن الراقصين ليسوا الا لحما ودما . فعندما اقتربت الاناييب الملتهبة اكثر فأكثر تفرقوا وهربوا ، وتحطم التنين المرعب الى تسعة اجزاء عندما فر كل رجل بالجزء الذى كان يسنده . واحترقت حراشفه نهائيا من رأسه حتى ذيله ، وكل ما بقى من اجزائه كان عبارة عن الأطر الخيزرانية .

فر بعض الراقصين باتجاه البوابة الرئيسية ، حاملين على اكتافهم الاطر الفارغة . ولكن البوابة اغلقت ولم يبق امامهم من خيار الا ان يتشجعوا ويعودوا . وبإشارة من سيدهم هجم حاملو المحفات بأنايبيهم النارية الجديدة مرة ثانية . وكانت ارض المربع السكنى مسطحة ليس فيها مخبأ ، ففر عدد من الراقصين باتجاه بوابة المربع السكنى الداخلية . غير ان المتفرجين كانوا يسدون المدخل باحكام مشكلين حاجزا صلبا

لم يظهر فيه الا رؤوسهم . وعندما اقترب الراقصون خطأ العم كه دينغ فجأة الى الامام ويده انبوب ملتهب ، ثم نشر الشرر على الشاب الذى كان يفتل العصا المثبت فى طرفها الاعلى كرة كبيرة . فاستدار هذا الولد وولى هاربا ، مطلقا صرخة الم حادة ، ولكنه ما لبث ان قوبل بخادم يحمل ” انبوبا ناريا “ آخر اضطره الى العودة . وهز الولد جسمه بعنف كى ينفذ عنه الشرر الملهب ، واخذ العرق يتصبب من جبينه .

وفيما كان العم كه دينغ يطارد الراقص الذى كان يحمل ذيل التنين لحظ فجأة الشاب المرتجف فسأله مبتسما : ” أ شاعر بالبرد ؟ خذ هذه ستدفئك قليلا ! “ ثم وجه كل ناره المتوقدة اليه على مسافة قريبة جدا .

فى تلك اللحظة رفع الشاب عصاه دفاعا ، عارضا كرة ورقية ، فالتهم اللهب الاوراق ، وبعد لحظة احترقت نهائيا . وعندها كان الخدم وحاملو المحفات يقتربون بأنايبهم التى تنثر شررا من الشاب والراقص الذى يسند الذيل ، مصممين على جعلهما يتوسلان طلبا للرحمة . ولكن عندها تماما انتهت الانايب كليا ، وتبين انه لم يعد هناك انايب احتياطية ، وبذلك اضطر الممهرجون الى التوقف .

ثم فتحت البوابة الرئيسية . واصطف الراقصون فى صفوف حاملين ثيابهم ، ورفعوا بقايا هيكل التنين ، وعلى صوت الطبول والصنوج الفاتر زحفوا خارجين من المربع السكنى . ولقد اودى الشاب الذى كان يفتل عصا الكرة الملونة . فقد كان

يدمدم متدمرا وهو يعرج خارجا .
وبعد ان انتهى العم كه دينغ من توزيع رزم النقود على
الراقصين قال متأسفا :

— انه لأمر مؤسف جدا اننا لم نعد المزيد من ” الاناييب
النارية “ . أرضيتم بذلك ؟ سأدعوكم جميعا لمشاهدة عرض
آخر مساء غد .

فقال جيويه هوى فى برود :
— لقد شاهدت بما فيه الكفاية . لا اريد ان ارى اكثر
من ذلك .

فنظر اليه كه دينغ نظرة حائرة . واطاف الآخرون بلهجة
اكتر ادبا :
— ليس ضروريا .

كان الصبية الثلاثة جيويه ينغ وجيويه تشيون وجيويه شى
الذين تمتعوا اكثر من غيرهم قد اختفوا وسط الحشد . وخطا
بقية افراد الاسرة النبيلة نحو الداخل راضين مطمئنين ، بينما
ازال الخدم بسرعة المنصة الموقفة .

وتلكأ جيويه مين وجيويه هوى فى الخلف مع تشين .
ثم سألها جيويه هوى :

— هل وجدت العرض ممتعا ؟

— لم اجد فيه شيئا ممتعا .

— حسنا ، ما انطباعتك اذن ؟

— لا شىء على وجه التخصيص .

وتدخل جيويه مين قائلا :

— لقد كان مملا . كنت احب هذه العروض كثيرا
عندما كنت طفلا ، اما الآن فلم اعد احبها .

فسألها جيويه هوى بحددة :

— تقصدان انه لا احد منكما تحركت عاطفته ولو
قليلا ، أليس كذلك ؟

ولم يدرك جيويه مين ما كان يرمى اليه شقيقه الاصغر ،
فقال معترضا :

— انه مجرد عمل ترفيهي لطبقة متدنية . فكيف يمكنه
ان يحرك عاطفة ما ؟

وسأل جيويه هوى في انفعال :

— ألم تشعرنا ولو بلمسة عاطفة ؟

فتساءلت تشين :

— ما علاقة العاطفة بهذا الامر . العم كه دينغ والآخرون
قد متعوا انفسهم ، والمشركون في الرقص نالوا اعطياتهم .

وكل شخص كان راضيا . فما الخطأ في ذلك ؟

فقال جيويه هوى ضاحكا في فتور :

— تتكلمين كبنت من بنات الاغنياء تماما ! لماذا

لا تستطيع فتاة ذكية مثلك ان تدرك ؟ هل تظنين حقا ان

المتعة يجب ان تعتمد على آلام الآخرين ؟ هل تظنين ان

مجرد دفع النقود يخولك ان تسفعي لحم انسان ؟ انك تتكلمين

كأنك تنظرين الى الاشياء بعينين نصف مفتحتين !

ولم تجب تشين . فقد كان من عاداتها ، عندما تجابه
بسؤال لا تقوى على الاجابة عنه ، ان تظل صامتة تفكر
بدلا من الدخول في مناظرة . ولكنها لم تدرك ان هذه مشكلة
لا يستطيع عقلاها الذى ما زال فتيا ان يجد لها حلا .

١٩

كان الجو رائعا ليلة اليوم الخامس عشر . فقد ظهر
البدر التمام جميلا كأنه طبق من الشب الابيض معلق في
قبة السماء الزرقاء المظلمة وسط نجوم متألثة ورقاقات من
الغيوم البيضاء . وراح هذا القمر يتهادى في السماء ناشرا
اشعته على العالم من تحته .
وفي ذلك المساء ختمت طقوس الصلاة المعتادة باكرا .
وخرج الأولاد الصغار الى الشارع ليشهدوا فوانيس تنين تشعل .
وتجمع الشباب في غرفة جيويه شين ، يتناقشون في كيفية
قضاء الليلة الاخيرة من زيارة تشين . فعطلة رأس السنة تنتهى
في اليوم الخامس عشر من الشهر الاول القمري . وعلى الرغم
من ان تشين تعيش في حي مجاور ، الا انهم نادرا ما يجدون
الفرصة ليلتقوا بعضهم بعضا عدة ايام في زيارة واحدة . ووافقوا
جميعا على اقتراح جيويه شين الذهاب الى البحيرة والتجديف .
كان من المقرر ان تذهب روى جيويه ايضا ، ولكن

الطفل بدأ يبكي لدى مغادرتهم تماما ، فمكثت لتعتنى به :
وكان الجمع يتألف من جيويه شين وشقيقه واختهم شو هوا
وابنتى عميهم وتشين ومينغ فنج التي جلبت معها سلعة طعام صغيرة .
وبعد انزلاقهم الى الحديقة واحدا بعد الآخر ، كأنهم
قطيع من الاسماك ، انطلقوا في الممشى المسقوف . وظلت
شو تشن ، وهي اكثر الفتيات جينا ، قريبة جدا من مينغ فنج .
كان السكون المطلق يخيم على المكان ، وكانت المصابيح
الكهربائية المتناثرة هنا وهناك تضيئ على نحو خافت كئيب .
وكانت رقعة ضوء القمر المنتشرة في الفناء الطويل مرقشة بظلال
قائمة .

وتقدم الشباب ببطء ، يتحدثون ويمشون . وعندما وصلوا
حوض الازهار سمعوا ضجة غريبة ، وقفز شبح اسود عن التلة
الاصطناعية الى سطح الممشى القرميدي ، فانكشفت شو تشن
خلف مينغ فنج رعبا .

وصاحت شو هوا في صوت مذعور : " من ذاك ؟ "
ووقف كل واحد في مكانه ساكنا . ولم يتحرك شيء في
الظلمة المحيطة بهم . فضرب جيويه هوى الارض بقدمه ،
ولكن ما من جواب . وخطا عبر الدرابزون ومشى نحو حوض
الازهار ، ثم التقط بضع حصي ورمائها على سطح الممشى
القرميدي . فمادت قطعة ، ثم سمعت تعدو هاربة .
فقال جيويه هوى ضاحكا : " قطعة ليس الا . " ووثب
عن الدرابزون عائدا الى المتزهين . فشاهد شو تشن منكشمة

خوفا خلف مينغ فنغ ، فسخر منها قائلا :
— ألا تخجلين ؟ مرعوبة من لا شيء على الاطلاق .
فأجابت الفتاة بصوت مرتعش ، وهى تتشبث بمينغ
فنغ :

— امي تقول ان هناك اشباحا فى الحديقة .

فقال جيويه هوى ضاحكا :

— اشباح ؟ من سبق له ان رأى شبحا ؟ امك لم تكن
تقصد الا خداعك ، فانخلع قلبك لذلك . يا لك من ساذجة !
ثم سألها جيويه شين قائلا :

— لماذا اتيت معنا ما دمت خائفة من الاشباح ؟

فتركت شو تشن يد مينغ فنغ ، واجابت بجبن :

— انه لشيء مسل ان اكون معكم . يجب ان آتى .

وقالت تشين تمتدحها مبتسمة :

— حسن قولك يا عزيزتى . تعالى ، انا سأحميك . لا

تقلقى . بوجودى الى جانبك لا يجرؤ اى شبح على الاقتراب
منك .

واخذتها تشين من يدها ، ومشت كلتاهما سويا .

وصاحت شو هوا بتهكم ، مما اضحك كل واحد من

الجمع :

— السيد العجوز جيانغ ، طارد الاشباح الشهير ، هنا .

فلتشتت جميع الارواح !

ودخلوا بستان الخيزران . ومع انه كان خاليا من المصابيح

الكهربائية ، الا ان ضوء القمر اثار ممرا متعرجا صغيرا . لم يكن البستان غاصا بالقصب فبدت السماء فوقه مشرقة . وراحت رؤوس قصب الخيزران تخشخش مع النسيم . وانبعث من مكان ما خرير الماء ، فاكشف الشباب جدولا صغيرا بالقرب من طرف البستان .

كان جيويه هوى ، لكى يظهر عدم خوفه من الاشباح ، قد تلكأ فى الخلف ماشيا مع مينغ فنغ . وفجأة اقتحم دغل خيزران . فاستدار كل واحد منهم لدى سماعهم الضجة ، وقال جيويه مين :

— ايها الاخ الثالث ، بم انت مشغول ؟

فلم يجب جيويه هوى ، بل اجث قصب خيزران صغير ، ثم كسر طرفه الرفيع ، وجعله على شكل عكاز . واخذ يجربه فى دق الارض ، وقال بلهجة رضى :

— ستكون هذه عصا للحنى جيدة .

ثم عاد يمشى الى جانب مينغ فنغ ثانية .

فضحك الآخرون . وقال جيويه مين مبتسما :

— أ هذا كل ما عندك ؟ ظننت انك قد جنتت واندفعت

لتحفر عن كثر دفين !

وبمعنويات عالية دخلت المجموعة بستان صنوبر . ولم يكن الا قدر ضئيل من ضوء القمر يتخلل ابر الصنوبر الكثيفة ، وعند اعمق قسم من البستان بدا الممر انه سيختفى تماما . ولكنهم جميعا كانوا يعرفون الطريق جيدا . ولما خطا

جيويه هوى امامهم ، يتحسس بعكازه الخيزراني التواءات الطريق وانعطافاته ، تمكنوا من التقدم . وايقظ فيهم انين اشجار الصنوبر الشعور بشيء من الخوف ، الخوف من تلك الظلمة التي لا يسبر غورها . ثم مشوا الى الامام ببطء ، وهم مضطربون . وكانت تشين تمسك بيد شو تشن جاعلة اياها قريبة منها .

وبالتدرج اخذ الممر في الامام يضاء . وعندها رأوا البحيرة ، تتألق فضية اللون تحت ضوء القمر . وكان انعكاس البدر التمام يعوم على سطح الماء ثم يتخذ في بعض الاحيان شكلا بيضويا مع انتشار المويجات . وتقفز احيانا سمكة وتغوص في الماء . وعلى مسافة غير بعيدة الى اليمين ظهر الجسر المحذب . وبعيدا الى اليسار تراءى على نحو غير واضح الجسر الحجري المتعرج الذي يقود الى المقصورة القائمة وسط البحيرة .

ولدى وقوف الشباب عند حافة الماء شعروا بالاسترخاء وسط ذلك السكون المنعش . وقذف حجر في الماء ، فكسر خيال القمر ، وبدده في مويجات تدافعت مشكلة دائرة واسعة . ومع ان خيال القمر استعاد شكله الاصلى بسرعة ، الا ان المويجات ظلت تتسع وتتسع الى ان تلاشت .

واستدار جيويه مين فرأى جيويه هوى يقف خلفهم مبتسما . فوبخه قائلا :

— ها انت ذا صاحب الفعلة مرة ثانية !

ثم ما لبث جيويه هوى هذا ان قال مشيرا الى قارب صغير مربوط الى جذع صفصافة على الجانب الآخر من

الجسر :

– لماذا تتسكعون جميعا هنا ؟ القارب هناك .

فقال شو هوا :

– لا حاجة الى اخبارنا بذلك . لقد رأيناه منذ وقت طويل .

ثم شدت ضفيريها الطويلة من فوق كتنفها الى الامام .

ونظرت الى القمر الساطع وهي تعبث بضمفيريها وشرعت تغنى

لحنا قديما .

وما كادت تنهى السطر الاول : ” متى سيكون القمر في

سطوعه “ حتى انضم اليها جيويه مين بصوته الرنان ، ومن ثم

شاركتهما تشين وشو ينغ ايضا . وانطلق جيويه شين بصاحبهم

بمزماره . وفي تلك اللحظة استعارت شو ينغ مزمار جيويه مين

الصغير وقالت :

– صوت ذلك المزمار رقيق جدا . اما هذا فأكثر حدة .

ثم اخذت الالحن الواضحة الطويلة المنطلقة من هذا

المزمار الرفيع تطغى على تلك الالحن الرقيقة الضعيفة الحزينة .

ولكن شيئا من دموع ذلك المزمار الحزينة ينز بين حين وآخر ،

وقد ظل ذلك مسموعا .

وخطا جيويه هوى ببطء على امتداد شاطئ البحيرة في

اتجاه الجسر ، بعد ان اوما الى مينغ فنج ان تأتي معه . وتبادلا

بضع كلمات مختصرة بعد ان اجتازا مسافة ، ثم استدارت

مينغ فنج الى الخلف وانضمت الى الفتيات الاخريات ثانية .

ولم يدرك جيويه هوى انه كان وحيدا الا عندما وصل الجسر

تقريباً . فاستدار وعاد الى المجموعة .
واثاره فجأة هذا المحيط الجميل . لقد شعر انه مختلف
بعض الشيء عن شقيقه وقريباته . وبدا له ان اسرته تخفى
تحت مظهرها الخارجى الهادئ بركانا على وشك الثوران .
ومع انتهاء الاغنية رفعت شو ينغ المزمار الى شفتيها لتبدأ
اغنية اخرى . ولكن جيويه هوى اوقفها قائلاً :

— لنتنظر حتى نركب القارب . ما هذه العجلة ؟

ومشى الشباب على طول البحيرة الى الجسر ، فى مقدمتهم
جيويه هوى وفى المؤخرة مينغ فنغ ، ومن ثم عبروه بسرعة .
وفك جيويه شين جبل القارب واثبت القارب الى ان ركب
الجميع . ثم دفعه وقفز الى مؤخره ، وتناول مجداف الدفة ،
وانطلق المركب يشق طريقه .

وبمرور القارب ببطء تحت الجسر المحذب دخل الى
صدر البحيرة الواسع . وفتحت مينغ فنغ التى كانت جالسة
فى مقدم القارب سلة الطعام التى احضرتها معها ، واخرجت
منها بعض الخضار المملحة ولب البطيخ والبول السودانى .
كما اخرجت ايضا زجاجة من نبيذ الورد وبعض اكواب الخمر
الصغيرة . ثم نقلت هذه الاشياء كلها لشوينغ وشو هوا اللتين
وضعتاهما بدوريهما على طاولة صغيرة مستديرة وسط القارب .
وسحب جيويه مين سداة الفلين من الزجاجة وصب الخمر .
وعلى ضوء القمر الساطع جلس الشباب يأكلون ويشربون .
ولفع ضوء القمر الجسر المحذب الذى اصبح الآن بعيداً ،

فبدا كقطعة من الحرير الشفاف اللامع ، وظهرت المصايح الكهربية عند الطرف الآخر من الجسر ، ولكن على نحو باهت غير واضح . واستدار القارب ببطء دون ان يدرك ذلك . وفيما كان الشباب يحدقون الى القمر تلفتوا حولهم فوجدوا انهم في قسم آخر من البحيرة مختلف تماما . فعلى احد الجانبين ارتفع جرف شاهق ، وعلى الجانب الآخر انتصبت مقصورة تطل على الماء . واصبحت المقصورة القائمة في جزيرة صغيرة وسط البحيرة بادية كليا للعيان ، مغمورة بأضواء القمر .

كان صدر جيويه هوى يعمل بأشياء يريد قولها . ولكي يخفف الضغط عن نفسه اطلق صيحة هائلة ارتطمت بجانب الجرف الذي ما لبث ان رد صداها .

فضحك جيويه شين قائلا :

— لديك صوت عال بالتأكيد .

ثم انطلق في لحن من الحان اوبرا بكين .

ودار القارب حول الجرف مارا برصيف للصيد . اما المقصورة المطلة على الماء فقد حجبها الآن امتداد كثيف من الاشجار القصيرة .

واظلم سطح الماء فجأة . وبدت السماء رمادية حيث اختفى القمر خلف الغيوم . واصبح كل شيء ساكنا ، الا رشاش الماء المندفع من مجداف الدفة على نحو ايقاعي .

وطلب جيويه شين قائلا :

— تباطأوا قليلا .

وما ان انعطفت مياه البحيرة وضافت حتى اختفت الاشجار والبيت . فعلى الجانبين الآن تلتان اصطناعتان ، وكوخ صغير يطل من قمة التلة القائمة على الناحية اليمنى . وهنا اخذ الماء يجرى بسرعة ، وفي الحال اندفع القارب في مجاز ضيق . ومن خلال عمل جيويه شين بحذر على المجدف الذي تعهده التف القارب في دائرة واسعة الى مؤخر احدى التلتين الاصطناعتين . وهنا كان امتداد الماء قصيرا . فعلى احد الجانبين سور منخفض ، وعلى الجانب الآخر تلة اصطناعية ، بدت عالية جدا وحجبت شيئا من ضوء القمر .

وزحف الضباب على البحيرة ملقيا حجاباه على كل شيء . وبدأ الجو يبرد . وانهى الشباب ما في اكوابهم من الخمر وجلسوا ملتصقين ببعضهم بعضا . وسمع صوت الصنج من بعيد ، كأنه قادم من عالم آخر . فانطلق جيويه شين ومينغ فنج يجدفان بعنف .

وقالت تشين سائلة شو تشن :

— هل حلت مسألة تعليمك حلا نهائيا ؟ سمعت ان معلمكم قادم غدا .

كانت شو هوا وشو تشن في الايام القليلة الماضية تلحان بتشجيع من تشين على والدتيهما وتوسلان اليهما ان تسمحا لهما بالدراسة . فوافقت المرأتان اخيرا على السماح لهما بالانضمام الى درس ابناء اعمامهما الذي يؤديه معلم خصوصي .

فأجابت شو تشن بسرعة :

— لقد حلت . اننى مستعدة تماما .

فقلت تشين :

— لم اكن اظن انك ستنجحين بهذه السهولة :

فتدخل جيويه هوى قائلا :

— لا شىء غريب فى ذلك . فهذا لن يكلف والديها فنا واحدا ، لأن المعلم يأخذ نفس الاجرة مهما كان عدد التلاميذ الذين يعلمهم فى الاسرة الواحدة . عندما تكون بنات الاناس الآخرين منهنمكات فى تعلم القراءة والكتابة ، لا يمكنك ان تفخرى بنفسك وعندك ابنة امية تماما . وما دامت والدة شو تشن قد وافقت فان والدها لن يهتم بالموضوع ؛ فهو لا يزعج نفسه بأمر كهذه . والجد دائما قلق يخشى ان يفقد ماء وجهه اذا ما تصرفت احدى اناث الاسرة تصرفا منافيا للتقاليد امام الناس ، غير انه لا يبالي اذا هن درسن فى البيت ، ولا سيما انهن سيقرأن فقط ” مؤلفات الحكماء ” . . .

ان مجرد ذكر ” مؤلفات الحكماء ” جعل جيويه هوى يشعر بالغثيان ، لذلك لم يستطع كبت ضحكة انزعاج .

وقد جعل شرح جيويه هوى هذا الامر واضحا للآخرين وضح النهار ، فلم يعودوا بحاجة الى المزيد من الشرح .

وهبت امواج بيضاء ، ولفع الضباب البحيرة فيما راح القارب يدنو من الجسر المحذب الذى لم يبد بوضوح وسط الضباب . وكانت المصابيح الكهربائية على الشاطئ تومض فى الضباب بلون احمر واصفر . ودار الشباب فى البحيرة دورة

كاملة .

ومن القارب المتحرك في بطاء وجد الشباب صورة القمر
يسطع من خلال الضباب المخادع . وبينما كانوا ينظرون
فيما حولهم بصمت مر قاربهم بمقصورة ” اريح المساء “ .
فسألهم جيويه شين ان كانوا يريدون العودة ، فقال جيويه
هوى :

– لقد تأخر الوقت . وهناك زلاية لذيذة تنتظرنا في

البيت .

ولما لم يبد احد منهم رأيا معارضا وجه جيويه شين القارب
نحو الضفة . وعندما ربط القارب الى جذع الصفصافة مرة
ثانية وخرج الجميع الى الشاطئ انطلقوا عبر الجسر .

وقال جيويه مين مسرورا :

– لم اتمتع في حياتي بمساء اجمل من هذا المساء .

فانطلقت عدة اصوات اخرى تشاركه الرأى .

ولكن جيويه شين كان يفكر – لو ان مى كانت معنا . . .

وكانت تشين تقول لنفسها – يجب ان اجلب مى لتشاركنا

نزهة من نزھاتنا ذات مرة . . .

وما ان خرجوا من الحديقة حتى هرع اليهم الصبيان جيويه

ينغ وجيويه تشيون يلهثان بشدة . ثم صاح جيويه ينغ بانفعال

مخاطبا جيويه شين :

– هل رأيت ” الطبعة الخاصة “ من الصحيفة ايها الاخ

الكبير ؟ لقد بدأوا يتقاتلون !

فقال جيويه شين مرتبكا :

— اية طبعة خاصة ؟ من الذين بدأوا يتقاتلون ؟

فقال الصبى مزهوا بأنه الحامل لمثل هذه الانباء الهامة :
— هذه هي ، انظر بنفسك .

ثملقى بين يدي جيويه شين ” طبعة خاصة “ من الصحيفة
الوطنية اليومية .

فقرأ جيويه شين بتوتر متزايد :

— الحاكم قد امر بشن حملة تأديبية ضد الجنرال تشانغ .
الخصومات قد بدأت .

٢٠

وسألت روى جيويه زوجها جيويه شين لدى دخوله البيت ،
وقد بدت على وجهها ملامح الاضطراب :

— هل هناك اية انباء ؟

فأجابها هاذا رأسه فى جزع :

— الوضع قد اصبح سيئا . فقوات المقاطعة تعرضت
لهزيمة اخرى منكرة . يقولون ان الجنرال تشانغ المهاجم قد
وصل لتوه البوابة الشمالية للمدينة .

ثم مشى جيويه شين نحو النافذة وجلس على كرسى خيزرانى
بجانبيها .

وقالت روى جيويه مدعورة :

– آمل الا يحدث اى قتال شوارع .

فقال جيويه شين فى اضطراب :

– من يدري ؟ ذلك يعتمد على مدى رغبة الحاكم فى

التنازل عن نطاق نفوذه .

ثم اضاف مهذبا روى جيويه ، على حين انه لا يملك

فعلا اية فكرة عن كيفية انتهاء المشكلة :

– ولكننى اعتقد انهم سيتمكنون من حل هذا الامر

سلميا .

ودخلت روى جيويه الغرفة المجاورة وجلست بفتور على

حافة السرير ، حيث كان الطفل هاى تشن نائما . وظهرت

على وجهه ابتسامة خفيفة ، على حين مرت هى بأناملها على

وجتيها المتوردتين . لقد بدا اثيرا لديها هذه اللحظة اكثر من

كل وقت مضى ، فكأن شخصا ما يريد انتزاعه منها . لذلك

لم تتحمل ان تتركه وحيدا ، فجلست تحميه وعيناها تحديقان

الى النافذة فى ذهول . كان المربع السكنى هادئا تماما ، وكانت

تكتكة الساعة الرتبية شبيهة بضربات على قلبها .

وسمعت خطوات تعدو مسرعة الى داخل الغرفة المجاورة .

وبدا واضحا ان شخصا ما قد جاء بخبر مستعجل . فنهضت

روى جيويه خائفة ، واسرعت لترى من القادم . فوجدت جيويه

مين واقفا بجانب طاولة المكتب يتحدث مع جيويه شين .

فسألته من المدخل وهى فى غاية الاضطراب :

— ماذا فى الامر ؟

فقال جيويه مين بانفعال :

— لقد رأيتهم يحملون جنودا جرحى الى المدينة ، اثنين وثلاثة فى المرة الواحدة . لا اعرف كم عددهم . ان المشهد فظيخ جدا . كانوا على النقالات تغمرهم الدماء ، بعضهم مبتور اليدين ، وبعضهم مكسور الساقين ، يتزفون ويثنون . ورأيت شخصا فى صدغه جرح بليغ بطول انش . وكان وجهه اصفر شاحبا بلون الورق . انه لمشهد مربع حقا .

وتوقف لحظة ثم تابع يقول :

— ميدان المعركة لا يمكن ان يكون بعيدا عن المدينة . اذا خسروا معركة اخرى ، فمن المؤكد اننا سنشهد قتال شوارع . فسألته روى جيويه على الفور ، وقد تداعت الى ذهنها صور مخيفة :

— هل سنكون آمنين هنا ؟

فأجاب جيويه مين :

— ربما . لنأمل ان لا يضرم الجنود المنهزمون النار فى كل مكان كما فعلوا فى المرة السابقة !
وفجأة قال جيويه شين ناهضا :

— لم تمض الا سنتان او ثلاث سنوات من السلم ، وها هو ذا القتال ينشب الآن من جديد . انهم لن يتركوك تعيش بسلام ! فأى نمط من الحياة تسمى هذه ؟
ثم خطأ خارجا من الغرفة ، تاركا جيويه مين وروى جيويه

وحيدين خائفين .

وبعدها دخل جيويه هوى وشو هوا . وقطع جيويه هوى

الصمت بصوته الجهير حين قال :

— لقد بدأت المناورة ثانية .

فسأله جيويه مين فى اضطراب :

— ألسن خائفا ايها الاخ الثالث ؟ تبدو فى منتهى

السعادة .

فأجاب جيويه هوى بعدم اكتر انا :

— وماذا هناك حتى اخاف منه ؟ ان الجو من حولنا ساكن

تماما ، وبعض العروض البهلوانية سبعت فيه بعض الحيوية .

ومع ذلك فانى اخشى ان تضطر المدارس غدا الى التوقف .

فدهشت روى جيويه لشجاعته وقالت :

— كيف يمكنك ان تكون شجاعا الى هذا الحد !

— عندما ترين العرض نفسه مرات كثيرة ، فأكثر الناس

جبنا سيصبح شجاعا . انهم يتقاتلون منذ عدة سنوات ، وانا

ما ازال انا . فلماذا ينبغي ان اكون خائفا ؟

ولكن كلمات جيويه هوى هذه لم تستطع تبديد مخاوفهم .

فعندما ازاحت مينغ فنع ستار الباب ودعتهم الى العشاء لم تكن

لدى احد منهم اية شهية . لذا اجابت روى جيويه بفتور :

— انا لست جائعة .

وقالت شو هوا :

— وانا كذلك .

فضحك جيويه هوى ، وقال وهو يغادر الى غرفة الطعام :
— انتن معشر الفتيات مخلوقات غير نافعة حقا ، تفزعن
حتى من خيالكن . تسمعن خبرا صغيرا فلا تستطعن الاكل .
وبعد العشاء قرر الاخوة الثلاثة ان يخرجوا ويروا ان كان
بامكانهم التقاط خبر ما . ولكنهم وجدوا بوابة المربع السكنى
الرئيسية مغلقة ، وقد احكم اغلاقها بمرتاج خشبى كبير . وكان
المدخل مظلما جدا . واخبرهم البواب العجوز ان الشوارع
قد اغلقت فى وجه حركة المرور .

وخلال عودتهم الى داخل المربع السكنى راحوا يناقشون
القدرة النسبية لدى القوتين العسكريتين المتحاربتين .
وقابلهم عمهم كه دينغ عند المدخل المؤدى الى الفناء
الداخلى فقال :

— من المؤكد اننا سنسمع الليلة اطلاق المدافع .
كان المربع السكنى فى تلك الليلة اكثر سكونا من المعتاد .
فكل واحد بدا خائفا حتى من التكلم بصوت عادى ، واصبحوا
فى مشيهم اكثر ترفقا . فأقل نامة كفيلة بأن تخفق لها قلوبهم .
واطفت نيران المطبخ فى وقت مبكر ، اذ لم يشعر اى منهم
برغبة فى الاكل . ولفت النساء نفائسهن وخبأنها فى القبو او
اخفيها داخل ثيابهن التى يلبسها . وفى كل غرفة جلس الآباء
والابناء يحدقون الى بعضهم بعضا بعيون خائفة متعبة ، يترقبون
انتهاء الليل الطويل الطويل .

وراح كه مينغ بمظهره الجدى يتنقل من غرفة الى اخرى

مبلغا تعاليم السيد المبجل قاو : على كل واحد ان يتصرف بحذر . ومن الافضل ان يرتدوا جميعا ثياب الخروج عند النوم ليكونوا قادرين على الهرب لحظة الانذار .

وقد زادت هذه الاوامر من حدة التوتر ، فكأن كارثة مريعة توشك ان تحل بهم . وبدأ جيويه هوى يفقد شيئا من ثقته بنفسه .

وسأل نفسه : ” نهرب ؟ الى اين ؟ ” وفجأة خطرت في ذهنه هذه الصورة : رصاصة بندقية مرتدة من الشارع المفروش بالبلاط تصيب خادما يقف بجانب راقود حجري . فيضغط على جرحه ويطلق صيحة حادة ، ثم يقع على الارض مترنحا ، ويموت وسط بركة من الدماء . هذا كان شيئا رآه جيويه هوى بأمر عينيه . وعلى الرغم من مرور عدة سنوات على ذلك ، الا ان المشهد ما يزال ماثلا في ذاكرته . هو الآخر كان مفعما بالحياة ، ولكنه كان مجرد لحم ودم كجميع الناس من حوله . وشعر جيويه هوى بعدم الارتياح وبشيء من الخوف لدى تذكره ذلك اليوم الرهيب . واثاره ضوء المصباح الكهربائي المتوهج ، فتمنى ان يتلاشى هذا الضوء ويتركه مدفونا في الظلام . .

وحوالى الساعة العاشرة سمع دوى حاد ، تردد صدها المديد في الفضاء .

فرفع جيويه مين رأسه عن طاولة المكتب وقال بصوت مكبوت ، وعيناه قد زايلهما البريق في وجهه الشاحب :

– لقد بدأوا الاطلاق .

وسمعت ثلاث او اربع طلقات اكثر قربا هذه المرة .

فقال جيويه هوى مجبرا نفسه على التكلم بهدوء :

— يبدو من ظاهر الامور ان الوضع لم يصبح بعد خطيرا جدا . فما سمعناه عبارة عن جنود على سور المدينة يطلقون النار لاختافة العدو .

ولكن قبل ان ينهى كلامه انطلقت عدة طلقات سريعة مدوية ، تلتها لحظة صمت اخرى ثم تبع ذلك اطلاق شديد مكثف كأنهمار المطر . واخذ الرصاص يثر فوق السطوح ، وبعضه يصيب الآجر ويهشمه . وبدأ هاى تشن الذى كان مستيقظا يبكي فى الغرفة الاخرى . وفى الخارج انبعث صوت مؤلم ، يعول هاتفا باسم شخص ما .

فتنهدت روى جيويه فى الغرفة المجاورة قائلة :

— مرعب ، ان هذا لمرعب :

وكف هاى تشن عن البكاء ، بينما راح العجوز فى غرفته فى المبنى الرئيسى يسعل بصوت عال .

ودوى فى الجو انفجار هائل كأنه قصف الرعد ، اتبع بهسيس كتقاذف الحصى . وقد هز الانفجار البيت بكامله . ودوت من جديد ثلاثة انفجارات متتابعة ، ورافق الانفجار الاخير انهيار هائل فى مكان ما خلف مربع اسرة قاو السكنى ، كأنه تداعى جدار . واهتر المنزل اهتزازا طويلا وعنيفا .

فسمع صوت جيويه شين فى الغرفة الاخرى يقول ضاربا الارض بقدمه فى ألم :

– انتهينا . انهم يستخدمون مدفعية ثقيلة الى هذا الحد –
جميعنا هالكون ! لقد بدا صوت التهشم الاخير كأنه صوت
سقوط جدار . يجدر بي ان اذهب الى الخلف لأرى ان كان
العم كه مينغ والآخرين سالمين .

فصاحت روى جيويه والدموع في عينها :

– لا تخرج . فالجو اكثر خطورة في الخارج . لن ادعك
تخرج !

فتهد جيويه شين قائلا :

– ثلاثتنا هكذا سويا ، قذيفة واحدة يمكن ان تهلكتنا
جميعا .

فقالت روى جيويه منتحبة :

– القذائف ليس لها عيون . يمكن ان تقتل في الخارج
بنفس السهولة التي تقتل بها في الداخل . واذا كان لا مفر لنا
من الموت ، فأنا افضل ان نموت سويا .
وبدأ هاى تشن ييكي ثانية بصوت عال ، وبدأت قذائف
المدفعية تدوى ثانية كذلك .

فقال جيويه شين بصوت مؤلم يائس مذعور :

– هذا تعذيب ! لنمت وننته من ذلك بسرعة !
ولم يعد جيويه هوى قادرا على الاستماع اكثر من ذلك ،
فسد اذنيه بيديه ، وضغط عليهما بشدة ليمنع تسرب ادنى صوت
اليهما .

وعلت في الجو صيحة عويل حادة مؤلمة ، كأنما الهدف

منها تعذيب ضعاف القلوب . وفجأة انطفت المصابيح الكهربائية ،
ففرق المربع السكنى كله فى الظلام .

ثم انطلقت الصيحة تقول ، كأنها خرجت من كل مبنى
وفى وقت واحد : ” اشعلوا مصابيح الزيت ! ” وعمت الغرف
فوضى كبيرة وتدافع سريع .

ولكن جيويه هوى استلقى فى سريره ، وجيويه مين جلس
بجانب الطاولة ، ولم يتحرك اى منهما .

كان هناك ركود موقت فى قصف المدفعية ، الا ان رصاص
البنادق ظل ينهمر دون انقطاع . وفجأة سمع صياح اناس
كثيرين على مسافة بعيدة . أكانوا يطلقون صيحات الفرح
ام التحذير ام الاسى ؟ وجلبت هذه الضجة الى ذهن الأخوين
صورة مربعة : جنود يركضون فى الشارع ، يطعنون ظهور
المواطنين الهاربين بحراب لامة ، فيهوى المطعونون على
الارض صرعى فيما النصال الدامية تنتزع من اجسادهم .
وفى جحيم الشرر المتطاير من المباني المحترقة يندفع الجنود
المسعورون يبحثون بكل وحشية عن المزيد من الضحايا ،
وهم يعون كحيوانات استمرأت طعم الدم . . .

لم يكن فى المربع السكنى الا الظلام والرعب . وقد جلس
كل واحد ينتظر فى صمت الحسم بين الموت والبقاء . وفى
الحقول وعلى التلال خارج المدينة كان الآلاف مشتبكين
فى معركة مميتة ، مقاتلون ويناصلون ويموتون . وهذه الفكرة
لم تدع الشقيقتين يستريحان لحظة . ففى ظلام غرفتهما كانت

الظلال الحمراء والبيضاء تتراقص امام اعينهما .
 وفي الغرفة الاخرى تنهد جيويه شين قائلا في مرارة :
 - يا لها من فترة مروعة تلك التي نعيشها !
 وقد اثارت صيخته هذه العطف في قلبي شقيقه .
 وصاحت روى جيويه معولة :
 - أليس هناك ما يمكن ان نفعله ؟ يجب ان نفكر في
 مخرج ما !
 فرجاها جيويه شين قائلا :
 - لا تتكلمي هكذا . انك بذلك تجعلينني في حالة اشد
 سوءا . حاولي ان تنامي قليلا . يبدو عليك الارهاق .
 - كيف يمكنني ان اغمض عيني في وقت كهذا . فمن
 المحتمل ان تهبط علينا قذيفة في اية لحظة .
 فأجبر جيويه شين نفسه على القول بلهجة مهدئة :
 - هدئي نفسك يا روى جيويه . اذا كان مقدرا علينا
 ان نموت ، فليس هناك ما نستطيع ان نفعله لرد ذلك . يجب
 ان نحاولي النوم بعض الوقت .
 وفي الغرفة الاخرى أشعل جيويه مين عود ثقاب ، ثم
 اشعل مصباح الزيت . كان فتيله الصغير يرتعش في ضعف ،
 فلم ينر الا حيزا ضيقا من الغرفة . وعندما وقعت عيناه التي
 زايلها البريق على وجه جيويه هوى الاصفر صاح في دهشة :
 - ماذا اصابك ؟ انك تبدو في حالة مرعبة !
 فأجاب جيويه هوى بهدوء وهو مستلق على سريره دون

حرك :

– انت نفسك لا تبدو في حالة جيدة :

وحقق الشقيقان الى بعضهما بعضا في صمت . واستمر
الرصاص يتطاير فوق السطوح ، وقصف المدفعية يهز البيت
من اساسه . وبدأ هاى تشن ييكي من جديد .

وقال جيويه هوى في لهجة مصممة ، وقد نهض على
قدميه وبدأ يفك ازرار ثيابه :

– لا جدوى من الانتظار هكذا . اقول دعنا نأخذ قسطا
من النوم .

فقال جيويه مين :

– هذه فكرة جيدة ، ولكن يحسن بنا ان نظل مرتدين
ثيابنا .

غير ان الشقيق الاصغر كان قد خلع ثوبه الخارجى وانسل
تحت الاغطبة . ثم سحب اللحاف فوق رأسه . ولم يمض
وقت حتى بدأ صوت الاطلاق يضعف في اذنيه .



وطلع فجر اليوم التالى مشرقا منيرا ، وكشفت اشعة الشمس
الجديدة المنبعثة من الافق ان مربع اسرة قاو السكنى لم يصب
بأى اذى . ما عدا بضع آجرات في السطح قد كسرت وقطعة
من سطح الجناح الايسر قد سقطت ايضا . ولم يبق هناك

الا اطلاق متقطع ، واصبح الجو آمنا الى حد ما .
وذهب جيويه مين وجيويه هوى ليريا زوجة ابيهما ،
مدام تشو ، فوجدا زوجة عمهما الثالث ، مدام تشانغ وابنتها
شو ينغ هناك ايضا ، وقد ظهرن جميعا متعبات ومتسخات
بعض الشيء . كانت الغرفة في منتهى القوضى ، فقد جمعت
في وسطها اربع طاوولات مربعة الى بعضها بعضا فوق سجادة
سميكة . وقد نامت المرأتان وشو هوا وغيرها من الاطفال تحت
الطاوولات في الليلة السابقة ، محيطات انفسهن من جميع الجهات
بلحف سميكة ، آملات ان يحميهن ذلك من الرصاص .
وقالت مدام تشو ان شو ينغ وامها قد جاءتا الى غرفتها بعد ان
سقطت قذيفة في الفناء خلف بيتها وحطمت قسما من سور
الفناء .

وقالت مدام تشو للشقيقين :

— لا بد ان الوقت كان حوالى الساعة الثالثة صباحا ،
حيث بدا ان قذيفة اصابت سطح جناحكم وكسرت كثيرا
من الآجر ، وقد جاءت روى جيويه الى هنا حاملة هاى تشن ،
وتركض باكية . وقد خشيت ان تكون غرفتكما قد اصببت ،
فناديتكما مرارا ، ولكن لم يجب احد . كان الرصاص يتطاير
على نحو غزير وسريع ولم يجرؤ احد على الخروج . واخيرا
خرجت مينغ فنج فوجدت بابكما مقفلا وغرفتكما لم تصب
بأذى . وعندها فقط عرفنا انكما سالمين فزال قلقنا . حذار
ان تغطا في النوم هكذا ثانية هذه الليلة مهما بلغ بكما النعاس .

عليكما ان تظلا مستعدين للركض في كل دقيقة .

لقد تكلمت مدام تشو بسرعة تامة ، فألقت هذا الكلام كله دون ان تأخذ نفسا للراحة . وقد انزلت الكلمات من فمها كما تتدحرج اللآلى على سطح املس .
وقال جيويه مين ضاحكا :

— من عادتي ان استيقظ لأقل ضجة . فلا ادري لم نمت هذا النوم العميق ليلة امس حتى اننى لم اسمع كل ذلك الصخب الذى يجلجلج فى الخارج .
وفى تلك اللحظة دخل جيويه شين وكه مينغ ، فاستراحت مدام تشو لمظهرهما الهادئ وسألتهما :

— هل كل شىء على ما يرام الآن ؟

فأجاب كه مينغ بنبرات صوته الموزونة المعتادة :

— من المحتمل ان كل شىء قد انتهى . فالشوارع عادت صالحة للمرور . ولا يبدو للعيان اى جندى . والأمر هادئة فى الخارج . يقولون ان القوات المهاجمة قد احتلت مستودع الاسلحة فى الليلة الماضية وان سلطة المقاطعة قد طلبت من القنصل البريطانى ان يتدخل وسيطا . وطلبت منه ان يقول انها ستقدم تنازلات وان الحاكم سيستقبل . فلا اظن انه سينشب بعد ذلك اى قتال . لقد اصبنا جميعا فى الليلة الماضية بذعر كنا فى غنى عنه .

ثم التفت الى زوجته وحثها على الذهاب الى البيت للاستراحة بعض الوقت ، قائلا :

- بقيت مستيقظة طوال الليل ، فيبدو عليك الارهاق : :
 ثم قال لمدام تشو في لطف :
 - وانت يجب ان تستريحى ايضا . لقد سببنا لك الكثير
 من الازعاج فى الليلة الماضية .
 وبعد بضع كلمات اخرى غادر كه مينغ وزوجته وابنته .
 وظل الاشقاء ليتحدثوا مع زوجة ابيهم .
 وانقضى اليوم دون احداث . واعتبر كل واحد ان المتاعب
 قد انتهت . ولكن قبيل المساء تغير الوضع فجأة .
 كان جميع افراد الاسرة ، باستثناء السيد المبجل قاو ،
 جالسين فى الفناء يناقشون احداث الليلة الماضية . فاندفع اليهم
 خادم يلهث ، وقال فى توتر :
 - السيدة تشانغ قد جاءت .
 وبعد لحظة دخلت السيدة تشانغ وتشين وشابة اخرى من
 بوابة جانبية . وكن لابسات ثيابهن العادية التى تلبسها النساء
 فى البيت ، ثيابا تختلف عن تلك التى يلبسها للقيام بالزيارات
 وتكون اكثر رسمية . ومع ان تعابير وجوههن مختلفة ، الا انهن
 جميعا ظهرن خائفات .
 ونهض كل واحد وحياهن بالدور . وفيما همت السيدة
 تشانغ بشرح سبب قدومهن المفاجئ ، دوى صوت كقصف
 الرعد . واندفع فى السماء خط نارى ، تبعه انفجار هائل ،
 ثم عدة انفجارات اخرى . فغادر الرجال والنساء والأولاد الفناء
 على الفور ، ولجأوا الى قاعة الاسرة .

وبعد اربعة او خمسة اطلاقات توقفت نيران المدفعية ،
وبدأ رصاص البنادق يثر . وقد انطلق هذا الرصاص من الركن
الشمالى الشرقى من المدينة غزيرا كوابل من المطر . وقد اشترك
صوت المدافع الرشاشة فى هذا النزاع وسرعان ما بات من المتعذر
تمييز هذا الصوت من صوت اطلاق البنادق السريع . وفجأة
تزايدت الضجة تزيادا شديدا ، كأنه اندفاع هائج لجيش
لجب ، وبدأت المدافع المنصوبة على اسوار المدينة اطلاق
النار . ولم يكن الضجيج اقل ايذاء للسمع منه فى الليلة الماضية ،
فقد اضيفت اليه بضعة عشر مدفعا ثقيلًا فى الجوار تماما ، تدوى
كلها فى وقت واحد . واخذت الارض تهتر والنوافذ ترتج كأنما
المربع السكنى ضرب بزلزال .

وفى داخل قاعة الاسرة كان الجميع محبوسى الانفاس من
شدة الخوف ، وقد امتعت وجوههم واخذوا ينظرون الى بعضهم
بعضا فى ذهول . لقد ادركوا ان ارواحهم معلقة بخيط ، فراحوا
ينتظرون فى صمت - دون اية تنهيدة او انة او مقاومة . وسيطر
الشعور بالخوف من الهلاك على كل المشاعر الاخرى . فلم
يتأثروا ابدا بمقابلة جيويه شين لى ثانية ، ولا بقدمها الى
المربع السكنى ثانية مع السيدة تشانغ بعد عدة سنوات مضطربة .
لقد انحصر تفكيرهم فى نذر الموت المحومة فى السماء من
فوقهم .

وتلاشى ضوء النهار ببطء . وحدث ركود فى القصف المدفعى
المتواصل ، مع ان نيران البنادق الغزيرة ظلت مستمرة . وبدأ

الناس يتساءلون في قلق : ” كيف سنمضى هذه الليلة ؟ “
وعندها تماما هز الجدران انفجار هائل . وتبع ذلك ضجيج
كانفجار المفرقات النارية وتحطم الآجر .
فصاحت مدام تشو بصوت مرتعش ، وقد هبت واقفة
على نحو غريزي :

– انتهينا ، انتهينا !

ومشت نحو الباب المؤدى الى غرفتها ، فكادت تصطدم
بمينغ فنغ التي دخلت راكضة .

وقوبلت مينغ فنغ بعدة اصوات تسألها دفعة واحدة :

– ماذا هناك ؟ ماذا حدث ؟

كان الدم قد جف في وجه مينغ فنغ ، وكانت تلهث بشدة
لذلك لم تستطع التكلم .

وازيح ستار الباب جانبا ، ودخل السيد المبجل قاو متبوعا
بالسيدة تشن . فنهض الجميع احتراما . ثم قال العجوز :

– ماذا حدث ؟

فقالت مينغ فنغ متلعثمة مدعورة :

– كنت في غرفة شو ينغ . . . قذيفة كبيرة سقطت . . .

وحفرت حفرة في الافريز . . . وكسرت جميع النوافذ ايضا . . .
الفناء امتلأ بالدخان . . . فجريت . . .

وقال العجوز محذرا :

– التجمع هكذا لا يصح اطلاقا . قذيفة واحدة تسقط

هنا يمكنها ان تجهز على الاسرة بكاملها . علينا ان نفكر في

حل افضل .

ثم بدأ يسعل ، فقال كه مينغ مقترحا :

— اقول ان من الافضل لنا ان نفصل ونغادر المربع السكنى . كل أسرة يمكنها ان تذهب وتعيش مع الاقرباء في احياء اخرى من المدينة . والوالد يمكنه ان ينتقل الى اسرة تانغ . فالمكان آمن تماما هناك .

فقالت السيدة تشانغ :

— احذروا من الذهاب الى قسم البوابة الشرقية ، اما القسمان القريبان من البوابة الجنوبية والبوابة الغربية فقد يكونان اكثر امنا من هنا بقليل .

لقد هربت هي والفتاتان من قسم البوابة الشرقية بعد ان احتل بيتها رجال الجيش . وقد عازمت مى التى كانت في زيارة لأسرة تشانغ ان تغادر الى البيت ، ولكن عندما قطعت المواصلات هناك جاءت مع السيدة تشانغ وابنتها الى منزل اسرة قاو .

وقبل ان تنهى السيدة تشانغ كلامها دوت قذيفة اخرى فوق السطح . وانفجرت في مكان ابعد من المكان السابق — ربما في المربع السكنى المجاور .

فاندفع كل واحد في اتجاه المدخل ، ولكن الخدم اوقفوهم جميعا عند القاعة الرئيسية ، واوضحوا لهم ان البوابة الكبيرة قد اغلقت بالمرتاج قبل قليل — فالشوارع تغص بالجنود ، وحركة المرور كلها قد توقفت .

ولم يبق امامهم من خيار الا العودة . ولعدم وجود مأوى
افضل ذهب الجميع الى الحديقة الكبيرة ، وذلك وفقا لاقتراح
جيويه شين .

وكان دخولهم اليها كدخولهم عالما جديدا . صحيح
انهم ظلوا يسمعون الاطلاق ، الا ان المحيط من حولهم انساهم
رعيبهم . فالعشب الاخضر والازهار الحمراء والبيضاء المنتشرة
في كل مكان توحى بالحياة الوادعة . واكتنف الحديقة الموشحة
بضباب الشفق الرقيق جو من الغموض . ومع ان الناس كانوا
متوترى الاعصاب الا انهم لم يستطيعوا تمالك انفسهم عن ملاحظة
جمال الطبيعة الساحر .

وبعد ان اجتازوا بستان الصنوبر وصلوا الى حافة البحيرة .
كانت غيوم الغروب الوردية اللون معكوسة على صفحة الماء
الازرق الفاتح الذي كان قد غطى لتوه بضباب الشفق الرقيق .
ثم تابعوا سيرهم على طول حافة البستان الذي تاخم البحيرة
دون توقف ومضوا في اتجاه مقصورة " ملجأ جانب البحيرة " .

وحجب قصب الخيزران المشقوق القرميد الرمادي الداكن
الذي كان يغطي سطح المقصورة . وكان هناك قليل من نباتات
المغولية في الفسحة الممتدة مقابل الباب الامامي ، متفتحة
كل التفتح ، وتنبعث من ازهارها البيضاء رائحة زكية .

فتح كه مينغ الباب ودعا السيد المبجل قاو الى الدخول
اولا ، بينما دخل الآخرون خلفه في رتل . واشعل احد الخدم
مصباح كيروسين مدلى . كان العجوز منهكا ، لذلك استلقى

على السرير ، بينما بحث كل شخص آخر لنفسه عن كرسى او مقعد وجلس . بالاضافة لهذه الغرفة الوسطى كان لـ ” ملجأ جانب البحيرة “ غرفتان جانبيتان ايضا ، رتبهما الخدم بسرعة ، واعدوا واحدة للرجال واخرى للسيدات .

في ذلك الوقت كانت المدافع قد سكتت . كما تضاءل صوت البنادق ، ومن ثم توقف . وفي هذا المحيط الساكن الآمن بدا كل ما حدث في الماضي مجرد حلم مزعج . ومن النوافذ المطلة على البحيرة راحوا يحدقون الى الماء الصافي . وهب النسيم العليل عليهم ذاهبا بالكثير من قلقهم . والقى القمر اشعته الفضية الشاحبة على سطح البحيرة ، مضيئا اليها مزيدا من البرودة المنعشة . ومقابلهم انتصبت مقصورة ” اريج المساء “ في ضوء القمر غير مبالغ في زخرفتها ، وامامها امتد بساط من الازهار البيضاء . ولامست اشعة القمر الفضية التلال الاصطناعية والاجرف واشجار الخوخ والصفصاف ، كل بلونه المميز ، فاكتنفها جميعا جو من السرية المحيرة .

كانت مى قلقة على امها واخيها في البيت ، فاطمأنت الآن بعض الشيء في هذا المحيط السار ، وجلست تحديق الى مقصورة ” اريج المساء “ على الشاطئ المقابل كأنما تبحث عن شيء هناك . وبعد فترة تحول تحديقها الى صف اشجار الصفصاف على طول الضفة ، ثم ما لبثت ان خاطبت تشين متنهدة :

— لقد جئت الى هنا مرة قبل حوالى خمس سنوات .

وكانت تشين واقفة الى جانب مي تراقب القمر في صمت ،
وهو يبهر ببطء وسط الغيوم التي بدت كأموح بيضاء متلاطمة ،
فاستدارت ونظرت الى مي التي اشارت الى اشجار الصفصاف
قائلة :

— ان اغصان الصفصاف المتدلّية تلك معقودة على قلبي
... وها هو ذا الربيع قد حل من جديد .

ولكن تشين تشبّث بكم مي ، وقالت بابتهاج مغيرة
الموضوع :

— نحن جميعا ركبنا القارب هنا يوم استوى القمر بدرا بعد
رأس السنة . وكل واحد منا تأسف لعدم وجودك معنا . من كان
يتوقع انك ستأتين بهذه السرعة ...

ولكن جواب مي جاء حزينا ، فقد اخذت يد تشين وقالت
والدموع في عينيها :

— انني شاكرة لكم غاية الشكر طيب نواياكم . ولكن ما
فائدة قدومي الى هنا ؟ ألا تعرفين مشاعري ؟ لا شيء هنا قد
تغير . كل شجرة ، كل نصلة عشب ، تعيد الى الذكريات
المؤلمة . فحتى ولو تحوّل قلبي الى رماد بارد ، لا استطيع ان
انسى الماضي نهائيا .

فنظرت تشين الى مي نظرة ذعر ، ثم تلفتت حولها بسرعة
لترى ان كان هناك من سمعها مصادفة ، وقالت هامسة :

— عليك ان لا تتكلمي هنا بهذه الطريقة . فمن الممكن
ان يسمعك الآخرون . حتى اذا كان من الصعب ان تنسى ،

فعليك الا تعذبي نفسك هكذا .

وعندها تماما سمعت تشين وقع خطوات خلفها . فاستدارت بسرعة ، فرأت روى جيويه تقترب جارة معها الصغير هاى تشن . وسألتهما ضاحكة :

— اى سر هذا الذى كنتما تتهامسان به ؟

فاحمر وجه مى ولم تجب ، بينما قالت تشين فى دعابة :

— لقد جئت فى اللحظة المناسبة . كنا نبحث فى عيوبك !

فضحكت حتى مى وقالت لروى جيويه :

— لا تصدقها .

فقالت روى جيويه مبتسمة :

— طبعا لا يمكننى ان اقران نفسى بنشين . لقد قرأت

كثرا كثيرة ، وتذهب الآن الى مدرسة حديثة الطراز ، انها جميلة وشجاعة .

فقالت تشين فى جدية ظاهرة :

— وماذا ايضا ؟

فقالت روى جيويه منفجرة بالضحك :

— و ، و . . . اوه ، اشياء اخرى كثيرة :

ومن ثم قالت لى بلهجة اكثر جدية :

— كنت اود مقابلتك منذ وقت طويل — لقد سمعت عنك

الكثير — ولكن لم يحالفنى الحظ . فأية ريح طيبة جلبتك

اليانا اليوم . اننى لا استطيع ان اصور لك مدى سرورى بقدموك .

ولكن ألم يسبق لى ان رأيتك فى مكان ما ؟

فقلت تشين :

– ربما صورتها ؟

– لا ، انا متأكدة اننى رأيتها فى مكان ما . . :

فحركت مى شفيتها فى ابتسامة ضيقة وقالت بلطف :

– لم اكن سعيدة الحظ فأتعرف عليك ايتها الاخت

قبل ذلك .

ثم اضافت على الفور بلهجة ودودة :

– انك اكثر امتلاء عما انت فى الصورة .

واخذت الطفل الصغير من يده وقالت :

– وهذا لا بد انه هاى تشن ؟

فابتسمت روى جيويه قائلة :

– بلى .

ثم قالت لهاى تشن :

– قل مرحبا لعمتك .

فاستجاب الطفل الصغير بسرعة ، وعيناه مثبتان على مى .

وابتسمت مى للطفل بشغف ، وانحنى لتضمه . ثم ربت

على وجنته قائلة :

– انه يشبه الاخ الكبير تماما ، لا سيما عيناه اللامعتان .

كم عمره ؟ اربع سنوات ؟

– لم يبلغ الرابعة بعد .

وضغطت مى خدها فى خد هاى تشن ، وقبلته قائلة له

” حبيسى“ عدة مرات قبل ان تعيده الى روى جيويه وهى تقول

بلهجة مختلفة نسبيا :

— انك محظوظة حقا بأن لديك هذا الابن الرائع :
واحست تشين بالتغير فبدأت على الفور تتكلم في موضوع
آخر . وبينما كانت الشابات الثلاث يتحدثن ، تبينت روى
جيويه فجأة انها قد شدت الى مى ، على الرغم من انها المرة
الاولى حقا التى تقابلنا فيها .

وفى تلك الليلة اوى كل واحد الى فراشه باكرا . وعاد كه
مينغ وجيويه شين الى شقتيهما ليتمكننا من حراسة المربع السكنى .
وشعر جيويه مين وجيويه هوى بأنهما مقيدان تماما لوجودهما فى
نفس الغرفة مع جدهما ، فعادا ايضا الى غرفتهما حيث يتمتعان
بمزيد من الحرية . ولقد اصبحا الآن اكثر شجاعة بعد ان
اجتازا مرحلة صغيرة من القصف .

٢١

لم ينم احد نوما جيدا تلك الليلة . ومع انبلاج الصبح بدأ
السيد المبجل قاو يسعل . لقد سعل بصوت عال وعلى نحو
متواصل ، مرقظا الآخرين الذين قرروا ايضا ان ينهضوا باكرا
قدر الامكان .

وبعد ان غسلت تشين وشو ينغ واخواتها وجوههن وسرحن
شعرهن ، انطلقن مع مى فى جولة داخل الحديقة ليطلعنها

على التغييرات التي حدثت خلال سنوات غيابها ، كما تحدثت
الفتيات ايضا عن الاحداث التي طرأت على حياتهن في تلك
الفترة .

ولم تكن الحديقة قد تضررت كثيرا بالقصف ، بل وقعت
شجرتا صنوبر فقط بتأثير قنبلة متناثرة الشظايا .

وفي الخارج لم تكن الشوارع قد فتحت بعد لحركة المرور ،
ولكن القيود خففت قليلا عن اليوم السابق . ومع ان الجنود
ظلوا عند كل نقطة تقاطع ، والحرس وقفوا على مسافات منتظمة
على طول الشوارع ، الا ان المشاة الانفراديين كان بوسعهم
التنقل بين مناطق محدودة اذا لم يوقفهم الحراس .

وكان من الصعب ان يجد طباخ اسرة قاو الخضار في
السوق . ونظرا الى بقاء بوابات المدينة كلها مغلقة مدة يومين
لم يستطع الفلاحون جلب منتجاتهم من القرى المجاورة .
وعلى الرغم من ان الطباخ استخدم كل براعته في الطبخ ، الا
ان الوجبات ظلت هزيلة بعض الشيء في ذلك اليوم .

وقدم الفطور في مقصورة " ملجأ جانب البحيرة " . فقد
وضعت طاولتان مستديرتان في وسط الغرفة ، حيث جلس الكبار
على واحدة والصغار على الاخرى . وعلى الرغم من ان ايا منهم
لم يأكل جيدا طوال يومين او ثلاثة ، الا ان الصحون القليلة
التي ظهرت الآن بدت غير مثيرة بحيث فقد معظمهم شهيتهم .
فبعد لقمتين فاترتين وضعوا الطاسات من ايديهم وغادروا الطاولة .
وكان جيويه مين وجيويه هوى الوحيدين اللذين أكلا بنهم .

وكان جيويه شين يختلس النظرات الى مى التى تجلس مقابله على نحو مائل ، وقد التقت اعينهما عدة مرات . فكانت مى تخفض رأسها بسرعة او تحول طرفها عنه فى الحال ، وقد احمر وجهها خجلا ، وراح قلبها يخفق بسرعة . ولم تعرف ان كان هذا الجيشان العاطفى الذى احسته مفرحا ام محزنا ، ومن حسن الحظ ان الجميع كانوا مستغرقين فى تتبع الطريقة الشرهة التى كان الشقيقان يجهزان بها على ما فى طاسيهما ، فلم يلحظ احد ردود الفعل عندها .

وقالت شو هوا ساخرة من شقيقها بعد ان غادر جدها الغرفة ، موجهة ملاحظتها الى جيويه مين :

— شهيتكما ليست سيئة مطلقا . الصحون قد فرغت ومازلتما متمسكين بطاسى الارز .

فرد عليها جيويه هوى مبتلعا لقمة كبيرة من الارز وواضعا الطاس من يده :

— طبعا نحن لسنا مثلكن معشر الفتيات . فأنتن لا بد لكن من تناول دجاج او بط او سمك او لحم فى كل وجبة . أتعرفن مم يتألف غداؤنا فى المدرسة ؟ خضار ، ملفوف ، جبن فول الصويا ، عجينة فول الصويا . . . والآن عليكن انتن ان تعانين ايضا . وأمل ان نبقى هكذا بضعة ايام اخرى لنرى ان كتنن ستستطعن التحمل .

وكان جيويه هوى مستعدا لمتابعة حديثه ، الا ان جيويه مين هز مرفقه خفية مشيرا اليه بالسكوت . فلاذ بالصمت بعد ان

رأى هو الآخر ملامح الامتعاض على وجوه بعض الكبار .
ثم دفع كرسية الى الخلف ونهض .
وقالت شو هوا في حدة :

- كنت اتكلم مع الاخ الثاني ، فمن طلب منك التدخل ؟
ثم ادارت رأسها دون ان تلقى اليه اى اهتمام .
انتهت الوجبة ، وخرج الاخوة الثلاثة الى الشارع ليروا ان
كانت هناك اية اخبار . وعزموا كذلك على القاء نظرة على منزل
السيدة تشانغ اذا هم تمكنوا من الوصول اليه .

كان في الخارج بعض المشاة . وكان الناس متجمعين ،
اربعة او خمسة في كل مجموعة ، امام بوابات مربعاتهم السكنية ،
يمدون اعناقهم لينظروا في انحاء الشارع فيما هم منهمكون في
مناقشة حادة . وعلى بعد كل عشر ياردات او نحو ذلك وقف
جندي مدجج بالسلاح بجانب السور ، او راح يخطو ببطء
جيئة وذهابا ، ممسكا ببندقية . ولكن لم يعترض الاخوة اى
من الحراس ، لذلك انطلقوا يمشون في حرية .

وبجانب حاجز عند مفرق طرق لقي الاخوة بضعة اشخاص
يقرأون بيانا ملصقا على الجدار . وكان هذا بيان استقالة الحاكم .
وقد قال فيه الحاكم بكل تواضع ان " قدراتي لم تكن كافية
لخدمة ابناء الشعب واننى افتقر الى القدرة على تخفيف محتهم . "
ونتيجة لذلك حدثت معركة " جرت الولايات على ضباطى
وجنودى والحقت الاذى بأبناء الشعب . " ولذلك قرر ان يتقاعد
ليتنجب " اطالة مدة القتال وجلب الدمار على المنطقة " .

فقال جيويه هوى ساخرا :

— الآن ، والجنود المعادون يعسكرون خارج اسوار المدينة ،

يكتب خطابات بليغة . لماذا لم يستقل منذ وقت طويل ؟

تلقت جيويه شين حوله بسرعة ، فلم يجد ، من حسن

الحظ ، احدا بجوارهم ، ولم يسمع احد تلك الملاحظة .

وعندها شد جيويه هوى من كفه وحذره قائلا بصوت منخفض :

— كن اكثر حرصا فيما تقول . ألا تريد ان تعيش ؟

لم يجب جيويه هوى ، بل مشى مع شقيقه عبر فتحة

في الحاجز . وامام معبد قديم رأوا مجموعة من الجنود يقفون

بالقرب من بنادقهم المركومة فوق بعضها بعضا ، ووجوههم

خالية من اى تعبير . وفيما يلى المعبد كان الدكان الصغير

يعرض للبيع بعض النسخ من صحيفة ذلك اليوم . فتناول الاخوة

نسخة ، وشرعوا يقرأونها . كان موقف الصحيفة قد بدأ بالتغير .

فمع انها ما تزال تذكر الحاكم المتقاعد بالخير ، الا انها لم

تعد تشير الى الجيش المعادى على انه جيش من المتمردين .

وقادته الذين وصموا في السابق بأنهم ” عصاة ” و ” قطاع

طرق ” وصفوا الآن بكل ادب بلقب الجنرال فلان والقائد

فلان . واما جمعية التجار نفسها ومنظمة المحافظة على التعاليم

الاخلاقية القديمة نفسها كذلك ، واللذان نشرتا في السابق مقالات

لشجب ” قطاع الطرق القذرين ” ، فقد اعلتا في صحيفة

اليوم عن ترحيبهما بالضباط والجنرالات الذين اصبحوا من

المدينة قاب قوسين او ادنى .

وقال جيويه شين :

– يبدو كأن المتاعب قد انتهت .

وعندها كان الاخوة قد اجتازوا شارعين ودخلوا في رأس شارع ثالث .

كان الحاجز الجديد امامهم مغلقا باحكام ، ويحرسه جنديان مسلحان فلم يبق لديهم من خيار الا العودة . وحاولوا الالتفاف عبر ممر جانبي ، ولكنهم وجدوا انفسهم يجابهون ثمانية بحارس عند التقاء الممر بالشارع الرئيسي .

وسألهم ذلك الجندي النحيف الوجه في عنف :

– الى اين ذاهبون ؟

فأجاب جيويه شين بكل لطف :

– نريد ان نزور قريبا يسكن خلف بضعة شوارع من

هنا .

فقال الحارس شادا فمه بقوة :

– لا يمكنكم العبور الى هناك .

ونظر نظرة زهو الى البندقية في يده والى الحربة اللامعة المثبتة في نهايتها . وبدا كأنه يقول لهم : ” اذا اقتربتم خطوة واحدة فلن اخسر اية كلمة اخرى ، بل سأدع الحربة هي التي تتكلم . “

فاستدار الاخوة الثلاثة في صمت ، وراحوا يجرجرون خطواتهم عبر ممر صغير ، ويبحثوا عن مدخل آخر الى الشارع الرئيسي . ولكن جهودهم كلها ذهبت عبثا . فالحراس كانوا

يسدون جميع مفارق الطرق .

وقرروا ان يعودوا الى البيت . وخوفا من ان يقطع عليهم طريق العودة اخذوا يمشون بسرعة . لم يكن في الشوارع الا قليل من الناس . وكانت المحلات والبيوت ساكنة وابوابها مغلقة . واصبح الجو اكثر سكونا مما كان عليه عند خروجهم ، وهذا زاد من خوفهم . فراحت قلوبهم تدق كلما مروا بحارس خوفا من ان يوقفهم . ومن حسن الحظ ان هذا لم يحدث ، وانهم وصلوا البيت اخيرا .

معظم افراد الاسرة كانوا في الحديقة ، فأسرع الاخوة للانضمام اليهم . وهناك وجدوا جدهم وزوجات اعمامهم يلعبون الماجيانغ على طاولتين في مقصورة ” ملجأ جانب البحيرة “ . فدهش جيويه هوى لاهتمامهم باللعب في وقت كهذا . ولما لاحظ ان جيويه مين قد اختفى تسلل هو الآخر خارجا . وظل جيويه شين واقفا بجانب كرسي جده يبلغه الاخبار القليلة التي استطاعوا الحصول عليها .

وطبعا سرت هذه الاخبار الكبار سرورا عظيما . وظلت السيدة تشانغ قلقة بعض الشيء لعدم تمكن جيويه شين من اخبارها بوضع بيتها التي اجبرت على تركه ، ولكنها سرعان ما تناست هذا الامر .

وعندما عاد الكبار الى انهماكهم في اللعب انتهز جيويه شين الفرصة وغادر . ووقف برهة تحت شجرة مغنولية شاعرا بشيء من الضجر ، اذ انه يشناق الى شيء يعرف انه لا يستطيع

الحصول عليه ، على الرغم من انه امام عينيه تماما . وبدت له الحياة فارغة تافهة . واستند الى جذع الشجرة وراح يحرق الى امتداد الخضرة امامه .

كانت الطيور تغرد على الاشجار . وراح يرف على غصن فوق رأس جيويه شين سمتان مغردتان ، مسقتين عليه رشاشا من ازهار المغنولية البيضاء مثل الثلج . واخذ يراقبهما وهما تطيران الى اليمين . وتمنى لو كان بوسعها ان يتحول الى طائر ويحلق معهما عاليا في قبة السماء الواسعة . وعقب انفه بشذى عطر . وعندما خفض رأسه لينظر الى ما حوله ، سقطت بتلات ازهار المغنولية عن رأسه وكتفيه . وظلت بتلة منها عالقة بصدرة . فأخذها بين اصبعيه بلطف ، ثم اطلقها ، وراح ينظر اليها وهي تسقط متهادية الى الارض .

وظهر شكل امرأة من خلف التلة الاصطناعية . كانت تمشى ببطء ، خافضة الرأس ، وفي يدها غصن صفصاف . وفجأة رفعت رأسها فرأت جيويه شين يقف تحت الشجرة . فتوقفت ، واخذ فمها يرتعش ، كأنها توشك ان تتكلم . ولكن لم يند عن شفيتها صوت ، بل استدارت في صمت وابتعدت . كانت تلبس فوق سترة حريرية خضراء باهتة صدره من الساتان الاسود . انها لا يمكن ان تكون الامى .

شعر جيويه شين برعشة تسرى في جسمه ، كأنه صب عليه دلو من الماء البارد . لماذا تتجنبه ؟ يجب ان يعرف ، فانطلق في اثرها يمشى الهويئا .

ولما دار حول التلة الاصطناعية رأى ازهارا وشجيرات ،
ولكن لم ير اثرا لى . غريب ! فانطلق الى الجهة اليمنى ، وعبر
شق فى التلة الاصطناعية المجاورة لحظ صدره الساتان الاسود .
فقام بدورة حول تلك التلة ايضا ، ووصل الى مرجة صغيرة
بيضوية الشكل ، مهدبة بقليل من اشجار الخوخ . فرآها تقف
تحت شجرة ، مخفوضة الرأس ، تنظر الى شىء فى راحة يدها .
فصاح وهو يمشى نحوها بسرعة :

— مى !

رفعت رأسها ، ولكن لم تنصرف هذه المرة ، بل حدقت
اليه فى ذهول ، كأنها لا تعرفه .

واقرب منها وسألها فى صوت مرتعش :

— مى ، لماذا تتجنينينى ؟

لم تجب مى ، بل خفضت رأسها ، وراحت تداعب
بلطف الفراشة المحتضرة فى يدها ، والتي كانت ما تزال تحرك
جناحيها فى ضعف .

فسألها بألم :

— ألم تصفحى عنى بعد ، يا مى ؟

فرفعت رأسها وحدقت اليه فى ثبات ، ومن ثم اجابت

بيروود :

— انت لم تؤذنى على اية حال ايها الاخ الكبير :

ولم تزد على هذه الكلمات القليلة .

فقال ولهجة صوته فاجعة تقريبا :

– هذا يعني انك لن تصفحى عنى .
فابتسمت ، ولكن ابتسامة حزينة . وراحت عيناها تعانقان
وجهه بلطف . ثم وضعت يدها اليمنى على صدرها وقالت
بهدهوء :

– ألا تعرف ما فى قلبى ؟ هل كان بوسعى يوما ان اكرهك ؟
فسألها جيويه شين والدموع فى عينيه :
– اذن لماذا تتجنيينى ؟ لقد انفصلنا عن بعضنا زمنا
طويلا ، ولكن الآن ، عندما اصبحنا قادرين على اللقاء ثانية ،
لا تكادين ترغيبين حتى فى التحدث الى . ما رأيك فى شعورى .
كيف لا اظن بأنك ما زلت تكرهينى ؟

ثم سحب من جيبيه منديلا واخذ يجفف دموعه .
ولم تبك مى ، بل اکتفت بأن عضت شفثتها ، وتعمق
التغضن فى جبينها . ثم قالت ببطء :

– انا لم اكرهك قط . ولكن من الافضل الا نرى بعضنا
بعضا كثيرا ، اذ لا فائدة من اثاره الماضى ..

كان جيويه شين يتحب ، لذلك عجز عن التكلم .
وانحنت مى ثم وضعت الفراشة على العشب برفق . وقالت بصوت
يفيض بالحب والاسى :

– مسكينة ! من الذى وضعك فى حالة كهذه ؟
ومع ان فى هذا الكلام تورية ، الا ان مى لم تقصد
معنى خفيا . ثم ابتعدت فى اتجاه مقصورة ” ملجأ جانب
البحيرة “ .

وعندما رفع جيوبه شين رأسه استطاع ان يتبين وسط الدموع
التي ملأت عينيه عقدة الشعر في مؤخر رأس مي والخيط الصوفي
الازرق الشاحب الذي كانت تربط به شعرها . وقد اوشكت
على الاختفاء خلف التلة ، فندت عنه صبيحة :

— مي !

فتوقفت مي وانتظرته كي يلحق بها .

وسألته متخذة وضعية فتور :

— ماذا لديك ؟

فقال في حزن وخيبة امل :

— أفاضية انت حقا ؟ عندك العطف على فراشة ، أفلا

استحق انا اى عطف منك ؟

ظلت مي صامته ، ثم اسندت نفسها الى التلة الاصطناعية
خافضة الرأس .

فقال جيوبه شين منتحبا :

— ربما تغادرين غدا . وربما لا تسنح لنا الفرصة ابدا

برؤية بعضنا ثانية ، عائشين او ميتين . أنتطيعين حقا ان

تركينى هكذا دون كلمة وداع ؟

وظلت صامته لا تجيب ، غير ان قلبها اخذ يخفق بسرعة .

فقال بصوت منخفض يقطعه الانفعال :

— مي ، لقد اخطأت معك ، واذيتك على الرغم منى :

وبعد ان تزوجت نسيك . . . لم افكر فيما انت عليه من

معاناة .

ومع انه امسك بالمنديل ، الا انه لم يمسح دموعه ،
فراحت تنهمر على وجنتيه .

– وفيما بعد سمعت عن معاناتك خلال السنوات القليلة
الماضية ، وكل ذلك بسببي ، فكيف استطيع بعد هذا ان اعيش
في طمأنينة ؟ اننى انا ايضا اعانى كثيرا يا مى . أفلا تستطيعين
حتى ان تقول انك صفحت عنى ؟

وعندما رفعت مى رأسها هذه المرة كان وجهها مبللا بالدموع ،
وعيناها متلاثلثتان . لقد اخذت تبكى بصمت اخيرا ، وتقول :
– ان قلبى معقد كخيوط الكتان . . . ماذا تريدنى ان
اقول .

وراحت تكرر هذه العبارة . ثم ضغطت صدرها بيدها
وبدأت تسعل .

واستحوذت كآبتها على قلب جيويه شين ، فاقترب منها
دون وعى ، واخذ يمسح لها دموعها بحنان .
وسمحت بذلك لحظة ، ولكنها ما لبثت ان ابعدهته عنها
قائلة فى بؤس :

– لا تفعل هكذا ، يجب الا تثير ادنى شك .

وبدأت تمشى مبتعدة عنه . فتمسك بيدها وقال :

– من يستطيع ان يشك فى شىء ؟ اننى رجل متزوج ،
اب لطفل . يجب الا ادعك تعانين كل هذه المعاناة . عليك
ان تعتنى بصحتك .

وتابع يقول برقة ، وهو لا ينوى ترك يدها :

– لا يمكنك ان تعودى وانت بهذه الحالة ، دموعك تملأ وجهك .

ونسى جيويه شين بؤسه تماما فى تأسيه على مصير مى المأساوى .

وهذا بكأوها شيئا فشيئا . واخذت منه المنديل ومسحت دموعها ، ثم اعادته اليه وهى تقول بألم :

– كنت افكر فيك كل دقيقة خلال السنوات القليلة الماضية . انك لا تدري اية راحة شعرت بها عندما لمحتك فى بيت تشين عشية رأس السنة . كنت اتلهف على رؤيتك بعد ان عدنا الى تشنغدو ، ولكنى كنت خائفة . وفى ذلك اليوم ، عند مخزن شينفاشيانغ ، تجنبتك . وبعدها ندمت . ولكن لم يكن بوسعى الا ذلك . فأنا لدى امى . وانت لديك زوجتك . كنت اخشى ان تؤذيك اثاره الماضى . اننى لا احرص على نفسى ، فحياتى قد انتهت . ولكننى لا اريد ان اسبب لك اى الم . . .

وفى البيت لا تدري امى بمشاعرى . انها تنظر الى الامور من وجهة نظرها الخاصة . انها تحبنى ، ولكنها لا تفكر بى بوصفى انسانة . اننى بالنسبة اليها شىء عديم الحس . وهى لا يمكن ان تفهم مأساتى قط .

ثم تنهدت قائلة :

– اننى افضل ان اموت مبكرا عن الاستمرار على هذا النحو .

وضغط جيويه شين صدره . لقد آلمه قلبه الما شديدا .
ووقفا ينظران الى بعضهما بعضا . ثم ابتسم جيويه شين ابتسامة
حزينة ، وقال مشيرا الى العشب :

— هل تذكرين كيف كنا نتدحرج على هذه المرجة
ونحن اطفال ؟ وعندما لسعتني حشرة فى بدى مصصت انت
الدم الفاسد مكان اللسعة . كان من عادتنا مطاردة الفراشات
هنا وصبغ اظافرنا برحيق ازهار البلسم الحمراء . المكان مايزال
على حاله ، أليس كذلك ؟ وذات مرة ، عندما اصيب القمر
بخسوف ، حملنا مقعدا على ظهرينا وسرنا به فى الفناء . وفضلنا
ان نتحمل نحن الالم حتى لا يعانى القمر وهو يؤكل . . .
أتذكرين ؟ . . . وتلك الايام التى درست فيها معنا فى بيتنا .
كم كنا سعيدين فى ذلك الحين . من كان يصدق اننا سننتهى
الى ما نحن عليه اليوم ؟

كان جيويه شين يتكلم كأنه فى حلم يقظة ، كأنه يجهد
نفسه لانتزاع متعة الماضى من جديد .

وقالت مى برقة :

— اننى الآن اعيش على ذكرياتى تقريبا . فالذكريات
فى بعض الاحيان يمكن ان تنسيك كل شىء . واننى احب
ان اعود الى ايام الطفولة تلك ، الخالية من الهم ، ولكن الزمن
لسره الحظ لا يرجع الى الوراء . . .

وتناهى الى مسمعهما وقع خطوات تقترب ، ثم تبع ذلك
صوت شو هوا تقول :



” لا يمكنك ان تمردي وانت بهذه الحالة ،

دموعك تملأ وجهك . “

— لقد بحثنا عنك في كل مكان يا ابنة الخالة مي . فأنت
تختبئين هنا اذن !

فخطت مي الى الخلف بسرعة ، مبتعدة عن جيوبه شين
قليلا ، ونظرت فيما حولها .

كانت تشين وشو ينغ وشو هوا قادمات في طريقهن .
ولدى اقتراب الفتيات لاحظت شو هوا وجه مي فصاحت في
ذعر ساخر :

— هل ازعجك الاخ الكبير ؟ لماذا عينك منتفختان
من البكاء ؟

ثم حدقت الى جيوبه شين ، فتراجع الى الخلف على
عجل ، ولكنها رآته فقالت :

— اوه ، انت كنت تبكي ايضا ؟ بلقائكما ثانية بعد كل
هذه السنوات يجب ان تكونا سعيدين . ولكنكما تختبئان هنا
وتبكيان لبعضكما بعضا . غريب جدا !

فاحمر وجه مي ، بينما نظر جيوبه شين بعيدا ، وهو يتمتم
متحججا ” عيناى تؤلماننى “.

وضحكت شو ينغ قائلة :

— هذا غريب . انهما لم تؤلماك من قبل . لماذا بدأ
الالم مع وصول ابنة الخالة مي ؟ وعجيب انكما تعانيان سويا
بالتأكيد !

وراحت تشين تشدها من كمها مشيرة اليها بأن تصمت ،
لأن روى جيوبه في طريقها اليهم جارة الطفل . ولكن شو

ينغ لم تستطع التوقف عن الكلام في الوقت المناسب ، لذلك سمعتها روى جيويه .

ولم تعرف روى جيويه ماذا تفعل ازاء ما سمعت . ثم قدمت الصغير هاي تشن الى جيويه شين مبتسمة وطلبت منه ان يحمله . ثم خاطبت مي قائلة :

— ألا تشعرين بالانزعاج يا ابنة الخالة مي . هيا بنا نتمشى . اخشى ان تأخذى الامور بغاية الجدية .
ثم تأبطت ذراع مي في مودة ، وسارت بها الى الجانب الآخر من التلة .

وارادت شو ينغ وشو هوا ان يتبعاهما ، ولكن تشين اوقفتها محذرة :

— ربما لديهما امر خاص ستناقشانه . اظن انهما اصبحتا صديقتين حميمتين . فالأخت روى جيويه شغوفة بابنة الخالة مي . ومع ان تشين كانت تخاطب الفتيات ، الا انها قصدت ابصال ملاحظتها هذه الى مسامع جيويه شين .

٢٢

وبعد يومين فتحت الشوارع ثانية امام حركة المرور :
وخيم الجيش الغازي ، تحت امرة الجنرال تشانغ ، خارج اسوار المدينة . ونشرت اشاعة تقول ان الحاكم قد ارتحل عن

المدينة في ذلك اليوم ، تاركا قائد الحامية الجديد يشرف على الامن العام اشرفا موقتا . وعلى الرغم من ان القتال قد توقف ، الا ان المدينة غرقت في الفوضى وظل الناس في حالة من الاضطراب الشديد .

واخذت جماعات صغيرة من جنود الجيش المهزوم تطوف في الشوارع . لقد كانوا في حالة مؤسفة - قبعاتهم قد فقدت ، واحزمة سيقانهم قد حلت ، وازرار بذلاتهم قد فكت . وبعضهم قد مزقت شارة وحدته . وكانوا يحملون بنادقهم في ايديهم او على اكتافهم ، او على ظهورهم - بأية طريقة قديمة . ولكنهم لم يفقدوا غطرستهم المعتادة بعد . فملاحمهم الوحشية ولعهم بالقتال كانا يذكران دائما بالشرور التي فعلوها من قبل في ظروف مشابهة ، ولقد وسع هذا جو الخوف المخيم على المدينة .

وفي الصباح الباكر حضر تشانغ شنغ ، خادم السيدة تشانغ والدة تشين ، الى مربع اسرة قاو السكنى . وابلغها بأن الجنود الذين كانوا نازلين في مربع اسرة تشانغ السكنى قد غادروا ، ما عدا اثنين او ثلاثة قيل انهم سيغادرون قريبا . هذا ولم ينزل احد من الجنود في حجرات النساء ، لذلك لم يصب اى من النفائس بأذى . وازداد تشانغ شنغ ان اسرة مى قد ارسلت شخصا يسأل عنها ، فأخبر هذا الرجل بأنها مقيمة عند اسرة قاو .

فاطمأت السيدة تشانغ وتشين كثيرا لمعرفة ان كل

شيء على ما يرام ، ولم تضيفا شيئا بخصوص العودة الى البيت .
وبعد الظهر ارسلت السيدة تسيان والدة مي خادما يحمل
بطاقة منها الى مدام تشو ، شكرها فيها على عنايتها بمي .
وقد قالت السيدة تسيان انها ممتنة غاية الامتنان ، وانها بعد بضعة
ايام ، عندما تصبح الامور اكثر امانا ، ستأتي لتقدم شكراتها
شخصيا . كما جلب الخادم معه رسالة شفوية الى مي من امها
تقول فيها ان كل شيء في البيت على ما يرام ، وانه لا داعي
للقلق . وليست هناك ضرورة لعودتها الى البيت حالا ، فيمكنها
ان تبقى مع اسرة قاو بضعة ايام اخرى اذا رغبت في ذلك .
وعزمت مي في البداية على العودة مع الخادم ، ولكنها عجزت
عن مقاومة الحاح مدام تشو وروى جيويه فوافقت اخيرا على
البقاء .

وعلى الرغم من الجو المتوتر في الشوارع كانت حديقة
اسرة قاو هادئة صافية . فجدران صغيرة بدت كأنها تفصل
بين عالمين مختلفين . ومر الوقت بسرعة في ذلك المحيط الآمن ،
فكان المساء يحل بسرعة لا يكاد يدركه معها احد .

وارتفع القمر في السماء نصفا ، وعقب الهواء بشذا الغسق .
وشيئا فشيئا اخذت اشعة القمر تزداد بريقا ، فيما كانت السماء
تزداد زرقة . لقد كانت ليلة دافئة جميلة .

وفجأة تحطم ذلك السكون . فقد ارسل والدا مدام وانغ
شخصا ليعود بها الى البيت حالا . وقد قال الرجل ان هناك
اشاعات كثيرة ، وانه يخشى ان يحدث سلب في تلك الليلة .

واسرة قاو من اغنى الاسر في ناحية البوابة الشمالية ، ومن المؤكد ان مربعهم السكنى سيكون اول مربع يسطى عليه . . . فعلى الفور غادرت مدام وانغ واولادها الخمسة في اربع محفات . وبعد ذلك ارسلت اسرة مدام تشانغ في طلب مدام تشانغ وشو ينغ وجيويه ينغ وجيويه رن لنفس السبب .

وذعرت مدام شن لهذا ، فغادرت هى الاخرى الى بيت امها مع ابنتها شو تشن ، دون ان تنتظر دعوة تأتيها . ولم يبق من نساء اسرة قاو الا مدام تشو وروى جيويه . فوالدا كل منهما لا يعيشان في تشنغدو ، وليس هناك مكان تذهبان اليه . كان هناك بضعة اقارب يمكنهما ان تبحثا لديهم عن مأوى ، ولكنهما لا تعرفانهم جيدا . وازضافة الى ذلك كانت الشوارع قد دخلت قبل ان تسمع مدام تشو وروى جيويه بالخطر . لذلك لم يجرؤ احد ، الا الجنود ، على المغامرة بالخروج . والسيد المبجل قاو قد ذهب ليزور ابن خال له في ذلك الصباح . وحظيته السيدة تشن كانت تقوم بزيارة لأمها العجوز .

وكه آن وكه دينغ قد اختلفيا بسرعة ، على الرغم من ان شقيقهما كه مينغ ظل يكتب رسائل في غرفة مكتبته . وكانت الاسرة الوحيدة التى ظلت بكاملها هى اسرة جيويه شين . وهكذا ، عند الازمة ، كشفت هذه الاسرة العريقة الغنية ، التى اعتمدت على التعاليم الاخلاقية القديمة في تثبيت مكائنها ، عن خوائها الداخلى ، فلا احد عناه شأن الآخر ، بل كل واحد منهم اهتم فقط بسلامته الشخصية .

وكانت السيدة تشانغ على الدوام شغوفة بأسرة جيويه شين .
فلو كان بمقدورها الذهاب الى البيت - وهذا ما لا تستطيعه -
فانها ما كانت لتتخلى عنهم . وقد قالت لجيويه شين :
- انا لم اعد صغيرة ابدا ، ولقد رأيت في حياتي اشياء
كثيرة . ولكننى لم ار قط اناسا طبيين يلقون جزاء سيئا . لقد
ظل ابوك انسانا طيبا طوال حياته . فلا يمكن ان تحل بأبنائه
الكوارث . اعرف ان السماء عادلة ، فلماذا اخشى البقاء
معكم ؟

ولكن الآخرين لم يقووا على مشاركتها ثقتها . ومع مرور
الوقت اخذت هي الاخرى تضطرب . ومع ان الليل كان ما
يزال في اوله ، الا ان الشوارع في الخارج كانت ساكنة تماما .
وبدا كلب ينبح . وهم في العادة نادرا ما يسمعونه ، ولكن
نباحه هذه الليلة كان عاليا الى حد ملحوظ .

كان الوقت يجرجر اذياله ببطء لا يحتمل . فكل دقيقة
بدت كسنة . وكل نأمة يسمعونها يتخيلون معها ان جنود السلب
يقتحمون . وهذا جعلهم في الحال يتصورون : الحراب والسكاكين
والدم والنار ، واجساد الاناث عارية ، والنقود مبعثرة على الارض ،
والصناديق الجلدية قد فتحت عنوة ، والجثث تسبح في برك
من الدماء . . . وبيأس تام راحوا يناضلون ضد هذا العنف
غير المرئى الذى لا يقاوم . ولكن الذعر قد سيطر عليهم فأخذوا
يضعفون شيئا فشيئا .

وتمنوا لو يستطيعون اغماض اعينهم عن كل شيء ،

ويفقدون كل مشاعرهم . ولكنهم ، في الحقيقة ، اصبحوا يتأذون من رؤية ضوء المصباح الباهت . اذ كان يذكرهم بالمأزق الذى هم فيه . ودعوا ان يمر ذلك الوقت بسرعة ، وان تبرز الشمس قبل موعدها بقليل . ولكنهم مع ذلك ادركوا انه كلما مر الوقت بسرعة ، اقترب ما يمكن حدوثه من الاشياء التى يرهبونها . لقد كانوا كسجناء ينتظرون الاعدام ، وعلى الرغم من انهم رجال ونساء بشخصيات وافكار مختلفة ، الا انهم فى خوفهم من الموت كانوا سواء . وكان الوضع اسوأ بالنسبة للنساء اللاتى كن يواجهن هولا وكربا اكثر افزاعا من الموت .

قالت تشين ، وكانوا جميعا فى غرفة مدام تشو :
— يا ابنة الخالة مى ، اذا اقتحم الجنود علينا البيت حقا ،
فماذا نفعل ؟

وعندما لفظت تشين عبارة ” ماذا نفعل “ ارتجف قلبها ، ولم تعد تجرؤ على الاسترسال فى التفكير .
فردت عليها مى ببرود ، ولكن نبرة من الحزن شابت صوتها :
— لن افقد الا هذه الحياة .

ثم سرعان ما غطت وجهها بيديها . واخذ ذهنها يغم .
وبدا امام عينها امتداد واسع من الماء ، يجرى ويجرى الى ما لا نهاية .

وسألت روى جيويه نفسها فى صوت منخفض :
— ماذا افعل ؟

لقد ادركت ما عنته مى ، وشعرت انها الطريقة الوحيدة

امامها ايضا . ولكنها لا تريد ان تقتل نفسها . لا تريد ان تترك هؤلاء الذين احببهم . وعندما نظرت الى الطفل هاى تشن ، يلعب عند قدميها ، احست بعشرات السكاكين تغوص في قلبها . نهضت تشين بهدوء ، واخذت تدرع الغرفة ببطء ، مقاومة خوفها المتزايد . ثم قالت في نفسها : ” لن تستطيعي ابدا فعل ذلك . “ ومع انها لم تستطع ان تفكر في خيار آخر ، الا انها شعرت بأنه لا بد ان يكون هناك خيار . وكل افكارها الحديثة وكتبها ومجلاتها الدورية الجديدة ومسرحيات ايسن الاجتماعية وكتابات المؤلف الياباني اكيكو يوسانو – اختفت من ذهنها . ولم يعد بوسعها ان ترى الا الانتهاك والخزى ينظران اليها في سخرية واحتقار . والخزى سيكون شيئا لا تستطيع تحمله ، فهي لديها كبرياؤها .

ونظرت تشين الى مي ، الجالسة في كرسيها الخيزراني ، ويداها على وجهها . ثم نظرت الى روى جيويه التي كانت تمسك بيد هاى تشن وتبكي . ثم الى امها التي كانت واقفة تنهد ، وظهرها الى المصباح . ثم الى شو هوا وجيويه مين والآخرين . ليس هناك من امل ، لا احد منهم يستطيع انقاذها . ولكنهم جميعا اعزاء عليها الى ما لا نهاية ، ولا تستطيع تحمل تركهم . وللمرة الاولى بدأت تشين تفكر ، وهي قلقة يائسة ، انها لا تختلف عن نساء مثل مي وروى جيويه ، انها مثلهما تماما ضعيفة .

ثم جلست ، والقت رأسها على طاولة الشاي ، وراحت

تبكى في هدوء .

فصاحت السيدة تشانغ قائلة ، وقد نفرت الدموع الى
عينها :

— تشين ، ما بك ؟ أتريدان ان تزداد امك سرءا عما
هى عليه .

فلم تجب ابنتها ، ولم ترفع رأسها بل تابعت النحيب .
لقد بكت حزنا على نفسها ، حزنا على حلمها المتحطم الذى
ناضلت من اجل تحقيقه نضالا شاقا وطويلا . فهى بعد ان
بدأت الآن ترى بصيص امل فى انها ستصبح امرأة قوية تعتمد
على نفسها ، انسانة مثل ”نورا“ فى مسرحية ايسن «بيت
الدمى» ، انهارت ضعفا وخوفا وازاء اول خطر حقيقى تواجهه .
ماذا كانت فائدة كل عباراتها الرنانة ؟ كانت تظن دائما انها
شجاعة ، وقد امتدحها الآخرون على شجاعتها ، ولكن ها هى
ذى الآن تنتظر الذبح كحمل وديع ، دون ادنى قدرة على
المقاومة .

ولم تستطيع امها ادراك ما كان يجول فى ذهنها ، ولا
الآخرون استطاعوا ذلك ، حتى جيويه مين — الذى كان يعتقد
بأنه يفهمها اكثر من الآخرين . وافترضوا انها كانت تبكى
لأنها خائفة . وهم ايضا قد استبد بهم الخوف ، فلم يستطيعوا
ايجاد كلمات يخففون بها عنها ، مع ان نحيبها قد ألمهم فى
الصميم . وتمنى جيويه مين لو يضمها بين ذراعيه لمواساتها ،
ولكنه لم يمتلك الشجاعة .

ولم يستطع جيويه هوى ان يظل ساكنا ، فنهض خارجا ،
وصدم برؤية توهج احمر شاحب فى السماء الى جهة الشرق ،
توهج اخذ ينتشر ببطء ، مصحوبا بشرر كان يطلق بين حين
واخر فى اتجاه السماء .

وندت عنه صيحة تقول ” نار ! “ ، وبدا ان دمه يتجمد
فى عروقه . ثم حلق الى السماء كالابله ، غير قادر على التحرك
خطوة واحدة .

وصاحت عدة اصوات من داخل الغرفة فى ذعر :

– اين ؟ اين النار ؟

وكان جيويه شين اول من اندفع خارجا ، متبوعا بشو هوا .
وفى الحال تجمعوا كلهم فوق السلم .

كانت السماء حمراء بلون الدم . وشعر كل منهم فجأة
بان حياته تدوى ، كأن شيئا يجهز عليها .

وحجبت القمر سحابة ، فبرز اللهب متألقا وسط الظلام .
ان التوهج القرمزى يغطى الآن نصف السماء ، كاسيا بلاط
الشارع وقرميد السطوح باللون الاحمر . واخذ الشرر يتطاير
مسعورا . ولدى رؤيتهم هذا الجحيم فقدوا كل امل بالحياة .
وقالت السيدة تشانغ متنهدة :

– هذه لابد انها المراهن تحترق . بعد ان سلبوا كل ما

فيها ، لماذا لا يتركون للناس مكانا على الاقل يأوون اليه ؟
وصاحت روى جيويه ، ضاربة الارض بقدمها على نحو

جنونى :

— ماذا سيحل بنا ؟

واقترح جيويه مين قائلا :

— لماذا لا نبدل بثيابنا هذه ثيابا قديمة، ثم نهرب بها .
فرد عليه جيويه شين معترضاً ، دون ان يعرف ماذا يفعل
هو الآخر :

— الى اين ستهرب ؟ ومن سيعنى بالمربع السكنى ؟ اذا
لم يبق احد في رعايته وجاء الجنود ، فانهم سيحرقونه نهائياً .
وفجأة اخترقت السكون طلقات بندقية حادة . وبدأت
الكلاب تنبح بعنف . وتبع ذلك صياح ايضاً ، ولكن يبدو انه
انبعث من مكان بعيد .

وصاح جيويه شين :

— لقد انتهينا . هذه المرة لن ننجو ابدا . هل ينبغي
لنا ان نتنظر جميعاً هنا لنموت ؟ علينا ان نفكر في طريقة ما
للخروج من هنا .

فتساءلت مدام تشو باكية :

— ولكن اين يمكننا ان نذهب . اذا التقينا ايا من الجنود
الفارين ، فمن المؤكد اننا سنموت . لذلك يحسن بنا ان نبقى
في البيت .

وقال جيويه شين بصوت مفعم بالأسى والغضب :

— اذا بقينا هنا ، فعلياً ان نبحث عن اماكن نخبئ
فيها . واذا استطعنا انقاذ ولو واحد منا ، فذلك خير من ان لا
ينجو احد . على اسرتنا ان تخلف شخصاً يواصل حمل اسمها .

وبعد لحظة توقف خاطب جيويه مين وجيويه هوى بلهجة مختلفة :

– ايها الاخ الثاني والاخ الثالث ، اذهبا بالنساء الى الحديقة .
هيا بسرعة ، هناك اماكن للاختباء . واذا اخفقت جميع
وسائلكم ، فهناك البحيرة . وزوجة اخبكما تعرف كيف
تصون شرفها .

ونظر الى روى جيويه في تشوق ، ثم القى نظرة الى مى .
واخذ يرتجف بشدة ، والدموع تنهمر من عينيه . ومع انه بدا قد
اتخذ قراره ، الا انه كان يناضل نضالا يائسا لضبط نفسه .
وسأله الآخرون :

– ماذا بخصوصك ؟

ظل جيويه شين صامتا نصف دقيقة . واخيرا قال مستعيدا
بعض هدوئه :

– لا تقلقوا بشأنى . اذهبوا فقط ، وانا استطيع تدبر
امرى .

فرد عليه جيويه هوى بلهجة حاسمة :

– هذا كلام لا يصح ، اذا انت لم تذهب معنا ، فنحن
لن نذهب ايضا .

وانطلق صوت البنادق ثانية . ولكن كثافة النيران لم
تزد .

فقال جيويه شين ضاربا الارض بقدمه في قلق :

– ايها الاخ الثالث ، لماذا انت مهتم بى وحدى ؟ ان

النساء هامات ! اذا لم يبق احد يحرس هنا ، فمن المؤكد ان الجنود ، بعد دخولهم المربع ، سيفتشون الحديقة .

كانت روى جيويه تجلس صامته ممسكة هاى تشن ، ولكنها ما لبثت ان وضعت الطفل ومشت نحو جيويه شين ، حيث وقفت بجانبه وقالت فى ثبات مخاطبة الاخوين الاصغرين :
- يحسن بكما ان تسرعا فى اخذ النساء الى الحديقة .
وارجوكما ان تأخذنا الطفل معكما ايضا ، فأنا سأبقى هنا مع اخيكما الكبير . اننى اعرف كيف اعتنى به .

فصاح جيويه شين دهشا ، وهو يدفعها عنه برفق :

- انت - انت ستبقين معى ؟ ما معنى هذا ؟

ثم اضاف بصوت يشوبه القلق :

- ماذا ستكون الفائدة ؟ اذهبنى بسرعة قبل ان يفوت

الوقت !

فتشبث روى جيويه بذراعه وقالت منتحبة :

- لن اتركك . اذا كنت ستموت ، فسأموت معك .

واقترب الطفل الصغير منها ، ثم تشبث بطرف سترتها

وقال متوسلا :

- ماما ، دعينى هنا ايضا :

واوشك جيويه شين ان يخرج عن طوره ، فشبك يديه

وراح يهزهما ويقول منحنيا :

- من اجل طفلنا ارجوك ان تغادرى . ما الغرض الذى

تؤديه من موتنا سويا . وازضافة الى هذا ربما لا اموت . اذا جاؤوا

فأنا اعرف كيف اتعامل معهم . ولكن اذا رأوك هنا ، فمن
يدرى ماذا يفعلون . يجب ان تحافظى على نقائك . . .

ولم يعد جيويه شين قادرا على مواصلة حديثه .

فحدقت اليه روى جيويه فى ذهول كأنها لم تعرفه . ثم
وقفت امامه وتركت نظرتة المتلهفة تداعب وجهها لحظة ،
وقالت فى صوت رقيق حزين :

— حسن جدا . سأفعل كما تريد . سوف اذهب .

وبطلب منها قال هاى تشن لأبيه : ” الى اللقاء يا بابا“ .

ثم استدارت الام وطفلها وغادرا .



فى تلك الليلة نام الجميع ، باستثناء جيويه شين ، فى
مقصورة ” ملجأ جانب البحيرة “ . ومن خلال النوافذ المفتوحة
استطاعوا رؤية ضوء القمر يشع على الماء . واخذ التوهج الاحمر
فى السماء يخف تدريجيا . وعاد كل شىء الى ما كان عليه ،
الا نباح الكلاب الذى بدا مخيفا بطريقة غير عادية . كانت
مياه البحيرة تتماوج فى ضوء القمر كالعادة ، ولكنها بدت
لأعينهم الذابلة اكثر غموضا وبرودة . وارادوا ان يسبروا غورها ،
حتى ان بعضهم تساءل : كيف يكون النوم تحت سطحها ؟
ونظر كل منهم الى الآخر ، ولكن لم يستطيعوا ايجاد ما
يقرلونه . واخيرا لاحظت مدام تشو التعب على جيويه هوى .
فطلبت منه ان يذهب للنوم .

فاستلقى جيويه هوى فى السرير . وما كاد يغلبه النعاس حتى جاءت مدام تشو وفتحت الناموسية . ثم انحنت عليه بوجهها المستدير ، وهمست فى اذنه :

— لقد بدأ الاطلاق ثانية . ويبدو انه قريب جدا . يجب ان تكون حذرا . حاول كل جهدك الا تغط فى نوم عميق . واذا حدث اى شىء فسأوقظك .

وانبعث نفسها حارا على وجنته ، وظهرت على وجهها نظرة اهتمام وحنو . ثم غطته واغلقت الناموسية ، وانصرفت عنه برفق .

ومع ان الاخبار التى جلبتها لم تكن جيدة ، الا ان جيويه هوى شعر بالارتياح ، واحس بأن له اما .



بعد ثلاثة او اربعة ايام من التوتر عاد النظام الى الشوارع ، وشعر كل امرئ بالتحسن . وبدأ يعود اولئك الذين ذهبوا الى اماكن آمنة فى اجزاء اخرى من المدينة . وعادت الى المربع السكنى مرة اخرى حياته وصخبه .

وجاء تشانغ شنغ خادم السيدة تشانغ ليعود بها وبتشين الى البيت . واراوت مى ان تعود ايضا ، ولكن مدام تشو اقنعتها ، بعد الحاح ، بالبقاء بضعة ايام اخرى . وبعد الظهر وصلت السيدة تشيان ، والدة مى ، فى محفة لتقدم تحياتها وشكرها الى مدام تشو .

والنساء الكيبريات ميالات بالطبع الى كثرة النسيان . وازضافة الى ذلك فان مدام تشو والسيدة تشيان تربطهما قرابة بعيدة . فبعد سنوات قليلة مضت على آخر مرة رأنا فيها بعضهما بعضا ، نسيانا خلافاتهما نسيانا تاما . لذلك استقبلتها مدام تشو بحرارة بالغة ، وتحدثتا مع بعضهما حديثا طويلا . وبعد ذلك جلستا تلعبان الماجيانغ حيث انضمت اليهما مي وروى جيويه .

وعندما عاد جيويه شين تخلت له روى جيويه عن مكانها . فوجد نفسه يجلس مقابل مي . وتكلما مع بعضهما قليلا جدا ، وراحا يتبادلان من حين لآخر نظرات الحزن . ولم يكن ذهنه محصورا في اللعب ، ولذلك اخطأ كثيرا . وجاءت روى جيويه ثم وقفت خلفه تحاول مساعدته . فأدار رأسه وابتسم لها . لقد كان هو وروى جيويه طبيعيين تماما وودودين تماما في تصرف كل منهما ازاء الآخر .

ولاحظت مي هذا فشعرت بالحسرة . لو انها اخبرت امها بما شعره نحو جيويه شين قبل ان يخاطب الى روى جيويه ، فلربما كانت هي ، وليس روى جيويه ، التي تقف خلفه الآن . آه ، كم كان ذلك رائعا لو حدث ! اما اليوم فقد فات الاوان .

ورأت الروابط الوثيقة بين جيويه شين وروى جيويه ، وفكرت في حياتها التعسة والسنوات الموحشة التي تنتظرها ، فقامت احجار الماجيانغ امام عينيها ، واحست بألم لا يطاق . ثم نهضت ، وطلبت من روى جيويه ان تجلس مكانها ،

قائلة ان هناك شيئا آخر ستنصرف اليه . فنظرت اليها روى جيويه نظرة ود ، ثم جلست على كرسيها الخالى . وفيما كانت مى تغادر الغرفة ببطء ، راحت روى جيويه تنظر اليها باستغراق . ذهبت مى الى غرفة شو هو التى كانت تشاركها فيها اختها الصغرى . ولحسن الحظ لم يكن احد هناك ، فاستلقت على السرير ، وشرعت تستعيد الماضى بدقة وحذر . وكلما امعنت فى التفكير ازدادت حالتها سوءا ، الى ان انفجرت اخيرا بالبكاء . وظلت تبكى وقتا طويلا ، خائفة نحيبها مخافة ان يسمع . وعندها شعرت بالتحسن على الرغم من انها ظلت عاجزة عن رؤية ولو بصيص من الامل ، وجثم عليها ماضيها وحاضرها ككابوس ثقيل . واحست بالضعف وبعدم القدرة على التحرك . واخيرا استسلمت للنوم .

ونادها صوت دافئ :

— يا ابنة الخالة مى .

ففتحت عينها لتجد روى جيويه واقفة بجانب سريرها .

فسألها بابتسامة متعبة :

— ألسنت تلعبين الماجيانغ ايتها الاخوت ؟

وحاولت ان تنتصب ، ولكن روى جيويه صدها عن النهوض بلطف ، وجلست على حافة السرير بجانبها ، محدقة اليها فى مودة ، وقالت :

— تركت زوجة العم الخامس شن تنوب عنى .

ثم تابعت تقول فى دهشة :

– ولكنك كنت تبكين ! فما بك ؟

فقلت مي محاولة التبسم :

– لا ، لم اكن ابكى .

فألحت عليها روى جيوبه قائلة ، وهي تعصر لها يدها :

– لا تتظاهري بخلاف ذلك ، فعيناك منتفختان . اخبريني

بما يزعجك .

فأجابت مي في مرح متكلف ، ولكن يدها كانت ترتجف

في يد روى جيوبه :

– حلمت حلما مزعجا ، هذا كل ما في الامر .

فقلت لها روى جيوبه بصوت مفعم بالعاطفة :

– لا تحاولي خداعي . لا بد ان هناك ما يزعجك . لماذا

لا تقولين لي الحقيقة ؟ ألا تصدقين بأنني اهتم بك حقا ؟ انني

اريد مساعدتك .

لم تجب مي . بل راحت تحديق الى محياها الودود ، ثم

ما لبثت ان قطبت قليلا وهزت رأسها . وفجأة تلاًأت عيناها وندت

عنها الجملة التالية :

– لا تستطيعين ان تقدمي لي اية مساعدة .

ثم اكبت برأسها على الوسادة ، وشرعت تبكي في حفوت .

احست روى جيوبه بغصة في حلقها . وراحت ترتب

على كتف مي المرتعش وتقول لها في اسي :

– انني اعرف يا ابنة الخالة مي . اعرف ما في قلبك .

وتابعت وهي على وشك ان تبكى ايضا :



” اننى اذوى ، بينما انت ما تزالين فى بداية تفتحك وعطائك .
اننى اغبطك حقا ايها الاخت . . . “

— اعرف انه يجبك ، وانك تحببته ، وانه كان عليكما ان تكونا زوجين رائعين . . . كان عليه من البداية الا يتزوجني . . . الآن عرفت لماذا يجب ازهار البرقوق كثيرا — لأن هذا ما يعنيه اسمك . انا احبه ايضا ، احبه اكثر مما احب الحياة . . . ولكن لماذا لم تتزوجيه يا ممي ؟ انت وانا — وهو كذلك — قد اخطأنا ، لقد وقعنا في فوضى مؤلمة . اننى ما زلت افكر في ضرورة خروجي من حياتكما وافساح المجال لكما لتحقيق سعادتكما . . .

كانت ممي قد توقفت عن البكاء . ونظرت حولها فسمعت روى جيويه تبكى . فأصغت لها باهتمام ، ضاغطة صدرها بيدها ، ثم ما لبثت ان ادارت رأسها حالا ، غير متجرتة على النظر الى وجه روى جيويه المبلل بالدموع . ولكن لدى سماعها الجمل الاخيرة نهضت بسرعة مغطية فم روى جيويه بيدها . واكبت روى جيويه بوجهها على كتف ممي ، وواصلت النحيب .

فقالت ممي :

— ايتها الاخوت ، انك مخطئة . انا لا احبه .

ولكن سرعان ما ناقضت نفسها قائلة :

— لا ، اننى احبه . يجب الا اخدعك . . . امي وامه لم تدعانا نتزوج . ولا بد ان القدر شاء ذلك . كل ما هنالك اننا لم نكن قسيمين لبعضنا بعضا . فانفصلنا ، وكانت هذه هي النهاية . افترضى انك تخليت عنه ، فماذا ستكون الفائدة ؟

انا وهو لن نلتئم ثانية في هذه الحياة . . . انت ما تزالين يافعة ،
اما انا فقد هرمت عاطفيا وذويت . ألم تشاهدى التجمعات
في جيبني ؟ انها تدل على ما انا فيه . . . لقد تعبت من هذا
العالم . اننى اذوى ، بينما انت ما تزالين في بداية تفتحك
وعطائك . اننى اغبطك حقا اينها الاخت . . . اننى لم اعد
حية ، بل موجودة فقط . وما حياتى الا عبء على الآخرين .
ثم ابتسمت في مرارة ، وتابعت تقول :

– انك تعرفين القول المأثور ” ليست هناك مأساة اشد
من موت القلب . “ حسنا ، لقد مات قلبي تماما . يجب
الا اعود الى مربعكم السكنى ثانية . اننى لا ازيد عن انسانة
مزعجة . . .

وتغير صوتها ، واحست بها روى جيويه ترتجف . ثم
صاحت في اكتاب :

– كيف يمكننى ان اشعر بالارتياح هنا ؟
ولكنها بعد ذلك واصلت حديثها في هدوء ، مبتسمة ابتسامة
حزينة :

– اذا سبق وجود حالة لامرأة بائسة الحظ ، فأنا النموذج
التام لها . لا احد في البيت يفهمنى . امى مهمة بشؤونها
الخاصة فقط . واخى ما يزال صغيرا جدا . فمن الذى استطع
ان اشكو اليه بشئ ؟ . . . احيانا ، عندما يشتد بؤسى ، ولا
اعود قادرة على التحمل ، ألوذ بغرفتى وحيدة ثم ابكى ، مغطية
رأسى باللحاف حتى لا يسمعنى احد . . .

لا تضحكى منى لأننى ابكى بمتهى السهولة ، فأنا اصبحت كذلك خلال السنوات القليلة الماضية فقط . وقد بدأت هذه الحالة عندما تخاصمت امى مع زوجة ابيه وحطمتانا بهذا الخلاف . وفيما بعد بكيت كثيرا بعد ان غادرت تشغدو . وكل هذا مقدر ، ولكننى افكر احيانا ان الامور ربما كانت ستجرى على نحو آخر لو ان امه لم تمت . فقد كانت شقيقة لأمى ، وكانتا على علاقة وثيقة . . . ولكن من يريد ان يسمع شكواى ؟ لا احد يفهمنى . وافضل شىء لى ان اتجرع اسأى . . . وتوقفت مى ضاغطة فمها بالمنديل لتخفق بضع سعلات . ثم تابعت تقول :

– وفيما بعد تزوجت خلافا لرغبتى تماما . فلم يكن لى فى المسألة خيار . وعشت سنة مع اسرة زوجى ، كانت سنة مروعة حقا . وحتى فى يومى هذا ما زلت اجهل كيف يمكننى ان انجح فى بقائى . لو كان على ان امضى سنة اخرى او سنتين فى ذلك البيت ، لخشيت الا اكون هنا اليوم . . . لقد كان البكاء حينذاك هو المتعة الحقيقية بالنسبة لى . لم يكن مسموحا لى بأن افعل شيئا ابدا . كل شىء كان ممنوعا الا البكاء ، فلا تثريب عليه . . اننى الآن لا ابكى كثيرا تقريبا . ربما لأن دموعى نفذت . لقد قال دو فو : ” حتى لو بقيت تبكى الى ان يبرز محجراك ، فانك لن تلقى رحمة فى السماء ولا على الارض . “ ولكن اى عزاء لى غير البكاء ؟

يجب الا تترعجى بسببى ايتها الاخت . اننى لا استحق

شفقتك . لم اقصد ابدا رؤيته ثانية . يبدو ان شيئا ما قد جردنا الى بعضنا . ولكن شيئا ما فى الوقت نفسه يقصينا عن بعضنا . ومع اننى اعلم انه لا امل لى فى هذه الحياة ، إلا اننى فى الايام القليلة الماضية كنت انتظر كأن الامل ممكن . ارجوك الا تكثرئى بهذا . وانا على اية حال قد قررت المغادرة . فيمكنك ان تعتبرى كل ذلك بمثابة حلم مزعج ، وانسى كل ما يتعلق بى .

وتجلدت مى ، فلم تبك ، وان كانت فى داخلها تبكى دما . واكتفت بأن ابتسمت فى حزن .

كل كلمة من هذه الحكاية المأساوية كانت لها وطأتها الشديدة على قلب روى جيويه الانثوى الرقيق . لقد اصغت بكل جوارحها ، حريصة على ان لا يفوتها مقطع واحد ، محدقة فى صمت الى وجه مى الذى علتة ابتسامة حزينة ، وبللت الدموع وجنتيها على نحو لم يسلبها شيئا من جمالها .

وعندما فرغت مى من الكلام هزت روى جيويه رأسها كثيرا كأنها طفلة عابثة . وبرزت غمازاتها بوضوح ، وابتسمت ابتسامة حزينة مؤثرة . لقد نسبت سوء حظها نهائيا . ثم وضعت يديها على كفتى مى وقالت بصوت واضح ودود :

— يا ابنة الخالة مى ، لم اكن اعرف انك عانيت الى هذا الحد . كان على الا اجررك الى الحديث عن الماضى . ولكننى مفرطة فى الانانية . ان وضعك اسوأ من وضعى بكثير . عدينى بأنك ستترددى الى . اننى احبك كثيرا يا ابنة الخالة

مى - وهذه هى الحقيقة . تقولين انه ليس هناك شخص يفهمك ، فأمل ان تدعيني اكون هذا الشخص . كان لى اخت ذات يوم ، ولكنها توفيت . واذا كنت لا ترفضين فانى آمل ان نكون اختين . فأنا استطيع التخفيف عنك . ولن اكون غيورة ابدا . فما دمت انت سعيدة ، فسأكون مسرورة من اعماق قلبى . عليك ان تكثرى من زيارتنا . وعديني بأنك ستأتين . وهذه هى الطريقة الوحيدة التى تثبتين بها انك لا تكرهينى ، وانك قد صفحت عنى .

رفعت مى يدي روى جيويه عن كتفيها ، وهى تحدق الى وجهها فى رقة ومودة ، ثم ضغطتهما قليلا ، وانحنت عليها متعبة . وظلت لحظة لا تستطيع ان تتكلم لشدة تأثرها . واخيرا قالت :

— لا اعرف كيف اشكرك ايها الاخت .

ثم استمرت تسمح على يدي روى جيويه الريانتين : وسعلت عدة مرات .

ف نظرت روى جيويه اليها باهتمام وقالت :

— هل تسعلين كثيرا جدا ؟

فأجابت مى بصوت كئيب :

— احيانا . وغالبا فى الليل . لقد تحسنت قليلا فى الآونة

الاخيرة ، ولكن صدرى يؤلمنى دائما .

— هل تتناولين دواء ما ؟ هذا النوع من المرض يحسن

ان يعالج فى مراحلہ الاولى .

– كنت اتناول بعض الادوية . وقد ساعدني ذلك قليلا ،
وليس كثيرا . والآن عندي بعض الدواء ، اتناول قليلا منه كل
يوم . امي تقول انه ليس هناك ما يقلق – وانني سأتحسن بدواء
مقو وبراحة كافية في البيت .

نظرت روى جيويه الى وجه مي في تشوق ، وقد اجتاحتها
موجة كبيرة من الاسى ، واخذت تعتصر يديها بشدة . كانت
كلا المرأتين مشدودتين الى بعضهما بعاطفة يصعب وصفها .
وقد دنت كل منهما نحو الاخرى برأسها وتحدثتا حديثا رقيقا
بعض الوقت .

واخيرا نهضت روى جيويه قائلة :

– يحسن بنا ان نعود .

ثم اتجهت الى المرأة ، فسرحت شعرها ووضعت شيئا من
المسحوق على وجهها وساعدت مي على فعل نفس الشيء .
ثم خرجتا من الغرفة يدا بيد .

٢٣

سرعان ما خمد التوتر في المدينة ، واصبحت المعركة
مجرد ذكرى . واستعيد الامن ثانية . وظاهريا ، على الاقل ،
عاد الامن مرة اخرى الى حباة الناس . وبدا القتال حلما مزعجا
ليس غير .

واخذت تطراً فعلا بعض التغييرات الحقيقية . فقد اختير الجنرال تشانغ حاكما عسكريا للقوات المنتصرة المشتركة ، وبعدها اصبح حاكما مدنيا . وقد عبر ، بعد ان اصبحت السلطة الادارية فى يده ، عن عزمه على البدء بالاصلاحات . وفى هذا الجو الجديد نشط الطلاب واصدروا ثلاث نشرات دورية جديدة . كما اصدر جيويه مين وجيويه هوى وبعض زملائهما مجلة اسبوعية سموها « الفجر » ، تضم اخبار الحركة الثقافية الجديدة ، وتقدم افكارا جديدة وتهاجم من القديم كل ما هو غير معقول .

وكان جيويه هوى فى غاية التحمس ، فكتب للمجلة كثيرا من المقالات . ومعظم مواضيعه قد استقاها بالطبع من النشرات الدورية الصادرة فى اماكن مثل شانغهاى وبكين ، فهو لم يكن قد اجرى دراسة حقيقية وافية للنظريات الجديدة او قام بتحليل دقيق للمجتمع . كل ما كان لديه عبارة عن خبرة ضئيلة فى الحياة وشيء من المعرفة مستمد من الكتب ، الى جانب حماسه ، حماسة الشباب .

اما بالنسبة لجيويه مين ، فقد كان مشغولا بدروسه فى المدرسة طوال النهار ، وفى المساء يذهب ليعلم تشين . وهذا لم يترك عنده للأشياء الاخرى الا وقتا قصيرا . لذلك لم يكن كثير المساعدة للمجلة اذا استئينا كتابته مقالة قصيرة كل فترة .

ولقيت المجلة ترحابا كبيرا لدى الشباب . فعددها الاول البالغ الف نسخة بيع فى اقل من اسبوع . وعددها الثانى نفذ

بنفس السرعة . ومع طباعة العدد الثالث اصبح للمجلة ثلاثمائة مشترك . وكان العمود الفقري لهيئة تحرير المجلة ثلاثة من خيرة اصدقاء جيويه هوى ، وقد حاز عملهم الجيد اعجابه الشديد .

ومع ظهور المجلة اصبحت حياة جيويه هوى اكثر متعة وحيوية . فلاؤل مرة يجد مخرجا لطاقاته المكبوتة . فهذه افكاره قد طبعت ، والف نسخة قد وزعت في كل مرة . والناس في كل مكان عرفوا فيما كان يفكر ، بل ان بعضهم كتب يعبر عن موافقته على تفكيره . وفي عينيه المتألفتين بدت هذه المتعة العظيمة شيئا خياليا وثمانيا للغاية . ولكن على الرغم من شدة رغبته في تخصيص كل ساعات فراغه للمجلة ، الا انه كان يخشى ان يكتشفه جده فيسبب لأخيه الكبير الكثير من المتاعب . ولذلك اجبر على اخفاء اتصاله بالمجلة .

ولكنه اكتشف اخيرا . فذات يوم وجد عمه كه مينغ مصادفة عددا من المجلة في غرفة جيويه هوى فيها مقالة له . فلم يبد كه مينغ اية ملاحظة ، بل اكتفى بأن ابتم بيرود ثم خرج . ومع ان كه مينغ لم يبلغ الجد بذلك ، الا ان جيويه هوى ضاعف حذره منذ ذلك اليوم . فلم يعد يكشف عن نشاطاته وعمله ورغباته لأى فرد في الاسرة . حتى لم يفيض الى جيويه شين بشيء عن ذلك . فقد عرف ان اخاه الكبير ضعيف ، وانه لن يتعاطف معه في تصرفاته .

ومع ازدياد اهتمام جيويه هوى بحياته الجديدة ، اصبحت

حماسة الشباب لديه لا تعرف الحدود . فبعد فترة قصيرة تكونت حول المجلة جماعة لدراسة ونشر الثقافة الجديدة . وراحوا يلتقون كل احد في المنتزه . فيجلسون ، وعددهم عشرون ، حول بضع طاولات تحت ظلة كبيرة من الحصير ، يشربون الشاي ويتناظرون بحرارة في كل مسألة اجتماعية ممكنة . او انهم يتجمعون جماعات صغيرة في بيوت زملائهم ويتناقشون في خطط لمساعدة الآخرين – ذلك انهم اصبحوا متشربين بروح الانسانية والاشتراكية . ولقد وضعوا على كواهلهم عبء اصلاح المجتمع وتحرير الانسان .

واصبحت ” بروفة ” الطباعة وحركة آلة الطبع المنتظمة والصفحات الطباعية الجميلة والرسائل الكثيرة من القراء الذين لم يسبق له ان عرفهم ، كل هذه اصبحت اشياء جديدة مدهشة ومشجعة بالنسبة لجيويه هوى . انها اشياء لم يكن يحلم بها قط ، ولكنها اليوم اصبحت حقيقة ملموسة وقوية تقابل تعطشه الفتي للنشاط .

وشيئا فشيئا اصبح اكثر انغماسا في محيطه الجديد ، كما اتسعت الهوة في الوقت نفسه بينه وبين افراد اسرته . لقد شعر بأنهم غير قادرين على فهمه . فمظهر جده صارم على الدوام ، ووجه السيدة تشن المغطى بالمسحوق لم يفقد ابدا ملامح الخداع . وزوجة ابيه ظلت لطيفة ولكن غير آبهة لأمره . والاخ الكبير استمر في ممارسة فلسفته ” انحناءة الاذعان ” . وزوجة اخيه ، وقد حملت ثانية ، كانت آخذة في فقدان

حيويتها . وفي غياب جيويه هوى كان اعمامه وزوجاتهم يشكون من غطرسته الشديدة ، ويقولون انه لا يحترمهم الاحترام المطلوب من ابن الاخ ، وقد احتجوا على ذلك لزوجة ابيه ، طالبين منها تعنيفه . واصبحوا كلما قابلوه بعد ذلك ، حيوه بابتسامات كاذبة .

والوحيد من افراد الاسرة ، الذى كان جيويه هوى قريبا اليه ، هو شقيقه جيويه مين . ولكن جيويه مين هذا كانت له طموحاته الخاصة ، وشأنه الخاص . وحتى في تفكيره كان مختلفا عن جيويه هوى .

وكان هناك شخص آخر . وفي كل مرة يفكر جيويه هوى فيه ، يذوب قلبه رقة . لقد عرف ان في المربع السكنى شخصا على الاقل يحبه . وكان تفانى هذه الفتاة في سبيل راحة غيرها مبعث سعادة دائمة بالنسبة له . وكلما نظر في عينيها – وكانتا اكثر تعبيراً من اية شفيتين ، وتتوقدان بلهب الحب النقى – ابتسم له الامل . كل العالم كان مجتمعا في تينك العينين ، وفيهما استطاع ان يرى هدف حياته . احيانا كانت العاطفة تستحوذ عليه فيفكر في نبذ كل شيء من اجلهما ، لقد احس بأنهما جدירתان بكل تضحية .

ولكن عندما خرج الى العالم ، ودخل محيطه الجديد ، والتقى اصدقاءه الجدد – اتسعت بصيرته . فاستطاع ان يرى العالم الكبير امامه ، ورأى فيه متسعا لاطلاق حماسه المكبوتة ، فهناك اذن يجب ان يركز طاقاته . لم تكن الحياة سهلة الى

ذلك الحد ، ولقد ادرك ذلك جيدا . ولدى المقارنة مع العالم
الواسع بدت عينا الفتاة في غاية السخف حقا . فكيف يمكنه
ان يتخلى عن كل شيء من اجلهما ؟

لقد قرأ مؤخرا مقالة عنيفة في مجلة «النضال» ، وهي
مجلة نصف شهرية تصدر في بكين . وقد قال الكاتب فيها ان
على شباب الصين الا يكونوا متبطلين يعيشون للمتعة ، بل عليهم
ان يعيشوا حياة جلدة صارمة بعيدة عن الترف : ان مجتمع
الصين مظلّم ، ومسؤوليتهم ازاء ذلك كبيرة جدا . فمن واجبهم
ان يواجهوا المشكلات الاجتماعية كلها ويحلوها واحدة تلو
الآخرى . وهذا بالطبع سيتطلب كل طاقاتهم . وفي ختام المقالة
حذر الكاتب القراء الشباب بقوله : ” عليكم ان تحذروا من
الوقوع في الحب . لا تتورطوا عاطفيا . “

وعلى الرغم من ان الاساس النظرى للمقالة كان ضعيفا ،
الا انها اثرت في حينها في كثير من الشباب الذين قرأوها ،
ولا سيما اولئك الذين كانوا متلهفين على التفرغ لخدمة المجتمع .
وتركت كذلك انطبعا قويا على جيوبه هوى . فقد قرأها
بقلب واجف . فآثارته كثيرا ، واصبح على استعداد للقسم
بأن يكون بالضبط ذلك النوع من الشباب الذى يطلبه الكاتب .
وسيطرت على ذهنه رؤيا مجتمع مثالى . ونسى نهائيا حب تلك
الشابة النقى .

ولكن نسيانه هذا لم يكن الا موقتا . لقد نسيها حقا عندما

كان منشغلا في الخارج ، ولكن حالما عاد الى البيت ، ودخل المربع السكنى ثانية ، الساكن سكون الصحراء ، اجبر على التفكير فيها . ولدى التفكير فيها كان يضطرب بكل تأكيد ، وتتصارع في ذهنه فكرتان – او ربما يمكننا القول بأن الصراع كان بين ” المجتمع “ ومينغ فنغ . ولكن نظرا الى ان الفتاة كانت وحيدة ، يقف ضدها نظام التعاليم الاخلاقية الاقطاعية بكامله وعشيرة اسرة قاو كلها ، فقد تعين ان تهزم مينغ فنغ في معركة جيويه هوى العقلية .

ومينغ فنغ نفسها لم تعرف بالطبع شيئا من هذا . فظلت تحبه سرا ، ولكن دون تحفظ . وكانت سعيدة من اجله . وانتظرت ، متضرعة ان ينقذها ذات يوم من الحمأة التي هي فيها .

واصبحت حياتها ايسر من السابق بعض الشيء ، واصبح سادتها اكثر لطفا معها . ولقد تدعمت بحبه ، ووجدت لنفسها ملاذا في احلام اليقظة التي ولدها لها هذا الحب . ولكنها ظلت كسيرة النفس ، فهي لم تتخيل حتى في احلامها انها تعيش مع جيويه هوى نظيرة له ، بل رغبت فقط ان تكون عبدة مخلصه ، ولكن عبدة له وحده . وبدا لها ذلك اعظم سعادة ممكنة .

ومن سوء الحظ ان الواقع غالبا ما يكون مناقضا تماما لرغبة الناس ، فسرعان ما يحطم آمالهم دونما رحمة .

ذات ليلة ، بعد ان اطفئت المصابيح الكهربائية في المربع السكنى ، استدعيت مينغ فنغ الى شقة مدام تشو . وبدا وجه المرأة الممتلى* في ضوء المصباح الزيتى الضعيف خاليا من اى تعبير . ومع ان مينغ فنغ لم تستطع ان تحزر ما ستقوله لها مدام تشو ، الا ان هاجسا ظل ملازما لها طوال اليوم ، يخوفها من حدوث امر سيى* لها . ووقفت امام مدام تشو بقلب واجف ، وحدقت اليها فى اضطراب . كانت كلتاها صامتتين . وبدا لها الوجه الممتلى* ينتفخ شيئا فشيئا ، ويصبح شيئا كبيرا مستديرا ، يهتز امام عينيها ، معمقا شعورها بالخوف . وبدأت مدام تشو حديثها بمتهى التروى ، ولكنها مع ذلك ظلت اسرع من غيرها فى الحديث ، فقالت :

— يا مينغ فنغ لقد مضى عليك معنا عدة سنوات . واطن انك عملت مدة طويلة كافية .

ثم زادت من سرعتها فى التكلم ، حتى ان المقاطع اخذت تخرج من بين شفيتها كانطلاق الرصاص :

— اننى واثقة من انك انت ايضا راغبة فى المغادرة كل الرغبة . اليوم اوصانى السيد المبجل قاو بأن ارسلك الى اسرة فنغ . فستصبحين حظية للسيد المبجل فنغ . ومطلع الشهر القادم سيكون يوما ميمونا ، حيث سيأخذونك فيه . واليوم هو الثامن والعشرون . فما يزال امامنا ثلاثة ايام ، لذلك بدءا من

الغد لا داعي لأن تقومي بأى عمل . هوني عليك خلال الايام
القليلة القادمة الى ان تذهبي الى اسرة فنع . . .

وبعد ان تصلى اليهم يجب ان تعتني بالسيد والسيدة العجوزين
عناية جيدة . فانهم يقولون انه غريب بعض الشيء ، وان طبع
زوجته ليس جيدا كذلك . لا تكوني عنيدة ، فمن الافضل
ان تسايري جميع اهوائهما . ولديهما ايضا ابناء وكنائن واحفاد
يعيشون معهما سوياً ، عليك ان تحترميهم كذلك .

لقد مضى عليك جارية لدى اسرتنا عدة سنوات ، ولكنك
لم تجنى من ذلك شيئا . واصارحك بأننا - على ما اعتقد - لم
نعاملك معاملة جيدة . ولكن الآن ، وقد رتبنا لك هذا الزواج ،
اشعر بمزيد من الارتياح . فأسرة فنع غنية جدا . وما دمت
تصرفين وفقا لمنزلتك فانك لن تعاني ابدا من نقص في الطعام
او الكساء . وستكونين احسن حالا بكثير من شى ار ، جارية
الاسرة الخامسة . . .

وسأظل اذكرك بعد مغادرتك . لقد اعتنيت بى كل هذه
السنوات ، وانا لم افعل شيئا ابدا لمكافأتك . غدا سأطلب
من الخياط ان يفصل لك مجموعتين جديدتين من الالبسة
الجيدة ، وسأعطيك بعض الحلوى .

ولكن بكاء مينغ فنع قطع عليها الكلام . مع ان كل كلمة
من كلماتها كانت تحز في قلب الفتاة ، الا انها لم تستطع
ان تفعل شيئا الا ان تترك تلك الكلمات تطعنها . انها لا تملك
سلاحا تدافع به عن نفسها . لقد تحطمت آمالها تحطما كاملا .

لقد ارادوا ان يسلبوها الحب الذى اعتمدت عليه فى عيشها ،
ليقدموا نضرة شبابها هدية الى عجوز سبى الطبع . ان عيشها
حظية لدى اسرة كأسرة فنغ لن يجز عليها شيئا الا : الدموع
والصفعات والشتائم ، كالسابق تماما . والفارق الوحيد الآن
هو انها ، بالاضافة الى ذلك كله ، ستضطر الى التخلي عن
جسدها ليصبح نهبا لعجوز غريب الاطوار ، لم يسبق لها ان
قابلته .

أن تصبح حظية - يا للعار ! ان " الحظية ! " فى نظر
الجاريات لعنة من اشد اللعنات . فمئذ كانت مينغ فنج صغيرة
جدا وهى تشعر ان من المرعب ان تصبح حظية . ولكن بعد
ثمانية اعوام من الخدمة النشيطة المخلصة تكون هذه هى مكافأتها
الوحيدة .

وبدا الطريق امامها اسود قاتما . حتى ان خبط الامل
الذى ولده لها حبها النقى قد سلب منها . ولاح لعينها وجه
فتى صبور ، تلاه كثير من الوجوه البشعة التى راحت تنظر
اليها على نحو مرعب . فغطت عينها بيديها مذعورة ، تقاوم هذه
الرؤية المروعة .

وفجأة بدا لها انها تسمع صوتا يقول : " كل شىء مقدر ،
من المستحيل ان تغيره . " واجتاحها شعور باليأس فراحت
تبكى من صميم قلبها المحطم .

كانت الكلمات تنطير من فم مدام تشو على نحو سريع
جدا بحيث صعب عليها ان تتوقف فجأة . ولكن عندما سمعت

بكاء الفتاة المؤلم توقفت في دهشة . ولم تستطع ادراك السبب
الذى اضطربت من اجله مينغ فنغ ، الا انها تأثرت بدموعها
وقالت :

– ما بك يا مينغ فنغ ؟ لماذا تبكين ؟

فقلت مينغ فنغ متحبة :

– ايتها المدام ، لا اريد ان اذهب . اننى افضل ان
اظل جارية هنا طوال حياتى ، اعتنى بك وبالسادة الشباب
والسيدات . ايتها المدام ، لا تصرفينى ، ارجوك . ما يزال هنا
الكثير الذى يمكننى ان افعله . لم يمض على هنا الا ثمانية
اعوام . اننى ما ازال صغيرة جدا ايتها المدام ، ارجوك لا تدعيني
اتزوج من الآن .

نادرا ما كانت تثار غرائز الامومة لدى مدام تشو ، ولكن
توسلات مينغ فنغ الملتهبة اثارت فيها عاطفة سريعة التجاوب .
واكتنف المرأة شعور بالحب الامومى والاسى لهذه الفتاة .
وقالت بابتسامة حزينة :

– كنت اخشى حقا الا تكونى راغبة فى ذلك . صحيح
ان السيد المبجل فنغ طاعن يصلح لأن يكون جدك . ولكن هذا
ما قرره السيد المبجل قاو . وعلى ان اطيعه . بعد ان تذهبنى
الى هناك ، لن تكون احوالك سيئة اذا انت خدمت العجوز
جيذا . على اية حال ستكونين افضل حالا من الزواج برجل
فقير ، لا تعرفين معه من اين ستأتيك الوجبة التالية .
– ايتها المدام ، اننى ارغب فى ان اموت جوعا – كل

شيء الا ان اصبح حظية .

ومع تلفظها بهذه الكلمات خارت قواها ، وسقطت على ركبتيها . ثم قالت معانقة ساقى مدام تشو :

– ارجوك الا تصرفيني . دعيني امكث هنا جارية . سأخدمكم طوال حياتي . . . ابنتها المدام ، ارحميني ، اننى ما ازال صغيرة جدا . وبخينى ، اضربينى ، افعلى كل شيء – ولكن لا ترسلينى الى اسرة فنع . اننى خائفة . لن استطيع تحمل هذا النوع من الحياة . ابنتها المدام ، كونى رحيمة ، ارأى بى . ابنتها المدام ، لقد كنت مطيعة لك دائما ، اما هذا الامر فلا استطيع القيام به !

واخذت تندفق الى حلقها كلمات لا نهاية لها ، ولكن شيئا ما كان يوقف فيها عن التكلم ، لذلك ما كان منها الا ابتلعت الكلمات ثانية وغرقت فى بكاء صامت . وكلما ازداد بكاؤها ازدادت شعورا بمصيبتها . لقد كانت المأساة ساحقة . ولو انها تستطيع ان تبكى بمرارة ، لأمكن لها ان تستريح بعض الشيء .

رأت مدام تشو الفتاة تبكى عند قدميها ، فتذكرت ماضيها . واخذت تداعب لها شعرها بعاطفة امومية حزينة ، ثم قالت فى حنان :

– اعرف انك صغيرة جدا . واقول لك الحقيقة اننى ضد ذهابك الى اسرة فنع . ولكن سيدنا المبجل قد اعطى وعده . وهو من النوع الذى لا يرجع فى كلمته ابدا . وانا لست الا

كنته ، فلا اجرؤ على معارضته . لقد فات الاوان . وما عليك
الآن الا ان تذهبي . لا تبكى ، فالبكاء لن يجدى نفعا .
استجمعي شجاعتك واذهبي . ربما تكون حياتك مريحة هناك .
لا تخافى ، فأصحاب القلوب الطيبة دائما ما يلقون جزاءهم
العادل . هيا انهضى الآن ، فقد حان موعد نومك .

ازدادت مينغ فنع تشبثا بساقى مدام تشو ، فكأنهما الشىء
الوحيد الذى يمكن ان ينقذها . وصاحت فى جزع ، مستندة
الى آخر ما لديها من قوة :

– أ ليس لديك ، ولو قليل من الرأفة بى ، أيتها المدام ؟
انقذيني . اننى افضل الموت على الذهاب الى اسرة فنع !
ثم رفعت وجهها المبلل بالدموع ونظرت الى عيني مدام
تشو ، ومدت يديها فى توسل ، وقالت بصوت مأساوى :
– انقذيني ايتها المدام !

فهزت مدام تشو رأسها ، واجابت فى حزن :
– ليس هناك ما استطيع فعله . انا نفسى لا اريدك ان
تذهبي ، ولكن لا جدوى من ذلك . فحتى انا لا استطيع معارضة
قرار السيد المبجل . انهضى الآن ، واذهبي الى النوم يا فتاتى
الطيبة .

ثم شدت مينغ فنع الى الاعلى ، منهضة اياها .
لم تبد مينغ فنع مقاومة ، فكل املها قد تلاشى . ووقفت
امام مدام تشو ، يعصف بها الدوار ، وتشعر كأنها فى حلم .
وبعد لحظة نظرت فيما حولها ، فبدا لها كل شىء غائما



“ انقلذني ، ايها المدام ! ”

قاتما . واستمرت تنشج في صمت . واخيرا سيطرت على نفسها .
وفي لهجة حزينة فاترة قالت :

— سأفعل ما تقولين ، ايتها المدام .

ونهدت مدام تشو متعبة وقالت :

— حسنا . انك مادمت مطيعة فلن اضطر الى القلق عليك .

وعرفت مينغ فنع ان لا فائدة من البقاء اكثر من ذلك .

انها لم تكن في حياتها قط شقية الى هذا الحد كيومها هذا .

لذلك قالت في فتور :

— اننى ذاهبة للنوم ، ايتها المدام .

وخرجت من الغرفة ببطء ، ويدها تضغط صدرها ، خائفة

من ان ينفجر قلبها .

تنهدت مدام تشو وهي تراقب الفتاة تنسحب راجعة ،

وتأسفت لعدم قدرتها على مساعدتها . ولكن بعد ساعة نسيت

هذه السيدة المنعمة كل ما يتعلق بمينغ فنع .

كان الفناء مظلما خاليا . وكانت مينغ فنع قد قررت العودة

الى غرفة الخدم ، ولكن عندما رأت ضوء مصباح ضعيف

يومض من نافذة جيويه هوى ، اتجهت نحو شقته في هدوء .

كان الضوء يتسرب من فتحات ضيقة في الستارة ، ملقيا

على الارض شكلا جميلا . ذلك الستار وتلك النوافذ الزجاجية

وتلك الغرفة بدت جميعها الآن فاتنة بالنسبة لمينغ فنع . ووقفت

على الشرفة الحجرية خارج النافذة ، تحديق الى ستارة الشاش

من غير ان تطرف لها عين ، حابسة نفسها ، ساكنة ما وسعها

ذلك لكيلا تزعج الشاب في الداخل .

وتدرجيا اخذت تتخيل انها ترى الوانا على الستارة البيضاء ، بل ان هذه الالوان اصبحت اكثر جمالا . وبرز من بين تشابك الالوان هذه اناس في ثاية الجمال - شباب وفتيات في منتهى الاناقة يتيهون كبرا وخيلاء . رموها بنظرات ازدراء عندما مروا بها ، ثم ذهبوا مسرعين . وفجأة ظهر في وسطهم الشخص الذى تفكر فيه ليل نهار . فحدق اليها في مودة وتوقف ، كأنه يريد التكلم معها . ولكن حشودا من الناس جاؤوا مسرعين من خلفه ، فاخفى بينهم . وتعمدت عينها البحث عنه ، الا ان ستارة الشاش المرخاة دون حراك حجبت ما في داخل الغرفة عن النظر .

اقتربت مينغ فنغ آملة ان تحظى بنظرة الى الداخل ، ولكن النافذة كانت اعلى من رأسها . وبعد محاولتين غير مشمرتين عادت ادراجها في يأس . ولدى رجوعها اصطدمت يدها مصادفة بحافة النافذة محدثة صوتا خفيفا . وانبعثت من داخل الغرفة سعلة ، فدل هذا على انه ليس نائما . فحدقت الى الستارة .

هل سيزيحها جانبا وينظر ؟

ولكن السكون ساد الغرفة ثانية ، فلم يسمع الا صوت قلم يخط على الورق . ودقت مينغ فنغ على حافة النافذة برفق ، فسمعت صوتا كأنه صوت كرسى يحرك ، ومن ثم صوت القلم يخط ثانية اسرع من السابق بقليل . وخشيت مينغ فنغ ان تدق دقات اعلى ، اذ ربما يسمعها غيره مصادفة . وجيوه مينغ نائم

في نفس الغرفة . ولكنها تعلقت بأخر امل ودقت ثلاث مرات ، ونادت بصوت منخفض : ” ايها السيد الثالث “ . ثم رجعت الى الورا ، وانتظرت في صمت . لقد تأكدت من انه سيخرج هذه المرة . ولكن مرة ثانية لم يحدث شيء الا صوت القلم يخط بسرعة وملاحظته الخافتة في دهشة : ” الثانية بعد منتصف الليل ؟ ودروسي تبدأ في الساعة الثامنة صباحا . . . “ واستؤنف صوت الكتابة من جديد .

ووقفت مينغ فنغ حائرة . الطرق ثلاثة لن يجدي ، فانه لن يسمع . ولم تلمه ، لأنها في الواقع تحبه من اعماق قلبها . فكلماته ما تزال ترن في اذنيها ، وهي عندها اعذب من الموسيقى . وبدا لها كأنه يقف بجانبها — دافئا مفعما بالحماسة والحيوية . انه بحاجة الى فتاة تحبه وتعنى به ، وليس في العالم فتاة تحبه اكثر مما تحبه هي . ان بوسعها ان تفعل له اي شيء . ولكنها ادركت في الوقت نفسه ان جدارا يفصل بينهما . الناس ارادوا ان يرسلوها الى اسرة فنغ بأقصى سرعة ، بعد ثلاثة ايام . ومن ثم ستتبع الى اسرة فنغ ، ولن تجد بعد ذلك فرصة لرؤيته ثانية . ومهما ستهان وتظلم ، فهو لن يتيسر له معرفة ذلك . ولن يكون قادرا على انقاذها . انهما سينفصلان ، الى الابد سينفصلان . وسيكون هذا اسوأ بكثير من ان يفرق الموت بينهما .

وشعرت مينغ فنغ ان حياة من هذا النوع لا تستحق العيش . فهي عندما قالت لمدام تشو : ” اننى افضل الموت على الذهاب

الى اسرة فنغ“ ، كانت تعنى ما تقول . لقد كانت تفكر في الموت حقا . ان الآنسة الكبيرة قد اخبرتها بأن الانتحار هو السبيل الوحيد امام الفتيات اللاتي يقعن ضحايا للقدر . ومينغ فنغ اعتقدت بهذا القول اعتقادا تاما .

وانبعثت من الغرفة تنهيدة طويلة قطعت عليها افكارها المضطربة . فنظرت حولها في حزن . كل شيء كان ساكنا مظلما . وفجأة تذكرت مشهدا مماثلا رأته قبل عدة اشهر . والفارق في تلك المرة انه هو الذى كان خارج النافذة ، وان الحدس الذى سمعه في ذلك الحين قد اصبح اليوم حقيقة واقعة . واستعادت كل التفاصيل – موقفه منها ، كيف قالت له : ” لن اذهب الى رجل آخر ابدا . اننى اعاهدك . “

واحست بشيء يعتصر قلبها ، وغامت عيناها بالدموع . كان ضوء المصباح المنبعث من النافذة يلقي اشعته على عينيها برقة . فحدقت الى تلك الاشعة في لهفة ، وقد اخذ الامل يومض في نفسها شيئا فشيئا . وودت لو تتخلى عن كل هذا الحذر وتندفع الى غرفته ، ترقع عند قدميه وتخبره بقصتها المؤلمة كاملة ، ثم ترجو منه ان ينقلها . وودت لو تصبح عبدته الى الابد ، تحبه وتعنى به .

ولكن في تلك اللحظة بالذات اظلم كل شيء امامها . فقد اظنى المصباح . وحدقت ، ولكن لم تر شيئا . ووقفت متسمة في مكانها ، متوحدة في ظلمة الليل ، تلك الظلمة القاسية التي احاطت بها من جميع الجهات .

وبعد بضع لحظات تمكنت ثانية من التحرك . فأخذت تتلمس طريقها الى غرفتها ببطء وسط الظلام المطبق . وبعد وقت طويل وصلت الى غرفة الخدم . فدفعت الباب الذى كان نصف مغلق ودخلت .

كانت هناك فتيلة تبقيق بصوت خافت فى طبق من الزيت . وكانت الظلمة والظلال تسودان الغرفة من حول هذه الفتيلة . وكانت الاسرة فى جانبى الغرفة محملة بأشكال بشرية كأنها جثث هامدة . وكان الشخير الحاد المنبعث من سرير الاخت البدينة تشانغ يندفع فى كل اتجاه بطريقة مفزعة مرعبة . وقد اوقف هذا الشخير مينغ فنع المذعورة لدى المدخل ، وظلت لحظة تحديق الى ما حولها فى اضطراب . واخيرا مشت نحو الطاولة تجرر اقدامها وشذبت الفتيلة ، فأصبحت الغرفة اكثر اضاءة .

وفيما كانت تهتم بخلع ثيابها اجتاحتها موجة فجائية من الكآبة المرعبة ، فألقت نفسها على سريرها وشرعت تبكى ، دافعة رأسها فى اللحاف ، مبللة اياه بدموعها . وكلما استغرقت فى التفكير ازدادت حالتها سوءا . واستيقظت العجوز ماما هوانغ على صوت بكائها ، فسألته فى صوت ناعس : ” ما الذى يبكيك ؟ “

لم تجب مينغ فنع ، بل ظلت تبكى . وبعد ان قالت لها ماما هوانغ كلمة مهدئة او كلمتين استدارت على جانبها ، وغطت فى النوم ثانية على نحو سريع جدا . وتركت مينغ فنع

وحيدة مع دموعها وقلبها يتفطر ألما . وقد استمرت في بكائها الى ان غلبها النوم .

ومع بدء الصباح التالي تحولت مينغ فنج الى شخص آخر . فقد احجمت عن التبسم ، واصبح تحركها بطيئا ، وعمدت الى تجنب الناس . وداخلها شك في انهم عرفوا قصتها ، ولذلك تخيلت انهم يسخرون منها ، فتهرع مبتعدة عنهم . اذا رأت حفنة من الخدم يتحدثون فيما بينهم ، اكدت انهم يتناقشون حولها . وبدا لها انها تسمع كلمة ” حظية “ في كل مكان ، حتى بين السادة والسيدات .

وظنت انها سمعت السيد الخامس يقول :

– فتاة جميلة كهذه . انه لمن المخجل ان يجعل منها حظية لذلك العجوز .

وفي المطبخ سمعت الاخوت تشانغ تعلق في غضب :

– فتاة صغيرة كهذه تصبح ” حظية صغيرة “ لعجوز نصف ميت . اننى لا افعل هذا مقابل نقود العالم كلها !
ووصل الامر بمينغ فنج حدا اصبحت تخشى معه ان تذهب الى اى مكان خوفا من ان تسمع ملاحظات ساخرة . فكانت تختفى في غرفتها او في الحديقة ، وتظل وحيدة متوحدة ، لا تختلط ببقية الخدم الا عند تناول وجبتها كل يوم . ومن حين لآخر كانت وان أر او تشيان أر او شى أر تأتي لزيارتها . ولكنهن كن مشغولات جدا ، فلم يستطعن الا التسلل خلسة للتخفيف عنها بكلمة او كلمتين .

وكان لدى مينغ فنج رغبة ملحة في التحدث مع جيويه هوى ، ولذلك كانت تسعى دائما لتحسين فرصة مناسبة . ولكنه وجيويه مين اصبحا مؤخرا اكثر انشغالا من المعتاد . فهما يغادران الى المدرسة كل يوم في الصباح الباكر ويعودان الى البيت قبيل المساء . وحيانا يخرجان ثانية ، بعد وجبة العشاء مباشرة ، ولا يرجعان قبل التاسعة او العاشرة ليلا . وعندها يحصران نفسيهما داخل غرفتهما وينهماكان في قراءة او كتابة المقالات . وقد اتفق لها ان قابلت جيويه هوى في مناسبة او مناسبتين ، نظر اليها حينذاك نظرة رقيقة او ابتسم ، ولكن لم يكلمها . وبالطبع هذه علامات حبه ، وقد ادركت انه اصبح مشغولا بأمور هامة ، ولذلك لم يعد عنده وقت لها ، وهي لم تلمه على هذا .

ولكن الايام كانت تمر بسرعة . وكان لا بد لها من ان تكلمه ، تشكو له متاعبها ، تنشد عونته . ولم يبد ان لديه اية معرفة طفيفة بما كان يجرى لها ، وهو لم يتح لها الفرصة كي تخبره .

والآن حل اليوم الاخير في الشهر . ولم يعلم بقصة مينغ فنج اناس كثيرون في المربع السكنى . وكان جيويه هوى يجهل الموضوع كلياً . فقد كان غارقاً في المجلة الاسبوعية . حتى ان الساعات التي كان يمضيها في البيت قد خصصت للدراسة والكتابة ، ولذا لم يتح له ان يتصل بأى واحد يمكن ان يخبره بموضوع مينغ فنج .

وكان اليوم الثلاثون بالنسبة لجيويه هوى كأي يوم آخر .
ولكن بالنسبة لمينغ فنغ كان يوم الحسم : اما ان تتركه للابد ،
واما ان تخدمه للابد . والاحتمال الثاني كان ضعيفا جدا ،
وقد عرفت مينغ فنغ ذلك . انها تأمل بالطبع ان يكون قادرا
على انقاذها ، وبذلك تستطيع ان تظل خادمتها الدائمة . ولكن
كان بينهما جدار لا يمكن هدمه - الفرق بين مترلتيهما .
وعرفت مينغ فنغ ذلك معرفة جيدة . ففي ذلك اليوم ،
عندما قالت له في الحديقة : ” لا ، لا ، لا . لم يقدر لي ذلك . “
كانت تعرف مسبقا . وقد اجابها بأنه سيتزوجها . ولكن جده
ومدام تشو وجميع الكبار سيقفون ضدهما . فماذا بوسعه ان
يفعل ؟ حتى مدام تشو لا تجرؤ على معارضة قرار للسيد المبجل
قاو ، ناهيك عن حفيده .

وبدا ان مصير مينغ فنغ قد تحدد وتعذر تغييره ، ولكنها
لم تتخل عن آخر بصيص من الامل . انها في الحقيقة تخدع
نفسها ، لأنها تعرف معرفة جيدة ان ليس هناك ادنى امل ،
ولن يكون هناك ادنى امل .

وانتظرت بقلب واجف : لعلها ترى جيويه هوى في ذلك
اليوم . واخيرا جاء الى البيت بعد التاسعة مساء . فذهبت الى
نافذته . وعندما سمعت صوت شقيقه ترددت ، تخشى الدخول
ولا ترغب في الانصراف . اذا هي تركت هذه الفرصة الاخيرة
تفلت من يدها الى الابد ، سواء عاشت ام ماتت ، فانها لن
تتمكن ابدا من رؤيته ثانية .

اخيرا ، وبعد طول انتظار ، سمعت مينغ فنج وقع خطوات يشير الى ان شخصا ما يخرج . فأسرعت الى الاختباء في زاوية . وشاهدت شخصا يخرج من الغرفة . انه جيويه مين . فانتظرت الى ان ابتعد ، ثم اسرعت في الدخول الى الغرفة .

كان جيويه هوى منحنيا على طاولته يكتب . ولم يرفع رأسه عندما احس بدخولها ، بل ظل متابعا عمله . فاقتربت منه مينغ فنج خائفة ، وقالت برقة :

— ايها السيد الثالث !

فرجع جيويه هوى رأسه في دهشة ، وقال لها مبتسما :

— مينغ فنج ، هذا انت ؟ ماذا لديك ؟

فقالت وعيناها الحزيتان تدققان النظر الى وجهه المبتسم :

— لا بد لي من ان احديثك .

وقبل ان تتمكن من مواصلة حديثها قاطعها قائلا ، وهو يضحك ضحكة رقيقة :

— أ ذلك لأننى لم اتكلم معك خلال الايام القليلة الماضية ؟
أتظنين اننى كنت اتجاهلك ؟ لا ، عليك ألا تظنى ذلك .
انظري كم انا مشغول . على ان ادرس واكتب ، ولدى اشياء اخرى سأفعلها ابضا .

واشار جيويه هوى الى كومة من المسودات والمجلات .
ثم تابع يقول :

— اننى اكثر انشغالا من النملة . ولكن سيخف عملي بعد يوم او يومين . على ان انهى هذا العمل الآن . اعدك .

امهلينى يومين آخرين فقط .

فقلت فى خيبة امل ، كأنها لم تفهم قوله :

– يومين آخرين ؟ يومين آخرين ؟

فقال مبتسما :

– صحيح ، بعد يومين آخرين فقط سأنهى عملى .
وبعدها يمكننا ان نتحدث . فلدى كثير كثير من الامور
اريد ان اخبرك بها .

ثم انحنى واستأنف الكتابة .

فقلت كابحة دموعها فى جهد :

– ايها السيد الثالث ، أليس لديك الآن ولو قليل من

الوقت .

فقال فى غلظة ، كأنما يؤنبها على الحاحها :

– ألا ترين اننى مشغول ؟

ولكن عندما لاحظ تعابير وجهها الحزينة والدموع فى عينيها

لان فى الحال . ثم نهض آخذها يدها ، وسألها فى رفق :

– هل ضايقت احدهم ؟ لا تبتسى .

ورغب حقا فى ان يترك عمله جانبا ويأخذها الى الحديقة

ليخفف عنها . ولكن عندما تذكر انه سيسلم مقالته فى الصباح

التالى ، عندما تذكر الصراع الذى تخوضه المجلة ، غير

رأيه ، وقال لها مترجيا :

– كوني صبورة . بعد يومين سنتحدث حديثا طويلا .

وبالتأكيد سأساعدك . اننى احبك اكثر من السابق . ولكن

ارجوك ان تذهبي الآن وتدعيني انهي عملي . ومن الافضل ان تسرعي فالسيد الثاني سيعود بعد دقيقة .

ونظر جيويه هوى حوله ليتأكد من انها وحيدان . ثم اخذ وجهها بين يديه وقبل شفيتها قبله خفيفة . ثم ابتسم مشيرا اليها بضرورة المغادرة بسرعة . وعاد الى جلسته على طاولته ، وتناول القلم ، ولكن قلبه كان يخفق . انها المرة الاولى التي يقبلها فيها .

ووقفت مينغ فنع صامته في دوار . انها لا تعرف ما الذي خطر في ذهنها وبماذا احست . وتحركت اصابعها لتلامس شفيتها - شفيتها اللتين استقبلتا قبل قليل اول قبله . ثم كررت قولها :

— يومين آخرين .

وفي الخارج سمع شخص ما يقترب مصفرا ، فحشا جيويه هوى قائلا :

— اذهبي بسرعة . السيد الثاني قادم .

بدا ان مينغ فنع تستيقظ من حلم ، فقد تبذلت ملامحها . اخذت شفاتها ترتعشان ، ولكنها لم تتكلم . ونظرت اليه في شوق نظرة كلها رقة ، وفجأة التمعت الدموع في عينيها ، وقالت بصوت مكروب :

— السيد الثالث .

ورفع جيويه هوى رأسه بسرعة ، فراها تختفي عبر المدخل ، فتنهد قائلا :

- النساء مخلوقات غريبة .
- ثم استأنف كتابته مرة اخرى .
- دخل جيويه مين الى الغرفة ، وكانت اولى الكلمات التي
خرجت من فمه هي :
- أليست مينغ فنج هي التي خرجت من هنا الآن ؟
- فأجابه جيويه هوى مواصلا كتابته ، دون ان ينظر اليه :
- بلى .
- فقال جيويه مين متنهدا :
- تلك الفتاة ليست كآية جارية عادية على الاطلاق .
- انها ذكية ونقية وجميلة – بل تستطيع حتى ان تقرأ بعض الشيء .
- ان من المؤسف ان يقدمها الجد الى ذلك العجوز الشرير حظية .
- انه لأمر مؤسف حقا !
- فقال جيويه هوى واضعا قلمه ، وقد صدم :
- ماذا قلت ؟
- ألا تعرف ؟ ان مينغ فنج ستزوج .
- ستزوج ؟ من قال ذلك ؟ انها صغيرة جدا !
- الجد سيقدمها الى ذلك العجوز الوغد فنج لتصبح
حظية له .
- لا اصدق ذلك ! ماذا ؟ ! أوليس واحدا من دعائم
جمعية المذاهب الاخلاقية الكونفوشية ؟ انه يقارب الستين .
- أما يزال بحاجة الى حظية ؟
- ألا تذكر في السنة الماضية كيف انه مع بعض اصدقائه

الخلص نشرها قائمة بأسماء ” افضل الذين يمثلون دور الاناث “ ،
ثم تعرضوا لهجوم شديد من « مد الطلبة » ؟ ان امثاله من الناس
قادرون على كل شيء . وهو الآخر يفعل المنكر دون ان يخشى
عاقبة – انه يملك نقودا كثيرة ، أليس كذلك . يوم الزفاف
غدا . انى آسف حقا لمصير مينغ فنغ . انها لم تتجاوز السابعة
عشرة .

وثب جيويه هوى من مكانه ، وخرج مسرعا ، يشد بشعره
ويرتجف قائلا :

– غدا ؟ لماذا لم اعلم بذلك من قبل ؟ لماذا لم يخبرنى
احد ؟

واخذت هذه الكلمات : ” غدا ! “ ” تتزوج ! “
” حظية ! “ ” العجوز فنغ ! “ تفرع دماغه الى حد ظن
معه انه سيتحطم . واندفع خارجا ، يظن انه يسمع عويلا مؤلما .
وفجأة اكتشف ان عالما مظلما يجثم عند قدميه . كل شيء
حواله ساكن ، كأن كل شيء حى قد مات . أين سيذهب
فى هذا الفراغ الضبابى الممتد بين السماء والارض ؟ واخذ
يهيم على وجهه ، شادا شعره ، ضاربا صدره ، ولكن لا شيء
يعيد اليه الاطمئنان .

وفجأة انتابه ادراك مؤلم . لقد جاءت اليه قبل قليل ،
وهى فى اشد الكرب ، لترجو مساعدته . ولأنها تثق بحبه وتجه
كذلك ، فقد جاءت تطلب منه ان يفى بوعده ويحميها ،
ان ينقذها من براثن العجوز فنغ . وماذا فعل هو ؟ لا شيء

على الاطلاق . انه لم يقدم لها مساعدة ولا عطا ولا شفقة –
لا شيء على الاطلاق . لقد صرفها عنه حتى دون ان يصغى
الى توسلاتها . وهى الآن قد ذهبت ، ذهبت للابد . غدا ،
ليلا ، بين ذراعى ذلك العجوز ، ستبكي ربيعها المحطم .
وفى الوقت نفسه ستلعن ذلك الشخص الذى خدعها فمنحته
حبها اليافع التقى ومن ثم قذف بها الى داخل فكى الذئب .
انها لفكرة مرعبة ، لم يستطع جيويه هوى تحملها .
يجب ان يجدها ، يجب ان يكفر عن جريمته .
ذهب الى غرفة الخادما ، وطرق بابها طرقا خفيفا .
فى الداخل يخيم الظلام . فنادى بصوت خافت مرتين : ” مينغ
فنع ! “ . ولكن لا جواب . فقال فى نفسه : لا بد انها نائمة .
وبسبب النساء الاخريات لم يستطع مواصلة ندانه .
وعاد الى غرفته . ولكن لم يستقر به المقام . فخرج ثانية ،
وذهب الى غرفة الخادما . ودفع الباب المفتوح قليلا ، فلم
يسمع من الداخل الا شخيرا . فذهب الى الحديقة ووقف فى
الظلمة فترة طويلة تحت اشجار البرقوق ، وصاح : ” مينغ
فنع ! “ . ولكن لم يسمع الا الصدى . واصطدم رأسه عدة مرات
بأغصان البرقوق المتدلية ، جارحا بذلك جبينه الذى اخذ يتزف .
ولكنه لم يشعر بألم . واخيرا عاد ادراجه الى غرفته فى ببطء
ونخية امل . وحال دخوله غرفته بدأ كل شيء امامه يدور .
وفعلا ، لم تكن الفتاة التى بحث عنها مع الخادما ،
بل فى الحديقة .

فعندما غادرت مينغ فنغ غرفة جيويه هوى كانت تدرك حينذاك ان جميع آمالها قد تلاشت . كانت واثقة بأنه يحبها كالسابق ، فشتاها ما تزالان محتفظتين بدفء قلبته ، ويدها ما تزالان تحسان بقبضته . وهذا برهان على حبه لها ، ولكنه في الوقت نفسه يرمز الى حقيقة انها ستفقدته وتلقى بين ذراعى عجوز فاسق . انها لن تراه ثانية ابدا . لن يكون في انتظارها في السنوات الطويلة القادمة الا ألم وبؤس لا نهاية لهما . فلماذا تشبث بحياة من هذا النوع ؟ لماذا تظل في عالم دونما حب ؟ واتخذت مينغ فنغ قرارها .

خرجت الى الحديقة مباشرة . وبجهد كبير تلمست طريقها وسط الظلام الى ان وصلت الى هدفها - حافة البحيرة . كانت المياه تلمع ، ومن حين لآخر تظفر الاسماك مخترقة سطحها الهادئ . وقفت مينغ فنغ متحيرة ، تتذكر من الماضى اشياء كثيرة . فاستعادت كل ما قالته هى وجيويه هوى وفعلاه سويا . واستطاعت ان ترى كل شجرة الفتها وكل شجيرة - عزيزة جدا ومحبية جدا - مدركة انها ستغادر هذا كله .

كان السكون يسود كل شىء . وكان الجميع نياما . ولكنهم جميعا احياء ، وسيواصلون حياتهم . اما هى فوحدها التى ستموت .

في السبعة عشر عاما من وجودها لم تعرف الا الصفعات واللعنات والدموع والكذب فى خدمة الآخرين . هذا الى جانب حب يجب ان تموت الآن من اجله . لقد جلبت اليها الحياة

سعادة اقل بكثير مما جلبت للآخرين ؛ ولكنها الآن ، وعلى الرغم من انها في ريعان الشباب ، ستغادر هذا العالم قبل غيرها . غدا ، سيكون للآخرين غدهم ، اما هي فلن يكون لها الا فجوة فارغة مظلمة . غدا ستزقق العصافير على الاشجار ، وستلون الشمس المشرقة الاغصان بأشعتها الذهبية ، ستتشر على سطح الماء لآلى* لا تعد ولا تحصى . ولكنها لن ترى شيئا من هذا ، لأن عيناها ستكونان قد اغمضتا الى الابد .

كان العالم في نظرها جديرا بكل حب . ولقد احبت كل شخص بكل ما يحمله قلب فتاة صغيرة من نقاء ، متمنية الخير لهم جميعا . لقد خدمت الناس من غير توان ، ولم تؤذ أيا منهم . وكغيرها من الفتيات كان لها وجه جميل وذهن متوقد وجسم من لحم ودم . لماذا اراد الناس ان يطؤوها ، ان يؤذوها ، ان يحرموها نظرة وداد او قلبا عطوفا او حتى تنهيدة اسي ؟

انها لم تمتلك قط ثيابا جميلة ، ولم تتناول طعاما جيدا ، ولم تنم في فراش دافئ* . وقد قبلت بهذا كله دون تدمر ، لأنها ظفرت بحب شاب جميل ، لأنها وجدت بطلا تعبده ، وقد اطمأنت الى ذلك ، لقد وجدت ملاذا تأوى اليه .

اما اليوم ، وقد وقعت الازمة ، فقد برهنت الحقيقة على ان ذلك كله كان وهما . فحبه لم يستطع انقاذاها ، بل اضاف اليها المزيد من الذكريات المؤلمة .

انه ليس لها . لقد منحها حبه احلاما جميلة ، ولكنه

الآن يلقي بها في هاوية مظلمة . لقد احبت الحياة ، احبت كل شيء ، ولكن باب الحياة اغلق في وجهها ولم يترك لها الا طريق الخزى .

فكرت فيما يعنيه ذلك ، ونظرت الى جسدها في رعب . ومع انها لم تستطع ان ترى في الظلمة بوضوح ، الا انها عرفت انه جسد طاهر ونقى . وشعرت كأن شخصا ما يلقي بها الى المستنقع . فراحت تلمس جسدها وتلاطفه في الم واسى . لقد اتخذت مينغ فنج قرارها . ولن تتردد ابدا . وحدقت الى الماء الساكن . ان هذه الاعماق الصافية في البحيرة ستمنحها ملاذا . ستموت غير ملطخة بالعار .

وفيما كانت على وشك ان تقفز خطرت في ذهنها فكرة ، فتريشت . ينبغي لها ألا تموت هكذا ، يجب ان تراه مرة اخرى وتبته كل حبه وتحرقها ، فلربما استطاع انقاذاها . ان قبلته ما زالت حارة على شفثتها، ووجهه ما زال يومض امام عينها . انها تحبه كثيرا ، ولا تستطيع ان تتحمل فقدانه . ان الشيء الوحيد الجميل في حياتها هو حبه . أو لم تكن حتى اهلا لذلك ؟ مادام كل شخص آخر سيواصل حياته ، فلماذا يتعين على فتاة صغيرة مثلها ان تموت ؟

وتخيلت نفسها في مشهد رومانسى تتحدث فيه وتضحك وتلعب مع فتيات موسرات من جيلها في حديقة جميلة . لقد ادركت ان في هذا العالم الواسع كثيرا من امثال هذه الفتيات وهذه الحديقة . ولكن عليها ان تنهى حياتها القصيرة -

ولن يكون هناك من يسفح عليها دموعه حزن او وجود بكلمة
عزاء . ان موتها لن يسبب للعالم ، او حتى لاسرة قاو ،
اية خسارة . الناس سينسونها بسرعة ، كأنها لم تكن موجودة
من قبل .

وراحت تفكر في اكتاب : هل كانت حياتي حقا بلا
معنى ؟ وملاً الحزن قلبها ، وتحدرت الدموع من عينيها . وخارت
قواها ، فجلست على الارض في ضعف . وبدا لها انها تسمع
شخصا يهتف باسمها . فأوقفت دموعها واصغت ، ولكن كل
شيء كان ساكنا ، وجميع الاصوات كانت خامدة . واصغت
أملة ان تسمع الهتاف ثانية . اصغت وقتا طويلا طويلا ،
ولكنها لم تسمع صوتا في ذلك الليل .

ومن ثم عرفت انه لا يمكن ان يأتي . ان جدارا ابديا
يحجز بينهما ، فهو ينتسب الى عالم آخر . له مستقبله وقضيته
يجب ان يصبح رجلا عظيما . لن تستطيع ان تشده الى الورا ،
وتحتفظ به الى جانبها على الدوام . عليها ان تطلق سراحه .
فوجوده اهم من وجودها بكثير . ولا يمكنها ان تتركه يضحى
بنفسه من اجلها . عليها ان تذهب ، عليها ان تتركه الى
الابد . وستفعل هذا عن طواعية واختيار – مادام اغلى عندها
من حياتها نفسها .

وحز الالم في قلبها ، فضغطت على صدرها . غير ان
الالم الح عليها . وظلت جالسة على الارض ، تطوف عيناها
في الظلمة ، محدقتين في تشوق كبير الى ما يحيط بها من

اشياء الفتها . انها ما تزال تفكر فيه . وارتعشت على وجهها
ابتسامة حزينة ، وفاضت عيناها بالدموع .
واخيرا لم تعد تطبق التفكير اكثر من ذلك . فنهضت
مرتحة ، وصاحت بصوت محمل بالرقه والاسى : ” جيويه
هوى ، جيويه هوى ! ” ثم القت بنفسها فى البحيرة .
تحركت المياه الهادئة فى عنف ، واخترقت السكون
ضجة عالية . وعلى نحو بطيء ترددت فى الليل اصداء لصيحتين
او ثلاث صيحات مأساوية ، على الرغم من ان هذه الصيحات
كانت خافتة جدا . وبعد بضع دقائق من التموج المحموم
عاد الهدوء الى سطح البحيرة ثانية . ولكن تلك الصيحات
الحزينة هى التى كانت ما تزال تتخلل الهواء ، فكأن الحديدية
بكاملها تبكى فى صمت .

٢٥

نام جيويه هوى فى تلك الليلة وهو فى حالة تعسة ، ونهض
فى الصباح التالى متأخرا . ثم اسرع مع جيويه مين الى المدرسة ،
ولكن الحصص كانت قد بدأت قبل عشر دقائق من وصولهما .
كان السيد تشو مدرس اللغة الانكليزية يقرأ من رواية
« البعث » بصوت مرتفع ، وقد اصغى اليه جيويه هوى وبقية
الطلاب باهتمام ، استعدادا للاجابة على الاسئلة التى قد يطرحها

حول المقطع الذى يقرأه .

الا ان ذهن جيويه هوى ظل ينصرف الى مينغ فنج ، وقد جعله التفكير فيها يرتجف من الداخل . وليس ذلك انه قرر ان يحول دون ذهابها . لا . فبعد تفكيره فى المسألة طوال الليل اصبح على استعداد لتركها تغادر . وكان قرارا مؤلما ولكنه شعر ان فى وسعه تحمله . وكان فى ذهنه شيئا عزى نفسه بهما على فقدان مينغ فنج . الشيء الاول هو انه اراد ان ينذر نفسه كليا لخدمة المجتمع . والثانى هو ان شخصا فى وضعه لا يمكن ابدا ان يتزوج من جارية - فكبرياؤه ، كبرياء البرجوازية الصغيرة تأبى عليه ذلك .

مر اليوم فى المدرسة بسرعة . وفى طريقه الى البيت اخذت تنازعه ثانية افكار متضاربة . ومع انه لم يقل شيئا ، الا ان اخاه استطاع ان يستشف من ملامح وجهه ان شيئا ما يزعجه ، فلم يحاول ان يجره الى محادثة .

وفيما كانا يلجان البوابة الداخلية للمربع السكنى شاهدا المحفة التى ارسلتها اسرة فنج لنقل مينغ فنج ، متبوعة بخادمين . كان ينبعث من خلف ستائر المحفة بكاء يقطع نياط القلب . ومع ان هذا البكاء كان خافتا لا يكاد يسمع ، الا انه نفذ الى قلب جيويه هوى مباشرة . انها مغادرة ، ولن تعود ابدا . كان الخدم الذين شيعوا المحفة مايزالون متجمعين فى الفناء . وكان جيويه هوى على ثقة بأنهم يتناقشون حول مينغ فنج . فلم يجروا على النظر اليهم ، بل تابع سيره مسرعا .

ولدى دخولهما المربع السكنى الداخلى حياهما صوت حزين
يقول :

— لقد عدتما الى البيت باكرا هذا اليوم .
كان المتحدث جيان يون . وكان وجهه النحيف الطويل
يحمل تعابير كآبته المعتادة . كان واقفا على السلم يتحدث
مع جيويه شين ، ولكنه جاء فى اتجاه الشقيقتين الصغيرين
عندما رأهما يقتربان . اما جيويه شين فاستدار فى صمت ،
وعاد الى شقته .

واجاب جيويه مين قائلا :

— اننا فى الآونة الاخيرة لا نأخذ الا درسا واحدا بعد
الظهر ، وذلك لأننا نستعد للامتحانات .

وتبعهما جيان يون الى شقتهما وجلس على كرسى خيزرانى .
ثم تنهد تنهيدة عميقة .
فسأله جيويه مين :

— لماذا انت مكتئب دائما يا جيان يون ؟

اما جيويه هوى فقد رمى كتبه على الطاولة ، واستلقى
على سريره دون ان ينبس ببنت شفة .
فقال جيان يون هازا رأسه فى حزن :
— الحياة قاسية جدا !

واوشك جيويه مين ان يلومه على حملة هذه المشاعر الكسيرة ،
ولكنه ما لبث ان تذكر ملاحظته حول صحته الرديئة وكيف
فقد ابويه وهو صغير ، فغير رأيه . بل شجعه بدلا من ذلك

قائلا في شفقة :

— لا تتعب نفسك بكل شيء يا جيان يون . لماذا تديم التفكير في اشياء تجعلك تعسا ؟

فاستأنف جيان يون حديثه كأنه لم يسمع جيويه مين :
— قاسية جدا ، قاسية جدا ! لقد صادف انني وصلت وهي هناك تصارع وتبكي ، وهم يحملونها قسرا الى المحفة . انا بكيت ايضا ، فهي تظل على الرغم من كل شيء انسانية . لماذا ينبغي لها ان تعامل كأى شيء لا حياة فيه ، ثم ترسل الى ذلك العجوز ...

فسأله جيويه مين بلهجة عطوفة :

— من تقصد ؟ هل تتكلم عن مينغ فنغ ؟

فنظر اليه جيان يون في دهشة وقال :

— مينغ فنغ ؟

ثم تابع بانفعال :

— اننى اتكلم عن وان ار . المحفة قد غادرت قبل

قليل . ألم تراها ؟

فانتصب جيويه هوى في جلسته على السرير وسأل في سرور

— اذن مينغ فنغ لم تذهب ؟

— مينغ فنغ ...

توقف جيان يون لحظة وتحولت عيناه الغائمتان الى جيويه

هوى ثم قال في خفوت :

— مينغ فنغ ... لقد اغرقت نفسها في البحيرة .

فهب جيويه هوى واقفا على قدميه مرعوبا . وراح يلذرع
الغرفة جيئة وذهابا فى ذهول ، ويقول وهو يشد بشعره يائسا :
— ماذا ؟ مينغ فنع انتحرت ؟

— هكذا يقولون . لقد حمل جثمانها الى خارج المربع
السكنى . انا شخصا لم اره . على اية حال ربما هى فى
وضع افضل من وان ار . . .

فصاح جيويه مين ، وهو نصف غاضب ونصف حزين :
— آه ، هكذا اذن . مينغ فنع انتحرت ، والجد ارسل
وان ار بدلا منها . الجوارى ، فى نظر الجد ، لسن مخلوقات ،
بل مجرد اشياء يمكن ان يقدمها اعطيات . لم اكن ادرك
ان فتاة مثل مينغ فنع بهذه الشخصية القوية يمكن ان تفعل
شيئا كهذا !

فقال جيان يون :

— والنتيجة ان وان ار بائسة الحظ . لا بد ان تذرف
الدمع ، وانت ترى الطريقة التى كانت تصارع بها وتقاوم .
اظن انها كانت ستختار نفس الطريق الذى سلكته مينغ فنع ،
ولكن الامر حدث مفاجئا تماما . لم تكن لديها فكرة عن
انهم سيرسلونها . وكانوا يراقبونها فى كل دقيقة . . .
وقال جيويه مين فى حدة :

— لم يخطر فى ذهنى ابدا ان الجد يمكن ان يفعل
شيئا كهذا ! واحدة تموت ، فيرسل الاخرى . هاتان الفتاتان
من ابناء الشعب ، فكيف يمكن ان تعاملتا بهذه الوحشية ؟

وفجأة اتجه جيويه هوى الى جيان يون ، وامسكه من ذراعه
وهزه في عنف قائلا :

— اخبرني ، كيف قتلت مينغ فنج نفسها ؟
فنظر اليه جيان يون مذعورا ، غير قادر على فهم انفعاله
العاطفي هذا . ثم اجابه بنبرته الحزينة المعتادة :
— لا ادري . واخشى انه لا احد يدري . احد الخدم
اكتشف جثتها ، فنادى بضعة خدم آخرين وانتشلوها من
الماء . ومن ثم حملوها بعيدا ، وتلك كانت النهاية . . . هذه
الحياة ، هذا العالم . . . انه في غاية القسوة .

حدق جيويه هوى الى وجه جيان يون الهزيل الكئيب
الذي اضته سنوات من الحزن طويلة . حدق اليه ووجهه
خال من اى تعبير . ثم ترك ذراعه بشدة ، واستدار خارجا
دون ان يتلفظ بكلمة .

فسأل جيان يون في اضطراب :

— ماذا اصابه ؟

فهز جيويه مين رأسه قائلا :

— الآن بدأت افهم .

فقال جيان يون :

— ربما انت ، اما انا فلا افهم شيئا !

ثم خفض رأسه وغرق في تفكيره . انه جبان الى ما لا
نهاية ، متواضع الى ما لا نهاية .

فصاح جيويه مين :

— ألا ترى ان الحب هو اساس هذا ؟

ولم يتلق عن سؤاله هذا جوابا . وساد الصمت الغرفة .
وفي الخارج كان وقع الخطوات من حين لآخر كقطعنا
تنغرس في قلبه .

وبعد بضع دقائق رفع جيان يون رأسه ثانية على نحو
بطيء . وجالت عيناه الغائمتان في انحاء الغرفة ، وقال مخاطبا
نفسه بصوت مرتعش : ” لقد فهمت . ”

نهض جيويه مين واخذ يذرع الغرفة بخطوات واسعة .
وفجأة جلس على كرسى بجانب الطاولة ، وثبت نظره على
وجه جيان يون . والتقت اعين الشابين ، وتبادلت بعض الافكار
المزعجة . وكان جيان يون هو الذى خفض رأسه ثانية .

وقال جيويه مين بمرارة :

— كل ذلك كان من اجل الحب . الاخ الثالث ومينغ
فنج ... لقد خالجنى شعور بأنهما كانا مهتمين ببعضهما
بعضا ... من كان يدري ان الامر سيصل الى هذا الحد ؟
لم اكن احلم ابدا ان تكون مينغ فنج قوية الارادة على هذا
النحو ! ... يا للأسف . كانت فتاة رائعة . لو انها ولدت
في اسرة غنية ...

ولم يستطع جيويه مين مواصلة حديثه . وانعكس صراعه
الداخلى على وجهه . ومضى بعض الوقت قبل ان يتمكن من
القول بصوته المرتعش :

— الحب ، كل هذا من اجل الحب ... لقد اصبح

الاخ الكبير اكثر نحفا في الآونة الاخيرة ، كما ان معنوياته قد انخفضت كثيرا . . . أوليس الحب هو الذى ادى به الى ذلك ؟ . . . كنت اظن ان الحب يجلب السعادة . لماذا يسبب كل هذا الشقاء ؟ . . .

ونحنقت الدموع صوت جيويه مين المرتعش ، فلدى تفكيره بمشكلة حبه اوشك على البكاء . ولاحت امام عينيه ظلال قاتمة . ان مصير الاخ الكبير عبارة عن نموذج مرعب لما يمكن ان يحدث له ايضا .

٢٦

راح جيويه هوى يتمشى على طول حافة البحيرة ، خافضا رأسه . وكان فى بعض الاحيان يقف ويحدق الى سطح الماء الهادئ ، او يتنهد تنهيدة طويلة ، ثم يستدير ويمشى بخطوات واسعة فى اتجاه آخر . كل ذلك وهو غير متنبه لاقتراب جيويه مين .

وما ان ظهر جيويه مين خارجا من ايكة البرقوق حتى صاح :

– ايها الاخ الثالث !

فتوقف جيويه هوى وحدق اليه فى صمت :

قال جيويه مين بصوت هائج وهو يقترب منه :

— انك تبدو في حالة مخيفة . أزعجك امر ما ؟
لم يجب جيويه هوى ، بل استأنف سيره . فأسرع
جيويه مين خلفه وامسكه من كفه ، ثم قال بصوت مرتجف :
— اعرف كل ما في الامر . ولكن ما دامت الامور
قد آلت الى ذلك ، فماذا بوسعك ان تفعل ؟ ان افضل شيء
ان تنسى .

فرد عليه جيويه هوى والغضب يلتصق في عينيه :
— انسى ؟ لن انسى ابدا . اشياء كثيرة في هذا العالم
من الصعب ان تنسى . اننى اقف هنا انظر الى الماء منذ وقت
طويل . هذا هو قبرها ، والى هذا المكان جئت ابحت عن
آخر اثر من آثارها . ولكن الماء لم يظهر لى شيئا على الاطلاق .
ما اشد كراهيتى اياه ! بعد ان ابتلعت البحيرة جسمها كيف
يمكنها ان تبدو بمثل هذا الهدوء ؟

وازاح عنه يد اخيه في عنف ، ثم رفع قبضته كأنه يريد
ان يضرب الماء ، وقال :

— لا يمكن ان تكون قد مضت دونما اثر . كل شجيرة
وكل نصلة عشب يمكنهما ان تخبرانى كيف أنهت حياتها .
اننى لا اجرؤ على التفكير فيما كان يعتمل في صدرها عندما
ماتت ، ولكن يجب ان افكر . سأظل اذكر هذا الى الابد ،
لأننى انا قاتلها . ولكن لست وحدى ، بل شاركنى في ذلك
اسرتنا والمجتمع الذى نعيش فيه ايضا !

اخذ جيويه مين يد أخيه ، وقال له في صدق :

— اننى افهمك ايها الاخ الثالث ، واتعاطف معك .
فى هذه الايام لم اكن افكر الا فى سعادتى الخاصة ، فى
مستقبلى الخاص ، فى حبى الخاص . وهذا كان خطأ .
مازلت اذكر عندما كنا صغيرين نتلقى الدروس فى غرفة مكتبتنا
على يد مدرس خاص . كنا نفعل كل شىء سويا فى ذلك
الحين . اينا ينهى درسه اولا كان ينتظر الآخر دائما . وقد
اثنى علينا الجميع لكوننا مخلصين لبعضنا كل هذا الاخلاص ،
واستمر هذا عندما دخلنا المدرسة المتوسطة ومن بعدها مدرسة
اللغات الاجنبية . وفى البيت نساعد بعضنا بعضا فى تحضير
الدروس . لقد تقاسمنا افراحنا واتراحنا . ولكن منذ نصف سنة
وانا غارق فى امورى الخاصة ، مما ابعدنى عنك شيئا فشيئا .
لماذا لم تخبرنى عن مينغ فنج مبكرا ؟ فنحن معا ربما كان
بوسعنا ان نفعل شيئا . ورأسان افضل من رأس واحد . أليس
هذا ما تعودنا ان نقوله دائما ؟

التمعت الدموع فى زوايا عيني جيويه هوى ، وقال وهو
يبتسم فى مرارة :

— انا اذكر ذلك ايضا ايها الاخ الثانى . ولكن فات
الوان . المرء تعوزه الشجاعة دائما عندما يتصرف وحيدا .
لم يدر فى خلدى ابدا انها ستسلك ذلك الطريق . لقد احببتها
حقا . ولكن ضمن ظروفنا هذه كيف كان بوسعى ان اتزوجها ؟
ربما كنت فى غاية الانانية . وربما كنت مبهورا بأشياء اخرى .
على اية حال انا قتلتها . لقد انتهت حياتها فى مياه البحيرة ،



“ انسى ؟ لن انسى ايدا . ”

وفتاة اخرى ذهبت الى اسرة فنغ باكية ، لتدفن شبابها هناك ،
لتشبع رغبات كلب عجوز شهوانى . فمع وجود هذا فى ذهنى
دائما هل تظن انه سيكون فى وسعى العيش بسلام ؟

وظهرت على وجه جيويه مين نظرة من الكراهية والاسف ،
وتحدرت الدموع من خلف اطار نظارته الذهبى ، وتمتم
فى الم : ” فات الأوان . ” ثم شد على يد جيويه هوى .
فسأله جيويه هوى فى لهجة مثيرة :

– هل تذكر ، ايها الاخ الثانى ، الليلة الخامسة عشرة
من الشهر القمري الاول ؟

وعندما هز جيويه مين رأسه فى صمت تابع جيويه هوى
يقول :

– لكم كنا سعداء فى تلك الليلة ! انها تبدو لى كأنها
البارحة . ولكن اين مينغ فنغ الآن ؟ ... صوتها ، وجهها –
اين يمكننى ان ابحث عنهما ؟ كانت متأكدة من اننى استطيع
انقاذها ، ولكننى تركتها تغرق . لم امتلك الشجاعة ... لقد
كنت ألومك والوم الاخ الكبير على ضعف شخصيتكما .
ولكننى عرفت الآن اننى لا اختلف عنكما . فجميعنا ابناء
لنفس الابوين ، ونشأنا فى نفس الاسرة . لا احد منا يملك
ادنى شجاعة ... اننى اكره كل واحد . اننى اكره نفسى !
ويبلغ جيويه هوى من الانفعال حدا لم يستطع معه مواصلة
حديثه ، فقد كان يلهث ، وجسمه ساخن كالنار . كان لديه
كثير مما يريد قوله . ولكن الكلمات علفت فى حلقه . وبدا

كأن قلبه يرتجف ، وراح يضرب صدره بقبضة يده . وعندما
شده جيويه مين من معصمه ليصده عن ذلك قاوم كالمجنون
ليخلص نفسه . ولم يستطع جيويه مين ايقافه الا بعد جهد
عظيم ، واخيرا دفعه الى داخل ايكة البرقوق بجانب الممر .
وهناك وقف متكئا على شجرة ، يلهث بشدة .

ووقف جيويه مين في الممر يحدق اليه في اسي ، والجهد
يطل من وجهه ، وقال :

– لماذا تتصرف هكذا ؟

وقال جيويه هوى مخاطبا نفسه اكثر من مخاطبته لأخيه ،
وهو خافض رأسه ، هاز يده :

– هذه الاسرة ! لا استطيع العيش هنا بعد اليوم !

تغيرت ملامح جيويه مين ، واراد ان يتكلم ولكنه لم
يستطع . فانطلق بنظره من جيويه هوى الى اشجار البرقوق .
كان على احد الاغصان عقق يغرد . وشيئا فشيئا اشرقت عيناه
وارتسمت على وجهه ابتسامة . ولكن دموعا رافقت تلك الابتسامة ،
دموعا تحدرت من عينيه . ثم سأل شقيقه :

– لماذا لا تثق بي كسابق عهدك ؟ لقد اعتدت ان
تحدثني بكل شيء . ولقد تقاسمنا الحلو والمر . فلماذا لا
يكون بوسعنا اليوم ان نعود كما كنا ؟

فقال جيويه هوى :

– لأننا كلانا تغيرنا . انت لك حبك ، وانا فقدت كل

شيء . فما الذي بقي لنا كي نقسمه ؟

ولم يكن في ذلك يحاول ايداء اخيه ، بل كان ينفس عن
استيائه المكبوت . وقد شعر بأنه فصل عن اخيه بجثة رطبة
ما تزال تقطر .

ففتح جيوبه مين فمه كأنه سيرد بصوت عال ، ولكنه
اوقف نفسه . وبعد صمت طويل قال في صوت توصل :

— ألم تسامحني بعد ؟ ألا ترى شدة اسفى ؟ دعنا
نساعد بعضنا بعضا ثانية ، كما كنا في السابق تماما ، ونخطو
على طريق الحياة سويا . واعدك بأننى لن اتركك ابدا .

فقال جيوبه هوى ، وهو يبدو انه استسلم . فقد زال
عنه الغضب ولم يبق الا اليأس :

— ماذا ستكون الفائدة ؟ لقد فات الأوان . اننى لا اريد
ان اسلك طريق الحياة بعد اليوم .

— أيمكن ان تكون انت الذى تقول هذا ؟ هل ستطرح
حقا كل شيء جانبا من اجل فتاة ؟ هذا ليس من طبعك ابدا !
فشرع جيوبه هوى يجادله ، متجنباً النظر في عينيه :
— لا ، انا لا اعنى ذلك . ليس هذا بسببها فقط .

ثم اضاف بغضب مفاجئ :

— كل ما هنالك اننى مشمئز من هذا النمط من الحياة .
— انك لا تملك الحق في قول ذلك . فنحن ما نزال

صغارا ، لا نعرف حقاً معنى الحياة بالضبط .

فقال جيوبه هوى ، وقد احتقن وجهه غضبا :

— هل تعتقد اننا لم نر بعد ما يكفى ؟ ! ومع ذلك انتظر ،

فالحياة الأسوأ قادمة فيما بعد ! اننى اتنبأ بذلك !
- انت دائما سريع الاهتياج ! الامر قد انتهى ، فماذا
بوسعك ان تفعل ازاءه ؟ ألا يمكنك ان تفكر فى المستقبل ؟
من الغريب ان تكون قد نسيت الأسطر التى طالما احببتها
وتعلقت بها .

- اية اسطر ؟

- ” انا شباب ، لسنا مشوهين ، ولا مغفلين . لا بد
ان ننتزع السعادة لأنفسنا . “

فلم يجب جيويه هوى . وقد عكس التبدل السريع فى
ملامح وجهه الصراع الذى كان يعتمل فى داخله . ثم مالبت
ان قطب وقال مخاطبا نفسه فى تناقل : ” انا شاب . “ ثم
كررها بغضب : ” انا شاب ! “ وبعد لحظة تساءل مترددا :
” انا شاب ؟ “ ثم اضاف باقتناع : ” انا شاب ! لا جدال
فى ذلك ، انا شاب ! “

ثم شد على يد شقيقه وهدق الى عينيه ، فأدرك جيويه
مين من تلك الشدة الحنونة والنظرة الثابتة ما كان فى قلب جيويه
هوى . فرد بالضغط على قبضة شقيقه ، مؤكدا له عاطفته
هو الآخر . وهكذا فهما بعضهما بعضا مرة ثانية .

. وبعد تناول الغداء خرج الشقيقان فى نزهة . وفيما كانا
يسيران فى الشارع تحدثا فى اشياء كثيرة بكل نشاط وحيوية .
فقد مضى عليهما ستة اشهر لم يتحدثا خلالها مثل هذا الحديث
الودى .

وتجمعت في السماء سحب داكنة . واصبح الجو باردا .
ولم يبق في الشوارع الخالية الا قلة من الناس ، ولكن عند بعض
بوابات المربعات السكنية تجمع الخدم وحاملو المحفات في
حلقات ، يثرثرون في تراخ وكسل .

وبعد ان اجتاز الشقيقان شارعين او ثلاثة وصلا الى مربع
سكني عند مدخل الشارع محاط بسور من الآجر . وبجانب
البوابة ثبتت لوحة صفراء كبيرة كتب عليها باللون الاخضر :
” مكتب المحامي قاو كه مينغ “ .

فتساءل جيويه مين :

– كيف حدث لنا ان تجولنا في هذا الاتجاه ؟

وانعطفا في ممر متعرج صغير مرصوف بحصى يتعب
اقدام المشاة . وكانت اشجار الخرنوب الطويلة داخل المربعات
تدلى اغصانها الى خارج الاسوار الترابية الممتدة على جانبي
الممر . وكانت اشجار الرمان تنتشر هنا وهناك . ولكن وقت
الازهار كان لسوء الحظ قد انتهى ، ولم يبق على اشجار الرمان
ذات الاوراق الكثيفة الخضراء الا قليل من ثمر الرمان الداوي .
كان هذا القسم من المدينة ساكنا جدا . فمعظم البوابات
الصغيرة السوداء مغلقة . ونادرا ما يطل منها احد .

وعندما لاحظ جيويه هوى السحب السوداء متلبدة في
السماء قال :

– هيا بنا نرجع . ان المكان هنا ممل الى حد لا يطاق .
ويبدو ، الى جانب ذلك ، انها ستمطر .

فقال جيويه مين ، وقد سقطت على جيينه قطرة ماء :
 - لقد بدأت تمطر .
 وحث كلاهما الخطي . وقال جيويه هوى وهو يزيد من
 سرعته الى حد الهرولة :
 - يحسن بنا ان نسرع ، فالمطر سيتصيب بعد دقيقة .
 وركض الشقيقان الى البيت ، غير ان المطر ادركهما .
 فعند وصولهما الى البيت كانا قد تبللا .
 وصاح جيويه هوى من خارج نافذة غرفة الخادماات :
 - يا مينغ فنج ، احضرى بعض الماء الساخن .
 فأوقفه جيويه مين قائلا :
 - انك تتذكر مينغ فنج ؟
 استدار جيويه هوى ونظر اليه ، وقد تغير وجهه فجأة .
 وبعد لحظة نادى باكتتاب :
 - ماما هوانغ !
 وعندما اجابته قال :
 - نريد ان نغسل وجهينا .
 ثم دخل غرفته مكتئبا وبدل ثيابه وهو فى غاية الانكسار .
 وعلى الفور جاءت ماما هوانغ بطست من الماء الساخن .
 وعندما رأت الشقيقين فى تلك الحالة اخذت تعنفهما قائلة ،
 وهى توشك على البكاء :
 - لو كانت امكما على قيد الحياة لما سمحت لكما
 ابدا ان تتصرفا كما يحلو لكما . فمن اجلها هى عليكما

ان تكونا اكثر عناية بصحتكما . ولولاكما انما لترك هذا المكان منذ وقت طويل . فالآن ، وبعد ان مضت مينغ فنج ، لم يبق غيرى للعناية بكما . ولا ادرى من سيعتنى بكما اذا مت انا ايضا . لقد ساءت الاحوال هنا ولم اعد حقا اريد العيش فى هذا المربع السكنى اكثر من ذلك .

قالت العجوز هذا كله بصوت محزون . وقد حزت هذه الكلمات فى نفسى الشقيقتين كثيرا بحيث لم يجرؤا على الاجابة خوفا من البكاء .

وبعد ان انتهت ماما هوانغ من حديثها ، واطمأنت الى ان الشقيقتين قد لبسا ثيابا جافة تنهدت ، ثم غادرت الغرفة .

وخرج جيويه هوى كذلك . كان المطر قد توقف واصبح الهواء منعشا . وتوقف على السلم لينظر فيما حوله الى الاضواء فى الحجرات الاخرى ، ثم مشى نحو القاعة الرئيسية . وهناك استطاع ان يسمع اصواتا فتيه تترنم بقراءة مواعظ لفلاسفة اقطاعيين قدامى :

”الاطفال يجب الا يسكنوا فى القسم الافضل من البيت ، او يجلسوا فى وسط المائدة ، او يمشوا فى وسط الطريق .“
... كان هذا صوت جيويه ينغ .

”من بين جميع الجرائم الكبيرة تعتبر جريمة انتهاك بر الوالدين اشنع الجرائم .“ ... وكان هذا صوت جيويه تشيون .

”اذا ضحكت فاضحكى بمنتهى الهدوء . لا ترفعى صوتك

في غضب . عندما تجلسين لا تكشفى ركبتيك . عندما تمشين لا تهزى جسمك . “ . . . وكان هذا صوت الفتاة شو تشن .
ولم يستطع جيوبه هوى تحمل ذلك ، فاستدار واخذ يمشى راجعا ، ولكن الاصوات ظلت تلاحقه . وبعد خطوتين توقف في حالة تعسة . ثم راح يحدق فيما حوله ، وهو لا يكاد يصدق عينيه . انه لا يرى الا ظللا فارغة زائفة ، ولا يسمع الا اصواتا فارغة زائفة . ولم يعد يعرف اين هو .
وفجأة دوى في اذنيه صوت اجش يقول :
- هذا ما يسمونه ثقافة !

التفت جيوبه هوى مجفلا ليفاجأ بأخيه يقف الى جانبه فتشبث به بفرحة رجل لقي فجأة صديقا قديما في صحراء لم تطرقها قدم . وقد ارتبك جيوبه مين قليلا لهذا الاستقبال الحماسي . وهكذا عاد الشقيقان الى غرفتهما في صمت ، وقلباهما الكئيبان وحيدان في هذا العالم الواسع الكبير .

سرعان ما نسى موت مينغ فنغ وزواج وان ار داخل مربع اسرة قاو السكنى . ولم يترك اى من هذين الحادثين ادنى اثر على الحياة اليومية للأسرة . جاريتان مضتا ، هذا كل ما هنالك ، والسادة سرعان ما جلبوا جاريتين اخريين بدلا منهما . وحلت

تشی شیا محل مینغ فنع ، واضطلعت تسوی هوان بعمل وان ار . فمن حیث عدد الخدم لم یحدث ای تغییر . (كانت تشی شیا نادلة ، وهی من الریف . وكانت تسوی هوان فی عمر سیدتها الصغیرة شو ینغ ، وقد بیعت بعد موت ابیها - آخر ذویها .) وبعد وقت غیر طویل ، توقف افراد الاسرة حتی عن ذکر اسم مینغ فنع . الا ان الفتاة ظلت علی الدوام ذکری مؤلمة فی قلوب کل من شی ار وتشیان ار وماما هوانغ وقلیل غیرهن .

ولم یعد جویبه هوی یتکلم عنها كذلك . وظهر بأنه قد نسیها . ولكنها ترکت فی نفسه جرحا لا یندمل . لم یبق لديه وقت للحزن علیها ، وذلك بسبب طروء شیء جدید .

فبعد صدور العدد السادس من مجلة « الفجر » الاسبوعية انتشرت اشاعة تقول بأن السلطات المحلية ستحظر نشر هذه المجلة التقدمية . وقیل ان جمعیة المذاهب الاخلاقية الكونفوشية ، هی التي كانت وراء ذلك . وطبعا اثاره هذه القصة جویبه هوی واصدقاءه ، ولكنهم لقله تجربتهم لم یتناولوا الموضوع بجدية . واكثر من هذا انهم لم یقتنعوا بأن الجنرال تشانغ ، الحاكم الجدید ، سیمح لأعوانه بالقیام بمثل هذا العمل .

وظهر العدد السابع كالمعتاد . وكسبت المجلة بعض المشترکین الجدد ، فاستأجرت مکتبا علویا فی المبنى ذی الرواق المقنطر ، واخذ افراد هیئة التحریر یتلقون هناك کل ليلة . وخلال النهار (باستثناء يوم الاحد) كانوا یبقون المکتب

مغلقة ، بحيث لم يعرف جيويه شين ، وكان مكتبه في نفس
المبنى ، ان شقيقه جيويه هوى يتردد الى هذا المكان .

والمؤسسات التجارية الاكثر اهمية كانت تشغل مكاتب
الطابق الارضى ، ومعظم الطوابق العليا كانت فارغة . ولم يكن
لمكتب المجلة جيران ، فجميع الغرف المجاورة كانت خالية .
وكل مساء كان اثنان من الطلبة او ثلاثة يقومون بفك
مصاريع باب المكتب واشعال الضوء فيه وترتيبه . وسرعان ما
يزداد عدد الطلبة فيه ، ومعظمهم من الذكور ، وان كانت
فتيات مثل شيوى تشيان رو قد جاءت المكتب ايضا مرة او
مرتين . ثم يتحلقون هناك ويتحدثون . وكل ما لم يستطيعوا
ذكره في البيت يناقشونه هنا دون تحفظ ، مما يبعث في نفوسهم
السرور والراحة . فقد اصبح المكتب بمثابة ناديهم .

وكان جيويه هوى كثير التردد الى المكتب ، وحيانا
يأتى مصحوبا بجيويه مين . وكان من المؤكد مجيئه مساء كل
ثلاثاء ، لأن مقالات المجلة ترسل الى المطبعة صباح الاربعاء .
فمساء الثلاثاء يقوم هو وتشانغ هوى رو وهوانغ تسون رن بالمراجعة
النهائية .

كان اليوم الذى سيهياً فيه العدد الثامن من اجل ارساله
الى المطبعة هو اليوم التالى لموت مينغ فنج . وفي ذلك المساء
ذهب جيويه هوى الى المكتب كالمعتاد . فوجد هناك شيوى
تشان رو تقرأ للآخرين بصوت عال نبا قصيرا من صحيفة
يومية . وكان بلاغا من دائرة الامن يحظر على الفتيات قص

شعورهن . فقد اعتبر الشعر القصير افراطا في " الحداثة " و" التمرد " .

وقذفت تشيان رو الصحيفة من يدها في غضب ، ثم اقلت بنفسها على كنبه من الاماليد المجدولة صائحة : " يا لهذا الهراء ! "

فاقترح تسون رن مبتسما :

— لم لا ننشر الخبر كما هو في باب " الكلام السخيف " من عدد مجلتنا القادم ؟
فقلت تشيان رو :

— رائع !

ووافق الآخرون . ورأى هوى رو ضرورة ارفاقه بمقالة انتقادية . وطلب كل واحد من تسون رن ان يكتبها بنفسه ، الا انه تخلى عن هذه المهمة لجيويه هوى . وكان ذلك فرصة بالنسبة لجيويه هوى كي ينفس عن الكرب الذي يعتصر قلبه لموت مينغ فنج . فتناول قلمه وشرع يكتب دون ان ينس بينت شفة .

وسرعان ما انتهى من مقالته ، فقد كانت قصيرة الى حد ما . وقرأها للآخرين بصوت عال ، فقالوا بأنها ملائمة . واجرى تسون رن بعض التغييرات الطفيفة ، ثم اعلن بأن هذا النص سينشر في الصفحة الاولى من العدد الثامن . فلم يعلق الا احد الطلبة الكبار ، اذ قال محذرا :

— هذه ستثير ضجة كبيرة .

فقال هوى رو بابتهاج شديد :

— ليكن ذلك . فكلما كانت الضجة اكبر كان ذلك افضل .

وظهر العدد الثامن من مجلة «الفجر» صباح الاحد . وبعد الظهر قام جيويه هوى وجيويه مين بزيارتهما المعتادة الى مكتب جيويه شين . ولم يمكثا هناك وقتا طويلا ، اذ سرعان ما تسلل جيويه هوى الى مقر المجلة . ووجد هوى رو وتسون رن واثنين او ثلاثة آخرين قد سبقوه الى هناك . فسألهم عن كيفية مبيع العدد ، فقالوا انهم قد تحققوا من ذلك فى واحد او اثنين من اماكن بيع المجلة وانهم ابلغوا بأن المجلة كانت تنفذ بمجرد ظهورها فى الاكشاك .

وفجأة قال تسون رن لجيويه هوى :

— لم تدفع بعد رسم المجلة .

فتحسس جيويه هوى جيويه ، ثم قال معتذرا :

— لا بد ان ادفع ذلك غدا ، لم اجلب معى اليوم اية

نقود .

فقال تسون رن مبتسما :

— اذن ، غدا على ابعد تقدير !

وتدخل هوى رو قائلا ، وهو يقترب منهما وعلى وجهه

الشيطاني ابتسامة :

— انه شديد فى اعتصار النقود من الناس ، فقد كان

يلاحقنى ايضا . هذا الصباح لبست قبل ان اغادر البيت جلبابا

جديدا محشوا بالقطن . ورأت شقيقتي اننى مجنون للبسى ثوبا
ثقيلاً جدا فى مثل هذا الجو . فأصرت على انى اشعر بالبرد
وخرجت . . .

فضحك الجميع ، وضحك معهم هوى رو . ثم تابع
يقول :

– ثم كادت الشمس تحرقنى وانا فى هذا الجلباب . ومن
حسن الحظ ان المرهن ليس بعيدا عن بيتى . فتركت الجلباب
هناك . وخرجت اشعر بمزيد من الانتعاش والخفة ، ومعنى نقود
كذلك لدفع رسم المجلة !
فسأله جيويه هوى :

– وماذا ستقول لشقيقتك عندما تعود الى البيت ؟
– لقد رسمت كل شىء . سأقول انى شعرت بحر شديد
فتركت الجلباب فى بيت احد الاصدقاء . واذا لم تصدقنى ،
فلن يكون امامى الا ان اخبرها بالحقيقة . فربما تعطينى نقودا
حينذاك لأعود به من المرهن !
فقال جيويه هوى ضاحكا :

– اننى معجب بجسارتك . . .
وقبل ان ينهى كلامه دخل شرطيان . وتوجه كبيرهما ،
وكان ذا شارب ، بالسؤال التالى :

– هل لديكم نسخ اخرى من عدد المجلة الاخير ؟
فناوله تسون رن نسخة وقال :
– ثلاثة فئات لكل نسخة .

فقال الشرطى الاصغر :

– اننا لا نريد شراءها . بل لدينا امر بمصادرتها .
وتناول رزمتين من المجلات كانتا مكدستين على الارض .
وقال الشرطى الاكبر فى لهجة غير فظة :
– وانتم ايها الاولاد ، لا بد ان تأتوا معنا الى دائرة الامن .
فنظر الطلبة الى بعضهم بعضا مبغوتين . ومن ثم تقدموا
جميعا ، وكل منهم يصر على انه هو الذى سيذهب .

فقال الشرطى نفسه متضايقا بعض الشيء :

– هذا كثير جدا . لا نحتاج الى اكثر من اثنين .
واخيرا اختار هوى رو وجيويه هوى . فغادر كلاهما
الغرفة مع الشرطيين ، وظل الآخرون يجرجرون اقدامهم فى
الخلف . وعندما وصلوا رأس السلم ، غير الشرطى الكبير رأيه
فجأة وقال لجيويه هوى :

– انس هذا الموضوع . اننا لا نحتاج اليكما . يمكنكما
ان تعودا .

فسأله هوى رو فى حدة :

– ماذا يجرى على اية حال ؟ بأى حق تصادران مجلتنا ؟
كان الشرطى الصغير قد هبط السلم وبين يديه رزمتا
المجلات ، لذلك رد عليه الشرطى الكبير الذى يتبعه بلطف :
– معنا امر بذلك .

ثم هم بهبوط السلم ، ولكنه توقف فجأة ليقدم للطلبة
نصيحة ودية ، فقال :

— انتم صغار ، لا تفهمون كثيرا . من الافضل ان تئابروا على دراستكم . لا تصدروا اية مجلة وتزعجوا انفسكم بأشياء لا تهمكم .

ثم هبط السلم ببطء . ورجع الطالبان الى المكتب . وبدأ الطلبة نقاشا حادا لم يلتق فيه رأيان . وبينما هم يتناقشون جاء شرطى آخر ومعه رسالة من دائرة الأمن . وكانت رسالة مهذبة على نحو غير عادى ، ولكنها صارمة :

نظرا الى ان الطبيعة المهيجة لمجنتكم تخل بالنظام والأمن العامين ، فاننا نأسف لاضطرارنا الى مطالبتكم بالتوقف الفورى عن اصداها . . .

وهكذا فجأة وضع حد لحياة مجلة « الفجر » . وتبع ذلك صمت حزين . فقد جاء البلاغ للطلبة كصفعة قاسية . لقد قدموا لها الكثير ، باذلين قدراتهم الضئيلة فى محاولة لاطلاع الناس العاديين على بصيص من نور . وعملهم سويا قد انشأ فيما بينهم صداقة وبعث فى نفوسهم الاطمئنان والراحة . فهل هذا كله انتهى بعد شهرين قصيرين ليس غير ! ؟

فصاح هوى رو قائلا :

— عرفت الآن — انهم جميعا منافقون . والحاكم الجديد لا يختلف عن البقية !

ونهض تسون رن ، وقال فاركا شعره المقصوص فى نزق : — ان للقوات الرجعية القديمة جذورا راسخة . فلا فائدة من اى تفاؤل بالحاكم الجديد . وعشرة جنرالات مثله لن يحدثوا

ای تغییر !

فتابع هوی رو قائلان :

— هذا ما اقولہ تماما . کل حدیثہ عن رغبتہ فی القيام
بالاصلاحات زیف . والشیء ” الجدید ” الوحید الذی فعلہ
هو استخدامہ رجلین بصفۃ مستشارین ، کانا قد درسا فی الخارج ،
واتخاذہ بضع طالبات حظایا !

وقال تسون رن :

— ولکنہ فی السنۃ الماضیۃ ، قبل ان يتقلد منصبہ ، دعا
حشدا من ذوی الافکار التقدمیۃ فی شانغهای ونانجینگ للمجیء
والقاء الخطب .

فضحك هوی رو ساخرا وقال :

— أنسیت خطابه الذی ألقاه فی لقاء الترحیب بهم ؟ کان
سکرتیره قد کتب ذلك الخطاب بأكمله ، اما هو فقد استظهره
على نحو سبئی . بحيث جاءت المعانی مناقضۃ تماما للنص
المکتوب . ولقد وقع فی کثیر من امثال هذه الاخطاء الشنیعة .
وسکت تسون رن ، فلم یقل شیئا . اما هوی رو فان ثورانه
العاطفی قد اخفق فی حل هذه المشکلة الحاضرة ، وليس هذا
فحسب ، بل ان ثورانه لم یخفف عنه غضبه الذی بلغ به
کل مبلغ . لقد کان بوده ان یقول للعالم اکثر من هذا بكثير .
واخیرا اقترح قائلان :

— دعنا نغیر الاسم ونصدر مجلة اخرى بنفس المحتوى

تماما ! فکیف سیوقفوننا عند ذاک ؟

فقال جيويه هوى فجأة ، وكان صامتا حتى تلك اللحظة :
— انا مؤيد لهذا الرأي .

وقال تسرن رن رافعا رأسه من تأمل طويل :

— ولكن علينا ان نخطط لتحركاتنا بحذر .

وخاض هؤلاء الطلبة ثانية في نقاش طويل . ولكنهم توصلوا
هذه المرة الى قرار : سيعثون برسالة سيارة الى المشتركين في
مجلتهم الموقوفة ليلغوهوم بذلك . وفي الوقت نفسه سيعدون نشر
مجلتهم الجديدة . وسيحولون المكتب ايضا الى قاعة عامة
للمطالعة يمكن للطلبة ان يتبرعوا لها بجميع ما لديهم من كتب
ونشرات تقدمية . وسيكون بوسع كل الناس ان يأتوا ويقرأوا مجانا .
وهذا سيساعد في نشر الثقافة الجديدة .

ومع وضع خطة لبرنامج جديد نبذ كل منهم ما كان قد
اعتراه من كآبة وبدأ عمله بهمة ونشاط . يا للحماسة ما اروعها !
لقد مكنت الطلبة من التغلب على الصعوبات في وقت قصير جدا .
فمع حلول اليوم الثالث كانوا قد انشأوا قاعة المطالعة ، وبعد
ذلك بيومين انجز على نحو جيد العمل التحضيرى للمجلة
الجديدة واسمها « للجماهير » .

لم يكن عندهم دروس يوم الثلاثاء ، ذلك ان فترة الامتحان
قد بدأت . وبعد ان حضر جيويه هوى وجيويه مين حفل
افتتاح قاعة المطالعة الجديدة عادا الى البيت لتناول الغداء .
انها لسعادة لم يشعر جيويه هوى بمثلها من قبل . كما انه
لم يحس قبل ذلك بمتعة في الحديث والضحك والصدقة والحماسة

والاخلاص كهذه المتعة . كان في الحفل حوالى بضعة عشر طالبا ، وكانوا جميعا كأسرة واحدة . ليست روابط اللحم والدم هي التي تشدهم الى بعضهم بعضا ، بل نفس الاهداف النبيلة والافكار الجيدة .

ولقد قال جيويه هوى لجيويه مين خلال الحفل ، وهو في غاية الاثارة :

— ما اروع ان تظل الحياة على هذا النحو !

فهز الاخ الاكبر رأسه مهتاجا هو الآخر .

وتحدث الشقيقان في اشياء كثيرة خلال عودتهما الى البيت . كان قلب جيويه هوى ما يزال دافئا ومتوهجا . ولكن في اللحظة التي وطئت فيها قدمه قاعة الاسرة شعر بأنه غاص في هاوية باردة . فهنا يحيط به المجتمع القديم من كل جانب . ولا وجود هنا فعلا لأى واحد من الجيل الجديد ، لأى واحد يمكن ان يحدثه .

وتنهده قائلا : ” ما أشد هذه الوحشة ! يا لها من وحشة لا تطاق ! “ وازداد شعورا بالمرارة .

وكانت الوجوه على مائدة العشاء في تلك الليلة تحمل كذلك آثار المرارة . فزوجة ابيه كانت تشكو من النزاع القائم بين زوجة العم الرابع ، المدام وانغ وزوجة العم الخامس ، المدام شن . وفي زاوية ما في مؤخر البيت كانت المدام وانغ توبخ جاريتها تشيان ار . وكانت المدام شن والسيدة تشن في الفناء تشتم كل منهما الاخرى .

انتهى جيويه هوى من تناول طعامه بسرعة ، وألقى عودى
الاكل من يده ، وهرع خارجا كأن شيئا مخيفا يطارده .
وغادر جيويه مين غرفة الطعام فى نفس الوقت . ثم سأل
شقيقه الاصغر مهتما بالنظرة الغريبة التى بدت على وجهه :
- الى اين تذهب ؟

- اريد ان اتمشى قليلا . اننى اشعر بانزعاج .

فقال له جيويه مين ملاطفا :

- حسنا ، ولكن لا تتأخر ، فلديك امتحانات بعد غد .
ويجدر بك ان تقوم بشيء من المراجعة .

فهب جيويه هوى رأسه بالموافقة . ثم ذهب الى حديقة
كبيرة . ومع تغير البيئة من حوله استراحت نفسه بعض الشيء .
وراح ينقل خطوه ببطء تحت ضوء القمر .

كانت الجداجد تسقسق على نحو حزين . وكان شذا
العطر ينتشر وسط الليل كغلالة رقيقة تلف فى ثناياها المحيط
كله . وبدا كل شيء غامضا وضبابيا ، فكأنما كان يمشى
فى عالم من الاحلام .

وشيئا فشيئا هدأت نفس جيويه هوى . وراح يمشى مستمتعا
بالطبيعة سالكا نفس الطريق الذى مشى فيه مع شقيقه واقربائه
من الاولاد والبنات ليلة ذهبوا لركوب القارب فى البحيرة .

وعلى الجسر المقنطر توقف واتكأ على الدرابزون ، واخذ
يحدق الى ظله القاتم فى المياه من تحته . وعكست البحيرة
سما زرقاء عميقة ، يرتعش فيها القمر نصفا . وفجأة ظهر فى

الماء وجه جميل ، وجه طالما هام به . فاستدار جيويه هوى
فارا .

وبعبوره مرجة عند شاطئ البحيرة فوجئ بقارب مربوط
الى جذع صفصافة . وهذا ايضا اعاد اليه الذكريات ، فانكفأ
من فوره وعبر الجسر ثانية ، راجعا الى الشاطئ المقابل .
وتبع الممر المحاذى لبستان الصنوبر بجانب البحيرة
الى ان وصل مقصورة ” ملجأ جانب البحيرة “ . وما كاد
يدخل ليستريح قليلا حتى لاحظ فجأة توهج لهب منبعثا من
خلف التلة الاصطناعية . فكاد يصيح من الدهشة . ثم توقف
عند شجرة المغنولية يراقب . كان هناك توهج ثابت ، ولكن
حجمه لم يكبر ابدا . فاستجمع شجاعته وتقدم برفق لاستقصاء
الامر .

لم يجد شيئا حول التلة الاصطناعية . فالتوهج كان منبعثا
من خلف تلة اخرى من صنع الانسان ، مقابل التلة الاولى
على نحو مائل . فتقدم ثانية . وخلف التلة الثانية رأى فتاة جاثية
على الارض ، تحرق اوراق نقود القربان ذات اللون الذهبى
والفضى . فسأل بصوت عال :

— ماذا تفعلين هنا ؟

فنهضت الفتاة الطويلة مذعورة . وعندما عرفت انه جيويه
هوى حيثه باحترام قائلة :

— آه ، السيد الثالث !

انها تشيان ار ، الجارية لدى الاسرة الرابعة ، فقال جيويه

هوى :

— هذا انت اذن ، لقد كدت تميتينى ذعرا ! لماذا تحرقين نقود القربان هنا ؟

— ارجوك ألا تخبر بذلك احدا ، ايها السيد الثالث . فمن المؤكد ان سيدتى ستوبخنى اذا هى عرفت .

— ولكن لماذا تفعلين ذلك ؟

فخفضت تشيان ار رأسها وقالت ، موشكة على البكاء :
— اليوم هو اليوم السابع بعد موت مينغ فنغ . . . لقد ماتت ميتة يرئى لها . فرأيت ان ارسل لها قليلا من النقود لكي لا تبرد او تجوع فى العالم الآخر . . .

فقال جيويه هوى :

— تابعى . لن اخبر احدا .

ثم ضغط صدره بيده ، شاعرا بألم يعتصر قلبه . واخذ يراقب تشيان ار وهى تحرق ” النقود “ ، ووجهه خلو من اى تعبير . فلم تستطع تخمين ما كان يجول فى داخله .

ثم سألها :

— لماذا تحرقين كومتين ؟

— هذه الثانية عن روح وان ار .

— وان ار ؟ ولكنها ليست ميتة !

— هى طلبت منى ذلك . فلدى ركوبها فى محفة الزفاف قالت لى : ” عاجلا او آجلا سأموت انا ايضا . وحتى لو عشت فان حياتى ستكون اسوأ من مماتى . اعتبرينى ميتة . وعندما تحرقين

نقودا لمينغ فنع احرقى بعض النقود لى ايضا . “ وهذا ما أفعله الآن .

بعد ان سمع جيويه هوى صوت تشيان ار المأساوى وتذكر الحادثتين التعستين ، هل ظل بوسعه ان يضحك من شعائرها الخرافية ؟ طبعا لا . وبذل جهده لكبح عواطفه . واخيرا قال :
- احرقها . انك تفعلين الصواب !

ثم ابتعد مترنحا دون ان يجرؤ على الالتفات مرة اخرى . وتمتم فى سيره قائلا :

- لماذا يكون فى العالم كل هذا الشقاء ؟

وخرج من الحديقة ، وهو يدلك قلبه الذى اخذ يؤلمه . وعندما مر بشقة جيويه شين ، ورأى الاضواء مشتعلة عبر النوافذ ، وسمع الاصوات البشرية الدافئة ، احس كأنه عاد من عالم آخر . وتذكر ما قاله المعلم الفرنسى فى ذلك اليوم : ” فى فرنسا لا يعرف الشباب الذين فى جيلكم معنى المأساة . “

ولكن جيويه هوى شاب من الصين ، وقد ناءت به المأساة .

كان الوقت وقت عطلة الصيف . وقد اتيح لجيويه مين كثير من الفرص للقاء تشين . كما وجد جيويه هوى متسعا

كثيرا من الوقت يقضيه مع اصدقائه الشباب ، يتحدثون ويعملون سويا . وبجهودهم المتجددة استطاع هؤلاء الطلبة اصدار المجلة الجديدة ، وكسبوا قراء جددا . وجرى كل ذلك على ما يرام .

وفي ذلك الصيف احتفل بحدث كبير في مربع اسرة قاو السكنى - عيد ميلاد السيد المبجل قاو السادس والستين . وبدأت الاستعدادات في وقت مبكر . فقد تعين ان تكون مناسبة مهرجانية . ووفقا لاقتراح كه دينغ وبموافقة العجوز رصد كه مينغ الذى يتولى امر الحسابات مبلغا كبيرا من اموال الاسرة لهذا الاحتفال . وقد قال كه دينغ : ” اننا نجمع مبلغا ضخما من الاجرة كل سنة ، ومعنا من النقود ما لا نعرف كيف ننفقه . فماذا علينا لو انفقنا المزيد ! “

وطبعا ليست هناك اسرة غنية تدع مثل هذه الفرصة الجيدة تفوتها دون ان تظهر فيها غناها .

كان يوم المهرجان يقترب بسرعة . لذلك اخذت الهدايا تندفق كأنها مد . وكان لا بد من انشاء مكتب خاص لقبول هذه الهدايا وارسال الدعوات . وكثير من الناس شغلوا ليلا ونهارا . واخذ جيويه شين من مكتبه اجازة لمدة اسبوع كى يساعد في الاعداد للمهرجان . واضيفت كثير من المصاييح الكهربائية في المربع السكنى . كما زينت حدائقه بالاضواء والرايات ، وشيد امام القاعة الرئيسية مسرح ، واستؤجر خيرة الممثلين في المدينة لأداء عروض اوبرا مدة ثلاثة ايام . كما اختار كه

دينغ المسرحيات التي ستقدم ، وكان خبيراً في هذه القضايا .
وشغل الجميع ما عدا جيويه مين وجيويه هوى اللذين
كانا يمشيان معظم وقتهما خارج البيت . ولم يتواجدا في البيت
الا في الايام الثلاثة للاحتفال الرسمي ، حيث لم يبق امامهما
خيار آخر .

لقد زودتهما تلك الايام الثلاثة بخبرة جديدة . ومع انهما
كرها منزل اسرتها حتى في الايام العادية ، الا انهما تعوداه .
ولكنه تبدل خلال الاحتفال تبدا جعلهما ينكرانه . لقد اصبح
مسرحا ، سوقا - مزدحما بالناس ، مملوا بالضجيج ، غاصا
بالوجوه التي علتها ابتسامات غير طبيعية . حتى غرفتهما قدمت
لبعض الضيوف الذين لا تجمعهم بهما الا معرفة ضئيلة . هنا
مجموعة من الموسيقيين العميان العازفين على القانون الصيني
ينشدون « تحيات عيد الميلاد » ، وهناك مجموعة اخرى تغني
اغنية بذئثة يرافقها اثنان يعزفان على الربابة الصينية . هذا الى
جانب مجموعة ثالثة كانت تؤدي عرضها من خلف ستار .
وكانت النبرات الخيثة في اصوات الذكور والاناث مثيرة للشهوة
اثارة كبيرة ؛ لذلك لم يسمح للشباب بالاستماع .

بدأت عروض الاوبرات بعد ظهر اليوم الاول . وكانت
جميع هذه العروض ، باستثناء بضع مسرحيات خاصة بعيد
الميلاد ، قطعاً مسرحية تتطلب فنا تمثيلاً بارعاً ، ولم تكن
هذه القطع مدرجة في البرنامج اصلاً . بل قدمت بناء على طلب
خاص تقدم به عدد من الضيوف المحترمين . وكان كل جزء

من هذه القطع يؤدي تحمر له خجلا وجنات النساء والشباب المستمعين ، ويتسم له الرجال الكبار ، ويتقدم خادم على المسرح ويقرا بصوته الجهير من قطعة ورق حمراء مهرجانية : ” السيد المحترم فلان الفلاني يهدى ممثل كذا وكذا مبلغ كذا من النقود ! “ وذلك الممثل المحظوظ (وهو دائما من الذين يؤدون دور الاناث) سيعمد فورا الى المبالغة في شكر مانحه ، على حين يتسم ذلك السيد المحسن ابتسامة رضى وغرور .

ولكن حتى هذا لم يرض الضيوف المحترمين . فعندما كانت تنتهي الاوبرا كان على الممثلين الذين كوفتوا ان يشربوا معهم الخمر على موائدهم ، وهم في ما كياجاتهم وثيابهم النسائية التمثيلية . فيداعب السادة المحترمون هؤلاء الممثلين ويملاؤنهم بالخمر ، ويتصرفون هكذا بكل وقاحة ، مما يجعل الضيوف الصغار يصدمون والخدم فيما بينهم يتهامون .

والسيد المبجل قاو ، الضوء المشع في كل هذه المهرجانات ، قد جلس في المقدمة ، وراح ينظر الى ما يجرى حوله نظرات راضية ويتسم . ثم ما لبث ان استدار بعينه الى المسرح حيث مثله المفضل الذي يؤدي دور انثى قد دخل .

ودار كه مينغ واثنان آخران من ابناء السيد المبجل قاو بين الضيوف ، مهتمين بتلبية طلباتهم اهتماما مبالغا فيه ، بينما راح جيويه شين يجرجر خطاه في اعقابهم .

اما بالنسبة لجيويه مين وجيويه هوى فقد كان ذلك كله

باعثا على الاشمزاز . لقد شعرا بأنهما غريبان في هذه الاسرة
وفي هذا المحيط . وهؤلاء السكIRON المعربدون بدوا لهما كصنف
غريب من البشر . بضعة وجوه بدت لهما على البعد مألوفة ،
ولكن لدى تدقيقهما النظر فيها اخذا يتساءلان ان كانا قد شاهداها
من قبل ام لا . وشعرا بأنهما خارج هذا الجو تماما . الا انه
لم يسمح لهما بالمغادرة لأن من المفروض ان يكونا مضيفين .
كالممثلين الثانويين في اوبرا أوقفا عند طاولة عليها قليل من
الضيوف ، حيث كان ينتظر منهما ان يبتسما ويأكلا بوصفهما
آلتين اكثر مما هما بشران .

امضى جيويه هوى اليوم الاول ، وفي الليل رأى احلاما
مزعجة . وكان اليوم الثاني ثقيلًا جدا . وقد ظل خارج البيت
طيلة الفترة الصباحية ، ما بين الفطور والغداء . وفي البداية ضحك
منه اصداقاه الشباب الذين زارهم ، ولكنهم ما لبثوا ان واسوه .
واخيرا استجمع قدرا كافيا من الشجاعة ليعود الى البيت ويتلقى
اهانات جديدة (الكلام لجيويه هوى) . ولكنه في اليوم الثالث
لم يتمكن من الهرب .

وجاءت مى مع امها السيدة تسيان ، ولكنها عادت مبكرا
لأنها مريضة . كانت تزداد هزالا يوما بعد يوم . ومع ان ضعفها
لم يكن قد وصل اقصاه بعد ، الا ان ذوى المشاعر الرقيقة
من الناس تأثروا لمرآها تأثرا شديدا ، لأنهم ادركوا ان ذلك
علامة تشير الى ان هذا النجم الصبوح سرعان ما سيأفل .
وكان في اسرة قاو قلة من الناس ذوى المشاعر الرقيقة ،

ولكن جيويه شين كان بالتأكيد واحدا منهم . وربما كان اكثرهم اهتماما بـمى . ولكن كثيرا من الحواجز غير المريثة كانت تفصل بينهما - على الاقل هو من جانبه اعتقد ذلك - ولذا لم يكن في وسعهما الا التحديق الى بعضهما بعضا والتحدث على البعد دون كلام . وتجنبنا كل فرصة للمناجاة ظنا منهما انهما يخفغان بذلك من حدة الالم . الا ان النتيجة كانت عكسية تماما . فجيويه شين استمر في هزاله وحالة مى الصحية ازدادت سرعا ، اذ بدأت تسعل دما .

كانت مدام تشو مولعة بـمى ، ولكن لعدم معرفتها بما كان ينطوى عليه قلب مى ، لم تجد سبيلا للتخفيف عنها . والواقع انه لم يكن هناك احد يستطيع التخفيف عنها - حتى روى جيويه التى اصبحت مؤخرا قريبة منها كثيرا وازدادت معرفتها لها .

وتشين ايضا جاءت الى الحفل ، وعادت كذلك معتذرة بالمرض ، ولكن عذرها كان مختلفا . وفي اليوم التالى ارسلت الى جيويه مين مذكرة سرية تدعوه فيها الى زيارتها .

فاختلس جيويه مين اول فرصة سانحة ، ودار بينه وبين تشين حديث طويل . وفي طريق عودته الى البيت كان سعيدا جدا . وقد لقيه جيويه شين عند مدخل القاعة الرئيسية ، فدهش جيويه مين لسؤاله :

- كنت فى زيارة لتشين ، أليس كذلك ؟
وما كان منه الا ان هز رأسه موافقا فى صمت .

وتابع جيويه شين يقول بصوت منخفض ، وعلى وجهه ابتسامة ساخرة :

– لقد رأيت خادمها يسرب لك مذكرة ، فمرضها لم يكن حقيقيا . اننى اعرف كل شيء عنكما .

فلم يقل جيويه مين شيئا ، بل ابتسم ايضا ، انما ابتسامة رضى .

ورأى جيويه شين عمه كه مينغ يقترب ، فتبادل معه بضع كلمات . وعندما مضى عمه التفت الى جيويه مين ثانية وقال برقة :

– انك سعيد . انك تستطيع ان تفعل ما تريد . اننى ارغب فى زيارة شخص مريض ايضا ، ولكن ليس لدى حتى هذه الحرية . ان مرضها شديد جدا . واعرف انها تحتاج الى . . . وتغضن وجهه بتعبير غريب ، ربما كان ابتسامة او تكشيرة ألم .

فتأثر جيويه مين الى حد لم يعرف معه ماذا يقول . واخيرا قال :

– لماذا لا تنسى مى ؟ انك تعذب نفسك ليس الا . ثم ماذا عن روى جيويه ؟ انك تحبها ايضا ، أليس كذلك ؟ جف الدم فى وجه جيويه شين . ووقف ينظر الى شقيقه فى صمت قاتل ، وفجأة قال غاضبا :

– اذن انت ايضا تريدنى ان اتخلى عنها ؟ انك كالأخرين تماما ! ما يزال فى وسعك ان تتكلم على هذا النحو فى وقت

كهذا ! ...

ثم انتزع نفسه وانصرف مسرعا .

وادرك جيويه مين انه لم يعط جيويه شين الجواب الذى كان يبحث عنه . ولكن اى جواب آخر يمكنه تقديمه ؟ فجيويه شين قال شيئا ، وفعل شيئا آخر . وجيويه مين لم يستطع فهم التناقض بين اقوال اخيه الكبير وافعاله . وفى هذه المسألة كانت الاسرة بكاملها لغزا محيرا بالنسبة له .

وجال بصره بالمرح حيث كان مهرج قصير وحسنا فارة الطول منهمكين فى الغزل . وانفجر الضيوف يقهقهون عند بعض التلميحات الفاحشة - الضيوف المحترمون ، وغير المحترمين كثيرا ، وغير المحترمين نهائيا . فضحك جيويه مين فى استهزاء .

ونسى موضوع جيويه شين . وراح يتمشى ببطء جيئة وذهابا ، وذهنه غاص بشؤونه الخاصة . ولأول مرة يبدو مستقبلا مشرقا .

وطبعا لهذا كله علاقته بتشين . كان متفائلا جدا ، فقد منحته الشجاعة والثقة . فلم تكتف بأنها وثقت به - فقد بينت له بوضوح انها لن تخيب امله ابدا . وكان كل شيء يجرى على ما يرام .

فى البداية كانا يتحدثان فى اشياء عامة كلما انتهيا من الدراسة اليومية المشتركة للانكليزية . وبالتدريج اصبح حديثهما اكثر خصوصية ، الى ان فهم كل منهما الآخر فهما تماما ،

الى ان اصبحا قريبين الى بعضهما بعضا قريبا شعرا معه بعدم قدرتهما على الانفصال . وتحدثا عن الحب في حذر ، عن مسائل الحب لدى اقربائهما واصدقائهما ، عن حب مي وجيوه شين . ولم يعرج بهما الحديث ليتناول عاطفتهما بالذات الا بعد وقت طويل . وتذكر جيوه مين كيف احمر وجه تشين خجلا وكيف راحت تداعب صفحات كتاب في يدها ، محاولة الظهور بالهدوء ، وهي تخبره بشدة احتياجها اليه . قالت انها قد قررت ان تسلك الطريق الجديد ، ولكن هناك عقبات كثيرة امامها ، ولذلك فهي بحاجة الى شخص مثله ، شخص يستطيع ان يفهمها ويساعدها .

وعرف هو وتشين ما كان ينطوي عليه قلب كل منهما . وكل ما كان ينقصهما هو المكاشفة الصريحة . وعندما ارسلت اليه اليوم احس بأن فرصته قد حانت ، وابلغها بما لم يكن يجرؤ قط على ابلاغها به من قبل ، معلنا على نحو بطولي انه راغب في التوضيح بكل شيء من اجلها .

ومن ثم اجابت هي . والواقع انه ما كان على كل منهما الا ان يتحدث جزءا يسيرا من حديثه ، فيفهم الآخر بقية الحديث . ووثقا ببعضهما بعضا ، ووثقا بمستقبلهما . وازاح اللقاء الاخير ما بينهما من ستار ، فأصبحت علاقتهما واضحة .

لقد حدث هذا الشيء الرائع اليوم ، وبالضبط قبل دقيقة ! كانت احلامه بصدد المستقبل في غاية التفاؤل ، وقد بلغت بالطبع حد الافراط . فعمى لذلك عن رؤية اية صعوبة

من الصعوبات امامه . ومرة ثانية راح ينظر من الدرجة الحجرية التي يقف عليها خارج القاعة الرئيسية الى الممثلين الغنجلين على خشبة المسرح . وكان المهرج القصير والحسناء الفارعة الطول قد حل محلها الآن بطل وسيم وعذراء انيقة . ومرة ثانية عاد المشاهدون الى الانفجار بالضحك عند كل نكتة بذئثة . فابتسم جيويه مين ابتسامة ازدراء مرة اخرى . ان مثل هؤلاء الناس لم يستطيعوا استيقافه .

ونأى ببصره بعيدا ، متخيلا حياة مثالية . ثم ما لبث ان تنبه من تخيله على يد مألوفة تربت على كتفه . فاستدار جيويه مين ليجد شقيقه الاصغر جيويه هوى واقفا خلفه مبتسما . فقال جيويه مين :

— اذن انت ايضا لم تستطع معهم صبرا .

فأجاب جيويه هوى ضاحكا ضحكة رضى :

— طبعا . وانت . . . وجدت فرصة اخرى للانسلال

خارجا !

وحزر من ملامح وجه جيويه مين ما كان يدور في ذهنه .

فاحمر وجه جيويه مين قليلا . ثم هز رأسه بالموافقة ،

وقال :

— لقد رتب كل شيء بينى وبين تشين . وخطونا خطوتنا

الاولى . والمشكلة الآن هي الخطوة التالية .

وحدقت عيناه الكليلتان الى جيويه هوى بسعادة من خلف

نظارتة الذهبية الاطار .

وارتسمت ابتسامة خاطفة على وجه جيويه هوى . فمع انه اخبر جيويه مين انه لا يفكر في تشين الا بوصفها اختا ، ومع انه قد احب فتاة اخرى ماتت من اجله ، ومع انه توخى ان يتمكن جيويه مين ذات يوم من الزواج بتشين ، الا انه عندما سمع انها قد اصبحت الآن لشخص آخر ، لم يتمالك نفسه عن الاحساس بطعنة الغيرة - ذلك انه كان يحبها في سره . ولكنه سرعان ما وبخ نفسه على اضماره عاطفة كهذه تجاه فتاة هي موضع اهتمام اخيه . ثم قال لأخيه :

- كن حذرا ، لا تسلم بكل شيء .

وعلى الرغم من وجود مسوغات لكلمات جيويه هوى ، الا ان شيئا من الغيرة كان مايزال كامنا خلفها .

فقال جيويه مين دون ادنى شعور بشروط الهمة :

- كل شيء على ما يرام . انت عادة جرىء جدا . فما الذى جعلك فجأة حذرا كل هذا الحذر ؟

وطبعا لم تكن لدى جيويه مين فكرة عما يجول في ذهن اخيه . وقد شعر جيويه هوى بالخجل مباشرة ، فقال ضاحكا :

- انك مصيب تماما . ارجو لك حظا سعيدا .

ومن المسرح تعالى دوى الصنوج والطبول صاكا الآذان ، فيما راح محاربون عراة من نصفهم الاعلى يتشقلبون في مشهد من مشاهد المعركة . وتبع ذلك قتال بين ثلاثة ابطال مصبوغى الوجوه . واستطاع جيويه هوى رؤية جده جالسا في المقدمة يتحدث مع عجوز ذى لحية بيضاء الى جانبه . وقد اثار سخط

جيويه هوى رؤية وجه ذلك الضيف المتغضن الانمش ورؤية
انفه الشبيه بأصبع السجق . فقال وهو يضغط على اسنانه مطبقا
قبضتيه :

— اذن لديه من الوقاحة ما مكنه من المجيء !

فسأله جيويه مين فى دهشة :

— من ؟

فقال جيويه هوى مشيرا اليه :

— ذلك المجرم — العجوز فنغ !

فقال جيويه مين بقلق :

— لا ترفع صوتك هكذا ! الناس سيسمعوننا !

فقال جيويه هوى ضاحكا فى برود :

— وماذا لو سمعونا ؟ انا اريدهم ان يسمعوا ! ألا تعجبك

الجرأة ؟

وبينما كان جيويه مين يحاول يائسا ايجاد طريقة لتهدئته ،
جذب انتباه جيويه هوى صوت مفاجئ ، فقد وصلت شقيقتهما
الصغيرة شو هوا وابنة عمها شو تشن لاهشتين ، تحملان بعض
الاخبار .

وقالت شو تشن شادة كم جيويه مين :

— حظبة العجوز فنغ الجديدة هنا ، هيا بنا نراها !

فأجاب جيويه مين فى دهشة :

— ولكننى لا اعرفها . فكيف اتحدث معها ؟

وسأل جيويه هوى :

– هل تعنين وان ار ؟

وفجأة ادرك ، فسأل كأنه يستفسر عن شخص عاد لثوبه
من القبر :

– اين هي ؟

فقالت شو هوا مبتسمة ابتسامة مكتنفة بالاسرار :

– في غرفتي . لا احد غيرها هناك . هل تريد ان تذهب ؟
فقال جيوبه هوى :

– نعم .

ثم انطلق مع الفتاتين . وتخلف جيوبه مين .

ووجدوا وان ار وحيدة – وحيدة الا من روى جيوبه وشو
ينغ وبضع جوار اخريات . كانت تلبس ثيابا جميلة ، ولكن
وجهها كان هزيلا الى حد يرثى له . وكانت تخبر من حولها
بشيء ما ، وروى جيوبه وشو ينغ تبكيان . وحالما رأت جيوبه
هوى يدخل انتصبت واقفة وحيته محاولة التبسم :

– السيد الثالث قد جاء .

فقال ، وهو يهز رأسه مبتسما :

– لماذا تقفين ؟ انك لم تعودى خادمتنا . انك حظية

اسرة فنع .

ومع ان حديثه كان مداعبة ، الا انه احس بالتعس .

فوان ار تعانى من المصير الذى ماتت مينغ فنع هربا منه .

خفضت وان ار رأسها فى صمت . وقالت روى جيوبه

من على حافة السرير ، مؤنبة اياه بلطف :

— انظر ماذا فعلوا بها ايها الاخ الثالث . كيف يطاوعك قلبك على الضحك .

تذكر جيويه هوى ما قالته له تشيان ار في الحديقة عندما وجدها تحرق نقودا مقدسة . فشعر بالاسف الشديد لوضعها وقال ، وهو يود ان يفعل شيئا لارضائها :

— اننى آسف . لم اقصد شيئا .

وقال لروى جيويه :

— انك شديدة فى تأنيبى . لماذا لا تخرجن بها لرؤية بعض الاوبرات بدلا من جلوسكن حولها باكيات لدى اول مرة تعود فيها ؟

فقالت روى جيويه متظاهرة بالغضب :

— من يستطيع مجاراتك فى سلاطة لسانك ؟

فضحكت شو هوا وشو تشن ، وقاطعتها شو ينغ قائلة :

— اذا كنت لا تستطيعين مجاراته ، فدعيني احاول !

ثم لاحظت ان وان ار ما تزال واقفة فحنتها على الجلوس قائلة :

— ارجوك ، اجلسى . لا داعى لأن تكمنى مؤدبة معه

الى هذا الحد .

وعندها كان جيويه هوى قد جلس على مقعد صغير ،

فاستأنفت وان ار جلوسها فى هدوء . واستدارت شو ينغ نحو

جيويه هوى وقالت :

— تلك الاوبرات لا تصلح للمشاهدة . وعلى ضيوفنا ان

يخجلوا من انفسهم — انهم لم يختاروا الا المسرحيات القذرة .

لدى وان ار فرصة ضئيلة جدا لزيارتنا . وقد رغبت في التحدث مع تسيان ار وغيرها من خاصة صديقاتها ، لذلك رتبنا لهن لقاء في هذه الغرفة . والآن ما ان بدأن الحديث حتى اقتحمت عليهن المكان . من طلب منك ان تأتي وتؤدي دور السيد الصغير ؟

فقال جيويه هوى مبتسما :

– افهم انكن ترغبن في خروجي .

ولكنه لم يأت بحركة للخروج . وتدخلت شو هوا قائلة :

– لا داعي لأن تشعر بالغرور ايها الاخ الثالث . لقد

انتقوا عروسا للاخ الثاني ، وبعد ذلك دورك .

فسأل جيويه هوى في ارتياب :

– ماذا ؟ من انتقى له عروسا ؟

فقال شو هوا :

– السيد المبجل فنغ . سمعت انها حفيدة شقيقه . ويقولون

ان لها طبعاً حاداً وانها تماثل اخي الثاني سنا .

فقال جيويه هوى ناهضاً :

– يا للعجوز ابن الزنى ! سأذهب لأبلغ الاخ الثاني !

والقى نظرة اخيرة على وان ار كأنه يودعها الى الابد ، وهرع

خارجاً من الغرفة .

ولدى مروره بالقاعة الرئيسية رأى شيئاً زاد الكآبة في نفسه .

اذ كان جيويه مين يقف هناك امام جده والعجوز فنغ . وكان

السيد المبجل فنغ يسأله مبتسماً وجيويه مين يجيبه باحترام .

فقال جيويه هوى مخاطبا نفسه ، وقد استشاط غضبا :
” كيف يمكنك ان تكون مؤدبا مع ذلك العجوز المجرم ؟
الا تعرف انه عدوك ؟ وانه سيفصلك عن تشين ويفصل تشين
عنك ! “



واخيرا سمع جيويه مين الانباء ، ليس من جيويه هوى
فحسب بل من اخيه الكبير ايضا . وعندما أبلغه جيويه شين
بأوامر الجد سأله ايضا عن مشاعره ازاء الموضوع . وهذا
السؤال ليس من فكرة العجوز - فالعجوز اصدر اوامره ، وهذه
الاورامر بالطبع ستنفذ . وجيويه شين رأى ذلك ايضا ، علما
انه لم يوافق على قرار جده هذا .

وهزت هذه الصفة جيويه مين ، ولكنه لم يخف . فقد
جاء جوابه بسيطا :

— انا سأقرر ممن سأتزوج . اما الآن فما ازال صغيرا
جدا . لا بد ان انهي دراستى اولا . لا اريد ان اتزوج الآن .
وظل لديه المزيد من القول ، ولكنه احتفظ به لنفسه .
فقال جيويه شين فى ارتياب :

— اننى لا استطيع ان اخبر الجد بأنك تريد ان تقرر
امرك بنفسك . ومن الافضل التأكيد على مسألة الصغر . ولكننى
اخشى ان ذلك لن يقنعه ايضا . فتسع عشرة سنة لا تعتبر فى
اسرتنا منا صغيرة على الزواج .

وكان من الصعب تحديد اي طرف يؤيده جيويه شين :
فقال جيويه مين غاضبا :

— بناء على كلامك ليس هناك امل اذن !

فقال جيويه شين على الفور :

— لم اقصد ذلك .

ولكنه عجز بعدها عن ايجاد جملة اخرى .

فحدق اليه جيويه مين بثبات ، كأنما يحاول ان يقرأ ما

في ذهنه ، وقال :

— ألا تذكر ما قلته لي بعد ظهر هذا اليوم ؟ هل تريدني

ان اكرر مأساتك من جديد ؟

— ولكن الجد . . .

ووافق جيويه شين شقيقه موافقة تامة ، ومع ذلك شعر

بأن اوامر جده لا بد ان تطاع .

فرد جيويه مين بحدّة :

— لا تكلمني عن الجد . سأشق طريقى بنفسى .

ثم استدار ، ومضى الى غرفته .

وظل جيويه مين وجيويه هوى يناقشان المشكلة حتى

وقت متأخر من الليل . واخيرا اتفقا على خطة للعمل : ان يقاوم .

واذا اخفق في ذلك ، فعليه ان يهرب . المهم الا يستسلم ابدا .

وشجعه جيويه هوى ، اولا لتعاطفه معه ، وثانيا لأنه اراده

ان يكون السابق ، وان يرود غيره من الشباب الذين هم في

نفس وضعيته في تجربة جديدة .

وعلى الفور كتب جيويه مين مذكرة الى تشين ، وهو في اوج حماسته ، وأخفاها بين صفحات احد الكتب ، عازما على ارسالها في اليوم الثاني . وقد جاء فيها :

تشين :

ليس مهما كل ما يمكن ان تكوني قد سمعته ، ارجوك ألا تصدقي كلمة واحدة منه . الناس يريدون ان يعقدوا زواجا لي ، الا انني قد منحتك قلبي ولن اراجع في عهدي ابدا . ارجوك ان تثقي بي . سترين كيف سأخوض المعركة بكل شجاعة ، كيف سأقاتل وافوز بك .

جيويه مين

وقرأ جيويه مين المذكرة مرتين ، وقال في نفسه : هذه تذكارة هام في سجل جننا . ثم عرضها على جيويه هوى ، وسأله في زهو :

— ما رأيك بها ؟

فأجاب جيويه هوى بتهكم :

— رائعة . فرسان من العصور الوسطى قلبا وقالبا !

وقال في نفسه ساخرا : سنرى قريبا كيف ” ستخوض المعركة ” بكل شجاعة !

والآن ، وقد انتهى الاحتفال بعيد ميلاد السيد المبجل قاو ، ارسل العجوز فنج الوسيط ليقتراح رسميا تزويج حفيدة شقيقه الى جيويه مين . والسيد المبجل كان بالطبع مؤيدا لهذا

الزواج تأييدا تاما . ومدام تشو لم تكن اكثر من كتنه وزوجة اب بالنسبة لجيويه مين ، ليست امه ، فلم تر من الملائم ان تعبر عن رأيها . وجيويه شين شعر بأن هذا الزواج سيكون خطأ فادحا يدمر حياة شاين آخرين ، ولكنه لم يملك الشجاعة التي تمكنه من معارضة جده . وكل ما استطاعه انه راح يدعو ان تحدث معجزة ما تحول دون تحقيق هذا الزواج .

وتم تدبير الزيجة سرا دون معرفة جيويه مين ، فأمر كهذه دائما ما تتم سرا ، والاشخاص المعينون ليسوا الا دمي . واولئك الذين كانوا دمي في شبابهم يصنعون اليوم دمي من الآخرين . هذا ما كان يحدث في الماضي ، وهذا ما سيظل يحدث دائما - او هكذا اناس مثل السيد المبجل قاو يرون . ولكنهم اخطأوا في قضية جيويه مين . فهو ليس النموذج الذي يستسلم لأن يكون دمية .

وعلى نحو مخالف للجيل القديم اتخذ جيويه مين تدابير نشيطة بخصوص زواجه . فدون ادنى خجل قام باستجابات عن الزواج المقترح . واصبح جيويه هوى رائده . وشكل كلاهما مع تشين لجنة ثلاثية . وراحوا يناقشون التكتيكات اللازمة لاعاقه الزواج من حفيدة شقيق العجوز فنغ ولاعلان العلاقة بين جيويه مين وتشين .

ومع فتح مسرح المعركة وضع جيويه مين موقفه لأخيه الكبير . فأجاب الاخير بأن الامر لا يرجع اليه . فطلب جيويه مين من زوجة ابيه ان تلغي هذا الزواج ، فقالت ان القرار

متروك لجده . ولكن جيويه مين لم يستطع الاقتراب من العجوز مباشرة ، ولم يستطع ان يجد شخصا ذا تأثير ليساعده . فالسيد المبجل قاو هو الذى يطلق فى هذه الاسرة الحكم النهائى .

وبعد بضعة ايام طلبت والدة تشين من جيويه مين ان يتوقف عن زيارته لأسرتها . فالسيدة تشانغ هى ابنة العجوز . ومع انها متعاطفة مع جيويه مين ، الا انها بوصفها فردا من اسرة قاو لم تستطع ولن تحاول مساعدته . فقد انتشرت اشاعة بين افراد اسرة قاو تقول بأن جيويه مين مدعوم فى تصرفاته من عمته السيدة تشانغ لأنها ترغب فى ان تزوجه ابنتها . وهذا ما جعل تشين تتميز غيظا . وتبكى لدى سماعها ذلك .

وبعد ان انتهت الجولة الاولى بالاخفاق التام بدأ جيويه مين المرحلة الثانية من تكتيكاته . فنشر قصة مفادها انه ما لم تحترم الاسرة رغباته فانه سيتخذ اجراءات عنيفة . ولما لم يسمح ابدا لهذا التهديد بالوصول الى مسامع العجوز ، فانه لم يأت بأية نتيجة كذلك .

وحينذاك علم جيويه مين انه سيتم التبادل بين خريطة برجه وخريطة برج عروسه ، وبعد ذلك سيحدد موعد الخطبة . لقد سمع هذه الاخبار بعد اسبوعين فقط من الاحتفال بعيد ميلاد السيد المبجل قاو .

وعندها فقط قدم جيويه مين للعجوز بعض التلميحات عن مشاعر جيويه مين ، ولكنها لم تعد بأية فائدة ، فقد رد العجوز غاضبا :

– كيف يجرؤ على عدم الموافقة ؟ ما اقوله يعتبر نهائيا !
وظل جيويه مين يذرع الحديقة ساعات في ذلك اليوم .
لقد اهتر تصميمه قليلا . ذلك انه اذا حدث وقرر الهروب
من البيت ، فلن تكون بعد ذلك عودة . وان يكسب معيشته
بنفسه فتلك مشكلة كبيرة . انه مرتاح في البيت ارتياحا شديدا
ومزود بالغذاء والكساء تزويدا جيدا . ولكن في الخارج كيف
سيعيش ؟ انه لم يقم بأية استعدادات لخطوة كهذه . والمشكلة
بعد ذلك متروكة له ، وعليه ان يتخذ قراره فورا .
وذهب ينشد جيويه شين . وما ان رآه حتى طرق معه الموضوع
مباشرة ، فقال :

– هل هناك اى امل في تغيير رأى الجد ؟

فأجاب جيويه شين بلهجة حزينة :

– اخشى انه لا امل هناك .

فسأله جيويه مين في خيبة امل :

– هل حاولت حقا التفكير في كل طريقة ممكنة ؟

– لقد حاولت فعلا !

– ماذا على ان افعل ؟

فقال جيويه شين بصوت حزين ، وهو يوشك على البكاء :

– اعرف ما في ذهنك ، ولكننى اقول لك بصدق اننى

لا استطيع ان افعل شيئا لمساعدتك . وافضل شيء ان تفعل

ما يريدك الجد . في عهدنا هذا لن نصلح الا لنكون ضحايا .

فضحك جيويه مين ببرود ، وقال :

— ما تزال على سياستك القديمة نفسها ، سياسة انحناء
الاذعان ! انها لسياسة رائعة !
ثم استدار على عقبه وانصرف .

٢٩

وفي الصباح التالى ذهب جيويه شين لتقديم التحيات الى
جده ، فأعلن العجوز منتصرا ان الزواج من فتاة اسرة فنغ قد
اعد اعدادا تاما . وقال السيد المبجل انه يمكن ان يتم الزواج
بعد شهرين ، ثم اختار من الروزنامة يوما ميمونا لموعد الزواج .
وطلب من جيويه شين ان يستمر في مبادلة خريطتى البروج .
فغمغم جيويه شين بالموافقة وغادر في نفس الوقت الذى دخل
فيه جيويه هوى وعلى وجهه ابتسامة ذات معنى .

ولم يكد جيويه شين يصل شقته حتى تبعه خادم يحمل
اليه دعوة من السيد المبجل قاو بالعودة فورا . فأسرع الى مكتبة
جده فوجده جالسا على اريكة يوبخ جيويه هوى ، بينما السيدة
تشن ، وكانت لابسة بلوزة خضراء خفيفة واسعة الردينين من حرير
الكريب ومغطية وجهها بالمسحوق ومسرحة شعرها على نحو
جيد ، تجلس معتلية ذراع كنبه العجوز وتدللك له ظهره .
وجيويه هوى يقف امام العجوز دون ان ينطق بكلمة .

وعندما رأى السيد المبجل قاو جيويه شين داخلا صاح

بصوت اوقعه في ارتباك :

— يا له من متمرّد ! لقد حدث شيء كهذا فعلا ! ابحث
عن جيويه مين وعد به .

وانفجر العجوز في نوبة من السعال ، وزادت السيدة
تشن من سرعة تدليكها ، قائلة في توسل :

— هديّ نفسك ايها السيد المبجل . في سنك هذه يجب
ألا ترهق نفسك ابدا . الامر لا يستدعي ذلك .
فقال العجوز لاهتا ، وقد احمر وجهه غضبا :

— كيف يجرؤ على عصيان امرى ؟ كيف يجرؤ على
معارضتى . لا يرغب في الزواج الذى هيأته له ، أليس كذلك ؟
حسنا ، لا بد له من هذا الزواج . أعدّه الى هنا . اننى سأعاقبه .
وتتمم جيويه شين بالموافقة . لقد بدأ يدرك المشكلة .

— الذهاب الى المدرسة قد دمره . اردت منكم ايها الاولاد
ان تتلقوا تعليما خاصا فى البيت ، ولكنكم لم تصغفوا الى .
فانظروا الآن الى ما حدث ! حتى جيويه مين ساء خلقه . انه
فعلا يجرؤ على التمرد . من الآن فصاعدا لن يسمح لأى ولد
فى اسرة قاو بالذهاب الى مدرسة خارجية ! هل تسمعون ذلك ؟
وبدأ يسعل ثانية . ووقف جيويه شين مرتبكا . لقد سقطت
عليه كلمات جده كأنها الرعد .

ووقف جيويه هوى بمحاذاة اخيه دون ادنى خوف وراح
يفكر مبتسما فى إعماقه : قريبا ستكشف عن نمر من ورق !
واخيرا توقف سعال العجوز ، فاستلقى على اريكته واغمض

عينيه وهو فى غاية الارهاق . وظل صامتا وقتا طويلا ، بدا معه كأنه نائم . وظل الشقيقان واقفين امامه باحترام ينتظران . ولم يتحركا الا عندما اشارت لهما السيدة تشن بالخروج ، فخرجا من الغرفة على رؤوس اصابعهما .

وعندما اصبحا خارج الغرفة قال جيويه هوى لشقيقه جيويه

شين :

— لقد ترك لك الاخ الثانى مذكرة . انها فى غرفتى . تعال واقرأها .

— ماذا دهاك حتى قلت للجد ؟ لماذا لم تخبرنى اولا بدلا من ان تهرع اليه ؟ لكم كنت غيبا !

— اردته ان يعرف ! اردته ان يدرك اننا بشر ، وليس حملانا يمكن لأى شخص ان يسوقها الى الذبح !

وادرك جيويه شين ان هذا الكلام موجه له . لقد اصابه فى الصميم ، ولكنه لم يستطع الا تحمل الالم فى صمت ، لأنه ادرك ان جيويه هوى لن يصدقه مهما وضح له موقفه .

وفى الغرفة سلمه جيويه هوى الرسالة . فصعب على جيويه شين ان يجد الشجاعة التى تمكنه من قراءتها ، ولكنه اخيرا تمكن من ذلك :

اخى الكبير :

اننى افعل ما لم يتجرأ احد فى الاسرة قبل ذلك على فعله ابدا . لقد نفذ صبرى على مواجهة زواج مهياً . لا احد يهتم بمصيرى ، لذلك قررت ان اشق طريقى وحيدا . اننى مصمم على النضال ضد القوى القديمة حتى النهاية . لن اعود الى البيت قبل الغاء الزواج . سأموت اولا . ما يزال امامك

متع من الوقت لانقاذ الوضع . تذكر حبنا الاغوى وابذل اقصى جهدك لمساعدتي .

جيويه مين

كثبت في الساعة الثالثة صباحا .

شحب وجه جيويه شين ، وسقطت المذكرة من بين اصابعه المرتجفة الى الارض ، وقال متلعثما :

— ماذا سأفعل ؟ ألا يفهم وضعي ؟

فقال جيويه هوى بصرامة :

— لا علاقة لوضعك بذلك . المسألة هي انك ماذا ستصرف

ازاء ما حدث ؟

فنهض جيويه شين مسرعا كأنما تلقى صدمة ، وقال في

بساطة :

— سأذهب لأعيده .

فضحك جيويه هوى ببرودة وقال :

— لن تجده ابدا .

فردد جيويه شين مضطربا :

— لن اجده ابدا ؟

— لا احد يعرف الى اين ذهب .

فقال جيويه شين متوسلا :

— ولكن من المؤكد انك تعرف عنوانه . لا بد انك تعرف .

قل لي ، اين هو ؟ ارجوك قل لي .

فقال جيويه هوى بثبات :

– اننى اعرف بالتأكيد ، ولكننى لن اخبرك ابداً ؛
فسأله جيويه شين فى ألم :

– ألا تتق بى ؟

– ليس المهم ان اتق بك او لا اتق . ان سياستك ،
”سياسة عدم المقاومة“ ، وفلسفتك ، ”فلسفة انحناء الاذعان“ ،
ستجلبان كارثة على الاخ الثانى . باختصار – انت ضعيف
جدا !

قال ذلك فى حدة ، وراح يذرع الغرفة بخطوات واسعة .
– يجب ان اراه . قل لى عنوانه .

– لا ، ابداً لا .

– ستضطر الى الكشف عن عنوانه . سيجعلونك تكشف
لهم عنه . الجد سيجعلك تكشف له عنه .

فقال جيويه هوى فى برود :

– لن ابوح بذلك ابداً . فحتى فى هذه الاسرة لا اظن
انهم سيلجؤون الى التعذيب .

لم يكن يدرك الا انه يقوم ببعض اجراءات الانتقام من
اسرته . ولم يفكر ابداً بما يمكن ان يعاينه شقيقه الكبير .

وخرج جيويه شين مكتباً ، ولكن لم يمض وقت طويل
حتى عاد وتكلم مع جيويه هوى مرة اخرى ، محاولاً ايجاد
مخرج . ولكنه اخفق . ولم يستطع تقديم تسوية ترضى كلا
من جيويه مين وجده .

وفيما بعد عقد فى نفس اليوم اجتماع عائلى صغير فى

غرفة مدام تشو . وحضر الاجتماع كل من مدام تشو وجيويه شين وزوجته روى جيويه وشقيقته شو هوا وجيويه هوى . ووقف جيويه هوى فى جهة ، بينما انتظم الآخرون فى جهة مقابلة . وحثوه على التصريح بمكان جيويه مين ، وطلبوا منه ان يقنعه بالعودة الى البيت . وقدموا كثيرا من الوعود المغرية – بما فيها تأكيد له بأن جيويه مين اذا عاد فسيجدون طريقة لالغاء الزواج عاجلا او آجلا .

ولكن جيويه هوى ظل متحجرا .

ولما تعذر نيل اية معلومات منه ، ولم يوافق كذلك على طلبات جيويه مين ، فلم يبق امام مدام تشو وجيويه شين الا ان يلتمسا العون من كه مينغ فى قلق ويطلبوا منه تأخير تبادل خريطتى البروج بضعة ايام ، دون اشعار العجوز بذلك . وفى الوقت نفسه ارسلنا اناسا للبحث عن مخبأ جيويه مين .

ولم تثمر جهودهم فى البحث شيئا . فجيويه مين قد اختفى اختفاء جيدا .

واستدعى كه مينغ ابن اخيه جيويه هوى الى مكتبته ووبخه فى البداية ، ولكن عبثا . فقدم ارشادا وديا ، ولكن عبثا . وحاول النقاش والتحذير ، ولكن عبثا . فقد اصر جيويه هوى على انه لا يعرف شيئا .

وحاولت مدام تشو وجيويه شين اقناع جيويه هوى ثانية . وتوسلا اليه ان يعيد جيويه مين . وقالوا ان جميع شروطه ستؤخذ بعين الاعتبار – على ان يعود الى البيت اولا . ولكن جيويه هوى

ظل ثابتا . انه لن يثق بأحد ما لم يحصل على ضمانات مسبقة .
وعنفته مدام تشو ، وبعد ذلك بكت . ومع انها اعتادت
ان تترك الاولاد ورغباتهم ، الا انها كانت مهتمة اهتمام
حقيقيا بصالحهم . فالوضع خطير ، وهى لم ترد ان يحدث
لهم اى سوء ، ولكنها كانت اكثر اهتماما بسمعتها ، تخشى
تسرب هذه الفضيحة . فهى لم توافق جيويه هوى على موقفه
الخالى من الاحترام تجاه ذويه الكبار ، كما انها لم ترض
ابدا عن هروب جيويه مين من قرار رأس الاسرة . ولكنها على
الرغم من كل محاولاتها لم تستطع ايجاد اى حل .

وفى مجابهة هذه المشكلة الصعبة لم يكن امام جيويه
شين من ملاذ الا البكاء . لقد عرف ان جيويه مين على صواب ،
ولكن ليست المشكلة بالنسبة له انه لا يستطيع مساعدته فحسب ،
بل انه مضطر الى مساعدة جده فى اضطهاده . ولذلك اعتبره
جيويه هوى الآن خصما . وما لم يتم باعادة جيويه مين ، فلن
يكون قادرا على تهدئة العجوز . ولكن اذا هو ارجعه ، فانه
بذلك سيخرج الاخ الثانى جرحا مؤلما .

لا ، ان هذا شىء لا يمكن ان يفعله ! فهو يحب جيويه
مين . لقد عهد اليه ابوه بشقيقه الاصغرين وهو على فراش
الموت . فكيف يتراجع عن عهده الذى قطعه على نفسه بأن
يحبهما ويرعاهما ؟ وانفجر فى النحيب . وبكى بكاء مرا حتى
ان الدموع طفرت الى عينى روى جيويه ايضا .

ولم يعرف السيد المبجل قاو شيئا من هذا . كل ما كان

يهمه هو ان تطاع اوامرہ وبحفظ ماء وجهه . اما ما يعانیه الآخرون نتيجة ذلك ، فهذا لايعنى شيئا بالنسبة له . لقد طلب ان يقدم اليه جيويه مين ، وشتم جيويه شين ، وشتم كه مينغ ، كما شتم في بعض الاحيان حتى مدام تشو .

ولكن كل صحبه هذا لم يقابل من جيويه مين بأدنى اشارة للاذعان . فضغوطه كانت عديمة الجدوى ، لأن جيويه مين لم يكن موجودا فيخضع لها . والآن اصبحت الفضيحة معروفة لدى كل فرد في المربع السكنى . وبذلت جهود كبيرة لمنع تسربها الى الخارج .

ومرت الايام . واصبح السيد المبجل قاو سىي المزاج على نحو دائم . وخيم على اسرة جيويه شين حجاب قاتم من الكآبة ، بينما راحت الاسر الاخرى تشمت في سرها بسوء حظه .

وذات يوم عاد جيويه هوى الى البيت اثر لقاء سرى بينه وبين جيويه مين . ان مغادرته لأخيه الذى يناضل في يأس كمغادرته لعالم النور . لقد بعث المربع السكنى في نفسه الغم الى حد مخيف . انه عبارة عن صحراء ، او ربما يكون الوصف اكثر دقة ان نسميه معقل الرجعية ، القاعدة الرئيسية لخصومه . وعلى الفور قصد جيويه شين وسأله في نزق :

— أراغب انت في مساعدة الاخ الثانى ام لا ؟ لقد مضى اسبوع كامل .

فقال جيويه شين ناشرا يديه في اكتاب :

— ماذا استطيع ان افعل ؟

ثم خاطب نفسه قائلاً : ” انك انت المضطرب الآن . “

— هل ستظل تاركا الامر يجرى على هذا النحو ؟

فقال جيويه شين باستياء :

— لا ، ابدأ ! ان الجد يقول اذا لم يعد جيويه مين خلال

نصف شهر ، فبوسعه ان يظل بعيدا عن البيت الى الابد .

وسيفزع الجد اعلانا في الصحف يتبرأ فيه منه .

فسأله جيويه هوى بتألم ، وهو لا يزال غاضبا :

— أو تظن ان الجد سيطاوعه قلبه على القيام بتصرف

كهذا ؟

— لم لا ؟ انه يتميز غيظا ، ولن يدع اوامره تعصى ابدا .

ان مقاومة جيويه مين لا يمكن ان تفلح .

— انت تقول ذلك ايضا ، فلا عجب اذن في ان

لا تساعده !

فقال جيويه شين ، معتبرا نفسه اقل الناس حظا في العالم

وان لا قوة لديه البتة :

— ولكن كيف استطيع مساعدته ؟

فقال جيويه هوى ودموع الغضب تلمع في عينيه :

— عندما كان والدنا على فراش الموت ألم يطلب منك

العناية بنا ؟ سيخيب امله بك اليوم !

ولم يجب جيويه شين ، بل شرع ينتحب .

— لو كنت مكانك ، لما كنت ابدا ضعيفا عديم الجدوى

الى هذا الحد ، بل على العكس من ذلك كنت سأقطع الزواج
من اسرة فنغ بحزة سكين واحدة ، هذا ما سأفعله !

فسأله الاخ الكبير رافعا رأسه :

– ولكن ماذا بخصوص الجد ؟

– عهد الجد قد ولى . هل ستدع الاخ الثانى يقع ضحية

اجحاف الجد ؟

فلاذ جيويه شين بالصمت ثانية .

وقال جيويه هوى ، وهو يخرج متشامخا :

– انك جبان !

وظل جيويه شين فى الغرفة وحيدا غارقا فى بؤسه . ان فلسفته ،

” فلسفة انحناء الاذعان “ ، وسياسته ، ” سياسة عدم المقاومة “ ،

لم تسعفاه ، فهو لم يستطع بهما تحقيق السلم فى الاسرة .

فى محاولته ارضاء اى فرد كان يتخلى حتى عن سعادته الخاصة ،

ولكن ذلك لم يجلب له الطمأنينة . لقد قبل بملء ارادته الحمل

الذى عهد به اليه والده المحتضر ، وقدم كل تضحية ممكنة

فى سبيل شقيقه وشقيقاته . وكانت النتيجة انه طرد احد اخويه

بينما الآخر يلعنه لضعف شخصيته . ماذا بوسع ان يقول كى

يربح نفسه ؟

وبعد ان استغرق فى التفكير بعض الوقت تناول قلمه وكتب

لجيويه مين رسالة ود موضحا له فيها مدى اخلاصه ومبينا جميع

صعوباته وظروفه المأساوية . كما تكلم فيها عن حبه لشقيقه ،

مضمنا حديثه هذا مطالبة اخيه بالعودة اكراما لوالدهم الراحل

وحفاظا على الطمأنينة داخل اسرة قاو :
ثم ذهب الى جيويه هوى وطلب منه ان يسلم الرسالة
الى جيويه مين .
قرأ جيويه هوى الرسالة وبكى . ثم هز رأسه في استياء
واعاد الرسالة الى الظرف .
وجاء جواب جيويه مين مع جيويه هوى طبعاً . وهذا
ما تضمنه :

بعد انتظار طويل جدا اقول بصراحة اننى اشعر بخيبة امل كبيرة
لاستلامى رسالة كهذه منك ! كل ما تستطيع قوله - ارجع ، ارجع !
اكتب لك هذه الرسالة ، وانا جالس في عرفة صغيرة كسجين فار ، لا أجرؤ
على الخروج مخافة ان يلقي على القبض ويعاد بى الى سجنى انتظارا للاعدام .
والسجن الذى اعنيه هو بيتنا ، والسجانون هم افراد اسرتنا - لقد تواطؤوا
سويا على تدميرى بلا رحمة .

اجل ، انكم جميعا تريدونى ان اعود الى البيت ، فذلك سيحل
مشكلاتكم . ستحل الطمأنينة داخل الاسرة وتقدم ضحية اخرى . وطبعاً
ستكونون جميعاً في غاية السعادة ، اما انا فأغرق في بحر من المرارة . . .
حسناً ، تخلوا عن محاولتكم اليائسة . لن آتى الى البيت ما لم يستجب لمطالبى .
البيت لا يعنى شيئاً بالنسبة لى الا ذكريات بغيضة .

ربما تتساءل عما يجعلنى جريئاً الى هذا الحد ؟ انا نفسى اتساءل احياناً .
انه حبى الذى يقوينى . اننى اناضل من اجل سعادة شخصين - سعادتها
وسعادتى .

كثيراً ما افكر في حديقتنا وكيف لعبنا فيها سوياً ونحن اطفال .
انك اخى الكبير . عليك ان تساعدنى اكراماً لوالدنا و اكراماً لتشين ايضا .
ولا تنس ابنة الخالة مى ، فعندها من الحسرة ما يكفى . ارجوك لا تدع تشين
تصبح مى اخرى .

تحدرت الدموع على وجنتي جيويه شين ، ولكنه لم يحس بها . لقد غاص في هاوية مظلمة ، وليس لديه شعاع من النور او بصيص من الامل . وراح يغمغم : ” انت لا تفهمنى . لا احد يفهمنى . “

وقف جيويه هوى يراقبه ممزقا بين الغضب والاسى . انه لم يقرأ رسالة جيويه مين من قبل فقط ، بل ساعده في كتابتها . كان يأمل ان تحرك هذه الرسالة الاخ الكبير ، ان تحثه على القيام بتصرف ما ، ولكن هذه الكلمات هى النتيجة . واران ان يوبخ جيويه شين ، ولكنه فكر : ما الفائدة ؟ الاخ الكبير قد اصبح رجلا بلا ارادة .

وقال جيويه هوى مخاطبا نفسه : ” هذه الاسرة ميثوس منها تماما . كلما اسرعت بتركها كان ذلك افضل . “ ومنذ تلك اللحظة لم يعد متشائما بخصوص فرص النجاح امام جيويه مين . وهذه الفكرة الجديدة اسرته . لقد كانت كبرعم بدأ ينمو في وعيه ، ولكنه استطاع ان ينمو بسرعة كبيرة جدا .

ان عددا كبيرا من الناس يعانون بسبب هروب جيويه مين ، ومن بينهم جيويه مين نفسه ، انه مختبئ في بيت احد زملائه من الطلبة ، تسون رن ومع انه كان مستريحا بما فيه الكفاية وتسون رن كان في منتهى الطيبة معه ، الا انه كره ان يكون حبيس غرفة ضيقة . وعجزه عن القيام بالاشياء التى يريدونها وعجزه عن رؤية الناس الذين يود رؤيتهم والعذاب الذى يعاناه بتأثير الخوف والشوق ، كل هذا جعله يجد الحياة في غاية

الصعوبة :

فطيلة يومه يظل قابعا بانتظار الاخبار . ولكن الاخبار الوحيدة التي كان جيويه هوى قادرا على جلبها له ما تزال حتى الآن سيئة . واخذ امله يتضاءل تدريجيا . ولكن هذا الادل لم يتلاش بعد نهائيا ، فما تزال لديه الشجاعة على الاستمرار . وكان جيويه هوى يشجعه على نحو دائم ممنيا اياه بالنصر النهائي . وشحنه حب تشين وصورتها بالقوة . فتحمل مشقة ذلك دون ادنى نية بالاستسلام .

كانت تشين شغله الدائم ، يحلم بها ليل نهار . وكلما ازداد شعوره بالكآبة ، ازداد تفكيره بها وازداد شوقه الى رؤيتها . وعلى الرغم من انها تسكن قريبا من بيت تسون رن ، الا انه لم يستطع ان يزورها لوجود امها في البيت .

واراد ان يرسل لها مذكرة عن طريق جيويه هوى . ولكن عندما امسك قلمه ليكتب وجد ان لديه الكثير الكثير مما يريد قوله — فلم يعرف من اين يبدأ . وخشى في الوقت نفسه ان تصبح قلقه اذا هو لم يكتب اليها بالتفصيل . فقرر ان ينتظر فرصة للتحدث معها وجها لوجه .

وجاءت الفرصة اسرع مما توقع . فقد اتاه جيويه هوى يوما نبأ خروج السيدة تشانغ ، واخذه لرؤية تشين .

دخل جيويه هوى اولاً ، تاركا جيويه مين ينتظر خارج الباب ، ثم صاح بابتهاج :

— لقد احضرت لك شيئا جيدا يا ابنة العمه تشين .

كانت تشين مستلقية تقرأ ، وهي نصف نائمة ، ولكنها
سرعان ما نهضت وسألته باضطراب مرتبة شعرها :
- ما ذلك ؟

وبدت شاحبة منهكة لم تقو حتى على التبسم . فلم يتمالك
جيويه هوى نفسه عن الصباح متعجبا :
- ما انحفك !

فقالت ، وهي تبسم ابتسامة صفراوية :
- انك لم تزرنى منذ عدة ايام . ما اخبار الاخ الثانى ؟
لماذا لم اتسلم منه ولو مجرد رسالة واحدة ؟
- عدة ايام ؟ اوه ، لقد كنت هنا اول امس !
فحدقت اليه بعينين واسعتين قلقتين وقالت :
- انك لا تعرف كيف يمر على الوقت . اخبرنى بسرعة .
ماذا يجرى له ؟

فقال جيويه هوى ، وقد استبدت به رغبة لازعاجها
لا تقاوم :

- لقد استسلم !
- لا ، لا اصدق !
وفى تلك اللحظة تماما خطأ الى داخل غرفتها شاب ،
فأشرقت عينا تشين وصاحت :
- انت !

ولم تدر هى نفسها بما شعرت ، أكان ذلك شكاً ام دهشة
ام فرحاً ام تأنيبا واندفعت نحوه ، وفجأة وقفت وحدقت اليه

بعينها المتوهجتين .

وقال جيويه مين بصوت ممزوج بالفرحة والاسى :

– نعم ، يا تشين . انه انا حقا . كان على ان ازورك
مبكرا ولكنى كنت اخشى من لقاء امك .

فقالت تشين وهى تذرف دموع الفرح :

– لقد عرفت انك قادم ، لقد عرفت انك قادم .

ثم نظرت الى جيويه هوى نظرة تأنيبية وقالت :

– كيف تحاول خداعى هكذا ايها الاخ الثالث ؟ لقد
عرفت انه لن يستسلم ابدا . اننى اثق به .

ونظرت الى جيويه مين فى هيام ، دون ادنى شعور بالخجل .
وترك هذا انطبعا جيدا فى نفس جيويه هوى ، فهو لم
يكن مدركا من قبل ان تشين قد بلغت هذا الحد من النضوج .
ثم نظر مبتسما الى جيويه مين الذى بدا عليه أنه يشعر بالزهو
العظيم ازاء اطراء الفتاة المفرط . واعترف بينه وبين نفسه انه
كان مخطئا . لقد توقع ان يكون لقاؤهما مصحوبا بالدموع
والبكاء وغير ذلك من المظاهر المأساوية فمشاهد كهذه مألوفة
فى اسر كأسرتهم .

ولكن على العكس من توقعاته بدا له انهما لا يخافان شيئا ،
وانهما يثبت كل منهما الآخر بثقة قوية متبادلة . وسر بهما
سرورا كبيرا . فقد كانا كبصيص نور فى عالم مظلم ،
ولقد اعطياه الامل . انهما لم يعودا بحاجة الى تشجيعه . وجيويه
مين لن ينحنى ابدا .

ما كان اسهل على شاب متحمس مثل جيويه هوى ان
يثق بالناس ا

ثم ابتسم جيويه هوى قائلا :

— حسنا ، بوسعكما ان تعدلا عن التحدث مع بعضكما
بعضا كممثلين على مسرح ، فتناقشا اموركما بجدية . اذا كان
لديكما شىء تقولانه ، فقولاه بسرعة ، اذ ليس لدينا وقت
طويل . هل تريداننى ان اخرج دقيقة ؟

ضحك كلاهما ولم يجيبا . ثم جلسا على حافة السرير
متجاهلين جيويه هوى ، وامسكا بأيدي بعضهما بعضا وراحا
يتكلمان فى هيام . فتناول جيويه هوى من الرف فى فتور
كتابا من كتب تشين ، وكان الكتاب مجموعة لبعض مسرحيات
ابسن ، قد طويت زوايا بعض صفحاته من الاعلى كما وضعت
خطوط تحت بعض الاسطر فى عدة امكنة منه . وبدا واضحا
انها كانت تقرأ مؤخرا مسرحية « عدو للشعب » . ولا بد انها
وجدت فيها تشجيعا . ولم يتمالك نفسه اذذاك عن التبسم .

واختلس نظرة الى تشين ، فوجدها مستغرقة مع جيويه مين
فى محادثة حيوية . ورأى وجهها مشرقا بالجمال ، فشعر بنوع
من الحسد تجاه شقيقه . ثم اعاد النظر الى مسرحية « عدو
للشعب » .

وبعد ان قرأ الفصل الاول رفع رأسه ، فوجدهما ما يزالان
يتحدثان . فقرأ الفصل الثانى ولما ينتهبا . ثم قرأ المسرحية الى
نهايتها ، وظلا يثرثران دون ادنى علامة تدل على اقتراب الانتهاء .

فقال عندها وقد عيل صبره :

— حسنا ، والآن ما رأيكما ؟ يا لكما من زوج ثرثار !
فرفعت تشين نظرها اليه مبتسمة ، ثم تابعت حديثها .
وبعد نصف ساعة حث اخاه قائلا :

— هيا بنا ايها الاخ الثانى . لقد قلتما ما فيه الكفاية .
فرجته تشين قائلة :

— بعد قليل . ما زال الوقت باكرا . فيم هذه العجلة ؟
وشدت على يد جيويه مين بقوة ، كأنها تخشى ان يغادر .
فقال جيويه هوى متظاهرا بالاصرار :

— يجب ان اعود .

فقالت تشين مقطبة :

— اذهب قبله اذن . بيتى المتواضع لا يليق بارستوقراطى
مثلك !

ولكن عندما رآته فعلا يمشى نحو الخارج ، اسرعت
هى وجيويه مين وطلبا منه الانتظار بصوت واحد . ثم سأله
جيويه مين فى توسل :

— أ تصر على المغادرة ايها الاخ الثالث ؟ أليس بوسعك
ان تساعدنى فتننظر قليلا ؟

فضحك جيويه هوى وقال :

— كنت امزح معكما فقط . غير انكما فاتران معى غاية
الفتور . فأنت ، يا تشين ، لم تتكلمى معى ، او حتى لم
تطلبى منى ان اجلس . فبوجود الاخ الثانى الآن نسيتنى تماما .

فضحك كلاهما ايضا . وقالت تشين تدافع عن نفسها :
– ليس لي الا فم واحد . ولا يمكنني ان اتكلم في وقت
واحد الا مع شخص واحد .

ثم تابعت تلاحظه كأنه طفل :

– غدا بوسعك وبوسعي ان نتحدث الى ان ترضى .

– لا تحاولي خداعي ، فأنا لا املك حظ الأخ الثاني !

فتح جيوبه مين فمه ليقول شيئا ما ، ولكن تشين قطعت
عليه الكلام وسألت في مكر :

– كيف حظك مع شيوى تشيان رو ؟ فهي اقوى مني

بكثير . هل تحبها ؟ انها فتاة عصرية حقا .

فأجابها عبثا ، وقد اعجبه هذا النوع من المزاح :

– ربما احبها ، وربما لا . ولكن ما علاقة هذا بك ؟

وتدخل جيوبه مين قائلا :

– انها مناسبة لبعضهما تماما . لقد فكرت انا نفسي

في هذا الموضوع .

فضحك جيوبه هوى ولوح بيده رافضا وهو يقول :

– لا ، شكرا ، لا اريد ان اغدو مثلكما – مواعيد سرية

ومشاهد مسرحية ! وفي نفسه كان يقول : ما اريده هو انت

يا تشين ! . . . ولكن سرعان ما طردت هذه الفكرة من ذهنه

فكرة ثانية : منذ وقت قريب ارسلت فتاة للموت . ونلت من

الحب ما يكفيني . وابتسم ظاهريا ، ولكن ابتسامة مرة .

واخيرا انتهت المحادثة بين جيوبه مين وتشين . وتعين

عليهما الآن ان يفترقا . ولكن جيويه مين كره ان يغادر . ولدى تفكيره في حياته الموحشة داخل تلك الغرفة الضيقة لم يجد الشجاعة التي تحمله على العودة . ولكن نظرة جيويه هوى الصارمة كانت تقول له بأن عليه ان يغادر ؛ فليس هناك طريق آخر . ثم قال في حزن والمعاناة بادية في صوته :

— يجب ان اذهب .

ولكنه لم يتحرك . وراح يبحث في ذهنه عن بعض الكلمات يريح بها تشين . وكان كل ما وفق اليه من كلام في تلك اللحظة هو : ” لا تفكرى بى كثيرا . “ مع ان هذا لم يكن مراده على الاطلاق . فقد كان يرجو في الواقع ان تكثر التفكير فيه . ووقفت تشين امامه ، وعيناها الواسعتان الصافيتان مثبتتان على وجهه ، مصغية اليه بانتباه ، كأنما تتوقع منه ان يقول شيئا غير عادى . ولكنه لم يفعل . وانتظرت وقتا طويلا ، فلم يقل الا كلاما موجزا . فتشبثت بكمه في يأس ، وقالت تحته على الانظار قليلا :

— لا تذهب الآن . امكث بعض الوقت . ما يزال لدى الكثير احداثك به .

وابتلع جيويه مين هذه الكلمات الرائعة كأنما هي من اشهى اللقم . وهدق الى وجهها المغمم بالحيوية ، ثم قال مبتسما ابتسامة فيها الكثير من الالم ، بحيث ظن جيويه هوى الذى كان يراقبه من جانبه انه سيكفى :

— لا تقلقى ! لن اذهب على الفور !

وبدا لتشين ان نظرة جيويه مين الرقيقة تداعب عينيها
ووجهها وتقول : ” تكلمى ، تكلمى ، اننى اسمع كل كلمة ،
كل مقطع . “ ولكنها لم تستطع ان تجد ما تقول ، واستبد بها
الهباج خوفا من ان يغادر فى تلك اللحظة . واخيرا قالت ،
وهى ما تزال ممسكة بكمه ، اول شىء خطر فى ذهنها :

– ابنة الخالة مى قد اصبحت مؤخرا هزيلة الى حد يرئى
له . انها تسعل دما كل يوم ، ولكن ليس كثيرا . وهى تخفى
ذلك عن امها ، ولا تريدنى ان اخبر احدا بذلك ، لأنها لا
تريد ان تعطى دواء . انها تقول ان كل يوم تعيشه هو يوم آخر
من ايام شقائها – ان من الخير لها ان تموت . وامها مشغولة
دائما بالتسلية ولعب الماجانغ ، ولا تلقى الى مى كبير اهتمام .
وامس وجدت اخيرا الفرصة لاجبارها بمرض مى ، والآن فقط
بدأت تقلق عليها . ربما تكون مى على صواب . ولكننى لم
استطع تحمل رؤيتها تموت . لا تقل شيئا للاخ الكبير . فقد
رجتنى مى ألا ندعه يعرف ذلك .

وفجأة لاحظت تشين الدموع تتلأأ خلف نظارة جيويه
مين . ثم بدأت تتحدر على وجنتيه . وارتعشت شفتاه ، ولكنه
لم يستطع ان يتكلم . وفهمت ما يجول فى ذهنه . لقد خاف
ان ينتهى حبهما ايضا الى مأساة .

وعندها صاحت :

– لا استطيع ان اقول اكثر من ذلك .

ورجعت الى الخلف بضع خطوات ، ثم دفنت وجهها

بين يديها وانفجرت بالبكاء .

فقال جيويه مين فى اكتاب :

— يجب ان اذهب الآن حقا .

انه لم يتخيل ان ينتهى بهما هذا اللقاء الممتع الى الدموع .
وهما اللذان يطلقان على نفسيهما اسم الجيل الجديد ، الجيل
الشجاع ! ...

وقالت تشين وهى تنزل يديها عن وجهها المبلل بالدموع
وتمدهما نحو جيويه مين :

— لا تذهب ! ابق هنا !

ولم يمنعه من الاندفاع نحوها الا قبضة جيويه هوى :
فنظر الى شقيقه الاصغر ، فألقى عينيه جافتين تتألقان بضياء
ثابت قوى . و اشار جيويه هوى برأسه نحو الباب .

وقال جيويه مين بصوت مكدود :

— لا تبكى يا تشين . سأعود ثانية . اننى لا اقيم بعيدا عن
هذا المكان . سأتى بمجرد ان تحين الفرصة . . . اعتنى بصحتك .
سأرسل لك قريبا اخبارا سارة .

ثم ملأ نفسه بالعزم والتصميم واستدار خارجا مع جيويه
هوى . وتبعتهما تشين الى باب القاعة الرئيسية . وهناك وقفت
مسندة ظهرها الى اطار المدخل . وراحت تراقبهما يغادران ،
ماسحة عينيهما .

وصل الشقيقان الشارع وصوت بكاء تشين ما يزال فى
أذانهما . ثم حثا الخطى فى صمت ، وسرعان ما وصلا بيت

تسون رن . وفجأة توقف جيويه هوى في الشارع ، وقال بصوت قوى واضح النبرات :

— انت وتشين من المؤكد انكما ستنجان . لسنا بحاجة الى تقديم المزيد من الضحايا . لقد قدمنا الكفاية .
وتريث جيويه هوى قليلا ، ثم استأنف حديثه بثبات وقسوة تقريبا :

— اذا كان لا بد من تقديم المزيد من التضحيات ، فليكونوا هم الضحايا هذه المرة !

٣٠

اخذ ضمير جيويه شين يؤنبه في الفترة الاخيرة . فقد ادرك انه ما لم يساعد جيويه مين فسيظل نادما طوال حياته . وبعد ان تحدث في ذلك مع زوجته وزوجة ابيه ذهب الى السيد المبجل قاو واقترح بأسلوب غير مباشر ارجاء الزواج الى ان يصبح جيويه مين قادرا على اعالة نفسه . وطبعاً لم يشر الى العلاقة بين جيويه مين وتشين . وتكلم جيويه شين على نحو مشير تماما — فقد ظل يستعد عدة ليال ، حتى انه كتب ما سيقول . وابقن انه سيهز العجوز .

ولكن جيويه شين كان مخطئاً . فالعجوز كان يتميز غيظاً . وكل ما كان يعرفه هو ان سلطته قد نيل منها وانه لا بد

من اتخاذ اجراءات مشددة ازاء ذلك . امر الوالدين ، كلمة وسيط الزواج ، العروس التي يختارها رأس الاسرة - لا شيء من هذه الامور يمكن لفرد من الجيل الجديد ان يسأل عنه . وهذا مبدأ لا يمكن زحزحته ، ومعارضته تستوجب عقوبة صارمة . اما سعادة الشباب وطموحاتهم فلم يلتفت اليها ابدا . ولم يعد طلب جيويه شين بأية نتيجة ، سوى انه زاد من غضبه . واقسم ان الخطبة لن تفسخ . وما لم يعد جيويه مين مع نهاية هذا الشهر فانه سينشر اعلانا في الصحف يتبرأ فيه منه امام الملأ ، ويجبر جيويه هوى على الزواج من الفتاة بدلا من جيويه مين . لم يجرؤ جيويه شين على المناقشة ، بل غادر غرفة جده بكل تواضع . واسرع الى جيويه هوى واخبره بما قال العجوز . وظن ان هذا قد يخيف جيويه هوى ويجعله يحث الاخ الثاني على العودة . ولكن جيويه هوى اصبح اكثر تعقلا ، واكثر من هذا انه اصبح مستعدا لشيء كهذا . فلم يبد اي تعليق ، بل ضحك ببرود . . . وقال في نفسه : من المؤكد انهم لن يستطيعوا ابدا ان يجعلوني الضحية !

ولما ظل جيويه هوى صامتا حثه جيويه شين قائلا :
- يجدر بك ان تقنع الاخ الثاني بالعودة ، والا فستكون انت ضحية الزواج .

فرد عليه جيويه هوى في زهو :

- اذا كان هذا ما يريده الجد حقا فليواصل سعيه . انه سيندم . انا لست خائفا ، ولدى من الوسائل ما هو افضل .

لم يكذ الاخ الكبير يصدق اذنيه . كان يظن انه يعرف
جيويه هوى حق المعرفة .

وسخر منه جيويه هوى قائلا :

— اننى لا افهم لم انت ضعيف عديم الجدوى الى هذا
الحد !

فاحمر وجه جيويه شين خجلا ، ثم ما لبث ان شحب .
واخذ يرتجف وقد عقد الغضب لسانه . وفى تلك اللحظة اندفع
الى الغرفة خادم وقال لاهتا :

— لقد وصل الآن رسول من لدن السيدة تسيان . لقد
ماتت الآنسة مى !

فصاحت روى جيويه طافرة من الغرفة الداخلية بسرعة :

— مى ماتت ؟ متى ذلك ؟

فأجاب الخادم :

— حوالى الساعة السابعة من هذا الصباح .

واعلنت ساعة الجدار التاسعة . وخيم على الغرفة صمت
ثقيل . ولم يقو احد على الكلام .

واخيرا امر جيويه شين الخادم قائلا ، وقد ملأت الكتابة
وجهه :

— جهز لى محفة على الفور .

وقالت روى جيويه باكية :

— وانا اريد ان اذهب ايضا .

وجلست على كرسى مصنوع من الاماليد المجدولة . وقال

جيويه شين للخادم :

— ماذا تنتظر ؟

وبعد ان انصرف الخادم التفت جيويه شين الى روى

جيويه وقال لها مهدئا :

— لا تذهبي يا روى ، فأنت حامل . وهذا مؤذ لك .

ستضطرين هناك كثيرا .

— اريد ان اراها . . . ذلك اليوم بعد ان زرتها في بيت

الخالة تشيان . . . وفيما كنت ادخل محفتي ، اخذت يدي .

والحت على ان ازورها كثيرا . وظلت تكرر ذلك طالبة ان

احضر معي هاى تشن في المرة القادمة . وامتلأت عيناها بالدموع .

ولم يخطر ببالي قط انها لن ترانا ثانية . اريد ان اذهب . . .

انها المرة الاخيرة . . . لقد كانت طيبة معي الى ابعد حد . . .

هذا اقل ما بوسعى فعله .

فقال جيويه شين في اكتاب :

— يا روى ، لا تفعلى هكذا . عليك ان تفكرى في

صحتك . فأنت كل ما بقى لى . واذا ما حدث لك شىء ،

فستكون النهاية بالنسبة لى .

ووقف جيويه هوى بجانب الطاولة ، يحدق الى ستائر

الشاش الابيض . لم يكن الخبر مفاجأة بالنسبة له ، فقد تذكر

ما قالته له تشين بخصوص مى : ” انها تقول ان كل يوم

تعيشه هو يوم آخر من ايام شقائها — ان من الخير لها ان

تموت . ” ومع ذلك كان من الصعب عليه تحمل موت هذه

الشابة الظريفة الرقيقة . فقد اخذت المرارة والغضب يعتملان
في صدره . واخيرا قال ببرود ضابطا نفسه :

— هذه ضحية اخرى !

وعرف ان جيويه شين سيدرك ما يرمى اليه والتفت . فرأى
الاخ الكبير يحدق اليه بعينين يعنصرهما الالم ، فأضاف قائلا :
— المتاعب لم تنته بعد ، واسوأ ما في الامر سيأتي فيما
بعد .

وهذا ايضا قاله ليتعظ جيويه شين .

وحال خروج جيويه شين من المحفة عند باب منزل اسرة
تشان سمع صوت البكاء . فهرع مباشرة الى غرفة مى .
كانت هناك والدة مى ، السيدة تشيان ، وشقيق مى الصغير
وكذلك تشين والجارية . كانوا متجمعين حول الجثة يبكون .
وقد رفع جميعهم انظارهم لدى دخول جيويه شين .
وقالت السيدة تشيان منتحبة ، وقد تشعث شعرها وبللت
الدموع وجهها :

— ماذا افعل ايها السيد الاول ؟

فقال جيويه شين في صوت مأساوى :

— علينا ان نبدأ فورا في ترتيب امور الجنازة . هل جيى
بالتابوت ؟

— ارسلت وانغ يونغ لشراؤه ، ولكنه لم يعد بعد (وانغ
يونغ خادمهم) .

وعادت السيدة تشيان الى البكاء ثانية . وقالت :

— لقد ماتت مى منذ ساعتين ، ولكن حتى الآن لم يفعل شيء . ليس فى اسرتنا رجال . ووانع يونغ كان مشغولا بابلاغ الناس . ماذا افعل ؟ انظر الى حالة الفوضى التى تعم البيت !

— لا تقلقى ايتها الخالة تسيان . دعى كل شيء لى .
— انت رجل طيب ايها السيد الاول . مى ستكون متشكرة لك فى العالم الآخر .

ووخزته كلمة ” متشكرة ” فى قلبه كما تخزه ابرة ، ولم يعرف ماذا يقول . وتمنى لو امكنه ان يبكى بصوت عال . ثم قال فى نفسه : أتكون متشكرة لى ؟ اننى انا الذى اوصلتها الى هذه النهاية ! ومشى الى جانبها . كانت مسجاة ، وعيناها مغلقتان ، وشعرها منتشر على الوسادة ، ووجهها شاحب نحيل والتغضن فى جبينها اعمق مما كان عليه وشفاتها مفتوحتان قليلا ، كأنها كانت على وشك ان تتكلم عندما ماتت . وكانت مغطاة بملاءة من وسطها الى اسفل قدميها .

فقال بصوت خافت : ” لقد جئت لأراك يا مى . “ وفجأة غمرت عينيه الدموع . وتساءل : أهكذا يتم انفصالنا الى الابد ؟ لقد مضيت دونما كلمة . انك لن تسامحينى ! لماذا لم احضر مبكرا ؟ كان بوسعى ان ارى شفتيك تتحركان ، وان اسمع صوتك . كنت سأعرف ما فى قلبك . وراح يتوسل اليها فى صمت : مى ، لقد جئت . اذا كان لديك شيء تودين قوله ، فقوليهِ بسرعة . اننى استطيع سماعك !

ومسح جيويه شين عينيه ، فألقى مى مسجاة كصخرة
جليدية . انها لن تكون حقا قادرة على سماعه حتى ولو صاح
بأعلى صوته ، ستظل بلا حراك . كل آماله تلاشت . لقد انفصلا
الآن عن بعضهما كلياً ، ولن يكون بمقدورهما ابداً سد الهوة
فيما بينهما . واخذ يذرف دموع اليأس ، وقد مزق قلبه الندم .
ونبه بكأوه السيدة تشيان الى الانتحاب ثانية ، فاقتربت
منه تشين على الفور وقالت :

— هذا ليس وقت البكاء . يجب ان تساعد في اعداد
الترتيبات النهائية . انها ميتة . والبكاء لن يعيدها الى الحياة
ثانية . العمة تشيان ليست في حالة طبيعية كما ترى . وبكأوك
لا يزيدوها الا سوءاً . واذا كان لدى مى ادنى وعى بعد الموت ،
فانك بذلك تؤذيها ايضا .

فقال فى نفسه بمرارة : لقد آذيتها قبل ذلك مرات كثيرة .
فماذا لو آذيتها مرة اخرى ؟ ! ثم تنهد تنهيدة عميقة ، كابحا
دموعه ببالغ الجهد .

وقالت السيدة تشيان باكية :

— يجب الاتلومى السيد الاول . لقد كان هو ومى عزيزين
على بعضهما بعضاً . وكان هناك اناس اقترحوا ان يتزوجا .
وكانت غلطتى اننى لم اوافق . فلو وافقت ، لما انتهينا الى ما
نحن عليه اليوم .

ان السيدة تشيان عاجزة عن فعل اى شىء ، فعقلها فى
دوامة .

فقلت تشين حائة جيويه شين :

— اسرع يا ابن خالى وقم بالترتيبات النهائية . لا تتركها
مكشوفة وقتنا طويلا .

لقد ادركت ان ملاحظة السيدة تشيان قد بلبت ذهن
الاخ الكبير ، فنخسته هكذا لتصرفه عن التفكير فى الملاحظة .
فتنهذ جيويه شين قائلا :

— حسنا .

وناقش الامور مع السيدة تشيان . ومن ثم البست مى
ثياب الدفن ووضعت فى التابوت . واراد جيويه شين ان يرفعها
بين ذراعيه ويهرب بها الى مكان بعيد مهجور . ولكنه لم يمتلك
الجرأة .

واخيرا ثبت نفسه وامر باغلاق التابوت . فقبضت السيدة
تشان على حافة التابوت وشرعت تنتحب قائلة :

— مى ، لقد كنت عمياء . لم اعرف ما كان فى قلبك .
لقد حلت دون زواجك من جيويه شين . لقد جعلتك تعانين
الى ان مت . اننى آسفة يا مى . هل تستطيعين سماعى ؟ لماذا
لا تجيبين ؟ هل تكرهينى ؟ انتقمى منى فى حياتك الاخرى .
أسئلى الى كما اسأت اليك . المهم ألا تتركينى . يجب ان نعود
اما وابنة ثانية . هل توافقين يا حبيبتى المسكينة ؟ مى ، مى ،
دعيني اذهب معك . . .

وحاولت التزول الى التابوت غير مصغية لجميع النصائح
التي بذلت لتهدئتها ، فاضطروا الى جرها بعيدا .

ووضع الغطاء على التابوت ثم احكم اغلاقه . وبذلك
اختفت مى من الغرفة . ولم يبق الا التابوت ، وحتى هذا فسينقل
فى نفس اليوم .

وجاء الزوار القلة واحدا بعد الآخر . كانت مدام تشو قد
حضرت مع شو هوا . كما حضرت ايضا والدة تشين ، السيدة
تشانغ ، مع اثنتين او ثلاث نساء اخريات . فقد مكثن بعض
الوقت ثم غادرن . ولم يصاحب الجثة الى القاعة الجنازية خارج
المدينة ، باستثناء والدة مى وشقيقها الصغير والخادم وانغ يونغ ،
الا جيويه شين وجيويه هوى وشو هوا وتشين . وقد جاء جيويه
هوى فى وقت متأخر تماما ، الا انه وصل وقت الاشتراك فى
موكب الجنازة .

كانت القاعة الجنازية فى جناح داخل معبد واسع خرب ،
غطت فناءه الاعشاب . وكان كل من الاجنحة المحيطة بالبناء
الرئيسى للمعبد مشتملا على عدد كبير من الغرف الصغيرة . وقد
اشتملت معظم هذه الغرف على توابيت وتجهيزات جنازية
اكثرها مهمل فاسد . وعادة يترك التابوت فى القاعة الجنازية
الى ان تتمكن الاسرة من العودة به الى بلد الميت الاصلى للدفن .
ولكن هنا ، وفى غرفة واحدة ، اربعة توابيت قد جلبت منذ
عشرين سنة تقريبا . ولم يتذكر احد لمن هذه التوابيت .

وكانت غرفة مى متواضعة نسبيا . وسرعان ما رتبها . ثم
ادخل اليها التابوت ، ووضع بجانبه مذبح . ووضعت " لوحة
روح " مى على المذبح . وقرفص الخادم وانغ يونغ على منصة

حجرية خارج الغرفة واحرق نقود القربان . وأكبت السيدة تشيان على التابوت واخذت تبكى ، فيما كان ابنها الصغير ينتحب الى جانبها . وحاولت تشين تهدئة السيدة تشيان ، ولكن عندما تذكرت الصداقة المتينة التي كانت تربطها بمى ورأت ما آلت اليه مى الآن انفجرت هى الاخرى بالبكاء .

ووقف جيويه شين امام المذبح ذاهلا ، لقد سمع الآخرين يبكون . وهو ايضا كان يبكى ، مع انه لا يكاد يعرف سبب بكائه . لقد بدا له ان الذى فى داخل التابوت ليس مى بل شخصا آخر . انها ما تزال حية ، تنظر اليه نظرة حزينة وتقص عليه اخبار حياتها المأساوية . ومن خلال دموعه استطاع تدريجيا رؤية الورقة الحمراء الملصقة على لوحة الروح والمكتوب عليها بالبحر الاسود ، فقرأ فيها : " اختنا الميتة . . . مى . . . " كانت الكلمات قاسية وجلية . انها ميتة . وخلف المذبح كانت والدة مى تبكى وتطرق التابوت ، وشقيقها الصغير يصبح : " اختى ، اختى . . . " واسندت تشين رأسها الى ذراعها اليمنى وأكبت على التابوت تبكى فى صمت - تشين هذه المهتدد حبها بنفس مصير حب مى .

وانطلقت دموع جيويه شين سخية . وعرف السبب هذه المرة . ثم مسح عينيه بمنديله . ولم يعد يستطيع النظر ، فخرج من الغرفة ، ووقف على المنصة الحجرية يراقب الخادم وانغ وهو يحرق نقود القربان . وفى تلك اللحظة كان جيويه هوى خارجا من المعبد الرئيسى ، يمشى بثبات . وعلى الرغم من

صغره كان الوحيد الذى يستطيع مؤازرة جيويه شين فى ظروف كهذه . وهذا بالتأكيد هو ما بدا لجيويه شين فى تلك اللحظة .
وقال جيويه هوى متقدما من اخيه :

– هيا بنا نرجع .

وأنهى وانغ حرق ” النقود “ ، فلم تبقى الا كومة من الجمر والرماد الاسود . وعصفت الريح بهذا الرماد الذى كان على شكل رقائق ، وبعثرته فى كل اتجاه .

واجاب جيويه شين بفتور :

– حسنا .

ثم استدار وعاد الى قاعة الجنازة . وحث الآخرين على عدم البكاء ، والدموع ما تزال فى عينيه . كانت تشين تتحجب . اما السيدة تشيان فقد بكت حتى جفت دموعها . والشقيق الصغير وحده هو الذى كان ما يزال ينادى : ” اختى ، اختى . . . “
وانحنى كل منهم انحناء اجلال امام المذبح . وفيما كانوا يغادرون صاح الصبى الصغير فجأة :

– نحن ذاهبون يا اختى ، وستتركك وحيدة ! لكم

ستشعرين بالوحشة !

فطفرت الدموع الى عيني كل منهم . وضغطت تشين على يد الصبى مهدئة اياه ، ثم قادت الى الخارج . وكانت السيدة تشيان قد هدأت قليلا ، ولكن صرخة ابنها غمرتها بالاسى ثانية . فراحت تحديق ، وهى تقف امام المذبح ، الى الشموع

والبخور ولوحة الروح . ثم قالت وهي تئن في ضعف :
— اخوك مصيب يا مى . هذا المكان بارد جدا ومقفر جدا ،
تعالى الى البيت الليلة ، ومن المؤكد انك ستذكرين بيتك .
من الآن فصاعدا سأترك المصباح مشتعلا في غرفتك كل ليلة ،
ليساعدك على تبيين طريقك . لن اغير شيئا . . . يا مى . . .
يا عزيزتى . . .

لقد بذلت جهدا كبيرا في التكلم . وازادت ان تقول المزيد ،
ولكنها شعرت بألم في صدرها وغصة في حلقها . فخرجت
نفسها ، وخرجت تتبع الآخرين .

كان جيويه شين آخر من صعد في محفته . وقد ادار رأسه
عند المغادرة عدة مرات لينظر خلفه . ولكن آخر من غادر
كان جيويه هوى — فهو لا يسمح لأى رجل بأن يحمله .
ولم يركب في محفة ابدا ، بل غادر ماشيا .

عاد جيويه هوى الى الغرفة الصغيرة وقام بدورة حول التابوت .
فهو ايضا اراد ان يودع مى . ولكنه لم يبك ، ولم يشعر بالاسى
— بل بالسخط الشديد . ثم قال بصوت يعج بالاسى ويفور
بالغضب :

— وسط البكاء وكلمات الحزن والدموع استراحت حياة
نضرة حلوة . آه ، يا ابنة الخالة مى ، لو كان بوسعى ان اقتلعتك
من تابوتك واجعلك تفتحين عينيك لبرهنت لك انك لم تموتى ،
بل قتلت ا

بعد ظهر اليوم التالى ذهب جيويه هوى لرؤية جيويه مين وأخبره بموت مى . فبكى جيويه مين . وتحادثا اقل من ساعة ، ثم انصرف جيويه هوى . وودعه جيويه مين الى الباب . ولم يكذ جيويه هوى يجتاز العتبة حتى ناداه جيويه مين فجأة . فسأله جيويه هوى ، عائدا الى الباب :

— ماذا لديك ؟

فابتسم جيويه مين ، ولم يقل شيئا . فقال جيويه هوى بحنان :

— تشعر بالوحدة ، أليس كذلك ؟ وانا كذلك ايضا . لا احد فى البيت يفهمنى . ماما هوانغ وزوجة اخى والفتيات الاخريات يلاحقننى دائما ويسألننى عنك . ولكن طريقتهن فى التفكير مختلفة تماما عن طريقتى وطريقتك . اشعر اننى معزول تماما . ولكن ادرك ان على ان اكون صبورا ، وهكذا يجب ان تكون انت . من المؤكد انك ستتصر .

فقال جيويه مين والدموع تتلألأ فى عينيه :

— اننى خائف بعض الشيء .

فقال جيويه هوى مجبرا نفسه على اظهار ابتسامة تشجيعية :

— خائف من ماذا ؟

— خائف من الوحدة . اننى وحيد تماما .

فقال جيويه هوى باذلا اقصى جهده لابقاء ملامح البهجة

على وجهه :

– ولكن ألا تذكر ان لديك شخصين يناضلان الى جانبك ؟
– ولأنكما عزيزان على اريد دائما رؤيتكما . ولكنها
لا تستطيع ان تأتي ، وانت الآن مغادر ...

احس جيويه هوى بالدموع تظفر من عينيه ، فأدار رأسه
بحيث لا يتمكن شقيقه من رؤية الاخضلال في عينيه ، وقال
مربنا على كتفه :

– كن صبورا . لن يطول الوقت . انك ستنتصر حتما .
وخرج تسون رن ووقف بجانبهما ، وقال مبتسما :

– لماذا لا تتحدثان في الداخل ؟ يجب ألا تكونا مهملين
الى هذا الحد .

فحياه جيويه هوى وقال :

– اني ذاهب .

وفيما كان يتعد عنهما سمع تسون رن يقول لجيويه مين :
” يحسن بنا ان ندخل . “

” انك ستنتصر حتما . “ كرر جيويه هوى ذلك في
طريقه ، ولكنه اخذ الآن يتساءل في مرارة : هل النصر ممكن
حقا ؟ كم من الوقت يستغرق تحقيقه نهائيا ؟ ... ولكن
لدى وصوله منزل تشين حسم امره – لا بأس في ذلك كله .
سناضل حتى النهاية ، وليحدث ما يحدث !

وبعد ان قدم تحيات الاحترام لعمرته ذهب الى غرفة تشين ،
وقال لها مباشرة :

– جئت لتوى من عند جيويه مين ، وقد طلب منى ان
اخبرك بأنه فى صحة جيدة .

كانت تشين تكتب رسالة ، فوضعت قلمها بسرعة وقالت :
– شكرا له ولك ايضا . لقد كنت اكتب اليه .

فقال جيويه هوى مبتسما :

– طبعا انا الذى سأنقل رسالتك اليه .

ثم نظر الى الرسالة فلاحظ عبارة ” ابنة الخالة مى “ تظهر
فى عدة مواضع ، فقال :

– انك تكتبين له عن مى ؟ لقد اخبرته . قولى لى : ما
ردة الفعل عندك ازاء موتها ؟

فقلت تشين بثبات ، دون ادنى قدر من الجزع الذى
كان لديها قبل بضعة ايام :

– كما قلت فى رسالتى ، لن اكون مى ثانية تحت اى
ظرف من الظروف . كما ان امى لن تسمح بذلك ايضا . وقد
اخبرتني بهذا بعد رؤيتها الاسى العميق فى جنازة مى أمس ،
لقد هزها الموقف كثيرا . انها عازمة على مساعدتى الآن .

– هذه اخبار جيدة . عليك ان تخبريه بها فوراً :

وحثها على انتهاء الرسالة . ثم تحدثنا بضع دقائق ، وعاد
جيويه هوى الى منزل تسون رن .

وطبعا سر كل من جيويه مين وتسون رن بتلك الاخبار .
وتحدث ثلاثتهم على نحو تفاؤلى ما يقارب الساعة . وبعدها
عاد جيويه هوى الى البيت .

وفى المنزل وجد حشدا صغيرا خارج نافذة جده ، يمدون اعناقهم ويسترقون السمع وهذا كان شيئا مألوفا تماما لدى اسرة قاو ، فلم يعر ذلك اهتماما . ثم مشى الى داخل القاعة الرئيسية . حتى اذا اوشك على دخول غرفة جده سمع بكاء امرأة فى الداخل . فعرفها من صوتها . انها مدام شن زوجة عمه كه دينغ . وتبع ذلك صوت جده يشتم ويسعل .

فقال فى نفسه : كنت اعرف ان مهزلة كهذه ستحدث عاجلا او آجلا . وظل واقفا خارج الباب . فسمع صوت العجوز يرتج غضبا :

— اعده حالا ! سترى كيف سأعاقبه ! ... كفانى

اهانة منه !

ثم غرق فى نوبة من السعال تخللها بكاء زوجة العم الخامس . فتمتم صوت رجل بكلمة " نعم " عدة مرات على نحو ذليل . ثم سحب ستار الباب جانبا ، وخرج العم كه مينغ محمر الوجه . وعندها كان جيويه هوى قد غادر القاعة .

وبين المستمعين خارج النافذة كانت اخته الصغيرة شو هوا . فعندما رأت جيويه هوى جاءت اليه وسألته :

— هل تعرف شيئا عن العم كه دينغ ايها الاخ الثالث ؟
فقال جيويه هوى هازا رأسه :

— اعرف منذ وقت طويل .

ثم سألها بصوت خافت ، مشيرا بشفتيه نحو غرفة جده :
— كيف اكتشفوا ذلك ؟

فأجاب الفتاة على نحو تمثيلي :

– ان لدى العم الخامس حظية خارج المنزل . وقد استأجر لها شقة . ولم يكن احد في الاسرة يعلم بذلك . ثم اخذ كل حلى زوجته الذهبية والفضية ، وقال انه اعارها الى شخص يريد ان يشتري مثلها . وعندما الحت عليه زوجته باعادتها قال انه قد فقدها . وفي الاشهر الاخيرة كان يمضى اليوم كله خارج المنزل ولا يعود الا في وقت متأخر من الليل . وكانت زوجته مشغولة تماما في لعب الماجيانغ ، فلم تلاحظ شيئا . وامس صباحا وجدت صورة امرأة في جيبه . ولما سألته عنها رفض ان يقول لها من صاحبة الصورة . ومن قبيل المصادفة خرجت مدام شن امس بعد الظهر للتحوج فرأت امرأة تنزل من محفة العم كه دينغ امام المبنى ذى الرواق المقنطر وقاو تشونغ خادم العم كه دينغ يسير خلفها مباشرة .

واليوم وجدت مدام شن عذرا في استبقاء قاو تشونغ في البيت ، واجبرته على اخبارها بالحقيقة – العم كه دينغ قد رهن بعض حليها ، واما بعضها الآخر فقد قدمه لحظيته . والآن اشتكت مدام شن الى الجد . . . ان حظية العم كه دينغ عاهرة . اسمها لى باى يى ! . . . اجل ، ويقولون ان العم كه دينغ قد بدأ شرب الافيون ، وقد ادمنه . وحظيته تشرب الافيون ايضا . . .

واستمرت شو هوا في ثرثرتها كأنها لا تريد ان تتوقف ابدا ، مستلذة التحدث في هذه الفضيحة . ولم يظهر جيويه هوى

كبير اهتمام بذلك ولا كبير دهشة . فقد ادرك ان الاسرة جوفاء
ولا بد من تداعيتها . ولن يستطيع احد ان يحول دون ذلك ،
لا جده ولا اى شخص آخر . والعجوز نفسه آخذ في التداعى
بسرعة . وبدا لجيويه هوى انه وحده على عتبة الاشراق . فقوته
المعنوية قد تجاوزت الى حد بعيد قوة اسرته المتداعية .

واليوم ارتفعت به حماسه كما لم ترتفع به من قبل ابدا .
وهذا الذى يسمى صراعا بين الوالد والابن على الحق فى الحرية
والحب والعلم سينتهى نهاية سعيدة . وعهد المأسى التى من
نوع مأساة مى سينتهى قريبا ، مفسحا المجال لعهد جديد ،
عهد فتيات مثل تشين او حتى مثل شيوى تشيان رو الاكثر
عصرية ، اى عهد امثال جيويه مين وعهده هو ايضا . وشباب
هذا العهد لن يهزموا ابدا بعد اليوم امام اسر قديمة الطراز فاسدة
ضعيفة غالبا ما تكون مجرمة . النصر اكيد ، وجيويه هوى
متيقن من ذلك .

وانتفض بعنف ، كأنما يريد ان يرمى عن كاهله عبء
سنوات من الالم والمرارة . وحقق فيما حوله بكل زهو وحقق ،
وقال فى نفسه : انتظرى ايتها الاسرة القديمة ، وسترين . ان
نهايتك قد باتت قريبة !

طبعا لم يكن لدى شو هوا فكرة عما يدور فى ذهن جيويه
هوى ، حيث انه لم يجبها ، واستطاعت ان ترى ما هو عليه
من ضجر . فهرعت عائدة الى مكانها السابق خارج النافذة .
وذهب جيويه هوى الى غرفته . ولم يمض وقت حتى

لحظ من خلال نافذته كه مينغ عائدا وبرفته كه دينغ . وبعد ذلك تناهى الى مسمعه من غرفة جده صوت يردد بالشتائم الموجهة على نحو واضح الى كه دينغ . واخيرا توقف الصوت ، وماج الحشد خارج نافذة العجوز بالاثارة ، كأنما هناك تطور غير متوقع .

وتتمم جيويه هوى قائلا : ” دائما كنت اقول ان اسرتنا تحب حدوث المهزلة . “
وارتفعت اصوات الناس خارج النافذة . وهرع الرجال والنساء لاهئين لنشر الاخبار .

واندفع جيويه تشيون ، احد ابناء عم جيويه هوى الرابع ، راكضا عبر الفناء ، ثم ما لبث ان توقف فجأة لينقل الخبر الى جيويه ينغ ، ابن عم جيويه هوى الثالث ، فقال :

– الجد يضرب العم كه دينغ !

فسأله جيويه ينغ :

– حقا ؟ اذن لماذا انت هارب ؟

فقال جيويه تشيون :

– اريد ان اخبر الاخ السادس واطلب منه ان يأتي

ويرى . . . رجل كبير مثل العم كه دينغ يضرب !

ثم ضحك ، واندفع راكضا .

واخيرا اثار ذلك اهتمام جيويه هوى ، فمشى نحو غرفة جده . كان هناك اربع او خمس نسوة يختلسن النظر من خلال ستار الباب ، وقد سددن المدخل . فخرج جيويه هوى الى

النافذة ، غير راغب في المرور من بينهن حشرا . وهناك وجد
اناسا كثيرين قد تجمعوا للاستماع . وقليل منهم جلبوا كراسي
وجثوا عليها ، وراحوا يحدقون من خلال ثقوب صغيرة في ورق
النافذة .

ولكنه لم يسمع اى صوت للضرب ، بل صوت العجوز
الحاد النبرات يقول :

– رجل في سنك وعنده فتاة ناشئة – وما تزال تجهل
كيف تتصرف ! انك تقدم مثالا رائعا لابنتك ! فلتخجلى
منه يا شو تشن . انه لا يصلح لأن يكون اباك !

فلم يسع جيويه هوى الا ان يضحك بينه وبين نفسه .
ثم سعل العجوز ، وبعد لحظة توقف استأنف محاضرتة
الغاضبة فقال :

– انك لا تملك ذرة من الخجل . تخدع زوجتك فتعيرك
حليها ، ومن ثم ترهنها ! اعطيك مهلة ثلاثة ايام ، لتعيدها !
وتابع السيد المبجل قاو شتم كه دينغ ، واخيرا قال :
– ايها الحيوان ، لقد دلتك لأنك كنت طفلا ذكيا .
ولم يخطر في ذهنى قط انك ستصبح مخزيا الى هذا الحد .
كيف كان ردك على ملاطفتى لك ؟ تخدعنى ! ايها الوغد !
اصفع وجهك ! اصفع وجهك بنفسك !

وانطلق صوت يد تصفع وجنة صفعا عنيفا . فهرع جيويه
هوى الى باب غرفة جده ، وقال بصوت خافت لشقيقته شو
هوا التى كانت منحنية الى الامام تحديق من خلال ستار الباب :

– دعيني انظر .

ثم تقدم عنها شيئا فشيئا ووقف في المدخل .

كان كه دينغ جايا منتصب الظهر ، يصفع وجنتيه يسرة ويمنة . وقد اصبح وجهه النحيف الشاحب عادة شديد الحمرة بتأثير الصفعات . وعلى الرغم من وجود زوجته وابنته امامه الا انه استمر يضرب نفسه دون ادنى خجل .

ولكن السيد المبجل قاو لم يكتف بهذا الاذلال بل طلب منه ان يروي قصته القدرة بكاملها – كيف توصل الى معرفة اقران السوء وبدأ ينحدر ، علاقته بالعاهرة ، الشقة التي استأجرها لها ، كيف رهن حلى زوجته .

فكشفت كه دينغ كل شيء ، شاتما نفسه ، بما في ذلك اشياء لم تخطر ببال والده ابدا . فقد تراكمت عليه ديون كثيرة ، بعضها خسائر في القمار ، وفيها ديون باسم العجوز . واكثر من ذلك ان شقيقه كه آن قد ساعده في كل هذا ، ولذا فان كه آن يعتبر مسؤولا في المقام الاول عن غرقه في الديون .

فذهل العجوز . حتى جيويه هوى لم يخطر في ذهنه ان الامور قد وصلت الى هذا الحد .

ولم يتمالك جيويه هوى نفسه عن الدهشة ازاء الفرق الكبير بين عمه الخامس كه دينغ واخيه جيويه مين . فجيويه مين في التاسعة عشرة من عمره ، محاط بالخصوم ، ليس له من دعم الا اخلاصه وحماسه ، يقاوم بشجاعة ، واسرة تقف عاجزة امامه . وكه دينغ ، فوق الثلاثين ، اب لابنة في الثالثة عشرة

من عمرها ، يركع على الارض ، يصفع وجهه بنفسه ، يلعن ويشتم نفسه ، يورط الآخرين ، لا يبدى اية مقاومة لا قولاً ولا فعلاً . لقد استجاب لأوامر ابيه دون تردد ، مع انه لم يكن موافقاً حقاً على ما قاله السيد المبجل . وازاء تهديد العجوز العنيد ، كم يكون الفرق شاسعاً في ردة الفعل بين هذين الجيلين المختلفين ! وشعر جيويه هوى بالاعتزاز بجيله . ثم قال في نفسه وهو ينظر الى عمه كه دينغ بازدرآء : ” رجل من نوعك هذا لا يمكن ايجاده الا بين ابناء جيلك ، اما في جيلنا فلا يمكن ايجاده ابدا . “ ومضى في سبيله .

امر العجوز شو تشن ، وهو يسعل بحدة ، ان تدعو كه آن . فعادت الفتاة بعد لحظات تقول ان عمها ليس في البيت . فشم العجوز وضرب الطاولة بيده قائلاً لشو تشن :

— اين زوجة عمك الرابع ؟ احضرها لى .

كانت مدام وانغ ، زوجة العم الرابع ، تستمع خارج النافذة . فعندما رأت شو تشن مقبلة نحوها لم يبق امامها ، على الرغم من شعورها بالخوف ، الا ان تستجمع شجاعتها وتذهب . وسألها العجوز بصوت عال اين ذهب زوجها ، فأجابت مدام وانغ بأنها لا تعرف . فسألها عند ذلك عن موعد عودته ، فأجابت بأنها لا تعرف ايضاً . فصاح السيد المبجل ضاربا الطاولة :

— لماذا لا تعرفين ايتها المغفلة ؟

خفضت مدام وانغ رأسها غاضبة مرتبكة . وظنت انها رأت

السيدة تشن تلوى قسما ت وجهها الكريه سخرية منها ، وشعرت ان بودها ان تقول لحظية العجوز المستطيلة الوجه كلمة او كلمتين . ولكنها في حضرة السيد المبجل لم تجرؤ على التحرك ، بل حتى لم تجرؤ على البكاء .

وانفجر العجوز مرة ثانية في نوبة من السعال الحاد ، فأخذت السيدة تشن تدق على ظهره بعناية وتقول :

– لا تجلب لنفسك المرض بسببهم . انهم لا يستحقون !
وهذا العجوز تدريجيا . وحل محل غضبه اكتاب لم يشعر به من قبل . فأغمض عينيه مرهقا ، واستلقى بظهره على الارىكة . ورغب عن رؤية اى منهم . ثم تنهد مشيرا بيده اشارة واهنة :

– اخرجوا جميعكم . انى لا استطيع تحمل النظر اليكم . وكان كل منهم يتشوق الى الطرد ، فخرجوا بسرعة . ونهض كه دينغ عن الارض ثم خرج على رؤوس اصابعه . وظل السيد المبجل وحيدا مع السيدة تشن . ولكنه رغب عن رؤيتها هى الاخرى . كل ما كان يريد شىء من السكون والهدوء . لذلك صرف السيدة تشن ، ثم استلقى على الارىكة ، وقلبه يخفق قليلا .

وفتح عينيه ، فبدا له انه يرى اشكالا كثيرة ووجوها تتابع امامه . لم ينظر اى منها اليه بشىء من المودة . فهؤلاء ابناءؤه غارقون في النساء والخمر ، يسخرون منه ويشتمونه في غيابه . وهؤلاء احفاده يسلكون طريقهم الجديد مزهوين ، متخليين عنه ،

وهو من الكبر والضعف بحيث لا يستطيع إيقافهم .
لم يسبق له ابدا ان شعر بهذه الوحدة والاكتئاب . أكانت
آماله كلها مجرد احلام فارغة ؟ لقد ظل بيني الاسرة الى ان
اصبحت كبيرة ومزدهرة . واحتكر لنفسه كل شيء وضبطه
على نحو قاس ، قانعا بأن الاسرة ستستمر في ازدهارها . ثم
تكون نتيجة جهوده الشاقة مجرد هذه العزلة . ومن الواضح انه
لم يستطع ان يظل مسيطرا على الامور على الرغم من انه يبذل
في سبيل ذلك اقصى قوته الآخذة في الضعف .

واستراح بثقل جسمه على الارىكة ، وهو في حالة شديدة
من التجاهل والعذاب والعزلة . انها المرة الاولى التى يدرك فيها
حقيقة مكانته لدى الاسرة . انه لم يفقد كبريائه فحسب -
بل حتى الناس الذين اعتمد عليهم في المحافظة على مواصلة
الحياة اليومية للاسرة قد أثبتوا عدم صلاحيتهم . للمرة الاولى
يشعر بخيبة الامل وبتحطم اوهامه وبالغرق في لجة اليأس .
وخطر له ، للمرة الاولى ايضا ، انه قد ارتكب اخطاء لا محالة ،
ولكن لم يعرف ما هذه الاخطاء . وحتى لو استطاع اكتشافها ،
فالوقت متأخر جدا جدا .

وبدا له انه يسمع كه دينغ يتخاصم مع زوجته السيدة
شن التى كانت تشتم شخصا ما . وانه يسمع في كل مكان
اصواتا مزعجة ، محبة للخصام والنزاع . فغطى اذنيه ، ولكنه
لم يستطع حجبهما عن السماع . واضطر للبحث عن مكان
هادئ يختبئ فيه ! وجاهد نفسه للتهوض على قدميه، وترنح

باتجاه سريره . وفجأة بدأت الغرفة تدور به . ثم ما لبث ان تمايل واظلمت عيناه . ولم يصح بعدها الا على صراخ السيدة تشن المروع .

٣٢

وقع السيد المبجل قاوطريح الفراش . وراح يئن على سريره ، وحوله عدد من الاطباء المشهورين يعتنون به ، ويعطونه جرعا من دواء مرقاتهم . وفي اليومين الاولين قال الاطباء ان مرضه ليس خطيرا . وكان العجوز خلالهما يتناول ادويته على نحو روتيني ، الا ان حالته ازدادت سوءا . وفي اليوم الثالث رفض تناول اى من الدواء ، ولكنه لان قليلا بعد توصل مشترك من كه مينغ وجيويه شين . ولبث كه مينغ بجانب العجوز طوال الوقت ، تاركا شؤون مكتبه القانوني لسكرتيره ولمحام آخر . واخذ كه آن يمضي شطرا من وقته في البيت ، ولكنه يذهب كذلك الى المسرح والى شقة كه دينغ الخاصة خارج المنزل . وانتهاز كه دينغ فرصة مرض والده للذهاب الى ” عش غرامه “ ، حيث يشرب ويلعب الماجيانغ ويلهو مع صديقاته . فلم يكن يرى العجوز الا مرة في الصباح واخرى في المساء حيث اعتاد ان يقدم تحياته الرسمية .

ولم يتأثر احد في الاسرة لمرض العجوز ، بل ظلوا كسابق عهدهم يضحكون ويصخبون ويتعاركون ويتخاصمون . حتى القلة الذين كانوا مهتمين به لم يخطر في ذهنهم ان حالته خطيرة ، على الرغم من انه كان يزداد هزالا يوما بعد يوم .

وعندما اثبتت المداواة عدم فاعليتها اتجهت الاسرة نحو الشعوذة . فبعض الناس عندما يفقد ثقته يلتمس العون من الاشياء الخارقة للطبيعة . وهذا يمكن ان يأخذ اشكالا جد معقدة - اشكالا يتدعها اناس ضعاف العقول ولا يؤمن بها الا اناس من ضعاف العقول ايضا .

وهكذا اقترحت الطقوس السيدة تشن ، ووافقتها على ذلك بقية نساء الاسرة ، كما حصلت على دعم كامل من الرجال والسادة الذين يزعم انهم "متصلعون في كتب الحكماء" . وبدأت الطقوس بأن قام عدد من الرهبان الطاويين بقرع الطبول والصنوج وترنيم الدعوات في القاعة الرئيسية . وفي الليل ، حيث سكن كل شيء ، صلت السيدة تشن في الفناء . وراقبها جيويه هوى من نافذته باستغراب . فوجدها تلبس على نحو رسمي تنورة وردية اللون ، وتركع امام شمعتين ومضرم للبخور فيه تسعة اعواد بخور تدخن ، وتسجد وتغمغم بالدعوات . وظلت هكذا تقف وتركع مرة بعد اخرى وليلة اثر ليلة . غير ان العجوز لم يتحسن .

وقال جيويه هوى في نفسه غاضبا : "يا لك من امرأة غبية ! كل ما تصلحين له هو تقديم مشهد ابله !"

والخطوة الثانية كانت لابناء السيد المبجل الثلاثة - كه مينغ ، كه آن ، كه دينغ - في تقديم تضحية . ففي منتصف الليل حل محل مضرم السيدة تشن مذبح يحمل شموعا طويلة وبخورا غليظا وادوات قربانية . وبدأت الطقوس على نحو جدى ، ولكن الوقار الذى تصنعه الابناء الثلاثة بلغ حد الافراط ، فبدا مضحكا . ومع انهم كذلك ركعوا وسجدوا ، الا انهم انتهوا في وقت اقصر بكثير من الوقت الذى استغرقتة السيدة تشن . ونظر جيويه هوى الى ما فعلوه بنفس السخرية التى نظر بها الى حظية العجوز . فقد عرف انه قبل ساعات قليلة فقط كان كه آن في المسرح يداعب الممثل المفضل لديه ، الذى يقوم بتمثيل دور الانثى ، كما كان كه دينغ يقامر ويشرب في " عش غرامه " . انه لربما تام ان يركعوا ويصلوا ويتمنوا ان يموتوا بدلا من ابيهم .

وما كاد جيويه هوى يظن ان الاسرة قد استنفدت بدعها حتى ابتدع برنامج جديد ، اذ دعى ساحر ليتولى " طرد الشياطين " . فذات مساء ، بعيد حلول الظلام ، امر كه مينغ ان تغلق جميع الابواب باحكام . وتحول المربع السكنى الى معبد قديم موحش . ووصل ساحر نحيف الوجه ، تتدلى خصلات شعره على كتفيه ويلبس رداء كهنوتيا خاصا . ثم اخذ يصرخ صرخات حادة ، وينشر الراتينج المحترق هنا وهناك ، تماما كأنه ممثل يؤدي دور شيطان على المسرح . وجرى في انحاء القناء محدثا جميع انواع الضجيج المخيف والحركات المخيفة . ثم دخل

حجرة المريض ، وراح يقفز ويصرخ ويرمى اشياء على الارض ، حتى انه القى الراتينج المحترق تحت السرير . ولم تستطع انات العجوز المرتفعة المتسببة عن الجلبة والذعر اعاقه الساحر ، بل انه دعم عرضه بنوبة من الجنون . حتى انه قام امام العجوز بحركات شرسة مخيفة جعلته يصرخ مرعوبا . وامتلأت الغرفة بالدخان الاسود الكثيف والوهج ورائحة الراتينج المتناثر . واستمر ذلك ساعة . ثم غادر الساحر ، وهو ما يزال يصرخ . وبعد فترة من السكوت التام عادت الاصوات البشرية تسمع ثانية داخل المربع السكنى .

ولكن ما زال هناك الكثير . فقد قيل ان الشياطين لم تطرد الا من غرفة المريض فقط . وهذا لا يكفى . ان المربع السكنى يعج بالشياطين . هناك شياطين ، شياطين كثيرة ، فى جميع الغرف . وتقرر اجراء تنظيف عام فى المساء التالى ، اذ قال الساحر ان العجوز لا يمكن ان يشفى الا بهذه الطريقة .

ولم يؤمن بهذا كل واحد من افراد الاسرة ، فبعضهم كان فى الواقع معارضا القيام بعملية طرد ثانية للشياطين . ولكن لم يمتلك اى منهم الشجاعة على التعبير عن معارضته بصراحة . ومع ان جيوبه هوى لم يخش التصريح برأيه ، الا انه لم يحظ باهتمام احد .

وبدأت المهزلة الثانية فى الوقت المحدد . فكل غرفة اخضعت لتصرف مضحك ومخيف . وخرج الناس مخليين المكان للساحر . وصاح الصغار صيحات عالية ، وتنهدت النسوة ، وهز الرجال

رؤوسهم .

وجلس جيويه هوى فى غرفته ، يصغى الى الصخب والولولة الغريبة المنبعثة من حجرة زوجة اخيه عند الجانب الآخر من الجدار . وراح يدمدم بالشتائم غاضبا . وبدا له ان كابوسا ثقيلًا يجثم عليه ، وود لو يقفز ويرمى عن جسمه هذا الكابوس . ولم يستطع المشاركة فى هذا العرض الخرافى . ثم اتخذ قراره ، فأقفل باب غرفته من الداخل ، وجلس ينتظر .

ولم يمض وقت طويل حتى جاء الساحر الى غرفة جيويه هوى . ولما وجد الباب مقفلا اخذ يقرعه بحدّة ، وساعده الخدم فى الطرق . ولكن ما من جواب . فبدأوا يدفعون الباب وينادون :
” ايها السيد الثالث ! “

فصاح جيويه هوى :

— لن افتح . ليس فى غرفتى شياطين !

ثم استلقى على سريره ، وسد اذنيه بيديه .

وفجأة ضرب احدهم الباب بعنف . فاستوى جيويه هوى جالسا ، وقد احمر وجهه غضبا . وخيل اليه انه يرى مينغ فنج بشعر اشعث ووجه بللته الدموع . فصاح :

— كفاكم صخبًا ! ما الذى تحاولون فعله ؟

وسمع عمه كه مينغ ينادى :

— يا جيويه هوى ، افتح الباب .

وانطلق بعد ذلك صوت السيدة تشن الحاد يقول :

— ايها السيد الثالث ، افتح الباب .

فقال في نفسه : لقد جثتم اذن بتعزيزات . ورد عليهم بصوت واضح مبتعدا عن الباب :

- لن افتح .

وشعر بأن مخه يكاد ينفجر ، فتمتم قائلا : ” انى اكرههم ، اكرههم . “

ولكنهم لم يتركوه وشأنه ، بل الحوا عليه بأصواتهم الغاضبة المرتفعة اكثر فأكثر .

- ألا تريد لجدك ان يتحسن ؟ افتح الباب ! . . . اين شعورك بالواجب ؟

هكذا انطلق صوت السيدة تشن الحاد ، الذى دائما ما يجده جيويه هوى مزعجا ، كأنه صفعه تنهدده ، فأذاه وزاده غضبا على غضب .

وقال كه مينغ :

- يجب ان تكون عاقلا يا ابن اخى . جميعنا نريد للجد ان يتحسن . انك ولد مدرك .

وقاطعه صوت آخر يقول :

- افتح الباب ايها الاخ الثالث . اريد التحدث اليك . وكان صاحب الصوت جيويه شين .

فقال جيويه هوى في نفسه بمرارة : وانت ايضا . ألا يكفى انك انت نفسك جبان . . . واحس بانكسار في قلبه .

وتابع يحدث نفسه : حسنا ، اذا كان هذا ما تريدون . ثم اندفع نحو الباب وفتحه . فقبول بوجوه قد احمرت غضبا .

واندفع الناس الى داخل الغرفة ، وكان الساحر اول من تقدم
طبعا .

وصاح جيويه هوى بصوت يرتجف غضبا ، وهو يقف
في المدخل مغتاظا :

– مهلا !

ثم سألهم في ازدياء ، وهو ينظر اليهم بعينين ممتلئتين
حقدا :

– ماذا ستفعلون ؟

بعث السؤال فتورا في همتهم . ودمدم كه مينغ ببعض
الكلمات حول ” طرد الشياطين ” بلهجة اوحت بكل وضوح
انه لم يكن واثقا فيما يقول .

وقالت السيدة تشن ، وقد وقفت منتصبه القامة تفوح منها
رائحة العطور ، وتشير الى الساحر الذى يجب ان يدخل :

– انا نقوم بطرد الشياطين لجدك .

فقال جيويه هوى كأنما بصق الكلمات في وجهها فعلا :
– لقد جنت ! انك لا تطاردين الشياطين ، بل تعجلين
بالجد الى قبره . انك تخشين ألا يقضى عليه المرض بالسرعة
الكافية ، فتحاولين اغضابه الى حد الموت ، اخافته الى حد
الموت !

فامتقع لون كه مينغ من شدة الغضب ، ولم يستطع ان
يقول اكثر من كلمة :

– انت ...

وصاح جيويه شين محذرا :

- ايها الاخ الثالث !

فقال جيويه هوى مثبتا نظره على اخيه الكبير :

- اما بالنسبة لك فعليك ان تخجل من نفسك ! شاب مثقف مثلك . كيف يمكنك ان تكون غبيا الى هذا الحد . الرجل مريض ، وانت تدعو ساحرا ! اذا كنتم تمتعون انفسكم بهذا النوع من البلاهة ، فهذا يكفي ، ولكن عليكم ألا تجعلوا حياة الجد هدفا لألعابكم . تقولون انكم تحترمونه . لماذا لا تتركونه يستريح ؟ لقد رأيت الطريقة التي ارعبه بها الساحر في الليلة الماضية . ولكنكم لم تكتفوا بعد ، فعدتم الليلة الى نفس التصرف ثانية . انكم لا تطردون بذلك الشياطين - انكم تحاولون قتله ! اننى احذرکم - اول شخص تطأ قدمه غرفتى سيتلقى صفعه على وجهه ! اننى لا اخاف احدا منكم !

والعادة ان مثل هذا الافراط فى الكلام قد يخلق وضعاً ينتهى بجيويه هوى نهاية سيئة . ولكن فى هذه الليلة بلغت به حدة هجومه النصر . فقد وقف سادا الباب بكل ثبات ، وعيناه تتألقان زهوا . انهم ذووہ الكبار ، وقد اشبعهم سخرية . ولكنه اعتقد بأنهم جلبوا على انفسهم ذلك بتصرفاتهم التافهة ! وكان كه مينغ اول من خفض رأسه خجلا . فقد ادرك ان جيويه هوى على حق . وادرك ان برنامج طرد الشياطين لن يعود الا بالاذى . ولكنه من اجل اعطاء الاصدقاء والاقرباء انطباعا بأنه ابن " بار " اشترك فى ذلك على مضض . ولذلك

انصرف دون ان يتفوه بكلمة ، عاجزا عن مواجهة جيويه هوى .
واحس جيويه شين بالغضب والندم . وتحذرت الدموع
على وجنتيه . وعندما رأى كه مينغ يغادر استدار هو الآخر وتبعه .
اما السيدة تشن فلم تكن امرأة ذات شجاعة منبثقة من
نفسها . بل كانت تعتمد كليا على قوة الآخرين . وقد تركها
انصراف كه مينغ دونما دعم ، فخافت ان تفتح فمها وتتفوه
بكلمة . ولكنها كانت تؤمن حقا بفعالية طرد الشياطين ، ومهتمة
اهتماما حقيقيا بمرض العجوز . ولم تستطع ان تفهم موقف
جيويه هوى ، فكرهته لأنه شتمها علانية امام اناس كثيرين .
ولكن في غياب السيد المبجل ، وحيث كه مينغ قد غادر ،
فانها لم تجرؤ على معارضة جيويه هوى بل غادرت المكان
صاغرة ، تلعن في داخلها هذا الحفيد الذى لم يحترم جده .
وتفرقت بقية الحشد ايضا . ولم يقدم اى منهم ادنى مساعدة
للساحر . ومع ان الساحر دمدم متدمرا ، ونسوة من الاسرة عبرن
عن استيائهن ، الا ان جيويه هوى احرز هذه المرة انتصارا
تاما ، لم يكن هو نفسه يتوقعه .

٣٢٣

وعلى نحو غير متوقع نام جيويه هوى تلك الليلة نوما هائنا .
وفي الصباح التالى ذهب لزيارة جده ، متوقعا منه التوبيخ على

الاقبل .

كان نصف ستار السرير مسحوبا الى الخلف ، كاشفا عن العجوز من وسطه الى اعلى رأسه . كان مستلقيا على جنبه ، ورأسه الاصلع مستند الى وسادة وثيرة ، ووجهه شاحب انحف مما كان عليه سابقا ، وفمه مفتوح فى تراخ . اما عيناه الواسعتان فقد غارتا فى محجريهما فوق وجنتيه النائتتين ، وكان من حين لآخر يغمضهما فى كلل . وقد بدا لجيوبه هوى ضعيفا يستثير الشفقة ، فلم يعد ذلك السيد المبجل قاو الصارم المخيف .

كان الجد يتنفس بصعوبة . وقد فتح عينيه على اتساعهما ليحديق الى جيوبه هوى لدى دخوله . وشيئا فشيئا ظهرت على وجهه ابتسامة ودودة ، ابتسامة حزينة واهنة . ثم قال :

— آه ، لقد جئت .

انه لم يستقبل جيوبه هوى بهذه المودة من قبل . وجيوبه هوى لم يستطع فهم هذا التغير الذى طرأ عليه .

ثم تابع يقول بجهد كبير :

— انك ولد طيب .

وجهه نفسه على التبسم . فازداد جيوبه هوى فى انحنائه اقترابا منه .

وكرر الجد قوله فى ضعف :

— انك ولد طيب جدا . يقولون ان لك مزاجا غريبا . . .

ادرس جيدا .

وتابع يقول ببطء :

– اننى افهم الامور الآن على نحو افضل . هل سبق ان رأيت اخاك الثانى ؟ ارجو ان يكون بخير .

وتلألأت الدموع فى زاويتي عينيه . وكانت تلك اول مرة يراه جيويه هوى فيها لطيفا بهذا الشكل . وقال جيويه هوى :
– نعم .

فقال العجوز ماسحا عينيه بيده :

– لقد كنت مخطئا . اريد ان اراه ثانية . احضره الى البيت بسرعة . لن اسبب له اية متاعب بعد الآن .

ولاحظت السيدة تشن التى فرغت من تسريح شعرها ووضع المساحيق على وجهها وتخطيط حاجبيها ، لاحظت هذا المشهد لدى دخولها من الغرفة المجاورة ، فخاطبت جيويه هوى مؤنبة اياه :

– ايها السيد الثالث ، انك كبير الى حد يجعلك تعرف الامور معرفة جيدة . عليك ألا تزعج جدك عندما يكون مريضا جدا .

فقال العجوز على الفور :

– لا تلوميه . انه ولد طيب :

فانصرفت السيدة تشن غاضبة ممتعضة ، بينما تابع العجوز حاثا جيويه هوى :

– عد بأخيك الثانى . اننى لم اراه منذ وقت طويل . قل له اننى لن اتكلم شيئا بعد ذلك حول الزواج من اسرة فنغ .

اننى اخشى ان لا اعيش طويلا . اريد ان اراه ثانية . اريد ان اراكم جميعا .

انصرف جيويه هوى من عند جده متجها مباشرة الى غرفة جيويه شين . فوجد الاخ الكبير وزوجته يتحدثان فى شأن ما ، وقد بدا عليهما القلق . وتذكر جيويه شين اخفاقه فى الليلة الماضية فغض طرفه فى ارتباك لدى رؤيته جيويه هوى يقترب .

وصاح جيويه هوى لحظة ولوجه من الباب :

— ان الجد يريدنى ان اعود بالاخ الثانى . لقد اعترف انه كان مخطئا .

فرفع جيويه شين رأسه فى دهشة وسرور ، وقال وهو لا يكاد يصدق أذنيه :

— حقا ؟

فقال جيويه هوى ، ووجهه يشع بالرضى :

— طبعا . ان الجد نادم الآن . لقد قلت لك اننا سنتنصر .

أترى — ها قد انتصرنا اخيرا !

وتقدم جيويه شين نحو روى جيويه مبتسما ، وامسك بيدها قائلا لأخيه :

— قل لى — ماذا قال بالضبط ؟

وحاولت زوجته عبثا ان تسحب يدها من يده لأنها لم تعتد ان تظهر فى مظاهر حب مكشوفة . لقد سر الزوجان سرورا عظيما لسماعهما هذه الاخبار . ان حل مشكلة كبيرة كهذه

حلا يسيرا بدا لهما كمعجزة حقا . ورأيا ان هذه المعجزة ستفتح امامهما مستقبلا مشرقا .

واخبرهما جيويه هوى بتفاصيل محادثته مع جده ، وكان يزداد فرحا مع كل كلمة يقولها . وقبل ان ينهي كلامه دخلت خادمة تقول :

— السيد المبجل يريد رؤية السيد الاول .

فغادر جيويه شين على الفور .

وظل جيويه هوى يتحدث مع روى جيويه . وعادت المربية بالطفل هاى تشن من الخارج ، فداعبه جيويه هوى بعض الوقت .

ومن ثم انطلق يجرى الى حيث يقيم جيويه مين . لقد جرى فعلا . فى البيت لم يشعر بأية حاجة للسرعة ، فقد امضى وقتا غير قصير يتحدث فيه مع زوجة اخيه بابتهاج . ولكن ما كاد يغادر المربع السكنى حتى خيل اليه انه تأخر كثيرا . عليه ان يحمل تلك الاخبار الجيدة الى اخيه الثانى بأسرع ما يمكن .

وطبعا غمر السرور جيويه مين عندما اخبره اخوه بقرار جدتهما . وبعد بضع دقائق من التحدث مع تسون رن الذى يختفى جيويه مين فى بيته غادر الشقيقان بسرعة .

وفى البداية ذهبا لرؤية تشين . فسرت بالغ السرور بأخبارهما ، تماما كما توقعا . وبدا المستقبل المشرق لهؤلاء الشباب الثلاثة اقرب من السابق ، اذ بات بوسعهم تقريبا ان يملوا ايديهم

ويلمسوه . ان هذا المستقبل لم يأتيهم مصادفة ، بل من خلال جهودهم الشاقة . ولهذا بدا لهم عظيم القيمة .

وتحدثوا وقتا طويلا شاعرين بالاطمئنان والابتهاج ، ثم غادرا الى البيت متمهلين . وفي الطريق اخذ جيويه مين يعد بعض الكلمات — ماذا سيقول لجده ، لزوجته ابيه ، لأخيه الكبير . انه سعيد جدا ، فهذا هو ذا يعود الى البيت كبطل ظافر .

ولج جيويه مين البوابة الرئيسية ، ثم عبر الى الفناء الداخلى ، ودخل القاعة الرئيسية ، ومضى ينفذ الى داخل المربع السكنى . وقد ادھشه الى حد ما ان كل شيء ما يزال على ما هو عليه .

ولكن فجأة اخذ يحس بأن هناك تغييرا . فالناس كانوا يهرعون الى شقة الجد ويغادرونها مسرعين . وقد بدا عليهم الذعر وراحوا يتكلمون بأصوات خافتة .

وقال جيويه هوى فى قلق :

— ماذا حدث ؟

ثم تأبط ذراع شقيقه ، واستحثه الى الامام . واحس بهاجس كئيب يغمر قلبه .

فقال جيويه مين :

— ربما الجد . . .

ولم يجرؤ على القول اكثر من ذلك او التفكير اكثر من ذلك . لقد خشى ان يفر المستقبل الذى بدا له انه فى متناول يده .

ودخل الشقيقان غرفة جدهما ، فوجداها تغص بالناس :

ولم يستطيعا رؤية جدهما ، فقد حجب الناس عنهما الرؤية .
واستطاعا فقط سماع صوت خافت غريب . ولم يلتفت اليهما
احد . واخيرا نجحا في شق طريقهما الى الامام . كان جدهما
قد اجلس على كنبه واسعة امام السرير ، وقد خفض رأسه
وراح يلهث . وكان الصوت الخافت الغريب الذى سمعاه قد
خرج من فمه بالذات .

وفى موجة عارمة من العاطفة اراد جيويه مين ان يلقى بنفسه
على جده ، الا ان عمه كه مينغ صده عن ذلك . ونظر كه
مينغ الى جيويه مين نظرة مجفلة ، وهز رأسه .
فقال جيويه هوى موضحا :

— لقد طلب منى الجد ان احضره الى هنا . وقد قال
انه يريد رؤيته .

فهز كه مينغ رأسه فى حزن ، وقال بصوت خافت :
— لقد فات الاوان .

”فات الاوان !“ نزلت الكلمات على جيويه هوى كلظمة
قوية . وبدا انه لم يفهمها . ولكن عندما سمع لهاث جده
المؤلم ادرك فعلا ان الاوان قد فات . العجوز سيرتحل ، والهوة
بين الجد والحفيد ستظل ابدا دون ردم .
لم يستطع جيويه هوى تحمل ذلك . فاندفع نحو جده ،
وامسك يده وصاح :

— يا جدى ! يا جدى ! لقد عدت لك بالاخ الثانى .
فلم يقل العجوز شيئا . بل واصل جهاده للتنفس . وحاول

الناس ابعاد جيويه هوى ، ولكنه جثم عند ركبتى العجوز ،
واخذ يهزه ويصيح على نحو مأساوى :
- يا جدى !

ووقف جيويه مين يراقب :
وفجأة تنهد العجوز وفتح عينيه على اتساعهما . ثم نظر
الى جيويه هوى دون ان يميزه ، وسأله بصوت خافت :
- لماذا تثير كل هذه الضجة ؟
ولوح يده اليمنى فى ضعف مشيرا الى وجوب انصراف
جيويه هوى .

ثم اختفى الوجوم من وجه العجوز شيئا فشيئا . وتحركت
شفتاه ، ولكن لم يند عنهما صوت . ونظر الى جيويه مين وتحركت
شفتاه ثانية . فهتف جيويه مين : ” يا جدى ! ” فلم يسمعه
العجوز على ما يبدو . ثم ادار عينيه نحو جيويه هوى ولوى
قسما وجهه قليلا فى محاولة واضحة للتبسم . وتحدرت الدموع
من عينيه . ثم ربت على رأس جيويه هوى وهمس :
- لقد جئت . . . انك ولد طيب . . . اخوك الثانى ؟ . . .
فسحب جيويه هوى شقيقه جيويه مين الى الامام وقال :
- ها هو ذا .

وقال جيويه مين باحترام :

- يا جدى !

- لقد عدت . جيد ! لن نتحدث بعد الآن عن الزواج
من اسرة فنغ . . . عليكما ان تدرسا بجهد واجتهاد .

واخذ العجوز نفسا عميقا ، ثم تابع يقول ببطء :
- تذكر - ارفعا اسم العائلة عاليا . . . اننى تعب جدا . . .
لا تذهبا . . . اننى مغادر .
واخذ صوته يضعف ويضعف ، ثم خفض رأسه ببطء .
واخيرا اغلق فمه تماما .
وتقدم منه كه مينغ بسرعة وناداه ، ولكن والده لم يجب .
فأمسك بيد العجوز ، وصاح والدموع فى عينيه : ” يده
باردة ! “

وتزاحم الجميع على العجوز يصرخون بصوت عال . ثم
سكنت الضجة تدريجيا . وجثا احدهم على ركبتيه ، وتبعه
الآخرون ، وضجت الغرفة بالبكاء .

ان نبأ الموت ينتشر اسرع من اى نبأ آخر . ففي غضون
دقائق علم المربع السكنى بكامله ان العجوز قد مات . وهرع
الخدم الى بيوت اقرباء اسرة قاو لنقل الانباء الحزينة . وفي
الحال بدأ الضيوف يتوافدون . وزادت النساء الضيفات من
البكاء ، ناديات فى الوقت نفسه مصيرهن البائس .

ثم بدأ العمل ، وقسم بين الرجال والنساء . فعينت ثلاث
او اربع قريبات للجلوس بجانب الجثة والبكاء . واضجع العجوز
على السرير الذى ازيلت عنه ظلته .

ومضى العمل بسرعة ، وانهمك فيه اناس كثيرون . ونقلت
لوحات الاسلاف والمذبح والمعدات الاخرى الى حجرة فى
مؤخر القاعة الرئيسية . ثم جيى* بالتابوت بعد ذلك . وكان قد

اشترى منذ عدة سنوات واحتفظ به بعيدا . وقد قيل ان ثمنه معقول تماما - لم يزد عن الف ليانغ من الفضة الا قليلا .
وجاء الكاهن الطاوى الذى " سيفتح الطريق " الى العالم الآخر . ومن خلال العرافة حدد الساعة والدقيقة الملائمتين لوضع الجثة فى التابوت . وغسل العجوز والبس ثياب الدفن ، ثم حمل الى التابوت على نحو مريح . وحزمت الى جانب السيد المبجل قاو جميع الاشياء التى كان يفضلها فى حياته ، فملأت التابوت الى حافته .

وعندها كان الظلام قد خيم تقريبا . ثم دعى فريق آخر من الرهبان البوذيين كل منهم حليق الرأس - عددهم مائة وثمانية رهبان - ويحمل عود بخور مشتعل . فطافوا فى انحاء المربع السكنى ، داخلين الى الغرف وخارجين منها ، صاعدين السلالم وهابطين عليها . وخلفهم كان جيويه شين واعمامه الثلاثة يمشون ماسكين اعواد بخور كذلك . وكان جيويه شين فى مقدمتهم لأنه " الابن الاول للابن الاول " .

وفى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى تم اغلاق التابوت اغلاقا محكما . وهذه الساعة حددها الكاهن الطاوى من خلال العرافة ايضا . وقد بلغ البكاء ذروته فى تلك اللحظة ، وبعض هذا البكاء كان صادقا .

لقد اوقف موت السيد المبجل كل عمل لدى الاسرة . واصبحت قاعة الاسرة صالونا جنائزيا ، وعلقت فيها زينات الحداد . كما اصبحت القاعة الرئيسية معبدا للصلاة . فكانت

النساء يبكين في الصالون الجنائزي ، وكان الرهبان يرتلون صلواتهم في المعبد . وعلقت في الصالون الجنائزي لوحات تحمل عبارات التأيين وقصائد الرثاء . كما وضعت في المعبد اوثان بوذية ورسوم من قصر العالم الآخر .

وانهمك كل واحد في تأدية المراسم النهائية بخصوص الفقيد . او ربما نكون اكثر دقة اذا قلنا ان كل واحد انهمك في استغلال الفرصة لحفظ ماء وجهه واطهار ما لديه من نعم وثناء .

وبعد ثلاثة ايام بدأت فترة الحداد رسميا . فأخذت تتدفق العطايا على نحو لا حصر له ، واقامت عشرات المراسم ، وتوافدت جموع المعزين . وهذا ما كان يتشوف اليه كل واحد . والآن وصلت النشاطات قمتهما .

وحتى جيويه مين وجيويه هوى لم يكن في وسعهما الا الانهماك في هذه النشاطات . ولم تكن تلك رغبتهما ، غير انها احسا بأن ذلك لن يؤثر فيهما كثيرا . فقد عهد اليهما ” بالرد على المجاملات“ . وبتعبير آخر ، كلما سجد زائر لروح الفقيد الراحل ، كان عليهما ان يفعلا نفس الشيء ، في الوقت الذي يرنم فيه مدير المراسم قائلا : ” شكرا لكم من الابناء والاحفاد البررة .“

ولم يتمالك الشقيقان نفسيهما عن التبسم ايضا حين شاهدا اخاهما الكبير واعمامهما يلبسون ملابس الحداد - اكليل من القنب مع قصاصة طويلة تتدلى من خلف الرأس ، وثوب

حدادی ابيض مغطى بصدرة واسعة من القنب ، مربوطة بحزام قنبى ، وصندل من القش - ماسكين عصيا حدادية وماشين بخطى وثيدة . وقد بدا ذلك للشقيقين الاصغرين كفصل من مسرحية هزلية .

وبعد تناول الفطور فى اليوم التالى تمكن الشقيقان من الهروب . وقد غادر جيويه هوى اولا ، فذهب مباشرة الى غرفة المطالعة التى انشأها الطلبة . وظل يعمل هناك طيلة النهار ولم يعد حتى المساء . وكان جيويه مين ما يزال خارج البيت . وجد جيويه هوى القاعة الرئيسية خالية . فقد غادر الرهبان منذ لحظة . وكانت الشمعتان الموقدتان امام تابوت الفقيد قد ذابتا فلم يبق منهما الا جزء يسير . وكانت فتيلة كل منهما تبقي فى بركة من الشمع . وحتى اعواد البخور قد نفذت كلها . وتساءل : لماذا الجو ساكن هكذا ؟ اين ذهب الجميع ؟ . . . وسوى فتيلتى الشمعتين بملقط ، ثم اشعل حزمة اخرى من اعواد البخور .

وفجأة انبعث صوت عمه كه دينغ من غرفة العجوز يرن قائلا :

- هذا لا يصح ! اقتسام الارض والممتلكات فقط دون مس التحف النفيسة والصور لا يعتبر قسمة دقيقة ! فتكلم كه مينغ ، وكان يلهث غاضبا :

- هناك التحف النفيسة التى كان يفضلها . لقد امضى حياته كلها يجمعها . ونحن بوصفنا ابناؤه علينا ألا نقسمها

فيما بيننا !

فضحك كه آن ، وقال في برود :

– التحف النفيسة والصور لا تعنى شيئا بالنسبة لى . انا
اقول ان كل شىء يعود للعجوز يجب ان نقسمه بالتساوى .

فقال كه مينغ ، وهو يسعل على نحو متقطع :

– حسنا ، اذا كان هذا ما تريدونه جميعا ، فسنقوم
بالقسمة غدا ! ولكن اقول لكم بكل صدق اننى لم اقصد
ابدا استبقاءها لنفسى .

وسمعت حركة في الغرفة ، تبعثها جلبة اصوات عدة نسوة .
ومن ثم خرج كه دينغ يمشى مزهوا ، وهو يتمتم :

– الوصية ، التوصية بميراث – كل هذا مختلق . طريقة
القسمة ليست عادلة !

وبعد قليل خرج جيويه شين ايضا ، تغمر وجهه الكتابة .
فجياه جيويه هوى قائلا في سخرية :

– تقسيم ممتلكات الاسرة ، ها ؟ انكم لا تدعون الوقت
يفوت ، أليس كذلك ؟

فقال جيويه شين في مرارة :

– زوجة ابى وانا نعامل كالدمى . فقد ورثنى الجد ما
يساوى ثلاثة آلاف يوان من اسهم شركة غربى سيتشوان التجارية ،
ولكن اعمامى لا يريدون الاعتراف بهذا التورث .

فقال جيويه مين الذى كان قد عاد الى البيت لتوه :

– وماذا بخصوص السيدة تشانغ ؟

وكان طبعاً مهتماً بشأنها إذ انها عمته وام تشين فى نفس الوقت .

فقال جيويه شين متنهدا :

— لم تحصل الا على ما يبلغ خمسمائة يوان من اسهم الشركة وبعض الاشياء الاخرى — وهذه لأنها ذكرت فى الوصية . ولكن السيدة تشن حصلت على مربع سكنى وفقاً لوصية الجد . ونحن الوحيدون المهتمون بالسيدة تشانغ ، فلا احد آخر يذكرها بكلمة .

فقال جيويه مين مؤنبا :

— لماذا لم توضح رأيك بصراحة ؟

وحذره جيويه هوى قائلاً بصوت خافت :

— هذا العم كه مينغ قادم .

وخرج كه مينغ من شقة السيد المبجل قاو ، يمشى ببطء ويسعل على نحو متقطع .

٣٤

اقترب موعد الوضع بالنسبة لروى جيويه ، فاضطربت السيدة تشن وبقية النسوة فى الاسرة اضطراباً شديداً . وفى البداية ناقشن المسألة سرا . ثم ما لبثت السيدة تشن ان تحدثت الى كه مينغ وشقيقه فى تجهم عن ” لعنة توهج الدم “ .

كانت هناك خرافة تقول : اذا كانت جثة احد الكهول ما تزال في البيت ، وتعين حدوث ولادة في البيت ، فان توهج الدم الخارج من الأم سيهاجم الجثة ويجعلها تنزف كميات كبيرة من الدم . والطريقة الوحيدة لمنع حدوث هذا الشيء هي ان تغادر المرأة الحامل المربع السكنى وتنتقل الى خارج المدينة .

وهذا ليس كافيا ايضا . فبوابات المدينة ليست متينة الى الحد الذي يجعلها تحول دون رجوع توهج الدم – فعليها ان تعبر جسرا .

وحتى مع هذا ليس من المحتوم ضمان النتيجة . فالتابوت يجب ان يغطى بطبقة من الآجر والتراب . وهذا وحده يمكن ان يحمى من ” لعنة توهج الدم “ .

وكانت مدام شن ربة الاسرة الخامسة اول من وافق على هذه الاجراءات الوقائية ، وسرعان ما تلتها في ذلك مدام وانغ ربة الاسرة الرابعة . ووافق كه آن وكه دينغ بعد ذلك ، وتبعهم اخيرا كه مينغ ومامد تشو . ومن بين الكبار كانت مدام تشانغ ، ربة الاسرة الثالثة ، هي الوحيدة التي لم تقل رأبها . وعلى اية حال فقد تقرر العمل وفقا لتوصية السيدة تشن ، وطلب الكبار من جيويه شين ان ينقل زوجته على الفور . وقالوا ان مصلحة السيد المبجل قاو يجب ان تراعى قبل مصالح الجميع .

ومع ان هذا القرار قد صدم جيويه شين صدمة صاعقة ، الا انه وافق في خنوع ، فهو لم يعارض احدا في حياته قط ،

مهما كان الآخرون جاثرين في التعامل معه . وآثر ان يتلع دموعه ، ويكبح غضبه والمه ؛ فأهون عليه ان يتحمل كل شيء من ان يعارض شخصا معارضة مباشرة . كما لم يخطر في ذهنه ابدا ان يتساءل ان كان صبره هذا مؤذيا للآخرين .

ولم تبد روى جيويه تدمرا عندما أعلمها جيويه شين بذلك . بل عبرت عن معارضتها بالدموع . ولكن هذا لم يكن مجديا . وهي لا تملك القوة التي تحمى بها نفسها . وجيويه شين لا يملك القوة لحمايتها ايضا . فليس بوسعها الا ان تخضع .

وقال جيويه شين ناشرا يديه تعبيرا عن العجز :

— تعرفين اننى لا اؤمن بهذا ، ولكن ماذا استطع ان افعل ؟
كلهم يقولون ان من الافضل ان نقف على شاطئ الامن .
فقلت روى جيويه متحبة :

— انا لا الومك انت ، بل الوم مصيرى التعس . فأمى ليست في المدينة لتعتنى بى . ولكن لا يمكننى ان ادعك توصم بالعقوق . وحتى لو اردت انت ذلك ما وافقتك .
— يا روى ، سامحينى ، اننى ضعيف جدا . لا استطع حتى ان احمى زوجتى . هذه السنوات قضيناها معا . . . وتعرفين ما اعانيه .

فقلت روى جيويه ماسحة عينيها بمنديلها :

— ينبغي لك . . . ألا تقول ذلك . اعرف . . . ما مررت به من محنة . انك قد . . . عانيت بما فيه الكفاية . انك طيب جدا معى . وانا ممتنة لك غاية الامتان . . .

فقال جيويه شين باكيا في بؤس :

- ممتنة ؟ من المحتمل الآن ان تضعي في اى يوم ،
ولكننى اضطر الى ان ارسلك الى مكان منزلي خارج المدينة
حيث لا ظروف ملائمة هناك ، وستكونين هناك وحدك . اننى
اخذلك . اى رجل يسمح بأن تعامل زوجته هذه المعاملة السيئة ؟
وما زلت تقولين انك ممتنة !

هدأت روى جيويه عن البكاء ، ونهضت في صمت
وخرجت . وسرعان ما عادت ممسكة بيد الصغير هاى تشن
ومتبوعة بالمربية .

ثم قادت الطفل نحو جيويه شين الذى ظل يبكي في
هدوء ، وطلبت منه ان ينادى اياه ، ان يأخذ يده ويطلب منه
ألا يبكي .

فضم جيويه شين الطفل الصغير وهدق اليه في حنان .
وقبله من وجته عدة مرات ، ثم انزله واعاده الى روى جيويه ،
قائلا بصوت اجش :

- لا امل لى انا . ولكن اعتنى بتربية هاى تشن جيدا .
اننى لا اريده ان يصبح مثلى عندما يكبر !

ثم غادر الغرفة ماسحا عينيه بيده . فنادته روى جيويه
من خلفه باهتمام :

- اين ذاهب ؟

فاستدار ليواجهها ، وقد غامت عيناه ثانية بالدموع ،

وقال :

— الى خارج المدينة لأبحث لك عن بيت .
وبعد ان تلفظ بهذه الكلمات انطلق مسرعا .

عاد جيويه شين في ذلك اليوم متأخرا . فايجاد بيت لم يكن سهلا ، انما نجح في ذلك اخيرا . وكان عبارة عن مربع سكنى صغير ، سبى الانارة رطب الجدران ، وارضيته ترابية ايضا . واجرته رخيصة ، ولكن ليس هذا ما دفع جيويه شين الى استجاره . فقد كان مهتما بشيئين — ” خارج المدينة ” و ” عبر جسر ” ، اما امور اخرى كالراحة والملاءمة فكانت ثانوية .

وقبل ان تنتقل روى جيويه ذهبت السيدة تشن وبعض السيدات لمعاينة البيت . فلم يجدن ما يعترضن عليه .

واصر جيويه شين على القيام بكل اعمال الحزم لروى جيويه . وطلب اليها ان تجلس على كرسي وتراقب . كان قبل ان يضع شيئا في الحقيبة ، يأخذها ويسألها عن رأيها فيه . وهى بدورها تبسّم وتهز رأسها بالموافقة ، سواء كانت تريد ذلك الشيء حقا ام لا تريده . وعندما انتهى من حزم الامتعة قال مزهوا :

— انظرى ، اننى اعرف بالضبط ما تفضلين .

فقالت روى جيويه مبتسمة :

— انك تعرف حقا . وفى المرة القادمة التى اذهب فيها

برحلة سأطلب منك بالتأكيد ان تحزم لى امتعتى ثانية .

ولم تكن تنوى قول الملاحظة الاخيرة ، ولكنها انزلت

من فمها دون ارادتها .

— في المرة القادمة ؟ طبعاً سأذهب معك في المرة القادمة .

الى اين ستذهبن حينذاك ؟

— كنت افكر في زيارة امي . ولكننا سنذهب سوياً طبعاً .

لن اتركك ثانية .

فتغير لون جيويه شين ، وخفض رأسه على الفور . ثم

رفعه ثانية وقال بضحكة قسرية :

— اجل ، سنذهب سوياً .

كان كل منهما يخادع الآخر وهو يعلم ذلك . فمع

انهما ابتسما ، الا انه كان بوجهما ان يبكي . ولكنهما سترتا

مشاعرهما الحقيقية بمظهر الابتهاج . ولم يشأ اي منهما ان

يفلت العنان لدموعه في حضور الآخر .

ودخلت الفتاتان شو هوا وشو ينغ ، وتلاهما جيويه مين

وجيويه هوى . ولم يشاهدوا الا تعابير السرور على وجهي جيويه

شين وروى جيويه ، ولم يستطيعوا تلمس الاحتياج الشديد في

قلبيهما .

لم يستطع جيويه هوى ان يظل صامتا ، فسأل :

— ايها الاخ الكبير ، هل ستدع زوجة اخي تغادر حقاً ؟

فمع انه سمع شيئاً من هذا في البداية ، الا انه ظن ان

الناس يمزحون . ولكن عندما عاد الى البيت قبل بضع دقائق

رأى يوان تشنغ ، خادماً متوسط العمر لدى جيويه شين ، عند

البوابة المفضية الى الفناء الداخلي . وقد حياه الرجل بمودة ،

فوقف جيويه هوى ليتحدث معه . وعندها سأله يوان تشنغ
مقطبا مكتثبا على غير عاداته :

— ايها السيد الثالث ، هل تظن ان انتقال السيدة روى
جيويه الى خارج المدينة فكرة جيدة ؟
فقال جيويه هوى مجفلا :

— طبعا لا . ولكننى لا اعتقد انها ستغادر حقا .

— ايها السيد الثالث ، انت لا تعرف . ان السيد الاول
قد طلب منى ومن الاجت تشانغ الاعتناء بها . ولقد دعوا بناء
لبناء ضريح مزيف لتابوت العجوز . ارى انه من الاحسن
ألا تنتقل السيدة روى جيويه . وحتى اذا كان لا بد من ذهابها ،
فمن الواجب اخذها الى مكان لائق . ان الاغنياء فقط هم
الذين لديهم هذه القواعد والعادات الكثيرة . لماذا لا يبدى
السيد الاول رأيه بصراحة ؟ نحن الخدم لا نفهم كثيرا ، ولكننا
نرى ان حياتها اهم من كل هذه القواعد . لماذا لا تحدث
السيد الاول ومدام تشو بذلك ؟

وتابع يقول بانفعال ، والدموع فى عينيه :

— علينا ان نهتم بالسيدة روى جيويه . كل واحد فى
المربع السكنى يرجو لها الخير ! واذا ما حدث مكروه . . .
ولم يستطع متابعة حديثه . فقال جيويه هوى ماثارا ، ولكن
مصمما :

— حسنا . سأتحدث مع السيد الاول حالا . لا تقلق .
لن يحدث شئ للسيدة روى جيويه .

فقال يوان تشنغ في صوت خافت :
- شكرا لك ايها السيد الثالث ، ولكن ارجوك ، لا تدع
احدا يعلم انني اخبرتك بذلك .

ثم استدار وذهب الى بيت البوابة .
وعلى الفور يمم جيويه هوى شطر شقيقه جيويه شين .
ومع ان مظهر الغرفة قد اكد له حقيقة كلام يوان تشنغ ، الا ان
جيويه هوى طلب معرفة ان كان الاخ الكبير سيرسل روى
جيويه بعيدا .

نظر اليه جيويه شين بذهول ، ثم هز رأسه بالايجاب .
- هل انت مجنون ؟ من المؤكد انك لا تؤمن بكل هذا
الهراء !

فصاح جيويه شين وهو يلوى يديه يائسا :
- وما جدوى انني لا اؤمن به ؟ هذا ما يريدونه جميعا . . .
فقال جيويه هوى غاضبا ، دون ان ينظر الى جيويه شين :
- اقول ان عليك ان تقاوم . هذا هو الفصل الاخير في
مهزلتهم .

كان الحقد يلتمع في عينيه ، ونظره متجه الى خارج النافذة .
وقال جيويه مين :

- الاخ الثالث على حق . لا ترسل زوجتك بعيدا . اذهب
واشرح الاسباب بالتفصيل . وسيتفهمون ظروفك . انهم اناس
عاقلون .

فردد جيويه شين كلمته هازئا :

— عاقلون ؟ حتى العم الثالث الذى درس القانون فى جامعة
يابانية قد اجبر على الموافقة . فما فائدة شرحى ؟ اننى لا احتمل
ان اصبح معروفا بالعقوق . لا بد ان افعل ما يقولون . وهذا
ليس صعبا الا على زوجة اخيكما . . .

فقلت روى جيويه بابتسامة قسرية :

— وما الصعوبة فى ذلك ؟ سأكون فى جو اكثر هدوءا
خارج المدينة . . . وسيرافقتى اناس يعتنون بى . اننى واثقة من
ان المكان سيكون مريحا جدا .
وقال جيويه هوى محتدا :

— لقد استسلمت ثانية ايها الاخ الكبير ! لماذا تستسلم
دائما ؟ ألا ترى كم من الاذى تسبب ؟ ان ضعفك قد اوشك
على تحطيم سعادة جيويه مين وتشين . ومن حسن الحظ ان
الاخ الثانى قد امتلك الشجاعة على المقاومة . ولهذا انتصر .
ولم يستطع جيويه مين ان يكبح ابتسامة رضى علت وجهه .
ووافق اخاه جيويه هوى رأيه . فقد احرز سعادته من خلال
انتصاره فى المعركة .

فقال جيويه شين كاظما غيظه ، وكأنما هو يسخر من
نفسه :

— انتما قاومتما كل شىء ، وازدريتما كل شىء ، وانتصرتما .
ولكن انتصاركما قد عمق هزيمتى . لقد صبوا كل غضبهم
منكما على انا . انهم يكرهوننى ويشتموننى من خلف ظهرى .
انتما تستطيعان ان تقاوما ، وتفرا من البيت . ولكن هل استطيع

انا ان افر من البيت كالاخ الثانى ؟ هناك اشياء كثيرة لا تعرفانها .
كم من الشئام تحملت بسبب الاخ الثانى . وكم من المتاعب
التى اواجهها بسبب عمل الاخ الثالث فى المجلة واختلاطه
بالاصدقاء الجدد . لقد تحملت هذا كله ، دون ان أتفوه بكلمة .
احتفظت بالعذاب فى داخلى . لم يعرف احد بذلك . انه لجيد
جدا ان تحدثنا عن المقاومة والنضال . ولكن لمن استطيع ان
اقول هذه الكلمات الرنانة .

وخمد غضبه شيئا فشيئا . واستبدت به كآبة لا تطاق .
فأسرع الى سريره واستلقى عليه ، دافنا وجهه بين يديه .
وهذا حطم آخر خط للدفاع عند روى جيويه . فاخفت
ابتسامتها المتكلفة ، ثم ما لبثت ان اكبت برأسها على الطاولة
وشرعت تبكى . وحاولت شو هوا وشو ينغ التخفيف عنها بصوت
تكاد تخنقه العبرات . وتأسف جيويه مين على تسرعه فى الكلام .
فقد كان فى غاية الفظاظعة مع الاخ الكبير . وحاول التفكير
فى شىء ما يقوله لترضيته .

اما جيويه هوى فاختلف عنه . لقد كان فى نفسه كثير
من الحقد لم يبق معه متسع للعطف على الاخ الكبير . لقد رأى
امامه بحيرة وتابوتا . . . رأى مينغ فنع ومى . . . والآن . . .
هذا . . . وما سيجلبه . وهذه الافكار جعلته يتميز غيظا .
وكأخويه الكبيرين تمتع جيويه هوى بالرعاية الحنونة من
امه المخلصة . وبعد موتها حاول تنفيذ تعاليمها - احب الآخريين
وساعدهم ، احترم ذويك الكبار ، كن طيبا مع من هم دونك .

ولكن اى مشهد يعرضه ذوه الكبار اليوم ! لقد رأى بأم عينيه كيف نمت فى الاسرة هذه القوى الشريرة التى دمرت الحب ! ان حياة الفتاة التى هام بها قد ذهبت هباء . وفتاة اخرى سيقت الى قبرها . وظل عاجزا عن انقاذهما . العطف ، انه مجرد من العطف – حتى تجاه اخيه . ففى قلبه لا توجد الا لعنات .
وقال لجيويه شين بيروود :

– هناك فتاة قد ماتت بسببك ، واطن ان هذا يكفى .
ثم خرج من الغرفة . فلقى المريية قادمة بالصغير هاى تشن . وحياه الطفل ضاحكا ، فرد التحية . واحس بعدها بالبؤس .
وهناك فى غرفته استبدت به وحشة لم يشعر بمثلها قبل ذلك قط . واخذت عيناه تخضلان . فالعالم فى نظره مكان مأساوى . فيه الكثير من الدموع ، الكثير من المعاناة . والناس لا يعيشون فيه الا لتدمير انفسهم او تدمير الآخرين . ان التدمير لا يمكن تجنبه مهما ناضلوا فى سبيل ذلك . واستطاع جيويه هوى ان يرى بكل وضوح المصير الذى ينتظر اخاه الكبير ، ولكنه عاجز عن انقاذه . وهذا ليس مصير الاخ الكبير وحده ، بل مصير الكثير الكثير ممن سواه .

وسأل نفسه : ” لماذا فى العالم كل هذا الشقاء ؟ “ واحتشدت فى ذهنه مشاهد لحوادث بؤس لا حصر لها .

يجب ان اوصل طريقى ، وليحدث ما يحدث ، حتى لو كان ذلك يعنى وطئى جثثهم . وبدا ان جيويه هوى محاصر بالمرارة ، وليس امامه من مخرج ، فشجع نفسه بتلك الكلمات .

ومن ثم غادر المربع السكنى . وذهب الى غرفة المطالعة
لينضم الى اصدقائه الجدد .

٣٥

صحب جيويه شين زوجته روى جيويه الى بيتها الجديد ،
كابتا المة الى حين . ورافقتها مدام تشو وشو هوا وشز ينغ .
وكان معهما ايضا الخادم يوان تشنغ والاخت تشانغ ، الخادمة
البدينة القوية التى ستمكث مع روى جيويه . وخرج جيويه
مين وتشين متأخرين قليلا فى ذلك اليوم .

لم تعجب روى جيويه بالمكان . وهذه اول مرة تنفصل
بها عن جيويه شين منذ زواجهما . عليها ان تعيش من دونه فى
هذا البيت الكئيب الرطب مدة تزيد عن شهر . وحاولت التفكير
فى شىء تعزى به نفسها ، ولكنها لم تستطع . وانهمك كل واحد
فى ترتيب الاثاث ، وراحت هى تبكى من وراء ظهورهم ،
ولكن اذا ما كلمها اى منهم سارعت الى الظهور بأنها مسرورة .
وسرعان ما حان موعد عودة الآخرين الى المدينة . فرجتهم
روى جيويه قائلة :

— أينبغى ان تعودوا جميعا ؟ ألا تستطيع تشين وشو هوا ان
تأخرا قليلا ؟

فقال تشين مبتسمة :

– الوقت متأخر . وسيغلقون بوابات المدينة . سأتى غدا وارك .

– بوابات المدينة !

رددت روى جيويه هذه العبارة كأنها لم تستوعبها . ولكنها فى الواقع ادركت تمام الادراك انها ستفصل الليلة عن جيويه شين ، وليست المسافة وحدها هى التى ستفصل بينهما بل سلسلة من البوابات الثقيلة ايضا . فهى اذا ماتت بين غروب اليوم وفجر الغد ، فانه لن يعلم بذلك ، ولن يكون قادرا على الوصول اليها . انها كمجرم نفى الى مكان بعيد . ولم تستطع هذه المرة كبح دموعها . فراحت تتدفق من عينيها ، وقالت دون وعى :

– المكان هنا موحش جدا . انى اخشى . . .

فقلت شو هوا :

– لا تقلقى يا زوجة اخى . غدا سأتى لأمكث معك .

واضافت شو ينغ قائلة باندفاع عاطفى :

– وانا سأتى ايضا . سأكلم امى بهذا الشأن .

وقال جيويه شين مخففا عنها :

– كونى صبورة يا روى . ستألفين المكان خلال يوم

او نحو من ذلك . والخادمان المقيمان معك يعتمد عليهما

كل الاعتماد . فليس هناك ما تخشيه . وغدا ستأتى الفتاتان

للاقامة معك . وسأحاول انا ايضا ان اجد وقتا لزيارتك . كونى

صبورة . الشهر سيمر بسرعة .

ومع انه حاول ان يرغم نفسه على التظاهر بابتسامة ، الا انه ازداد شوقا الى معانقة روى جيويه والبكاء معها .

وقدمت مدام تشو بعض الارشادات النهائية ، وازداد الآخرون بضع كلمات ، ثم غادروا جميعا . وودعتهم روى جيويه الى بوابة المنزل وراحت تنظر اليهم وهم يركبون محفاتهم . وبعد ان ركب جيويه شين محفته خرج منها فجأة ليسألها ان كانت تريد ان يجلب لها شيئا من البيت . فقالت روى جيويه ان لديها كل ما تحتاج اليه . ثم اضافت :

– احضر هاى تشن غدا . لقد اشتقت اليه شوقا عظيما . اعتن به عناية جيدة . ولا تدع امي تعلم بالامر مهما كلفك ذلك ، فانها ستقلق كثيرا .

فأجاب جيويه شين :

– لقد كتبت اليها قبل يومين . ولم اخبرك ، لأننى اعرف انك لن تدعيني افعل ذلك .

– لماذا فعلت ذلك ؟ لو عرفت امي اننى ...

وتوقفت عن الكلام فجأة . فقد خشيت ان تؤذى مشاعره . فقال جيويه شين مبتلعا غصته :

– كان على ان اخبرها . فاذا استطاعت ان تأتى الى تشنغدو فانها ستتمكن من الاعتناء بك .

ولم يجرؤ على التفكير فى جملة روى جيويه التى لم تتم . ونظر الاثنان الى بعضهما كأن ليس لديهما شىء يقولانه . ولكن قلوبهما كانا يفيضان بكلام لم يفصح عنه .

– سأذهب الآن . خذى قسما من الراحة .
واتجه جيويه شين ثانية نحو محفته . ثم ادار رأسه ليحلق
اليها عدة مرات .

وصاحت روى جيويه من عند البوابة :
– تعال غدا في وقت مبكر .

وظلت تلوح له بيدها الى ان اختفت محفته خلف منعطف
في الطريق . ثم اسندت بطنها الثقيل بيديها ودخلت الى
البيت .

وحاولت ان تخرج بعض الاشياء من بين امتعتها ،
ولكن القوة قد خارت في اطرافها . وتوترت اعصابها ايضا .
فبذلت اقصى جهدها للوصول الى السرير ، وجلست على حافته .
وفجأة ظنت انها شعرت بالطفل يتحرك في بطنها ، وخيل اليها
انها تسمعه يبكي . وفي غضب هستيري ضربت بطنها بيدها
الواهنة وصاحت : ” لسوف تحطمني ! ” واخذت تبكي بكاء
خافتا الى ان سمعتها الاخت تشانغ ، الخادمة ، فهرعت اليها
لتهدئتها .

وفي الصباح التالي جاء جيويه شين مبكرا فعلا ، وجلب
معه هاى تشن ، وجاءت شو هوا للاقامة معها كما وعدت .
وجاءت شو ينغ ايضا ، ولكنها لم تستطع الحصول على موافقة
امها بالاقامة خارج المدينة . وفيما بعد وصلت تشين ايضا .
ولفترة من الوقت ظل المتزل الصغير يعج بالهرج والمرج .
ومرت الساعات بسرعة . وحان ثانية موعد المغادرة . واندفع

هاى تشن بالبكاء يريد البقاء مع امه . وهذا طبعا كان مستحيلا .
وبعد طول اقناع انتزعت روى جيويه منه ابتسامة اخرى .
ووافق على الذهاب الى البيت مع ابيه .

ومرة اخرى ودعت روى جيويه زوجها جيويه شين الى
البوابة . وقالت والدموع تلتمع فى عينيها :

– تعال ثانية غدا ، فى وقت مبكر .

فقال جيويه شين باكتئاب :

– اخشى ألا استطيع المجيء غدا . فالبناء سيأتى لىبنى

للجد ضريحا مزيفا . وقد كلفت بالاشراف على العمل .

ثم لاحظ دموعها فقال بسرعة :

– ولكن من المؤكد اننى سأجد وقتا للخروج . يجب ألا

تنزعجى بهذه السرعة . اعنى بصحتك . اذا مرضت . . .

وابتلع جيويه شين بقية الكلام ، فهو نفسه كان يخشى ان
ينفجر فى البكاء .

فقالت روى جيويه ببطء ، مبتسمة ابتسامة حزينة ،
وعيناها مثبتتان على وجهه :

– لا ادرى ماذا بى .

ثم ربت على وجنة هاى تشن ، وقالت فاركة عينيها :

– كل مرة تغادر فيها اخشى ألا اراك من بعدها ثانية .

اننى مذعورة ، لا اعرف لماذا .

فقال جيويه شين مكرها نفسه على الابتسام ، دون ان

يجرؤ على السماح لنفسه بالتفكير :

– يجب ألا تكوني خائفة . اننا نعيش قريبا من بعضنا بعضا ، وسأتى لرؤيتك كل يوم . والآن ستقيم شو هوا معك . وفجأة اشارت روى جيويه الى مبنى مسقوف بالقرميد ، ينتصب غير بعيد الى الناحية اليمنى ، وقالت :

– أوليس ذلك معبد ؟ سمعت ان تابوت ابنة الخالة مى هناك . يجب ان اذهب وأراها خلال هذه الايام . فشحب لون جيويه شين . ونظر الى البعيد بسرعة . وانتابته فكرة مرعبة . فأخذ يدها الغضة الدافئة وضغط عليها ، كأنما خشى ان احدا ما سيختطفها منه . ونصحها محذرا :

– يجب ألا تذهبي يا روى !

وتأثرت روى جيويه بجديّة نبرته ، على الرغم من انها لم تستطع ان تدرك السبب الذى جعله يقف ضد ذهابها . ولم يزد على ذلك شيئا . ثم ترك يدها فجأة . وبعد ان قال هاى تشن ثانية ” الى اللقاء يا ماما “ ، خطا جيويه شين نحو محفته . وبينما رفع حاملا المحفة المحفة على اكتافهما انحنى هاى تشن الى خارج النافذة وصاح : ” ماما ! ماما ! “ ولدى الوصول الى البيت اتجه جيويه شين الى قاعة الاسرة ، حيث كان جثمان العجوز مسجى فى تابوته . فقابل السيدة تشن التى كانت خارجة ، فحيتها مبتسمة وسألته :

– كيف روى جيويه ؟ ارجو ان تكون بصحة جيدة .

فأجاب جيويه شين بابتسامة قسرية :

– لا بأس ، شكرا .

– هل ستلد قريباً ؟

– اخشى ان يتم ذلك في غضون يومين :

وفجأة قالت السيدة تشن بجدية :

– لا تنس ايها السيد يجب ألا تدخل غرفة الولادة :

ثم انصرفت .

لقد قدم هذا التحذير لجيويه شين عدة مرات من قبل :
ولكن لدى سماعه اليوم انसानة كالسيدة تشن تصدر هذا التحذير
بمثل هذه النبرة ، غضب غضباً شديداً جعله عاجزاً عن التكلم .
وراح يحدق اليها وهي منصرفة . وعندما رفع الصغير هاى تشن
رأسه وصاح : ” بابا ، بابا “ لم يسمعه جيويه شين الذى كان
يمسكه من يده .

٣٦

وبعد اربعة ايام قام جيويه شين بزيارته المعتادة لروى
جيويه . وبسبب تأخره لبعض المشاغل فى البيت لم يصل اليها
حتى الساعة الثالثة بعد الظهر .

هتف باسمها لدى دخوله الفناء ، وهرع الى غرفتها .
ولكن قبل ان تطلأ قدمه عتبة الغرفة اوقفته الخادمة البدينة الاخت
تشانغ ، وقالت بحدة :

– لا يمكن ان تدخل ايها السيد الاول .

ففهم ، وانسحب في خنوع الى الحديقة الصغيرة خارج نافذة روى جيويه . الباب مغلق . وفي الداخل سمع وقع خطوات وصوت امرأة لم يعرفها .

وراح يحرق الى الاعشاب والازهار في الحديقة الصغيرة بشرود . ولم يستطع ان يعرف أ سعيد هو ام حزين ، غاضب أم راض . وبدا له انه يشعر بكل هذه العواطف في وقت واحد . وبدا له انه مر في مثل هذه الحالة من التفكير قبل عدة سنوات ، على الرغم من انها لم تمتد به الا وقتا طفيفا جدا . ان الحالة الآن مختلفة في الواقع تمام الاختلاف .

لكم عانى يومها وهو يشهد نضالها ، وكم كان سعيدا وممتنا ازاء الهدية الثمينة التي قدمتها له - طفلها الاول . لقد كان الى جانبها عندما احرزت النصر ، فاستراح من توتره ، وتحول قلقه الى متعة . وعندما سلمته القابلة الطفل قبل وجهه الاحمر الصغير الفاتن . واقسم في نفسه انه سيحب هذا الطفل ويقدم كل تضحية ممكنة في سبيله . لقد اودع حياته كلها في جسم هذا الطفل . وذهب الى محاذاة زوجته ونظر الى وجهها الشاحب المرهق نظرة حب وامتنان تعجز عن وصفها الكلمات . وهي يومها حدقت اليه في نشوة النصر والحب ، ثم حولت نظرها الى الطفل ، وقالت لجيويه شين بسرور :

— اشعر الآن بأننى على ما يرام . أليس طفلا محبوبا ؟
يجب ان تبحث له عن اسم بسرعة .
واشرق وجهها ببهاء سعادة الامومة .

وها هي ذى اليوم مستلقية على السرير ثانية . لقد بدأت
تتن . هناك وقع خطوات سريعة داخل الغرفة واصوات جادة
خافتة . وكل ذلك شبيه بما كان في المرة السابقة . ولكنها الآن
في هذا المكان الرفي البسيط ، ويفصل بينهما باب . انه لا
يستطيع الآن ان يراها ، ان يشجعها ، ان يخفف عنها ، ان
يشاركها ألمها . وهو اليوم ينتظر ثانية . ولكن لا سرور لديه
او رضى – بل مجرد خوف وخجل وندم . وفي ذهنه لم تكن
الا فكرة واحدة – لقد آذيتها .

وسمع الاخوت تشانغ تسأل :

– ايها السيدة الشابة ، كيف تشعرين ؟

وتبع ذلك صمت طويل . ومن ثم خرقت اذنيه صرخة
الم عنيفة . فارتجف ، صارا اسنانه مطبقا قبضتيه . وتساءل :
أيحتمل ان تكون هي ؟ انها لم تطلق صوتا كهذا من قبل .
ولكن من يمكن ان يكون غيرها ؟ لا بد انها هي . لا بد انها
زوجتي روى جيويه .

وانطلقت الصرخات المخيفة ثانية . صرخات لا تكاد
تشبه صرخات الانسان . وسمع ثانية وقع خطوات ، واصوات .
واختلطت قرقرة الاواني الفخارية بالصيحات . وسد جيويه
شين اذنيه بيديه . لا يمكن ان تكون هي . لا يمكن ان تكون
زوجتي روى جيويه . لا يمكنها ان تصرخ هكذا ابدا . وكاد
يجن من شدة اضطرابه . فحاول ان ينظر من خلال النافذة ،
ولكن مصراعها كانا مغلقين . فلم يكن بوسعه الا سماع

الاشياء . لا رؤيتها . فانكفأ خائبا .

وقالت المرأة غير المعروفة :

— كوني صبورة ايتها السيدة الشابة . ستكونين في حالة جيدة بعد فترة قصيرة .

وحثتها شو هو قائلة :

— لن يطول بك الامر الآن . ما عليك الا ان تصبرى .

وخفتت الصيحات تدريجيا ، وتحولت الى انين خافت .
وفجأة فتح الباب ، وهرعت الاخت تشانغ خارجة . وذهبت الى غرفة اخرى ، ثم اسرعت عائدة الى غرفة روى جيويه . فنظر جيويه شين من خلال الباب الذى كان نصف مفتوح . وتردد فى الدخول . وما ان حزم امره حتى اغلق الباب فى وجهه . فدفعه عدة مرات ، ولكن لم يجبه احد من الداخل . ولما هم بالانصراف مكتئبا انطلقت من الغرفة صرخة مخيفة . فدفع الباب بعنف ، واخذ يطرق عليه بكلتا قبضتيه . فصاحت الاخت تشانغ :

— من هناك ؟

فقال جيويه شين بصوت يشوبه الخوف والالام والغضب :

— اتركننى ادخل !

فلم يجبه احد . وظل الباب مغلقا . وتابعت زوجته الصراخ .

فدق الباب ثانية بعنف ، وقال بغضب :

— اتركننى ادخل ، اقول !

فصاحت الاخت تشانغ من وراء الباب :

— لا يمكن ان تدخل ايها السيد الاول . فمدام تشو
ومدام وانغ والسيدة تشن — جميعهن قد اصدرن تعليمات مشددة. . .
وتلاشت شجاعة جيويه شين . فقد تذكر ما قالوه له .
ووقف امام الباب صامتا . فليس لديه شيء آخر يقوله .
وقالت روى جيويه بصوت مؤلم :

— أهذا انت يا جيويه شين ؟ لماذا لا تدخل ؟ ايتها
الاخت تشانغ ، دعى السيد الاول يدخل ! اوه ، الالم . . .
الالم . . .

فسرت في جسم جيويه شين قشعريرة من البرد ، وصرخ
قارعا الباب بقبضتيه قرعا شديدا :

— انا قادم يا روى ، انا قادم ! افتحن هذا الباب حالا !
انها بحاجة الى . اسمحن لي بالدخول .
— يا شين ، اننى اتألم ! . . . اين انت ؟ لماذا لا تدعنه
يدخل ؟ اوه !

— سأحميك يا روى ! لن اتركك ابدا ! اسمحن لي
بالدخول ! ألا ترين كم تعانى ؟ أليس لديكى رحمة ؟ !
وسمع قلبها عنيقا . ثم انقطعت الصرخات داخل الغرفة .
وتبع ذلك سكون مطبق . وفجأة اخترق هذا السكون المرعب
بصيحة مشرقة واضحة ، صيحة طفل حديث الولادة .

وهوى بذلك كابوس عن قلب جيويه شين ، وقال متنفسا
نفس الراحة : ” شكرا للسماء ، شكرا للارض . “ من المحتمل
ان المها قد انتهى الآن . وتخلص هو من خوفه ومعاناته . وشعر

ثانية بمتعة لا توصف ، وامتلأت عيناه بالدموع . وقال في نفسه :
” سأحبها وادللها اكثر اكثر من اى وقت مضى ، وسأحب
طفلنا الثانى . “ وابتمس ، والدموع تتحدر على وجنتيه .

وداهمته صيحة شؤ هو المرعبة كصفعة قوية :

— يا زوجة اخى ! يداها باردتان !

وصاحت الاخوت تشانغ :

— ايتها السيدة الشابة !

لقد جاءت صيحاتهما ترنيمه جنازيمه حزينة . فبالاضافة
الى القابلة لم يكن احد غيرهما فى الغرفة .

وادرك جيويه شين ان الكارثة قد وقعت . ولم يجرؤ على
التفكير . بل استمر يقرع الباب بقبضته ويصرخ . ولكن لم
يلتفت اليه احد . وانتصب الباب امامه بكل عناد . انه لن
يدعه يتقدما ، او حتى يراها للمرة الاخيرة . لقد حطم كل
امله . وفى داخل الغرفة اخذ النسوة يبكين .

وصاح صيحة جنونية من اعماق قلبه ، حملها كل حبه :
” يا روى ، اننى اناديك . هل بوسعك ان تسمعني ؟ “
صيحة اراد بها ان يعيدها من العالم الآخر ، ان يستعيد الحياة
ليس لها فحسب ، بل لنفسه ايضا ، لأنه عرف جيدا اى نوع
من الحياة سيعيشه من دونها .

ولكن الموت قد حل .

واقترب وقع الخطوات من الباب . وظن انه سيفتح . ولكن
لا ، فقد وقفت القابلة ، والطفل بين ذراعيها ، وقالت له من

خلال شق الباب :

– اهتلك ايها السيد الاول . انه ولد .

وسمعتها تهتم بالابتعاد ، ومن ثم سمع الكلمات المخيفة
التالية : ” من سوء الحظ ان الطفل لا ام له . ”

حز هذا التصريح في قلب جيويه شين كسكين . ولم تعد
لديه ذرة من الحب الابوى تجاه مولوده . فقد اصبح الطفل
عدوه ، عدوه الذى اختطف حياة روى جيويه .

وقرع الباب بوحشية ، وقد استبد به الحقد والاسى . كان
بوده ان يجثو بجانب زوجته ويرجو منها ان تسامحه على اخطائه .
ولكن فات الاوان . فالباب العنيد وقف حائلا دون ابداء جبهما
الاخير ، دون وداعهما الاخير . فهو لم يسمح له حتى بالبكاء
الى جانبها .

وفجأة اتضح له الحقيقة . فالباب ليست له قوة . والذى
اخذ منه زوجته شيء آخر . انه النظام الاجتماعى الكامل بقواعده
الاخلاقية وخرافاته . لقد تمسك بهذه القواعد والخرافات سنوات
طويلة ، ولكن ما كان منها الا ان انتزعت شبابه ، سعادته ،
مستقبله ، المرأتين اللتين احبهما اكثر من اى امرأة سواهما في
العالم . كانت هذه القواعد والخرافات عبئا ثقيلًا جدا ، حاول
ان يلقي به عن كاهله ، وناضل في سبيل ذلك . ولكنه ادرك
بعد ذلك ان هذا كله مستحيل . انه خائر القوة ، ضعيف .
ولذا فقد خر على ركبتيه امام الباب ، وانفجر يبكي بكاء مرا .
بكى عليها ، وبكى على نفسه . واختلط بكاءه بالنحيب داخل

الغرفة . ولكن ما اشد الفرق بين الصوتين !
توقفت محفتان خارج بوابة المنزل ، ودخلت زوجة والد
جيويه شين مدام تشو وامرأة اخرى . وسمعت مدام تشو البكاء
لدى دخولها البوابة ، فتغيرت ملامحها . وقالت للمرأة الاخرى
مرتبكة : ” لقد جئنا بعد فوات الاوان ! “ وسارعنا الى داخل
البيت .

وعندما دخلت مدام تشو ورأت جيويه شين جاثيا خارج
الباب ، سأله في دهشة :
- ماذا تفعل ؟

نهض جيويه شين بسرعة . وقال وهو ينتحب ، ناشرا يديه :
- روى ، روى !

وعندها عرف المرأة الاخرى ، فحياها على خجل ، ثم
استأنف البكاء ثانية بصوت عال . وفي الوقت نفسه انطلق صراخ
الطفل من الداخل .

ومسحت المرأة عينها بمنديلها في صمت .

واخيرا فتح الباب . فقالت مدام تشو :

- تفضلي بالدخول يا سيده لى . افراد اسرتنا غير مسموح
لهم بالدخول الى حجرة الولادة .

فدخلت السيدة لى ، واضيف الى اصوات النحيب صوت
آخر نفاذ .

- روى ، لماذا لم تستطيعي الانتظار ؟ امك جاءت
من مكان بعيد جداً لتراك . اذا كان لديك ما تقولينه لى ،

فتكلمى ! عودى يا روى . ألم يكن بوسعك ان تنتظرى يوما
آخر ؟ لقد مت ميتة شنيعة يا بنيتى المسكينة ! معزولة في هذا
المكان الموحش . لقد اقصوك وتركوك وحيدة . لو اننى وصلت
مبكرا ، لبقيت على قيد الحياة . يا بنيتى المسكينة ، لماذا
تركتك تزوجين الى هذه الاسرة ؟ ان امك قد دمرتك .
وسمعت مدام تشو وجيويه شين هذا الكلام بكل وضوح .
وكانت كل كلمة تنفذ الى اعماق قلوبهما كابرة حادة .

٣٧

— ايها الاخ الكبير ، لم اعد اطيع العيش مع هذه الاسرة
بعد اليوم ! اننى مغادر !
كان جيويه شين جالسا وحده في غرفته عند الغسق ، حينما
دخل عليه جيويه هوى . وكان يحدق الى صورة له ولروى
جيويه قد التقطت عندما تزوجا . ومع انه لم يستطع ان يرى
بوضوح تام في الضوء الخافت ، الا ان كل ملامحها قد نقشت
على قلبه . وجهها الجميل الممتلئ ، عيناها الواسعتان الجميلتان ،
ابتسامتها الخجولة ، الغمازتان الخفيفتان في وجنتيها — كل
ذلك بدا حيا في الصورة . كان يحدق اليها وسط الدموع عندما
ردته صيحة جيويه هوى الى حيز الواقع . فالتفت ليرى اخاه
الثالث ينظر اليه بعينين ملتهبتين . فسأله مجفلا :

– انت مغادر ؟ الى اين ؟

– شانغهاي ، بكين – الى مكان ابعد ما يكون عن هنا !

لم يجب جيويه شين . بل احس بالالم يعتصر قلبه .
وراح يمسد صدره .

– اننى مغادر . لست مهتما بما سيقولون ، اننى مغادر .

ثم وضع يديه فى جيبيه واخذ يذرع الغرفة . ولم يدرك ان
كل خطوة كانت عبارة عن وطأة ثقيلة على قلب جيويه شين .
وقال جيويه شين :

– والاخ الثانى ؟

فأجاب جيويه هوى فى نرق :

– احيانا يقول انه مغادر ، وحيانا يقول انه غير مغادر .

لا اعتقد انه سيتخلى عن الاخت تشين وينأى بنفسه .

ثم اضاف بلهجة حازمة :

– على اية حال ، لقد عزمت على المغادرة .

فقال جيويه شين ، وهو ينتحب تقريبا :

– اجل ، يمكنك ان تغادر اذا اردت . يمكنك ان تذهب

الى شانغهاي ، الى بكين ، الى اي مكان تريد !

وظل جيويه هوى صامتا ، فلم يدرك ما قصده الاخ الكبير .

وفجأة دفن جيويه شين رأسه بين يديه وقال باكيا :

– ولكن ماذا بالنسبة لى ؟ اين استطيع ان اذهب ؟

وتابع جيويه هوى يذرع الغرفة ، مطلقا على اخيه من حين

لآخر نظرات كثيبة .

وقال جيويه شين متوسلا ، بعد ان توقف عن البكاء ورفع يديه عن وجهه :

– يجب ألا تغادر . مهما يحدث يجب ألا تغادر .
فتوقف جيويه هوى ، ونظر الى اخيه الكبير مكتئبا ، وقال
جيويه شين بنبرة جدلية عالية :

– انهم لن يسمحوا لك بالمغادرة . لن يدعوك تغادر ابدا .
فضحك جيويه هوى في ازدراء وقال :
– اعرف انهم لا يريدون ان اغادر ، ولكننى سأغادر
فقط لأريهم !

– كيف تفعل ذلك ؟ لديهم حجج كثيرة لن يكون
بمقدورك دحضها . جثمان الجد ما يزال في البيت ، ولم تبدأ
اية ترتيبات تذكارية بعد ، كما انه ما يزال من غير دفن . . .
وبدا جيويه شين في هذه النقطة كأنما يتحدث في صالحهم .
فقال جيويه هوى :

– ما شأنى بهذا كله ؟ كيف سيكون بوسعهم ان يوقفونى ؟
انهم لن يتجرأوا على قتلى – كما قتلوا زوجة اخى !
ولفظ هذه الملاحظة القاسية بغضب شديد ، غير مبال
بما ستجره على اخيه من اذى .

فقال جيويه شين متوسلا :
– لا تتكلم عنها . ارجوك ، لا تتكلم عنها . لا شىء
سيعيدها للحياة .

فقال جيويه هوى مبتسما ابتسامة ساخرة :

– لماذا تحزن هكذا ؟ بعد انتهاء فترة الحداد على الجد
يمكنك ان تتزوج ثانية . لن تنتظر الا ثلاث سنوات على الاكثر !
فقال جيويه شين موضحا بصوت ضعيف كأنه صوت
رجل عجوز :

– لن اتزوج ثانية ابدا ، ابدا . ولهذا السبب تركت
المولود الجديد لأم روى جيويه .

– اذن لماذا تركتها تأخذ هاى تشن ايضا ؟

– سيظل معها مدة شهرين او ثلاثة فقط . اى جو هنا
لطفل لا ام له ؟ انه يبكى طوال اليوم يريد امه ، ولكن لا احد
هنا يعنى به . سأعيده بعد دفن الجد . وسأركز على تعليمه .
انه املى الوحيد ، لا يستطيع ان ادعه يغادر . ولا يستطيع ان
اعهد به الى امرأة اخرى .

فقال جيويه هوى ، والابتسامة الساخرة لم تغادر وجهه :

– هذا ما تقوله الآن . بعد فترة ستغير رأيك . انكم جميعا
نفس الشيء . وقد رأيت ذلك يحدث مرارا وتكرارا . والوالدنا
خير مثال على ذلك . تقول انك لا تريد ان تتزوج . فيقولون
لك انك ما تزال شابا ، وان هاى تشن يحتاج الى ام وانت ستوافق .
وحتى اذا كنت لا تريد ، فسيجعلونك تريد .

فرد جيويه شين فى بؤس :

– اشياء اخرى يستطيعون ان يجبروني على القيام بها ،
ولكن هذا مستحيل . ومن اجل هاى تشن لن اتزوج ابدا .
فقال جيويه هوى ، دون ان يتمكن من كبح ضحكة

خافته :

– وانا اشعر نفس الشعور بخصوص المغادرة . انهم لا يستطيعون اجبارى على البقاء !

ظل جيويه شين صامتا مدة طويلة ، ثم قال فى انزعاج :

– لى اساعدك . وسرى ان كنت تستطيع المغادرة !

– ان تساعد او لا تساعد هذا امر راجع لك . ولكنى

اقول لك – فى المرة الثانية التى ستنظر فيها حولك ، ستجدنى

قد غادرت !

– لى معك نقود .

– هذه لىست مشكلة . اذا رفضت الاسرة ان تعطىنى ،

فبوسى ان اقترض من مكان آخر . على اية حال انا مغادر .

ولدى اصدقاء كثيرى يمكن ان يساعدونى !

– ألا تنتظر قليلا ؟

– كم انتظر ؟

فقال جيويه شين خافضا صوته ، طانا ان جيويه هوى

قد بدأ يتردد :

– ستين . وعندها ستكون قد تخرجت فى مدرسة اللغات

الاجنبية . فتستطيع ان تجد عملا فى الخارج ، او تستطيع

ان تتابع دراستك . ستكون فى وضع افضل بكثير مما انت

فيه الآن .

فصاح جيويه هوى منفلا :

– ستين ؟ انى لا اريد ان انتظر حتى خمس عشرة

دقيقة ! اننى اتمنى لو اترك هذه المدينة حالا !

– الستان ليستا وقتا طويلا . انك شديد التهور . عليك ان تفكر فى الامور أكثر من ذلك . لا تكن عجولا . ماذا يضرك لو انتظرت سنتين ؟ لقد عشت هنا ثمانى عشرة سنة ، أفلا تستطيع البقاء سنتين أخريين ؟

– عيناي لم تكونا مفتوحتين تماما من قبل ، ولم يكن لدى شجاعة . وفى السابق كان فى هذه الاسرة عدد من الناس احبهم . اما الآن فليس لدى فيها الا اعداء !
ظل جيويه شين صامتا وقتا طويلا . ثم سأل بعد ذلك بصوت مشحون بالاسى :

– هل تعتبرنى عدوك ايضا ؟

فرق قلب جيويه هوى ، ورثى لحال اخيه الكبير ، وقال فى هدوء :

– بالطبع احبك . لقد اوشكنا ذات مرة فى الماضى على فهم بعضنا بعضا ، اما اليوم فاننا بعيدين عن ذلك اميالا . لقد احببت زوجتك وابنة الخالة مى اكثر بكثير مما احببتهما انا طبعا . ولكنك تركت الناس يقررون مصيرهما كما يريدون ، بل حتى ساعدت فى ذلك . لو كان لديك قليل من الشجاعة لاستطعت انقاذ زوجتك . والآن فات الاوان . كيف تستطيع ان تحدثنى عن الطاعة . هل تريدنى حقا ان اصبح مثلك – ادمر الآخرين وادمر نفسى ؟ ايها الاخ الكبير ، صحيح اننى احبك ، الا ان هذا شىء لم استطع فهمه . ارجوك ، لا تقدم

لى هذا النوع من النصح بعد اليوم . والا فستجعلنى اكرهك .
واستدار جيويه هوى ليغادر ، ولكن جيويه شين اوقفه
قائلا وسط الدموع :

— انتظر ! سنفهم بعضنا بعضا بعد ذلك . عندى مشكلاتى
— ولكننى لا اريد ان اتحدث عنها الآن . لن اقف فى طريقك .
سأساعدك . سأتكلم معهم . واذا لم يوافقوا ، فأنت وانا سنجد
طريقا آخر . اننى اريد مساعدتك بكل تأكيد .

وعندها تماما اضيئت المصابيح الكهربائية ، ورأى كل
منهما الدموع فى عينى الآخر . وتبادل الشابان نظرة صفح .
انهما بعد هذا كله ما يزالان شقيقتين حنونين . ولكن على الرغم
من ظنهما انهما قد فهما بعضهما بعضا ، الا ان هذه ليست
هى الحقيقة الواقعية . كان جيويه هوى سعيدا وهو يغادر غرفة
اخيه ، لأنه سيصبح قادرا فى وقت قريب على الافلات من
هذه الاسرة . اما جيويه شين فقد بكى بعد مغادرة اخيه بكاء
مرا . لقد ادرك انه سيفقد بعد وقت غير طويل شخصا آخر
يجبه . ومع انه سيكون محاطا بأناس كثيرين ، الا انه سيظل
معزولا ووحيدا .

وفى جيويه شين بوعده . فبعد يومين تحدث مع جيويه
هوى حديثا آخر خاصا فى غرفة جيويه هوى . فقد جلسا على
جانبين متجاورين من جوانب طاولة مربعة . وقال جيويه شين
بصوت منخفض :

— لم استطع اقناعهم . لقد اخفقت . حدثت زوجة

والدنا ، ومع انها لم توافق على ذهابك الا انها ليست ضد هذا
الذهاب . وهى دائما ترجو لنا الخير . وقد شعرت بحزن شديد
على موت زوجة اخيك وندمت كثيرا . وهى وام روى جيويه
مهتمتين بكل ترتيبات الجنازة ، فلم يترك لى شىء اقوم به .
لقد نشطت تجاه مى اكثر منى تجاه زوجة اخيك . فعلى الاقل
رأيت مى قبل وضعها فى التابوت ، وعلى الاقل رتبت امر الجنازة .
وتابع يقول ، وقد بدأ ينتحب :

— مسكينة يا روى . لقد مضى على موتها ثلاثة اسابيع
ولم يذهب واحد من الكبار لرؤيتها . وزوجة العم الخامس لم
تسمح لشو تشن حتى بالذهاب الى المعبد الذى وضع فيه جثمانها .
انهم يتجنبونها كأنها روح شريرة او شىء من هذا القبيل .
لم يخطر فى ذهنى ابدا ان فتاة مثل روى ستتهى هذه النهاية .
كل مرة التقى فيها والدة روى ، اشعر كأن سكيننا تحز فى
قلبي . لم تقل السيدة لى شيئا بصراحة ، ولكن كلماتها مثقلة
بالتوبيخ ، وكلها موجهة لى . انك لا تعرف ما انا عليه من
وضع سيئ !

كان جيويه هوى يصغى ، عاضا على شفثيه مطبقا قبضتيه .
لقد نسى اموره الخاصة . وبدا انه يرى وجه زوجة اخيه الجميل
الممتلى ، ويرى تابوتا . وتدرجيا اصبح التابوت اثنين ، ثم
ثلاثة . وبعدها ظهرت وجوه الفتيات الثلاث — احدها ممتلى
وجميل ، والثانى حدادى وحزين ، والثالث برىء ومتدفق حيوية .
وكرت الوجوه . اربعة ، خمسة — عرفها جميعا — واكثر واكثر

واكثر . . . وفجأة اختفت جميعها ، فلم يقابله الا وجه اخيه
الكبير المبلل بالدموع .

وقال جيويه هوى ضاغطا قبضتيه على سطح الطاولة :
- لن ابكى بعد الآن .

وفعلا لم تذرف عيناه ولو دمعة واحدة .
وتلا ذلك صمت غير مريح . واستطاع الشقيقان ان يسمعا
الرهبان يرنمون بأدعياتهم ويقرعون الصنوج في القاعة الكبيرة .
واخيرا تنهد جيويه شين ، وقال ماسحا عينيه بمنديله :
- لقد بدأت الحديث عن مشكلتك . واخشى ان اكون
قد انحرفت عن الموضوع .

وحاول ان يضحك ، ولكنه لم يفلح .
- زوجة والدنا قالت انها لا تستطيع ان تقرر ، وطلبت
منى ان اكلم العم كه مينغ . ففعلت ، فاذا به يؤنبنى تأنيبا شديدا
على عدم استيعابي للعادات الشعائرية . وقال ان عليك ان
تنتظر على الاقل الى ان يدفن الجد . والآخرون وافقوه على
هذا الرأي . اما السيدة تشن فأبدت بعض الملاحظات الساخرة .
حتى انها لمحت الى ان اعتراضك على عملية طرد الشيطان كان
له تأثيره في موت الجد . وبالطبع لم تجرؤ على التصريح المباشر
بذلك . فلا احد يوافقها على رأيها .

فقال جيويه هوى غاضبا :

- لا اخاف ابدا ولو وافقوا على رأيها علانية . فستكون في
ذلك فضيحة اخرى رائعة داخل الاسرة . انهم جميعا بكرهوننى

على اية حال . حسنا ، اننى منتظر هجومهم القادم .

فقال جيويه شين مشعثا شعره فى مرارة :

— اوه ، لا اعتقد انهم سيفعلون شيئا ضدك . انهم يمنعونك من المغادرة ، متخذين ذلك وسيلة لتوجيه ضربة اخرى لى . انهم يقولون ان شانغهاى مدينة كبيرة سيئة ، وان وضعك سيئ . اذا دخلت مدرسة هناك . ويقولون ان الجد قد عارض دخولنا مدارس نظامية على اية حال . ويقولون ان مدارس شانغهاى تخرج فقط مثيرى متاعب ، لا شبابا جيدي السلوك . وتحدثنا وتحدثنا . وهذا العم قال هذا وتلك العمة قالت ذاك . . .

وجوهر الامر انهم لا يريدونك ان تغادر . ولا يريدون فقط ان تنتظر الى ما بعد دفن الجد — بل يأملون ألا تغادر ابدا . فهب جيويه هوى واقفا على نحو فجائى وقال ضاربا الطاولة بقبضته :

— حسنا ، اننى ذاهب ! سأريهم اى متمرذ انا !

واخذ يذرع الغرفة متمتما : ” متمرذ “ ، كأنه لم يفهم تماما هذا المصطلح . وفجأة وقف ازاء اخيه وسأله :

— ما فكرتك ؟

رفع جيويه شين رأسه ، واشرقت عيناه . وقال بتصميم نادرا ما يلحظ عليه :

— لقد وعدتك بالمساعدة ، ولسوف اساعدك . علينا ان نعمل سرا . ألم تقل ان لديك اصدقاء يمكن ان يقترضوك نقودا ؟ حسنا ، انا سأعطيك بعض النقود ايضا . فمن الافضل

ان تأخذ معك بعض النقود الزائدة . وبالنسبة لما سيحدث بعد ذلك سنعمل على مواجهة كل شيء في حينه . وبمغادرتك لا اعتقد انه ستحدث اية مشكلة .

فصاح جيويه هوى مبتهجا وممسكا بذراع اخيه :
- هل ستساعدني حقا ؟

- لا ترفع صوتك هكذا . لا نريدهم ان يسمعوا . لا تخبر ايا منهم بأى عمل تقوم به . يمكنني ان اتظاهر بأنني لا اعرف شيئا عن ذلك . او يمكنك ان تترك مذكرة ، توبخني فيها . فعندها لن يكون بوسعهم ان يشكوا في . ويمكننا ان نبحث التفاصيل فيما بعد . ويحسن بنا ان نلتقي في الحديقة ، فليس من الملائم ان نتحدث هنا .
كان اسلوب جيويه شين مرحا تقريبا ، ولكن كانت هناك دموع في عينيه .

وانطلق صوت انثوى واضح النبرة يقول :

- انت على حق . فهذا ليس مكانا للمحادثة !

ودخل جيويه مين ، مبتسما هو وتشين ، ثم قال ضاحكا :
- خطتكما ليست سيئة .

فقال له جيويه شين موبخا :

- لماذا كنتما تقفان في الخارج تستمعان ؟ لماذا لم

تدخلا ؟

فقال جيويه مين :

- ادركنا انكما تناقشان امرا خاصا ، لذلك وقفنا حارسين

على الباب . وهذه كانت فكرة تشين . أليست ذكية ؟
ونظر الى تشين مبتسما ، فابتسمت له هي الاخرى ابتسامة
خفيفة . وتابع يقول :

– نأمل ان تساعدنا نحن ايضا ايها الاخ الكبير . فقد
وافقت والدة تشين على زواجنا . ولا اتوقع اية معارضة من زوجة
والدنا . اننا ننتظر فقط انتهاء فترة الحداد على الجد ، ومن ثم
سنحدد موعدا . ولكننا نريد ان نقيم احتفالا عصريا حديث
الطراز .

فقطب جيويه شين معتبرا هذه مشكلة اخرى ، وقال :
– ما يزال هناك وقت طويل . ستحدث في هذا الامر
عندما يحين مواعده . وربما يمكننا ايجاد حل مرض .
قال جيويه شين هذه العبارة الاخيرة ليطمئن جيويه مين .
ولكن لم تكن لديه في الواقع ادنى ثقة .

وصاح جيويه هوى بحماسة :
– يجب ان تنزلا الى شانغهاي . ولسوف ارحب بكما
هناك .

– ليس هذا مؤكدا . اذا كانت والدة تشين لا تريد ان
تغادر ، فاننا لا نستطيع تركها هنا . وعلى اية حال ، لا بد لنا
من انتظار سنتين او ثلاث سنوات قبل ان نتمكن كلانا من
السفر سويا .

وسأله جيويه هوى :

– ماذا عن مدرسة تشين ؟

– ستخرج في السنة القادمة . ويحتمل ان تقبل مدرسة اللغات الاجنبية فتيات في ذلك الوقت . واذا لم يحدث هذا فبوسعها ان تدرس في البيت سنة او سنتين . وعندما تغادر الى شانغهاي فيما بعد سيكون بوسعها ان تتقدم مباشرة بطلب لدخول احدى الجامعات هناك .

ثم التفت الى تشين وقال :

– ما رأيك في ذلك ؟

ابتسمت تشين ، ولكن لم تقل شيئا . انها تثق بجيويه مين ، وتعرف انه يحاول ان يحل لها امورها بنجاح .

نظر جيويه هوى اليهما بصمت . وحسد جيويه مين على سعادته ، ثم عاد وشعر بالسرور لعدم وجود روابط تمنعه من ترك هذه الاسرة التي يحتقرها اشد الاحتقار . ان حياة جديدة تنتظره في شانغهاي ، شانغهاي بجماهيرها وحركتها الثقافية الجديدة . وفي شانغهاي ايضا صديقه او اصدقاؤه الثلاثة الذين يرسلهم ولكن لم يرهم بعد .

وقال جيويه شين :

– يحسن بنا ان نتابع هذا الحديث في الحديقة . ايها الاخ الثاني اسبقنا انت وتشين .

وشرع خادم في الخارج ينادى :

– ايها السيد الاول !

فتذكر جيويه شين ان هناك شيئا يجب ان يفعله . فقال

لجيويه هوى على الفور :

— اذهب انت ايضا ايها الاخ الثالث . انتظروني عند مقصورة ” اريج المساء “ وسآتيكم حالا .
وهرع خارجا من الغرفة .

وبعد بضع دقائق خرج جيويه مين وتشين . وبعدهما خرج جيويه هوى . ولدى خروج جيويه هوى من البيت رأى شقيقه الكبير يتفحص لفيفتى رثاء قد سلمتا اليه . وكان خادم يمسك بأحد طرفيهما . فاقترب جيويه هوى منه وقرأ في احدى اللفيفتين ما يلي :

الاسرة كلها تبكى على وداع المحبوبة . ومعاناة الزوج اضافت هذابا الى عذاب ، لأن مولوده الجديد لن يتلقى عناية الام وحنانها بل سيعهد به الى والدة زوجته .

كانت اللفيفتان مذيلتين بتوقيع شقيق روى جيويه الذى يعيش في جيادينغ بمقاطعة جيانغسو واتجه جيويه هوى الى الحديقة حزينا ليلحق بجيويه مين وتشين .
وظل جيويه شين يحدق الى الكتابة . وفجأة لف اللفيفتين وطلب من الخادم ان يأخذهما الى البيت . ثم اتجه هو نفسه الى الحديقة . وقال في نفسه : هذه الاسرة تحتاج الى متمرّد . يجب ان اساعد الاخ الثالث . ومن خلاله يمكننى ان اقاوم بعض الشىء . وسنريهم . ليس كل واحد في هذه الاسرة طيعا مثلى !

كان الظلام قد خيم تماما عندما غادر جيويه هوى واصدقاؤه الحانة . وهب على وجوههم المتوهجة نسيم خريفي بارد . ووقفوا تحت طنف احدى المباني ، غير راغبين في الانفصال عن بعضهم ، وراحوا يراقبون الحشود المسرعة في الشارع .

واخيرا قال احد الطلبة :

– سنفصل هنا . لن اودعك غدا . ارجو لك رحلة ممتعة .
فقال جيويه هوى :

– شكرا لك .

ثم تصافحا . وتمنى له الآخرون السعادة ، وغادروا .
وقال هوى رو ، وعيناه الصغيرتان تشرقان في وجهه المتورد
المثلث الشكل :

– سنودعك الى البيت .

فهز جيويه هوى رأسه موافقا . ودخل مع اصحابه الثلاثة
الباقين في الشارع المزدهم . وبعد ان اجتازوا شارعين ودعه
طالب آخر .

ودخلوا شارعا هادئا ، حيث بدا نور مصابيح الشارع
الخافت باهتا تحت ضوء القمر الساطع . وكانت مداخل
المربعات السكنية التي تنتظم جانبي الشارع مثل كهوف مظلمة .
وكانت اشجار الخرنوب المنتصبة داخل الاسوار تلقي ظلالها
المجسمة على بلاط الشارع الفضي اللون . فظهر ظل كل

غصن وورقة واضحة داكنا ساكنا ، كأنما رسمته يد ماهرة .
وتساءل جيويه هوى متعجبا : كيف يمكن للمدينة ان
تكون ساكنة الى هذا الحد ؟ وكاد ينسى ما اشتملت عليه المدينة
من اضطرابات ومشكلات . ورفع نظره الى القمر الساطع الذى
لم يكتمل بعد والذى كان يتهادى عبر السماء الليلية الزرقاء
الفسيحة المديدة .

وتهد هوى رو قائلا فى اعجاب :

— يا له من قمر جميل !

ثم سأل جيويه هوى قائلا :

— بعد مغادرتك هذا المكان أ لن تشتاق اليه ولو قليلا ؟

فلم يجب جيويه هوى . وقال تسون رن :

— وای شيء خاص فى هذه المدينة ؟ عندما يغادر من هنا

سيجد اماكن اكثر جمالا .

وقال جيويه هوى فى ارتباك :

— جميع اصدقائى الاعزاء هنا . فطبعاً سأشتاق الى تشغدو .

وودع رفيقيه عند بوابة بيته ، ودخل متجها الى غرفة

جيويه شين مباشرة . فوجد شقيقه الكبير وجيويه مين منهمكين

فى الحديث . وبعد لحظة تردد اعلن قائلا :

— اننى مغادر غدا صباحا ، ايها الاخ الكبير .

فقال جيويه شين ، وقد نهض عن كرسيه شاحب الوجه :

— غدا ؟ ولكن اظن انك قلت بعد ثلاثة ايام . . .

ودهش جيويه مين ، ونهض هو الآخر . واخذ يحدق

الى جيويه هوى :

وقال جيويه هوى فى اكتتاب :

— السفينة قد استأجرها احد اقرباء تسون رن ، وقد قرر ان يبحر غدا . ولم اعرف ذلك الا هذا المساء .
فقال جيويه شين فى خيبة امل ، مستندا الى طاولته باحدى يديه :

— بهذه السرعة ! بقى لك فى البيت ليلة اخرى فقط .

فقال جيويه هوى بلهجة حزينة :

— ايها الاخ الكبير .

فالتفت جيويه شين اليه ، والدموع تملأ عينيه . وتابع
جيويه هوى يقول :

— اردت ان آتى الى البيت مبكرا واتناول العشاء معكما ،
ولكن الطلبة أصرروا على ان يقيموا لى وداعا . وهذا سبب
تأخرى ...

وابتلع جيويه هوى بقية كلامه .

فقال جيويه مين :

— سأحضر تشين . انها تريد التحدث اليك . غدا ربما
لا يكون هناك وقت .

فصده جيويه هوى عن الذهاب قائلا :

— ألا تعرف كم الوقت الآن ؟ ستضطر الى الطرق على
بوابتها وايقاظ كل شخص هناك . وهذا سيثير الانتباه الى حد
كبير .

– اذن لن تتمكن من رؤيتك قبل ان تسافر . وستصاب
بخيبة امل كبيرة . لقد طلبت منى عدة مرات ان اخبرها بموعد
مغادرتك .

فقال جيويه هوى ، وقد لاحظ ملامح الاضطراب على
وجه جيويه مين :

– سنمر بها غدا صباحا قبل اى شىء آخر . اننى متأكد
من انه ما يزال هناك متسع من الوقت .
ولكنه فى الواقع لم يكن متأكدا ابدا ان كان سيستطيع
رؤية تشين ام لا .

وسأله جيويه شين بصوت أجش :

– هل امتعتك محزومة ؟

– لقد ارسلتها الى رصيف الميناء . انها ليست كثيرة .
مجرد حزمة فراش وسلّة كبيرة وصندوق ثياب صغير .
– لم تأخذ ما يكفيك للاكل . عندى قليل من علب
فخذ الخنزير ارسلها لى شخص ما . سأحضرها لك .
وذهب جيويه شين الى الغرفة الاخرى دون ان ينتظر جوابا ،
وجلب اربع علب .

فقال جيويه هوى عندما رأى شقيقه الكبير يقوم بلف
العلب :

– لا احتاج الى كل هذه العلب . سيكون بوسعى شراء
مأكولات على الطريق .

فقال جيويه شين واضعا حزمة العلب امام جيويه هوى :

– من الافضل ان تأخذ معك قليلا من المأكولات الاحتياطية . وانا على كل حال لست بحاجة اليها . وسأرسل لك النقود بالطريقة التي اتفقنا عليها في المرة السابقة . ستكون بانتظارك في مكتب بريد تشونغتشينغ وهانكو وشانغهاي . فما عليك الا ان تأخذ حوالتك البريدية وتصرفها . واذا كانت النقود التي اعطيتك اياها امس غير كافية ، فبوسعك ان تأخذ المزيد .
– انها كثيرة . وليس من الخير ان احمل معي كثيرا من الحيوانات الفضية . ومن حسن الحظ ان الطرق الآن آمنة نوعا ما .

فرد جيويه شين على نحو آلى :

– اجل ، الطرق الآن آمنة نوعا ما .

وتبادل جيويه مين وجيويه هوى بضع كلمات . ثم قال

جيويه شين :

– عليك ان تذهب للنوم ايها الاخ الثالث . فلا بد لك من النهوض في وقت مبكر غدا . وستمضى عدة ايام على متن سفينة خشبية . فيحسن بك ان تستريح جيدا .

فتمتم جيويه هوى بالموافقة .

– ستصبح مسؤولا عن نفسك بعد اليوم . فالبس ثيابا كافية وكل جيدا . انك غالبا ما تهمل هذه الامور . ووضعت الآن ليس كما لو انت في البيت . فاذا مرضت فلن تجد من يعتني بك .

فهز جيويه هوى رأسه موافقا .

— لا تنس ان تكتب الينا ، وانت فى الطريق . وسأرسل لك كتبك عندما تصل شانغهاى . لا حاجة بك الى التقتير الشديد فى مصروفاتك ، فسأدفع لك نفقات اية مدرسة تدخلها . ولا تقلق بخصوص الاسرة . فما دمت انا هنا ، فلن ادع ايا منهم يتدخل .

واوشك جيويه شين على البكاء . وبذل جيويه هوى جهدا كبيرا لضبط انفعالاته .

— انك محظوظ . لقد استطعت النجاة من بحر هذا العذاب . ولكن نحن . . .

ولم يستطع جيويه شين متابعة كلامه . وخارت القوة فى ساقيه ، فألقى بثقله على الكرسي . ثم دفن رأسه بين يديه ، وشرع يبكي فى صمت .

فناداه جيويه هوى بصوت بائس :

— اخى الكبير .

ولكن جيويه شين لم يجب . فتقدم منه جيويه هوى وناداه ثانية . فرفع جيويه شين يديه عن وجهه ونظر الى جيويه هوى ، وهز رأسه قائلا :

— اننى بخير . ليس هناك ما يسوء . اذهب انت للنوم . فتركه شقيقاه وانصرفا . وعندما لاحظ جيويه هوى المصباح مضاء فى نافذة مدام تشو ، قال لشقيقه :

— اريد رؤية زوجة والدنا .

فسأله جيويه مين فى دهشة :

– متخبرها بأنك مغادر ؟

فقال جيويه هوى مبتسما :

– لا . اريد رؤيتها فقط . فمن المحتمل ان تكون المرة
الاخيرة .

فقال جيويه مين بصوت خافت :

– حسنا ، اذهب . ولكن كن حذرا ، لا تكشف امرك .
ثم استدار متجها الى غرفته ، بينما ذهب جيويه هوى
الى حجرة زوجة والدهم .

كانت مدام تشو جالسة على كرسى خيزراني ، تتحدث
مع شو هوا . فعندما رآته يدخل قالت مبتسمة ابتسامة تأنيبية :
– لم تأت الى العشاء الليلة .

فاكتفى جيويه هوى بالتبسم قائلا :

– هذا صحيح .

ثم وقف بعيدا عن مدام تشو التي قالت له في قلق :

– انك دائم التجول في الخارج . فماذا تفعل ؟ يجب
ان تكون حريصا على صحتك .

فقال جيويه هوى ضاحكا :

– صحتي جيدة . والتجول في الخارج افضل بكثير من
الجلوس في البيت عرضة للضجر !

فقالت مدام تشو ، تنتقده مبتسمة :

– ما اكثر حبك للجدل ! لا عجب في كثرة ما تدمر
منك اليوم اعمامك وزوجاتهم . ودعني اصارحك بأنك عنيد

جدا . انك لا تخاف احدا . حتى انا لا استطيع السيطرة عليك .
غريب انك انت وشقيقك الكبير قد ولدتما من ام واحدة ،
وشخصيتكما مختلفتان تمام الاختلاف . ولا احد منكما
مثلا . الاخ الكبير طبع خنوع ، وانت عنيد شמוש !
وضحكت . ثم نظرت شو هو التي تجلس بجانبها الى
جيويه هوى وابتسمت .

ورغب جيويه هوى فى الدفاع عن نفسه ، ولكنه ما لبث
ان آثر الصمت . وفجأة احس بشوق الى ابداء ولو اشارة صغيرة
الى زوجة ابيه بالوداع . وفيما بعد ستعرف هى ماذا كان يقصد
بذلك . فتقدم منها خطوة .

واستطاعت مدام تشو ان تستشف ان هناك شيئا يجول فى
ذهنه ، فسألته فى رقة :

— ماذا لديك يا جيويه هوى ؟ هل تود التحدث الى عن
ذهابك الى شانغهاى للدراسة ؟

وذكرته هذه الملاحظة بتحذير جيويه مين ، فقرر ان يكون
حذرا ، فأجاب بضحكة قسرية :

— ليس لدى شأن خاص . اننى ذاهب للنوم .
ونظر الى وجه مدام تشو المستدير ، وحدث بعدها الى
شو هوا ، ثم استدار وخرج . ولدى مغادرته الغرفة خيل
اليه انه سمع زوجة ابيه تبدى لشو هوا ملاحظة ما حول تصرفه
الغريب .

وقال فى نفسه مبتسما : ربما لا نرى بعضنا بعضا مرة

اخرى . حالما اغادر سأغدو كطير اطلق من قفص . سأحلق
بعيدا ، ولا اعود ابدا .

٣٩

لم ينم جيويه هوى فى تلك الليلة الا ساعات قليلة . ومع
انه استيقظ قبل الفجر ، غير انه ظل فى الفراش يفكر الى
ان بزغ الفجر .

وحان موعد الانطلاق . وما زال عليه ان يذهب مع جيويه
مين لرؤية تشين . فلا بد له من مغادرة البيت حالا . ورافقهما
جيويه شين الى البوابة .

كانت الشوارع باردة ساكنة فى ذلك الصباح المبكر . ولم
يكن فى الخارج الا الطهارة يحملون سلال التحوج الى السوق ،
وفلاح قدم من الضاحية ليجمع الغائط ، وواحد او اثنان من
باعة الوجبات الصباحية الخفيفة . وكانت السماء صافية تماما .
وكانت الشمس ترسل اشعتها الدافئة على اسوار المربع السكنى
المقابل لمسكن اسرة قاو . وراحت العصافير تزقزق على اشجار
الخرنوب بصخب ، مرجبة بمولد يومها الجديد .

وانبعث صوت جيويه هوى ىرن وسط نسيم الصباح العليل

قائلا :

— اننى مغادر يا اخى الكبير .

ثم ضغط على يد جيويه شين بشدة . فتهند جيويه شين
قائلا في ابتئاس :

— آسف اننى لا استطيع مرافقتك الى ابعد من ذلك .
اعتن بنفسك جيدا . واحرص على الكتابة الينا دائما .

وكرر جيويه هوى قوله ، ضاغطا على يد شقيقه :

— اننى مغادر . لا تبتئس كثيرا . من المؤكد ان نرى
بعضنا ثانية .

وفجأة ترك يد جيويه شين ، كأنما يعدها عنه بشدة ،
ثم استدار وانطلق بسرعة حاملا علب فخذ الخنزير التى حزمها
له شقيقه الكبير .

نظر الى الخلف عدة مرات . وراح جيويه شين يلوح له
من عند البوابة . وظل الاخ الكبير واقفا فى ذهول ، يلوح مودعا ،
على الرغم من ان جيويه هوى قد اختفى عن النظر .

وعندما وصل الشقيقان منزل تشين نقر جيويه مين نقرات
خفيفة على النافذة . وسمعا صوت سعالها ووقع اقدامها . ثم
سحبت الستارة جانبا ، فظهر وجه تشين الناعس خلف زجاج
النافذة ، وكذلك شعرها المشعث غير المسرح .

ابتسمت تشين لهما . وفجأة لاحظت ملامح وجه جيويه
هوى ، فقالت بصوت خافت :

— اليوم ؟

فهز جيويه مين رأسه قائلا :

— الآن .

فقلت ، وقد تغير لونها :

– بهذه السرعة ؟

وخطا جيويه هوى مقتربا من النافذة . وقال بلهجة ودودة ،
محيا اياها برقة :

– ايتها الاخوت تشين .

ولم يستطع ان يرى غير وجهها ، وكان مفصولا عنه بلوح
من الزجاج .

وانعمت هى النظر الى وجهه بعينين رقيقتين ، ثم قالت
بابتسامة حزينة :

– انك لن تنساني ، أليس كذلك ؟

فهب جيويه هوى رأسه برفق وقال :

– ابدا . تعرفين اننى سأذكرك دائما .

– انتظر دقيقة . لا تذهب .

واختفت من النافذة .

ثم ما لبثت ان عادت فى الحال ، وقالت مبتسمة :

– هذا شىء قد وعدتك يوما باعطائك اياه .

ثم فتحت النافذة قليلا ، واسقطت له صورة اخذت لها
حديثا .

واحس جيويه هوى بالسرور والامتنان ، ورفع بصره لينظر
اليها ، ولكنها كانت قد اعادت الستارة . فناداها برفق : ” ايتها
الاخت تشين “ ولكنه لم يسمع اى جواب . وراح شقيقه يحثه
على الاسراع ، فنبعه خارجا من المربع السكنى على مضض .

واسرع الشقيقان في سيرهما على طول الشارع . وكانا
خلال سيرهما يتحدثان . وعندما وصلا رصيف النهر وجدا
تسون رن وهوى رو في انتظارهما .

وتناول هوى رو يد جيويه هوى في سرور وقال :
— اننا هنا منذ قرون . لماذا تأخرت كثيرا . المركب
يمكن ان ينطلق من دونك .

فتدخل تاجر متوسط العمر كان يقف متنجيا جانبا ، وقال
مبتسما :

— لا ابدا . بالطبع سنتظر السيد قاو .
وكان هذا التاجر هو السيد وانغ ، قريب تسون رن . وكان
جيويه هوى قد قابله سابقا ، فقدمه الآن لجيويه مين .
وقال تسون رن :

— يا جيويه هوى ، تعال انظر الى امتعتك .
ثم قاده الى داخل المركب واطلعه على حجرتة الخاصة .
ولحقهما جيويه مين .

وقال تسون رن :
— لقد فتحت حزمة فراشك وربتها لك . . . وهذه الصرة
عبارة عن فطائر وكعك لتأكلها في الطريق . انها من هوى رو
وشقيقه ومنى .

فلم يستطع جيويه هوى الا ان يهز رأسه .
وتابع تسون رن يقول :

— السيد وانغ سيهتم بكل شيء ، فلا تزعج نفسك ابدا .

سيوصلك الى تشونغتشينغ . ومن هناك ستكون المتابعة سهلة .
لا تنس ان تبحث عن ابن عمي عندما تصل هناك . فهو يستطيع
مساعدتك .

وكان المركب الراسي عند الرصيف الآخر قد استأجره
موظف غني . لذلك كان على متنه حراس مسلحون ، وكان على
الرصيف اناس كثيرون يودعونه . ومن الرصيف انطلق صوت
مفرقات نارية . فالمركب قد اوشك على الابحار .
ودخل هوى رو الى الحجرة ، وربت على كتف جيويه
هوى قائلا :

— لا تنس ان تكتب الينا يا جيويه هوى ، اكتب كثيرا
من الرسائل !

فقال جيويه هوى ضاحكا :

— انتم الذين يجب ان تكتبوا .

ودخل السيد وانغ معلنا :

— انا جاهزون للابحار . فهل لكم ايها المودعون الثلاثة

ان تفضلوا بالخروج الى الشاطئ ؟

فقد غادر اصدقاء السيد وانغ المودعون .

ومشى جيويه هوى مع شقيقه ورميليه الى المعبر . وصافحهم

جميعا .

وقال له جيويه مين يستحته :

— اعتن بنفسك جيدا .

ثم هبط المعبر مع الزميلين الآخرين .

ووقفوا على الشاطئ* . ووقف جيويه هوى فى مقدم المركب .
وظفقا يلوحن لبعضهم بعضا .

انزلق المركب ببطء ، وبدأ ينعطف . واخذ الاشخاص
الواقفون على الشاطئ* يصغرون ويصغرون ، ثم سرعان ما اختفوا .
وظل جيويه هوى واقفا فى مقدم المركب يحدق فى اتجاههم ،
ظانا ان يوسعه رؤيتهم يلوحن له . ورفع يده ليمسح شيئا ظفر
من عينيه . وعندما خفض يده كانت قد اختفت حتى صورتهم
الخيالية .

وبدا الماضى كأنه حلم . وكل ما قابلته عيناه كان عبارة
عن امتداد من المياه الشديدة الخضرة ، وظلال الاشجار والتلال
منعكسة على صفحتها . وعلى المركب كان بضعة بحارة ، يجذفون
بجهد كبير مجاذيف طويلة ، ويغنون فيما هم يجذفون .

واستحوذت على جيويه هوى تدريجيا عاطفة جديدة ،
لم يعرف ان كانت فرحا ام اسى ، ولكن شيئا واحدا كان
واضحا - انه مغادر اسرته . وامامه ظهر امتداد من الماء لا
نهاية له ، يندفع الى الامام على نحو ثابت ، حاملا اياه الى
مدينة غريبة . وهناك ، كل جديد كان فى تجدد دائم - نشاطات
جديدة ، اناس جدد ، اصدقاء جدد .

هذا النهر ، هذا النهر المبارك ، يحمله بعيدا عن بيته الذى
عاش فيه ثمانى عشرة سنة الى مدينة لم يرها واناس لم يرههم
قبل ذلك قط . وبهر نظره هذا المشهد الخيالى ، فلم يترك
له وقتا يتأسف فيه على الحياة التى نبذها وراءه . ونظر الى الخلف

للمرة الاخيرة ، وقال بصوت رقيق : ” وداعا “ . واستدار لينظر الى النهر المندفِع ، الى الماء الاخضر الذى لم يتوقف لحظة واحدة عن تدفقه السريع الى الامام .

حول المؤلف فى سطور

با جين ، اسمه الاصلى لى فى قان ، ولد عام ١٩٠٤ فى مدينة تشنغدو بمقاطعة سيتشوان . كان والده حاكم محافظة . بدأ با جين دراسته فى البيت على يد مدرس خاص وتأثر تأثراً كبيراً بفكرة الاشتراكية ، وعلى الاخص فكرة الاشتراكية الطبواوية ، التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت .

وفى عام ١٩٢٠ التحق با جين بمدرسة اللغات الاجنبية على مستوى المقاطعة ليتعلم الانجليزية . وفى عام ١٩٢٣ ذهب الى شانغهاى حيث واصل دراسته من جهة ، واشترك من جهة اخرى فى تحرير مجلة « اسبوعين » ، وهى مجلة تنشر الافكار الجديدة . وفى نهاية عام ١٩٢٦ اتجه الى فرنسا لمتابعة دراسته وهناك اتم با كورة كتبه « الهلاك » . ثم عاد الى شانغهاى فى نهاية عام ١٩٢٨ . ومنذ ذلك الحين ، كتب على التوالى ثلاثيته « الحب » : « الضباب » « المطر » « البرق » ورواية « الاسرة » وهى الجزء الاول من ثلاثيته الاخرى « التيار الجارف » وغير ذلك من الروايات والقصص . وفى خريف ١٩٣٣ نقل با جين الى بكين وعمل فى الهيئة التحريرية لمجلة « الآداب » الفصلية . وفى السنة التالية قصد الى اليابان ، ولكنه عاد الى شانغهاى عام

١٩٣٥ واصبح رئيس التحرير في دار الحياة الثقافية ، وكتب رواية « الربيع » ، الجزء الثاني من ثلاثيته « التيار الجارف » . وبعد اندلاع حرب المقاومة ضد اليابان عام ١٩٣٧ اصدر با جين مع ماو دون وغيرهما مجلتي « النداء » و« نار الانذار » في شانغهاي . ومن ثم اتجه الى مناطق جنوب غربي الصين حيث واصل عمله الادبي فكتب رواية « الخريف » ، الجزء الاخير من ثلاثيته « التيار الجارف » ورواية « النيران » و« حديقة تشي » و« الليل البارد » . كما ترجم كتابي توجينيف « الآباء والبنون » و« الارض البكر » وغيرهما من المؤلفات . وفي عام ١٩٤٦ عاد الى شانغهاي واستأنف التحرير في دار الحياة الثقافية من جديد .

وبعد تحرير شانغهاي عام ١٩٤٩ ذهب با جين الى بكين للاشتراك في المؤتمر الوطني الاول لممثلي الاوساط الادبية والفنية ، وانتخب مندوبا للمؤتمر الاستشاري السياسي ، وحضر الدورة العامة الاولى للجنة الوطنية الاولى للمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني المنعقدة في بكين في سبتمبر من نفس العام . وفي عام ١٩٥٠ طار الى وارسو في بولندا ، حيث اشترك في المؤتمر العالمي الثاني للدفاع عن السلم العالمي . وفي عام ١٩٥٢ و١٩٥٣ توجه الى كوريا مرتين وكتب كثيرا من التحقيقات الخاصة بحرب مقاومة العدوان الامريكى ، واصدر مجموعتين من الرسائل ومجموعة من القصص القصيرة . ومنذ عام ١٩٥٤ انتخب مندوبا للمجلس الوطني الاول والثاني والثالث لنواب

الشعب . وبعد سحق ” عصابة الاربعة “ اعيد انتخابه مندوبا
للمجلس الوطنى الخامس لنواب الشعب ، وهو الآن نائب
لرئيس اتحاد الكتاب الصينيين ورئيس فرعه فى شانغهاى .

مطبعة اللغات الاجنبية بكين
توزيع
كوزى شويان
(مركز توزيع المنشورات الصينية)
ص ، ب ٣٩٩ ، بكين - الصين

家

巴金著

刘几芒 插图

·

外文出版社出版

(中国北京百万庄路24号)

外文印刷厂印刷

中国国际书店发行

(北京299信箱)

1974年(28开)第一版

编号: (阿)10030-1934

00485

10-A-340S



